اعلان

عن كتب جديده تطلب

(من محل محمد أمين الخانجي الكتبي وشركاه بالأستانه ـ ومصر)



كتاب [الايمان والاسلام] لشيخ الاسلام تقي الدين أحمد بن تيمية الحنبلي

« [اقتضاء الصراط المستقيم] « « « « «

« [شرح فقه الاكبر] لابي منصور الماتريدي مع شرحه لابي المنتهى المغنياوى

« [مواقع النجوم ومطالع أهلة الاسرار والعلوم] للشيخ الاكبر محيي الدين ابن العربي

« [المجموع في الفلسفة والحكمة] للفارابي مع فصوص الكلم شرح فصوص الحكم للسيد بدر الدين النعسانى

« [المجموع] للغزالي يشتمل على فيصل التفرقة : ومشكاة الانوار : ورسالة له في التوحيد والاخلاق : ورسالة له في الوعظ : وتجريد التوحيد لاخيه أحمد الغزالى

« [تفسير غريب القرآن] المسمى بنزهة القلوب لابي بكر السجستانى على شكل قاموس

« [فقه اللغة وسر العربية] للثعالبي (طبعه ثانيه) بقطع صغير يوضع فى الجيب

« [العمده في صناعة الشعر ونقده] لابن رشيق القيرواني جزء ٢

« [الطرف الادبيه لطلاب العلوم العربيه] يشتمل على فصيح ثعلب : وشرحه للهروى : وذيل الفصيح البغدادى ، وكتاب فعلت وأفعلت للزجاج

« [مبادي اللغة العربية] وشرح أبيات مبادي اللغة لابن الاسكافي

« [شفاء الغليل فيما جاء في كلام العرب من الدخيل] للشهاب الخفاجي

« [نوادر الحمقى والمغفلين] لبعض أدباء العصر

﴿ فهرس الجزء الثالث من أمالي السيد المرتضى ﴾

صحيفه

صحيفه

﴿تم الفهرس﴾

الجزء الثالث من كتاب

امالى السيد المرتضى

الشريف أبي القاسم علي بن الطاهر أبي أحمد الحسين المتوفى سنة ٤٣٦ رضي الله عنه

في التفسير والحديث والأدب



الطبعة الأولى

(سنة ١٣٢٥ هـ و ١٩٠٧ م)

(على نفقة أحمد ناجي الجمالي ومحمد أمين الخانجي وأخيه)





(صححه وضبط ألفاظه وعلق حواشيه)

حضرة الشيخ أحمد بن الامين الشنقيطي نزيل القاهرة حالا

(مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر لصاحبها محمد اسماعيل)

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلس آخر ٤١

[تأويل آية] .. إن سأل سائل عن قوله تعالى (فأين تذهبون إن هو إلاّ ذكر للعالمين) الى آخر الآية .. فقال ما تأويل هذه الآية أوليس ظاهرها يقتضى أننا لا نشاء شيئاً إلاّ والله تعالى شاءه ولم يخص إيماناً من كفر ولا طاعة من معصية .. الجواب قلنا الوجه المذكور فى هذه الآية ان الكلام متعلق بما تقدمه من ذكر الاستقامة لانه تعالى قال (لمن شاء منكم أن يستقيم) ثم قال (وما تشاؤن إلاّ أن يشاء الله رب العالمين) أي ماتشاؤن الاستقامة إلاّ والله تعالى مريد لها ونحن لا ننكر أن يريد الله تعالى الطاعات وانما أنكرنا ارادته المعاصى وليس لهم أن يقولوا تقدم ذكر الاستقامة لا يوجب قصر الكلام عليها ولا يمنع من عمومه كما ان السبب يوجب قصر ما يخرج من الكلام عليه حتى لا يتعداه وذلك ان الذى ذكروه انما يجب فيما يستقل بنفسه من الكلام دون ما لا يستقل .. وقوله تعالى (وما تشاؤن إلاّ أن يشاء الله) لا ذكر للمراد فيه فهو غير مستقل بنفسه واذا علق بما تقدم من ذكر الاستقامة استقل على انه لو كان للآية ظاهر يقتضى ما ظنوه وليس لها ذلك لوجب الانصراف عنه بالأدلة الثابتة على انه تعالى لا يريد المعاصى ولا القبائح على ان مخالفينا فى هذه المسئلة لا يمكنهم حمل الآية على العموم لأن العباد قد يشاؤن عندهم ما لا يشاءه الله تعالى بان يريدوا الشيء ويعزموا عليه فلا يقع مانع ممتنعاً كان أو غيره وكذلك قد يريد النبى عليه الصلاة والسلام من الكفار الايمان وقد تعبدنا بان نريد من المقدم على القبيح تركه وان كان تعالى عندهم لا يريد ذلك اذا كان المعلوم انه لا يقع فلا بد لهم من تخصيص الآية فاذا جاز لهم ذلك بالشبهة

جاز لنا مثله بالحجة ويجرى هذه الآية مجري قوله تعالى ﴿ أن هـذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا وما تشاؤن إلاّ أن يشاء الله ﴾ وقوله تعالى ﴿ وما يذكرون إلاّ أن يشاء الله ﴾ في تعلق الكلام بما قبله ٠٠ فان قالوا فالآية تدل على مذهبنا وبطلان مذهبكم من وجه آخر وهو انه عز وجل قال ﴿ وما تشاؤن إلاّ أن يشاء الله ﴾ وذلك يقتضي انه يشاء الاستقامة فى حال مشيئتنا لها لأن أن الخفيفة اذا دخلت على الفعل المضارع اقتضت الاستقبال وهـذا يوجب انه يشاء أفعال العباد فى كل حالٍ ويبطل ما تذهبون اليه من انه انما يريد الطاعات فى حال الأمر ٠٠ قلنا ليس في ظاهر الآية إنّا لا نشاء إلاّ ماشاءه الله تعالي فى حال مشيئتنا كما ظننتم وانما يقتضي حصول مشيئته لما نشاءه من الاستقامة من غير ذكر لتقدم ولا تأخر ويجرى ذلك مجرى قول القائل مايدخل زيد هذه الدار إلاّ أن يدخلها عمرو ونحن نعلم انه غير واجب بهذا الكلام أن يكون دخولهما في حالة واحدة بل لا يمتنع أن يتقدم دخول عمرو يتلوه دخول زيد وان الخفيفة وان كانت للاستقبال على ماذكر فلم يبطل على تأويلنا معنى الاستقبال فيها لأن تقدير الكلام وما تشاؤن الطاعات إلاّ بعد أن يشاء الله تعالي ومشيئته تعالى قد كانت لها حال الاستقبال وقد ذهب أبو عليّ الجبائي الى انه لا يمتنع أن يريد تعالى الطاعات حالا بعد حال وان كان قد أرادها في حال الأمر كما يصح أن يأمر بها أمراً بعد أمرٍ قال لانه قد يصح أن يتعلق بارادته ذلك منّا بعد الأمر وفى حال الفعل مصلحة ويعلم تعالى أنّا نكون متى علمنا ذلك كنا الى فعل الطاعات أقرب وعلى هـذا المذهب لا يعترض بما ذكروه ٠٠ والجواب الأول واضح اذا لم نذهب الى مذهب أبي عليّ فى هـذا الباب على ان اقتضاء الآية للاستقبال من أوضح دليل على فساد قولهم لأن الكلام اذا اقتضى حدوث المشيئة وأبطل استقبالها بطل قول من قال منهـم انه مريد لنفسه أو مريد بارادة قديمة وصح ما نقوله من ان ارادته محـدثة مجددة ٠٠ ويمكن في تأويل الآية وجه آخر مع حملنا إياها على العموم من غير أن نخصها بما تقدم ذكره من الاستقامة ويكون المعنى وما تشاؤن شيئاً من فعالكم إلاّ أن يشاء الله تمكينكم من مشيئتكم واقداركم عليها والتخلية بينكم وبينها وتكون الفائدة في ذلك الإخبار عن الافتقار الى الله تعالى وانه لا قدرة

للعبد على مالم يقدره الله تعالى عز وجل وليس يجب عليه أن يستبعد هذا الوجه لأن ماتتعلق به المشيئة فى الآية محذوف غير مذكور وليس لهم أن يعلقوا قوله تعالى (إلاّ أن يشاء الله) بالأفعال دون تعلقه بالقدرة لأن كل واحد من الأمرين غير مذكورْ وكل هذا واضح بحمد الله •• ونعود الى ما كنا وعدنا به من الكلام على شعر مروان فمما يختار قوله منْ قصيدة أولها

طرَقَتْكَ زَائِرَةٌ فَحَيِّ خَيَالَهَا بَيْضَاءُ تخْلِطُ بالحَيَاءِ دلاَ لَهَا

يقول فيها

مالَتْ بِقلْبِكَ فاستَقَادَ ومثلُهَا قادَ القُلُوبَ إلى الصِّبا فأَمالها
فَكأَنَّمَا طرَقَتْ بنفْحةِ روضةٍ سَحَّتْ بِهَا دِيَمُ الرَّبِيعِ طِلاَلَهَا
باَتَتْ تسائلُ في المَنَامِ معرِّساً بالبِيدِ أشْعَثَ لاَ يَمَلُّ سُؤَالَهَا
في فِتْيَةٍ هَجَعُوا غِرَاراً بعدَمَا سئموا مُرَاعشةَ السُّرى ومِطالَها

[قال المرتضي] رضى الله عنه ــ المراعشة ــ هي تحريك الرأس فى السير من النوم

فَكأَنَّ حَشْوَ ثِيابِهِمْ هِنْدِيةٌ نَحِلَتْ وأَغفَلَتِ العُيُونُ صِقالَهَا

أما ذكره فى أول القصيدة طروق الطيف فانه لم يأت فيه بمعنى غريب ولا لفظٍ مستعذب (١) وقد قال الناس في طيف الخيال فأكثروا •• وقد سبق في ذلك قيس بن الخطيم الى معنى كل الناس فيه عيال عليه وهو قوله

---

(١) قوله فانه لم يأت فيه بمعنى غريب ولا لفظ مستعذب الخ •• قلت أما العلماء المتقدمون فانهم استحسنوها روى أن مروان بن أبي حفصة جاء الى حلقة يونس فسلم ثم قال أيكم يونس فأومؤا له اليه فقال له أصلحك الله إني أرى قوماً يقولون الشعر لأن يكشف أحدهم سوأته ثم يمشى كذلك في الطريق أحسن له من أن يظهر مثل ذلك الشعر وقد قلت شعراً أعرضه عليك فان كان جيداً أظهرته وان كان رديئاً سترته

أنيّ سرَبْتِ وكُنتِ غيْرَ سرُوبِ ... وتقرّبُ الأحلامُ غيْرَ قريبِ[1]

ماتمنَعِي يقْظِي فقَدْ تُؤتِينهُ ... في النَّومِ غيْرَ مُصرَّدٍ محْسُوبِ

كانَ المنى بِلقائِها فلقيتَها ... فلهَوْتَ منْ لهوِ أمْرِئٍ مكذُوبِ

وقد أحسن جرير في قوله

اتنْسَى اذ تودِّعُنا سلَيْمَى ... بفرْعِ بَشامةٍ سقيَ البَشامُ

بنَفسِي منْ تجنُّبُهُ عزيزٌ ... عليَّ ومَنْ زِيارَتُهُ لِمامُ

ومنْ أمسِي وأصبِحُ لاأراهُ ... ويَطرُقُني اذا هجعَ النِّيامُ

وهذه الابيات وان خلت من معنى فى ذكر الطيف غريب فلم تخل من لفظٍ مستعذب ٠٠ ولأبي عبادة البحتري فى وصف الخيال الفضل على كل متقدم ومتأخر فانه تغلغل

فأنشده * طرقتك زائرة فحي خيالها * الخ فقال له يونس ياهذا اذهب فاظهر هذا الشعر فأنت والله فيه أشعر من الأعشى فى قوله * رحلت سميه غدوة أجمالها * فقال له مروان سررتني وسؤتني فأما الذي سررتني به فارتضاؤك الشعر وأما الذي ساءني فتقديمك إياى على الأعشى وأنت تعرف محله فقال انما قدمتك عليه فى تلك القصيدة لا في شعره كله لانه قال فيها * فأصاب حبة قلبه وطحالها * والطحال لايدخل في شي إلاّ أفسده وقصيدتك سليمة من هذا وشبهه ٠٠ وقصيدة مروان هذه مدح بها المهدي ولما أنشده إياها زحف من صدر مصلاه حتى صار على البساط إعجاباً بما سمع ثم قال كم هي قال مائة بيت فأمر له بمائة ألف درهم فكانت أول مائة ألف درهم أعطيها شاعر في أيام بني العباس وهذا دليل على حسنها

(١) قوله سربت ــ السارب ــ الذاهب على وجهه فى الأرض ورواه ابن دريد. سربت بباء موحدة لقوله وكنت غير سروب ومن رواه سريت بالياء باثنتين فمعناه كيف سريت ليلا وأنت لا تسربين نهاراً

فى أوصافه واهتدي من معانيه الي ما لا يوجد لغيره وكان مشغوفاً بتكرار القول فيه لهجاً بابدائه وإعادته وان لأبي تمام فى ذلك مواضع لا يجهل فضلها ومحاسن لا يبلغ شأوها فمما لأبي تمام قوله

زَارَ الخَيالُ لهَا لاَ بلْ أزارَكَهُ ... فِكرٌ إذَا نامَ فِكرُ الخلقِ لمْ ينَمِ
ظَبيٌ تقَنَّصتُهُ لمَّا نَصبتُ لهُ ... فِي آخرِ اللَّيلِ أشرَاكاً منَ الحلُمِ
ثمَّ اغتدَى وبنَا منْ ذِكرِهِ سقَمٌ ... باقٍ وإنْ كانَ معسُولاً منَ السقَمِ

وقوله

عادَكَ الزَّورُ ليلَةَ الرَّملِ منْ ... رَملَةَ بينَ الحمَى وبينَ المطالِي
ثمَّ مازارَكَ الخيالُ ولكنْ ... كَ بالفِكرِ زُرتَ طيفَ الخيالِ

وقوله

اللَّيالِي أحفَى بقَلبِي إذَا ما ... جرَحتهُ النَّوَى منَ الأيامِ
يالَها ليلَةً تنزَّهتِ الأرْ ... واحُ فِيها سِرًّا منَ الأجسامِ
مجلِسٌ لمْ يكُنْ لنا فِيهِ عيبٌ ... غيرَ أنَّا فِي دعوَةِ الأحلامِ

فأما البحترى فقوله في هذا المعنى أكثر من أن يذكر جميعه ههنا غير أنَّا نشير الى نادره فمن ذلك قوله

فلاَ وصلَ إلاَّ أنْ يُطيفَ خيالُها ... بنا تحتَ جُؤشُوشٍ منَ اللَّيلِ أسفَعِ
ألمَّتْ بنا بعدَ الهُدُوِّ فسامحَتْ ... بوَصلٍ متى نَطلُبْهُ في الجدِّ تمنَعِ
ومابرِحَتْ حتَّي مضَى الليلُ وانقضَى ... وأعجلَها داعِي الصبَّاحِ الملَمَّعِ
فوَلَّتْ كأنَّ البيْنَ يخلِجُ شخصَها ... أوانَ تولَّتْ منْ حشَايَ واضلُعِي
ورُبَّ لِقاءٍ لمْ يُؤَمَّلْ وفُرقَةٍ ... لأسماءَ لمْ تحذَرْ ولمْ تتوَقَّعِ

أَرَانِي لاَ أَنفَكُّ فِي كُلِّ لَيلَةٍ   تُعاوِدُ فِيها ٱلمَالِكِيَّةُ مَضجَعِي
أُسَرُّ بِقُربٍ مِن مُلِمٍّ مُسَلِّمٍ   وأُشجَى بِبَينٍ مِن حَبِيبٍ مُوَدِّعِ
فَكانَ لَنا بَعدَ النَّوَى مِن تَفَرُّقٍ   تُرَجِّيهِ أَحلاَمُ الكَرَى بِالتَّجَمُّعِ

وكقوله

وإنِّي وإن ضَنَّت عَلَيَّ بِوُدِّها   لأَرتاحُ مِنها لِلخَيالِ المُؤرِّقِ
يَعِزُّ عَلى الوَاشِينَ لَو يَعلَمُونَها   لَيالٍ لَنا تَزدَارُ فِيها وَنَلتَقِي
فَكَم غُلَّةٍ لِلشَّوقِ أَطفَأتُ حَرَّها   بِطَيفٍ مَتى مايَطرُقِ اللَيلُ يَطرُقِ
أَضُمُّ عَلَيهِ جَفنَ عَينِي تَعَلُّقًا   بِهِ عِندَ اجلاءِ النُّعاسِ المُرَنِّقِ

وقوله

بَلَى وخَيالٍ مِن أُثَيلَةَ كُلَّما   تَأَوَّهتُ مِن وَجدٍ تَعَرَّضَ يَطمَعُ
اذا زَورَةٌ مِنهُ تَقَضَّت مَعَ الكَرَى   تَنَبَّهتُ مِن وَجدٍ لَهُ أَتَفَزَّعُ
تَرَى مُقلَتِي مالاَ تَرَى فِي لِقائِهِ   وَتَسمَعُ اذنِي رَجعَ مالَيسَ تَسمَعُ
وَيَكفِيكَ مِن حَقٍّ تَخَيُّلُ باطِلٍ   تُرَدُّ بِهِ نَفسُ اللَّهِيفِ فَتَرجِعُ

وقوله

اذَا ما الكَرَى أَهدَى إِلَيَّ خَيالَهُ   شَفَى قُربُهُ التَّبرِيحَ أَو نَقَعَ الصَّدا
إِذَا انتَزَعَتهُ مِن يَدَيَّ انتِباهَةٌ   عَدَدتُ حَبِيبًا رَاحَ مِنِّي وَاغتَدا
وَلَم أَرَ مِثلَينا وَلا مِثلَ شَأنِنا   نُعَذَّبُ أَيقاظًا وَنَنعَمُ هُجَّدا

وقوله

فَما نَلتَقِي إِلاَّ عَلى حُلمِ جاهِدٍ   تَحِلُّ لَنا جَدواكَ وَهيَ حَرَامُ

إذَا ماتَبَاذَلْنا النَّفائِسَ خِلتَنا مِنَ الجِدِّ أيقَاظًا ونَحْنُ نِيَامُ

وقوله

ولَيلَةَ هوَّمنا علي العِيسِ أرسَلَتْ بِطَيفِ خَيَالٍ يُشبِهُ الحَقَّ باطِلُهْ

فَلَوْلا بياضُ الصُبْحِ طالَ تَشَبُّثِي بِعِطفِي غَزَالٍ بِتُّ وهنًا أغازِلُهْ

وقوله

أمِنكَ تأوَّبَ الطَّيفُ الطَّرُوبُ حَبِيبٌ جاءَ يُهْدَى من حَبِيبِ

تَخَطَّى رِقْبَةَ الوَاشِينَ كُرْها وبُعْدَ مَسافَةِ الخَرْقِ المَجوبِ

يُكَاذِبُنِي وأُصَدِّقُهُ رِدَاءً وَمِنْ كَلَفٍ مُصَادَقَةُ الكَذُوبِ

وقوله

ماتَقَضَّى لُبَانَةٌ عِنْدَ لُبْنَى والمُعَنَّى بالغَانِيَاتِ مُعَنِّي

هَجَرَتْنا يَقْظَى وكادَتْ على مَذْهَبِها في الصُّدُودِ تَهْجُرُ وَسْنَى

بَعْدَ لأْيٍ وقَدْ تَعَرَّضَ مِنْها طائفٌ عَرَّجَتْ على الرَّكْبِ وهْنَا

[قال الشريف المرتضى] رضي الله عنه ·· ووجدت أبا القاسم الحسن بن بشر الآمدي مع ميله الي البحتري وانحطاطه في شعبه واجتهاده في تأويل ما أخذ عليه من خطأ وزلل يزعم ان البحتري أخطأ في قوله

هَجَرَتْنا يَقْظَى وكادَتْ على مَذْ هَبِها في الصُّدُودِ تَهْجُرُ وَسْنَى

قال لأن خيالها يتمثل له في كل أحوالها يقظي كانت أو وسنى قال ولكن الجيد في هذا المعنى قوله

ارَدُّ دَونَكِ يَقْظَانا ويأْذَنُ لى عَلَيْكِ سُكْرُ الهَوَى إنْ جِئْتُ وَسْنَانَا

قال والذى أوقع البحتري في هذا الغلط قول قيس بن الخطيم

ما تمنّي يقظي فقد توّيتنه في النوم غير مصرّد محسوب

وكان الأجود أن يقول ما تمني في اليقظة فقد توّيته في النوم أي ما تمنيه في يقظتي فقد توّيته في حال نومي حتى يكون النوم واليقظة ملسوبين اليه لأن خيال المحبوب يتمثل في حال نومه ويقظته جميعاً قال إلاّ أنه يتسع في التأويل في هذا لقيس ما لا يتسع للبحتري لأن قيساً قال فقد توّيته في النوم ولم يقل نائمة وقد يجوز أن يحمل على انه أراد ما تمني يقظي وأنا يقظان فقد توّيته في النوم أي في نومي ولا يسوغ مثل هذا في بيت البحتري لأنه قال وسنى ولم يقل في الوسن ٠٠ [قال الشريف] رضى الله عنه وقد يمكن في التأويل للبحتري ما أمكن مثله لقيس لكن الآمدي قد ذهب عن ذلك لأن البحتري لما قال وسني دل على حال الوسن والحال المعهودة للوسن حال يشترك الناس فيها في النوم بالعادة كما ان الحال المعهودة لليقظة حال مشتركة بالعادة فقوله وسنى ينبي عن كونه هو أيضاً نائماً وانما أراد المقابلة في زنة اللفظ بين يقظي ووسنى ٠٠ وقوله يقظي متى لم تحمل أيضاً على هذا المعنى لم يصح لأنه لا بد أن يريد بذلك هجرتنا في أحوال اليقظة ويكون معنى يقظي يتعدى اليه ألا ترى ان الآمدى حمل قول قيس يقظي على معنى وأنا يقظان وان لم يبين الوجه فيه فكيف ذهب عليه مثل ذلك في قول البحتري ٠٠ وقوله وسنى ويقظي مثل قول قيس يقظي ولو أمكن قيساً وزن الشعر من أن يقول وسنى في مقابلة يقظي لقاله وما عدل عنه الى النوم لانه لم يكن عليه في وسنى إلاّ ما عليه في يقظي وما يتأوّل له في أحد الأمرين يتأوّل له في الآخر ٠٠ [قال الشريف المرتضي] رضى الله عنه ولي في الخيال وطروقه معنى ما علمت انه سبق اليه من جملة قصيدة

وَزَوْرٍ تَخَطَّى جُنُوبَ المَلاَ ... فَنَادَيْتُ أَهْلاً بِذَا الزَّائِرِ

أَتَانِي هُدُوًّا وعَيْنُ الرَّقِيبِ ... مَطْرُوفَةٌ بِالكَرَى العَامِرِي

فَأَعْجِبْ بِهِ يُسْعِفُ المَاجِعِينَ ... وَتَحْرِمُهُ مُقْلَةُ السَّاهِرِ

وَعَهْدِي بِتَمْوِيهِ عَيْنِ المُحِبِّ ... يَنِمُّ على قَلْبِهِ الطَّائِرِ

فلمّا التقينا برَغْمِ الرُّقادِ ... موّهَ قلبي على ناظِري

ومعنى البيت الآخر ان الأحلام انما هي اعتقادات تخيل فى القلب لاحقيقة لأكثرها. لأن الانسان يعتقد انه رأى لما لا يراه على الحقيقة ويدرك لما ليس مدركه على الحقيقة فالقلب يخيل في النوم للعين مالا حقيقة له كما ان العين تخيل فى كثير من الأحوال للقلب مالا حقيقة له •• فأما قول مروان * فكأنما طرقت بنفحة روضة * البيت فيشبه أن يكون مأخوذاً من قول نهشل بن جري قال

طَرَقَتْ أسيماءُ الرِّحالَ وَدُونَها ... بيتان من ليلِ التِّمامِ الأَسْوَدِ
وَمَفَاوِزٌ وَصلَ الفلاةَ جُنُوبُها ... بجُنُوبِ أخرَى غيرَ أنْ لم تُعقَدِ
وَرَمْلٌ إذا أيدِي الرِّكابِ قطعنَهُ ... قُرِعَتْ مَنَاسِمُها بقُفٍّ قَرْدَدِ
فكأنَّ ريحَ لَطِيمَةٍ هِنْدِيَّةٍ ... وَذَكِيِّ جادِيٍّ بنصعٍ مُجْسَدِ
وَنَدَى خُزَامَي الجَوِّ جَوِّ سُوَيقَةٍ ... طَرَقَ الخَيَالُ بهِ بُعَيدَ المَرْقَدِ

أو من قول الآخر

طَرَقَتْكَ زَيْنَبُ وَالمَزَارُ بَعِيدُ ... بمِنىً وَنَحْنُ مُعَرِّسُونَ هُجُودُ
وَكَأَنَّما طَرَقَتْ بِرَيَّا رَوْضَةٍ ... أُنُفٍ يُسَحْسِحُ مُزْنُها وَيَجُودُ

وهذا المعنى كثير في الشعر المتقدم والمتأخر جدّا •• فأما قوله ــ باتت تسائلُ فى المنام معرساً ــ البيت والبيتان اللذان بعده فقد قال الناس فى وصف قلة النوم ومواصلة السرّي والادلاج وشعث السارين فأكثروا •• فمن أحسن ما قيل فى ذلك قول لبيد

وَمَجُودٍ منْ صُبَابَاتِ الكَرَي ... عاطِفِ النُّمْرُقِ صَدْقِ المُبْتَذَلْ[1]

(١) قوله ــ ومجود من صبابات الكرى ــ الخ الواو واو رب والمجود الذى جاده النعاس وألح عليه حتى أخذ فنام من الجود بالفتح وهو المطر الغزير يقال أرض مجودة أي مغيثة وجيدت الأرض اذا أمطرت جوداً •• وقال اعرابي المجود الذي قد جاده العطش أي

قالَ هَجِّدْنا فَقَدْ طالَ السُّرَى ... وَقَدَرْنا إنْ خَنَى الدَّهرِ غَفَلْ (١)

قَلَّمَا عَرَّسَ حَتَّى هِجْتُه ... بالتَّباشِيرِ منَ الصُّبحِ الأوَّلْ (٢)

غلبه كذا فى شرح أبي الحسن الطوسي وهذا لايناسب لقوله صبابات الكرى فان الكرى النوم وصبابته بقيته كذا فى شرح الشواهد للبغدادى ٠٠ وقال في اللسان ويقال للذي غلبه النوم مجود كأن النوم جاده أى مطره قال والمجود الذي يجهد من النعاس وغيره عن اللحيانى وبه فسر قول لبيد وأنشد البيت قال أي هو صابر على الفراش الممهد وعن الوطء يعني أنه عطف نمرقة ووضعها تحت رأسه وقيل معنى قوله ومجود من صبابات الكرى قيل معناه شيق وقال الأصمعى معناه صب عليه من جود المطر وهو الكثير منه والجود النعاس وجاده النعاس غلبه ٠٠ وقوله ـ عاطف النمرق ـ صفة مجود والاضافة لفظية والنمرقة مثلثة النون الوسادة والطنفسة فوق الرحل وهي المراد هنا ٠٠ وقوله ـ صدق المتبذل ـ بفتح الصاد أي جلد قوي لا يغير عند ابتذاله نفسه ولا يسقط ولايجوز أن يقال صدق المبتذل الا اذا امتهن ووجد صادق المهنة يوجد عنده مايحب ويراد

(١) قوله ـ هجدنا ـ الخ هو متعلق رب والتهجيد من الاضداد يقال هجده اذا نومه أي دعنا ننام وهو المراد هنا وهجده اذا أيقظه والفاء للتعليل ـ والسرى ـ بالضم سير عامة الليل ٠٠ وقوله ـ وقدرنا ـ أي قدرنا على ورود الماء وذلك اذا قربوا منه وفى القاموس وبتنا ليلة قادرة هينة السير لاتعب فيها ـ والخنى ـ بفتح المعجمة والقصر الآفة والفساد أي ان غفل عنا فساد الدهر فلم يعقنا وقيل قدرنا أي على التهجيد وقيل على السير

(٢) قوله ـ قلما عرس ـ الخ ما المتصلة بقل كافة لها عن طلب الفاعل وجاعلة إياها بمنزلة ما النافية في الأغلب وهنا لاثبات القلة وما تتصل بأفعال ثلاثة فتكفها عن طلب الفاعل وهي قلما وطالما وكثر ما وينبغي ان تتصل بالأولين كتابة والتعريس النزول فى آخر الليل للاستراحة والنوم ومثله الاعراس ـ وهجته ـ أيقظته من النوم وهاج يهيج يجيء لازماً ومتعدياً يقال هاج اذا ثار وهجته اذا أثرته ـ وحتى ـ هنا حرف جر بمعنى الا الاستثنائية أي ماعرس إلاّ أيقظته أي نام قليلا ثم أيقظته وأكثر دخولها على

يَلْمَسُ الأَحْلاَسَ فِي مَنْزِلِهِ ... بِيَدَيْهِ كَالْيَهُودِيِّ المُصَلْ (١)
يَتَمَارَى فِي الَّذِي قُلْتُ لَهُ ... وَلَقَـدْ يَسْـمَعُ قَوْلِي حَيَّهَلْ (٢)

أو من قول ذي الرمة

المضارع كقوله

ليس العطاء من الفضول سماحة ... حتى تجود وما لديك قليـل

وقوله - بالتباشير - أي بظهورها والتباشير أوائل الصبح وهو جمع تبشير ولا يستعمل الا جمعا كذا عبر البغدادي ولفظ شارح القاموس لا واحد له - والأول - صفة التباشير وهو بضم الهمزة وفتح الواو جمع أولى مؤنث الأول كالكبر جمع كبري وقد جاء هذا المصراع الثاني فى شعر النابغة الجعدي وهو

وشمول قهوة باكرتها ... فى التباشير من الصبح الأول

(١) قوله - يلمس الأحلاس - فاعل يلمس ضمير المجود واللمس الطلب وفعله من بابي قتـل وضرب والأحلاس جمع حلس بالكسر وهو كساء رقيق يكون على ظاهر البعير تحت رحله أي يطلبها بيديه وهو لا يعقل من غلبة النعاس ٠٠ وقوله - كاليهودي المصل - أى كأنه يهودى يصـلي في جانب يسجد على جبينه واليهودى يسجد على شق وجهه وأصل ذلك أنهم لما نتق الجبل فوقهم قيـل لهم إمّا أن تسجدوا وإمّا أن يلقى عليكم فسجدوا على شق واحد مخافة أن يسقط عليهم الجبل فصار عندهم سنة الى اليوم

(٢) قوله - يتمارى في الذى قلت له - الخ التمارى في الشئ والامتراء فيه المجادلة والشك فيه يقال ماريت الرجل أماريه مراء ومماراة اذا جادلته والمرية الشك ٠٠ قال الطوسى يقول قال له الصبح النجاء النجاء قد أصبحت ونحو هذا من الكلام - وحيهل - أى أسرع وأعجل وحيهل اسم فعـل قال زكريا الأحمر في حيهل ثلاث لغات يقال حيهل بفلان بجزم اللام وحيهل بفلان بحركة اللام وحيهلا بفلان بالتنوين وقد يقولون من غير هل من ذلك حى على الصلاة وقال ابن عصفور ان حيهلا مركبة من حى وهلا الا ان ألف هلا تحذف في بعض اللغات تخفيفاً

وَليلٍ كأثناء الزويزيّ جبْتهُ ... بأَربعةٍ والشَّخصُ في العَينِ واحدُ

ـ والزويزي ـ هو الطيلسان .. وقد روى أيضاً كجلباب العروس أدرعته وكل ذلك وصف له بالسواد لان الطيلسان أسود .. وجلباب العروس أخضر والعرب تجمع بين الخضرة والسواد

أحمّ علافيٌّ وأبيضُ صارمٌ ... وأعيسُ مهريٌّ وأشعثُ ماجدُ

أخو شقّةٍ جابَ الفلاةَ بنفسهِ ... على الهولِ حتّى طوّحتهُ المطاردُ

وأشعثَ مثلَ السيفِ قد لاحَ جسمهُ ... وجيفُ المهاري والهمومُ الأباعدُ

سقاهُ الكرى كأسَ النعاسِ فرأسهُ ... لدينِ الكرى من آخرِ الليلِ ساجدُ

أقمتُ لهُ صدرَ المطيِّ فما درى ... أجائرةٌ أعناقها أم قواصدُ

ترى الناشئ الغرّيرَ يضحي كأنهُ ... على الرحلِ مما منّهُ السيرُ عاصدُ

ومن ذلك قول أبي حيّة النميري

وأغيدَ من طولِ السرى برحتْ بهِ ... أفانينُ نهّاضٍ على الأينِ مرجمِ

سريتُ بهِ حتّى إذا ما تمزّقتْ ... توالى الدجى عن واضحِ اللونِ معلمِ

أنخنا فلمّا أن جرتْ في دماغهِ ... وعينيهِ كأسُ النومِ قلتُ لهُ قمِ

فما قامَ إلاّ بينَ أيدٍ تقيمهُ ... كما عطفتْ ريحُ الصبا خوطَ سأسمِ

خطا الكرهِ مغلوباً كأنّ لسانهُ ... لما ردّ من رجعٍ لسانُ المبرسمِ

وودّ بوسطى الخمسِ منهُ لو أننا ... رحلنا وقلنا في المناخِ لهُ نمِ

مجلس آخر ٤٢

[تأويل آية].. إن سأل سائل عن قوله تعالى (أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض) الى آخر الآية .. فقال ما معنى اختصاص الأرض بالذكر وهم لا يفوتون الله ولا يعجزونه ولا يخرجون عن قبضته على كل حال وفي كل مكان ولم نفى الأولياء عنهم وقد نجد أهل الكفر يتولى بعضهم بعضاً وينصرونهم ويحمونهم من المكاره وكيف نفى استطاعتهم للسمع والإبصار وأكثرهم قد كان يسمع بأذنه ويرى بعينه .. الجواب قلنا أما الوجه في اختصاص الأرض بالذكر فلأن عادة العرب جارية بقولهم للمتوعد لا مهرب لك مني ولا وزر ولا نفق والوزر الجبل والنفق السرب وكل ذلك مما يلجأ اليه الخائف المطلوب فكأنه تعالى نفى أن يكون لهؤلاء الكفار عاصم منه ومانع من عذابه وان جبال الأرض وسهولها لا تحجز بينهم وبين ما يريد إيقاعه بهم كما انها تحجز عن كثير من أحوال البشر من المكاره لأن معاقل الأرض هي التي يهرب اليها البشر من المكاره ويلجؤن بها الى الاعتصام بها عند المخاوف فاذا نفى تعالى أن يكون لهم في الأرض معقل فقد نفى المعقل من كل وجه .. وأما قوله تعالى (وما كان لهم من دون الله من أولياء) فمعناه انه لا وليّ لهم ولا ناصر من عذاب الله وعقابه لهم في الآخرة ولا مما يريد أيضاً إيقاعه بهم في الدنيا وان كان لهم من يحميهم من مكروه البشر وينصرهم ممن أرادهم بسوء وقد يجوز أن يكون ذلك أيضاً بمعنى الأمر وان كان مخرجه مخرج الخبر ويكون التقدير وليس لهم أن يتخذوا أولياء من دون الله بل الواجب أن يرجعوا اليه في معونتهم ونصرهم ولا يعولوا على غيره .. فأما قوله عز وجل (ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون) ففيه وجوه .. أحدها أن يكون المعنى يضاعف لهم العذاب بما كانوا يستطيعون السمع فلا يسمعون وبما كانوا يستطيعون الإبصار فلا يبصرون عناداً للحق وذهاباً عن سبيله فأسقط الباء من كلامه وذلك جائز كما جاز في قولهم لأجزينك بما عملت ولأجزينك ما عملت ولأحدثنك بما عملت ولأحدثنك ما عملت وكما قال الشاعر

نغالي اللحمَ للاضيافِ نِيا ... ونَبْذُلهُ إذا نَضِجَ القُدُورُ

أراد نغالي باللحم •• والوجه الثاني انهم لاستثقالهم استماع آيات الله تعالى وكراهيتهم تذكرها وتفهمها جرى مجرى من لا يستطيع السمع كما يقول القائل ما يستطيع فلان أن ينظر لشدة عداوته الى فلان وما يقدر على أن يكلمه وكما نقول لمن عهدنا منه العناد والاستثقال لاستماع الحجج والبينات ما يستطيع أن يسمع الحق وما يطيق أن يذكر له ذلك وكما قال الأعشى

وَدِّعْ هُرَيْرَةَ إنَّ الرَّكْبَ مُرْتَحِلُ ... وَهَلْ تُطِيقُ وَدَاعاً أيُّها الرَّجُلُ

ونحن نعلم انه قادرٌ على الوداع وانما نفى قدرته عليه من حيث الكراهية والاستثقال •• ومعنى وما كانوا يبصرون أي ان إبصارهم لم يكن نافعاً لهم ولا مجدياً عليهم مع الاعراض عن تأمل آيات الله تعالى وتدبرها فلما انتفت عنهم منفعة الإبصار جاز أن ينفي عنهم الإبصار نفسه كما يقال للمعرض عن الحق العادل عن تأمله مالك لاتسمع ولا تبصر ولا تعقل وما أشبه ذلك •• والوجه الثالث أن يكون معنى نفى السمع والبصر راجعاً الي آلهتهم لا اليهم وتقدير الكلام أولئك وآلهتهم لم يكونوا معجزين فى الارض يضاعف لهم العذاب ثم قال مخبراً عن الآلهة ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون وهذا الوجه مروي عن ابن عباس رضى الله عنه وفيه أدنى بعد •• ويمكن في الآية وجه رابع وهو أن يكون مافي قوله (ماكانوا يستطيعون السمع) ليست للنفى بل تجري مجرى قولهم لأواصلنك مالاح نجم ولأقيمن على مودتك ماطلعت شمس ويكون المعنى ان العذاب يضاعف لهم في الآخرة ماكانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون أى انهم معذبون ما كانوا أحياء •• فان قيل كيف يعبر عن كونهم أحياء باستطاعة السمع والإبصار وقد يكون حياً من لا يكون كذلك •• قلنا للعرب في مثل هذا عادة لأنهم يقولون والله لا كلمت فلاناً ما نظرت عيني ومشت قدمي وهم يريدون ما بقيت وحييت لان الأغلب في أحوال الحي أن تنظر عينه وتمشي قدمه فجعلوا الأغلب كالواجب ومن ذلك قول الشاعر

وَما أنْسَ منْ شَيءٍ تَقادَمَ عَهْدُهُ   فَلَسْتُ بِناسٍ ماهَدَتْ قَدَمِي نَعْلي
عَشِيةَ قالَتْ وَالدُّمُوعُ بِعَيْنِها   هَنِيئاً لِقَلْبٍ عنكَ لمْ يُسلهِ مُسْلِي

وانما أراد إني لا أنسي ذلك ما حييت وكذلك لا يمتنع أن يعلّق على هذا المذهب دوام العذاب بكونهم مستطيعين للسمع والابصار ويعود المعني الى تعلقه ببقائهم وكونهم أحياء والمرجع فى ذلك الى التأبيد لانه اذا علّق العذاب ببقائهم واحيائهم علمنا ان الآخرة لا موت فيها ولا خروج عن الحياة وعلمنا تأبيد العذاب •• ونعود الى ما كنا شرعنا فيه من الكلام على شعر مروان فمما يختار له قوله من القصيدة التى قد مضى أوّلها وتكلمنا عليها

وَضَعُوا الخُدُودَ لدَي سوَاهِمَ جنَّحٍ   تَشكُوا كُلومَ صِفاحِها وكَلالَها
طَلَبَت أميرَ المُؤمِنينَ فَوَاصلَتْ   بعدَ السُّرَي بغدوّها آصالَها
نزَعتْ إليكَ صوادِياً فتقاذَفتْ   تَطوِى الفَلاةَ حزُونَها وَرمالَها
يَتْبعنَ ناجيةً تَهزُّ مِراحُها   بَعدَ النُّحُولِ تَليلَها وَقذالَها
هوْجاءَ تَدَّرِعُ الرُّبا وَتَشقُّها   شَقَّ الشُّمُوسِ إذَا يُرَاعُ جِلالَها
تنْجُو إذَا دَفعَ القَطيعُ كما نَجَتْ   خرْجاءُ بادَرَتِ الظلامَ رِئالَها
كالقَوْسِ ساهِمةً أتَتكَ وقدْ تُرَي   كالبُرْجِ تملأُ رَحلَها وَحِبالَها

وهذه الأبيات فى وصف الرواحل بالسرعة والنحول جيدة الألفاظ مطرّدة النسج وقد سبق الناس فى هذا المعنى الى ضروب من الاحسان فمن ذلك قول الأخطل

بِخُوصٍ كأعْطالِ القِسِيّ تَقَلْقَلَتْ   أجنتها منْ شُقةٍ ودَؤُوبِ [1]

(١) — اعطال القسى — التي لا أوتار عليها — وتقلقلت — تحركت في بطونها من الدأب والسير — وأجنتها — جمع جنين

إذَا مُعَجَّلٌ غادَرْنَهُ عِنْدَ مَنْزِلٍ ... أُتِيحَ لِجَوَّابِ الفَلَاةِ كَسُوبِ[١]

وَهُنَّ بِنا عُوجٌ كأَنَّ عُيُونَهَا ... بَقَايا قِلَاتٍ قَلَّصَتْ لِنُضُوبِ[٢]

مَسَانِيفُ يَطْوِيهامعَ القَيْظِ والسُّرَى ... تَكَالِيفُ طلَّاعِ النِّجَادِ رَكُوبِ

قَدِيمٍ تَرَى الأَصْوَاءَ فِيهِ كأَنَّهَا ... رِجالٌ قِيامٌ عَصَّبُوا بِسُبُوبِ[٣]

يَعُمْنَ بِنا عَوْمَ السَّفِينِ إذَا انْجَلَتْ ... سَحَابَةُ وضَّاحِ السَّرَابِ خَبُوبِ

وقال مسلم بن الوليد الأنصاري

إلى الإمامِ تَهَادَيْنا بأَرْحُلِنا ... خَلْقٌ مِنَ الرِّيحِ في أشْبَاحِ ظُلْمَانِ

كأَنَّ إفلاتَهَا وَالفَجْرُ يأخُذُها ... إفلاتُ صادِرَةٍ عن قَوْسِ حُسَّانِ

.. وقال بشار

وإذَا المَطِيُّ سَبَحْنَ في أعْطافِهِ ... فاتَ المَطِيَّ بِكَاهِلٍ وتَلِيلِ

فَكأنَّهُ والنَّاعِجَاتُ يَرِدْنَهُ ... قِدْحٌ يُطَلَّعُ مِنْ قِدَاحِ مُجِيلِ

ولبعض الحارثيين

نَهَشَ الهَجَائِرُ وَالظَّهَائِرُ لَحْمَهَا ... حتى تَخَدَّدَ لَحْمُهَا المُتَظَاهِرُ

---

(١) ـ المعجل ـ الجنين الذي يولد لغير تمام ـ وأتيح ـ قدر ـ وجواب الفلاة ـ الذئب .. يقول إذا رمت بالمعجل صادفه الذئب

(٢) ـ القلات ـ جمع قلت وهي النقرة في الجبل تمسك الماء ـ وقلصت ـ أي غارت ـ والنضوب ـ ذهاب الماء .. شبه عظام العين بالصخرة في الصلابة وبقية العين بما بقي من الماء في القلت

(٣) ـ الأصواء ـ جمع صوى وصوى جمع صوة وهي حجارة تنصب ليهتدى بها .. شبه الصوى وقد جلاها السراب برجال قيام عصبوا بالسبوب جمع سب وهي شقة كتان رقيقة

حَرْفٌ تَناهَبَها النَّجاءُ فَلاَئِصٌ ‌ ‌ ‌ مِمَّا تَنجَّلَ شَدْقَمٌ أَوْ ذَاعِرُ
صُبُرٌ اذاعَطَفَتْ سَوَالِفَها البُرَى ‌ ‌ ‌ سُمِعَتْ لَهُنَّ كَشاكِشٌ وجَرَاجِرُ
ويُخَلْنَ منْ عِزّ النفُوسِ وَجَدّها ‌ ‌ ‌ جِنًّا وَهُنَّ إذَا اُختُبِرْنَ أَباعِرُ
إمَّا إذَا ماأَقْبلَتْ فَكأَنَّها ‌ ‌ ‌ ذُعرٌ تَهادَتْها الفَلاَةُ نَوَافِرُ
إمَّا إذَا ماأَعرَضَتْ فَكأَنَّها ‌ ‌ ‌ كُدْرٌ تَوَرَّدْنَ النِّطافَ صوَادِرُ
إمَّا إذَا ما أُبرِكَتْ فكأَنَّها ‌ ‌ ‌ صُرُحٌ مُشَيَّدَةٌ وَهُنَّ ضَوَامِرُ

[قال الشريف] رضى الله عنه . . وإنى لأَستحسن قول بشامة بن الغدير في وصف الناقة بالسرعة

كَأَنَّ يدَيْها إذَا أَرْقَلَتْ ‌ ‌ ‌ وَقَدْجُرْنَ ثُمَّ اهْتَدَيْنَ السَّبِيلاَ
يدَا سابِحٍ خَرَّ فِي غَمْرَةٍ ‌ ‌ ‌ وَقَدْشارَفَ المَوْتَ إلاَّ قَلِيلاَ (١)
إذَا أَقْبلَتْ قُلْتَ مَشحُونَةً ‌ ‌ ‌ أَطاعَتْ لَهاالرّيحُ قَلْعاً جَفُولاَ (٢)
وَإنْ أَدْبَرَتْ قلتَ مَذْعُورَةً ‌ ‌ ‌ مِنَ الرُّبْدِ تَتْبَعُ هَيْقاً ذَمُولاَ (٣)

(١) قوله ـ يدا سابح ـ الخ يروى

يدا عائم خر فى غمرة ‌ ‌ ‌ قد ادركه الموت إلاّ قليلا

يقول كأن يدي هذه الناقة وقت كلال غيرها من الابل ولزومهن المحجة يدا سابح فهو أشد لتحريكه يديه مخافة على نفسه

(٢) المشحونة ـ المملوأة ـ . . شبهها بسفينة مملوأة لانه أقوم لسيرها وأعدل ـ والقلع ـ الشراع ـ والجفول ـ التى تجفل أي تسرع

(٣) قوله وان أدبرت الخ يروي

اذا أقبلت قلت مذعورة ‌ ‌ ‌ من الرمد تلحق هيقا ذمولا

ومعنى قوله ــ وقد جرن ثم اهتدين السبيلا ــ يعني المطايا يقول كن نشيطات يمرحن فلا يلزمن لقم الطريق بل يأخذن يميناً وشمالا فلما عضهن الكلال استقمن على المحجة فكأنه وصف ناقته ببقاء النشاط مع كلال المطي وكني عن الكلال بلزوم جادة الطريق حتى نكبها .. وهذه كناية فصيحة مليحة ومثله قول الآخر

كأَنَّ يديْها حِينَ جَدَّ نَجاؤها　　يدَا سابحٍ في غَمْرَةٍ يتذرَّعُ

ومما يشاكل هذا المعنى ويقاربه قول الشماخ

كأَنَّ ذِرَاعيْها ذِرَاعا مُدِلَّةٍ　　بُعيدَ السِّبابِ حاوَلَتْ أَنْ تَعذَّرَا

مُمجَّدَةُ الأَعْرَاقِ قالَ ابْنُ ضَرَّةٍ　　عَلَيْها كَلاَمَاً جارَ فِيهِ وَأَهْجَرَا

ويروي من الربد كما في الأصل وهو جمع ربداء وجعلها مذعورة لانه أشد لسيرها ــ والرمد ــ النعام وهى الربد أيضاً ــ والهيق ــ ذكر النعام وهي المنكسفة اللون تعلو سوادها كدرة والربدة سواد يكسف الوجه ويغيره يقال لأربدن وجهه والهيق الطويل والأنثي هيقة وهذه الرواية التي فى الأصل منكسة فقدم آخرها على أولها وحذف من بينها أربعة أبيات وهي من قصيدة مشهورة أولها

هجرت أمامة هجراً طويلا　　وحملك النأي عبأ ثقيلا

الى ان قال

اذا أقبلت قلت مذعورة　　من الرمد تلحق هيقا ذمولا
وان أدبرت قلت مشحونة　　أطاع لها الريح قلعاً جفولا
وان أعرضت حار فيها البصير　　ما لا يكافه أن يقيلا
يداً سُرُحاً مائراً ضبعها　　تسوم وتقدم رجلا زجولا
وعوجاً تناطحن تحت المطا　　وتهدي بهن مشاشاً كهولا
تمز المطيِ جماع الطريق　　اذا أدلج القوم ليلا طويلا
كأن يديها اذا أرقلت　　وقد جرن ثم اهتدين السبيلا
يدا عائم خر في غمرة　　الي آخر القصيدة

شبه ذراعيها وهي تتذرع في سيرها بذراعى امرأة مدلة على أهلها ببراءة ساحتها وقد حكى عنها ابن ضرتها كلاماً أهجر فيه أي أفحش فهي ترفع يديها وتضعهما تعتذر وتخاصم وتنصح عن نفسها ٠٠ وقد قيل ان معنى مدلة انها تدل بحسن ذراعيها فهي تدمن اظهارهما ليرى حسنهما ٠٠ وقوله ـ بعيد الشباب ـ أي في عقب المسابة قامت تعتذر الى الناس وقوم يروونه بعيد الشباب ومعنى هذه الرواية أنها نصف من النساء فهي أقوم بحجتها من الحدثة الغرّة ويشهد لهذه الرواية قول الآخر

كأَنَّ يدَيها حِينَ يَقْلَقُ ضَفْرُها　　　يدَا نَصَفٍ غيْرَى تَعذَّرُ مِنْ جُرْمِ

وفي قوله ـ حين يقلق ضفرها ـ سرٌّ وفائدة لأن الضفر هو الاتساع وانما تقلق اذا جهدها السير فضمرت فكأنه وصفها بالتذرع والنشاط مع الجهد والكلال ٠٠ ومثله

كأَنَّ ذِرَاعَيْها ذِرَاعا بَدِيَّةٍ　　　مُفَجَّعَةٍ لاَقَتْ ضَرَائِرَ عَنْ عفْرِ
سَمِعْنَ لها وَاسْتَعْجَلَتْ بكلاَمِها　　　فلاَ شَيءَ يَفْرِي باليَدَيْنِ كما تَفْرِي

ويقاربه قول الآخر

أَلاَ هَلْ تبلغنيهم　　　على اللَّأْوَاء وَالظِّنَّهْ
وَآةُ الحَصَى المعزا　　　ءِ في أَخْفَافِها رَنَّهْ
إِذَا ماعسفَتْ قُلْتَ　　　حَمَاةً فَاضِحَةً كَنَّهْ

ومن شبه سرعة أيدى الابل بأيدي النوائح كعب بن زهير فقال

كأَنَّ أَوْبَ ذِرَاعَيْها إِذَا عرِقَتْ　　　وَقَدْ تَلَفَّعَ بالقُورِ العَسَاقِيلُ
وَقَالَ لِلقَوْمِ حادِيهِمْ وقدْجعلتْ　　　وُرْقَ الجنادِبِ يرْكضْنَ الحصى قيلوا
شَدَّ النَّهَارِ ذِرَاعاعيْطَلٍ نَصَفٍ　　　قامَتْ فَجَاوَبَهَا نُكْدٌ مَثَاكِيلُ
نَوَّاحةٌ رَخْوَةُ الضَّبْعَيْنِ لَيْسَ لَها　　　لَمَّانَعى بِكْرَهَا النَّاعُونَ مَعْقُولُ

ـ العساقيل ـ أول السراب ولا واحد لها من لفظها ٠٠ أخبر ان ناقته في شدة الحر وانقاد

الظهيرة تمرح في سيرها وتذرع بيديها وشبه ذراعيها بذراعي امرأة نصف تنوح على ابنها وقد لي اليها فهي تشير بيديها وتوالي تحريكهما —والعيطل— الطويلة العنق وجعلها نصفاً لانها قد كادت تيأس من الولد فهي أشد لحزنها على ابنها وتفجعها عليه —والقور— جمع قارة وهي ما ارتفع واستدار من الرمل وأراد أن يقول كما تلفعت القور بالمساقيل فلم يمكنه فقلب •• ومثله

وكأنما رفعت يداً نوّاحةً ‏ ‏ ‏ شمطاء قامت غير ذات خمارِ

وانما خص الشمطاء لما ذكرناه من اليأس من الولد كما قال عمرو بن كلثوم

ولا شمطاء لم يترك شقاها ‏ ‏ ‏ لها من تسعةٍ إلاّ جنينا

وقد قيل في بيت عمرو بانه شبه الناقة بشمطاء لما على رأسها من اللغام •• ومثل ما تقدم من المعاني قول الشاعر

ياليت شعري والمنى لا تنفعُ ‏ ‏ ‏ هل أغدون يوماً وأمري مجمعُ

وتحت رحلي زفيانٌ ميلعُ ‏ ‏ ‏ كأنها نائحةٌ تفجّعُ

تبكي لميتٍ وسواها الموجعُ

—الزفيان— الناقة الخفيفة —والميلع— السريعة •• وشبه رجع يديها في السير ونشاطها بيدي نائحة تنوح لقوم على ميتهم بأجرة فهي تزيد في الاشارة بيديها ليري مكانها •• ومثله بعينه قول ذي الرمة

مجانيقُ تضحي وهي عوجٌ كأنّها ‏ ‏ ‏ بجوب الفلا مستأجراتٌ نوائحُ

—المجانيق— اللواتي ضمرن بعد سمن وخص المستأجرات من النوائح للمعنى الذي ذكرناه •• وقال الشماخ فيما يقارب هذا المعنى

كأنّ أوبَ يديها حين اعجلَها ‏ ‏ ‏ أوبُ المراح وقد نادوا بترحالِ

مقطُ الكُرينِ على منكوسةٍ زلقٍ ‏ ‏ ‏ في ظهرِ حنّانةِ النيرينِ مغوالِ

معنى ـ أوب ذراعيها ـ أي رجعهما ـ وأوب المراح ـ اذا راح القوم عازب أموالهم ليرحلوا ٠٠ وقد روى أوب المراح بالكسر ومعناه رجع المراح ـ والنشاط ٠ والمقط ـ اللعب بالكرة ـ والكرين ـ جمع كرة ـ والمنكوسة ـ الأرض البراح التي لاشيء فيها ـ والزلق ـ المستوية من الأرض ـ والخنانة ـ الريح ـ والنيران ـ جانبا هذه الأرض ـ وغول ـ قيل انه من صفات الريح وقيل انه من صفات الأرض وان كان من صفات الريح فمعناها ان الريح تغول الأرض بأسرها أي يملأها واذا كان للأرض فالمعنى انها تغول من سلكها أي تهلكه ٠٠ وتلخيص معنى البيت انه شبه يدى ناقته بيدي ضارب بكرة في الأرض الواسعة في يوم ريح عاصف وهذا من دقيق المعاني وحسن التشبيه والمبالغة ٠٠ ومثل بيتي الشماخ قول المسيب بن علس

مَرِحَتْ يداها للنَّجاء كأنَّما ... تكرُو بِكَفِّي مأْقِطٍ في قاعِ(١)

---

(١) قوله ـ تكرو بكفى مأقط ـ الخ ٠٠ رواية المفضل

مرحت يداها للنجاء كأنما ... تكروا بكفى لاعب في صاع

قال ابن الانباري ـ النجاء ـ السرعة يمد ويقصر ـ وتكرو ـ كأنما تلعب بالكرة يقال قد كري يكرو اذا ضرب بالكرة ـ والصاع ـ منهبط من الأرض له مايحفه كهيئة الجفنة ٠٠ ويروى ـ بكفى مأقط في صاع ـ الصاع ـ موضع تكنسه وتلعب فيه بالكرة ـ والمأقط ـ الذي يكرو بالكرة يضرب بها الأرض ترتفع اليه ٠٠ قال أحمد قوله في صاع أراد بصاع وهو الصولجان الذى يلعب به الغلمان أراد بصاع صائع لانه يعطف للضرب به لتصاع الكرة به فكان الصولجان هو يصوعها ٠٠ وهذان البيتان من قصيدة مفضلية روى ان أبا جعفر المنصور مر بالمهدى ابنه وهو ينشد المفضل هذه القصيدة فلم يزل واقفاً من حيث لا يشعر به حتى استوفى سماعها ثم صار وأمر باحضارها فحدث المفضل بوقوفه واستماعه لقصيدة المسيب واستحسانه إياها وقال له لو عمدت الى أشعار الشعراء المقلين واخترت لفتاك لكل شاعر أجود ما قال لكان ذلك صواباً ففعل المفضل وعدد القصيدة ٣٦ بيتاً وأولها

أرحلت من سلمى بغير متاع ... قبل العطاس ورعتها بوداع

عن غير مقلية وإن حبالها ... ليست بأرمام ولا إقطاع

فِعلَ السَّرِيعةِ بادَرتْ جُدَّادَها قبْلَ المَساءِ تَهِمُّ بالإِسْرَاعِ

معنى ـتكروـ أى كأنها لاعبُ بكرة ـوالسريعةـ يعنى لساجة ـوالجداد ـ الغزل الضعيف (١) فأراد انها تسرع الضرب بالخف والنسج قبل المساء وما دامت تبصر فشبه يدى ناقته في تذرعها بيدى هذه النساجة •• وقال الأصمعي الجداد هدب الثوب فيعنى ان هذه النساجة قد قاربت الفراغ من الثوب وبلغت الى هدبه فهي تبادر لتفرغ منه قبل المساء•وقريب منه قول الآخر

كأَنَّ أَيدِيهِنَّ بالقَاعِ الفَرِقْ أَيدِى جوَارٍ يتَعاطَيْنَ الوَرِقْ

فالفرق الخشن الذى فيه الحصى وشبه حذف مناسمها له بحذف جوار يلعبن بدراهم وخص الجواري لانهن أخف يدىً من النساء •• وقال آخرون الفرق ههنا المستوى من الأرض الواسع وانما خص بالوصف لان أيدى الابل اذا أسرعت فى المستوي فهو أحمد لها واذا أبطأت فى غيره فهو أجهد لها •• ومن أحسن ما قيل في الاسراع قول المرار بن سعيد

فتَناوَلُوا شُعَبَ الرِّحالِ فَقَلَّصَتْ سُودُ البُطُونُ كفضلة المُتَنَمِّسِ

اذ تستبيك باصلتيٍّ ناعم قامت لتفتله بغير قناع
ومهيً يرف كأنه إذ ذقته عانيةٌ شجت بماء يراع
أو صوب سارية أدرَّته الصبا ببزيل أزهر مدمج بسباع
فرأيت ان الحلم مجتنب الصبا فصحوت بعد تشوق ورواع
فتسلَّ حاجتها اذا هي أعرضت بخميصة سُرح اليدين وَساع
صكاء ذعلبة اذا استدبرتها حرج اذا استقبلتها هلواع
وكأن قنطرة بموضع كورها ملساء بين غوامض الانساع
واذا تعاورت الحصى أخفافها دوَّت نواديه بظهر القاع

(١) وقيل الجداد ما بقى من خيوط الثوب وقيل هي خيوط الثوب اذا قطعه

ذكر قوماً سفراً هبوا من رقدتهم الى رحالهم ليسروا ٠٠ ويعني بسود البطون الابل ــ والمتنمس ــ الصائد الذي أخذ ناموساً وهو ما يستتر به ليختل الصيد فشبه المطايا في سرعتها بقطا قد ساد الصائد بعضها وأفلت بعضها فهن يطرن طيراناً شديداً ٠٠ ومثل هذا وان كان في وصف الخيل قول النابغة

كالطَّيْرِ تَنجُو منَ الشُّؤْبُوبِ ذِي الرَّدِ (١)

فأما قول مروان

يَهُزُّ مِرَاحهَا بَعْدَ النُّحُولِ تليلَها وَقَذَالهَا

فقد مضى من وصف المطايا بالنشاط بعد السآمة والجهد ما مضى ٠٠ وأحسن من قول مروان وأشد فصاحة بالمعنى وإعراباً عنه قول الهذلي

وَمِنْ سَيْرِهَا العَنَقُ المُسْبَطِرُّ والعَجْرُ فِيهِ بَعْدَ الكَلَالِ

وانما كان أحسن لانه صرح بنشاطها بعد كلالها وقول مروان بعد النحول لا يجري هذا المجرى لأن النحول قد يكون عن جهد السفر والتعب ويكون عن غيره ٠٠ وأما قوله ــ كالقوس ساهمة أتتك ــ البيت فقد أكثرت العرب في وصف المطايا بالنحول وتشبيهها بالقسي ٠٠ وغيرها وقد أحسن كثير في قوله

نَفَى السَّيْرُ عنها كُلَّ دَاءِ إقامَةٍ فهُنَّ رَذَايا بالطَّرِيقِ تَرَائِكُ
وحُمِّلَتِ الحَاجاتُ خُوصاً كأَنَّها وقد ضَمِرَتِ صُفْرُ القِسِيِّ العَوَاتِكُ

وقال سلم بن عمرو الخاسر

وَكأَنَّهُنَّ منَ الكَلَالِ أَهِلَّةٌ أَوْ مِثْلُهُنَّ عَطائفُ الأَقْوَاسِ
قُودٌ طوَاها ماطَوَتْ من مَهْمَهٍ نائي الصُّوَى وَمَنَاهِجٍ أَدْرَاسِ

(١) وصدر البيت * والخيل تمزع غرباً في أعنتها * وهو من قصيدته التي أولها

يا دار ميــة بالعلياء فالسند أقوت وطال عليها سالف الأبد

وقال أبو تمام يصف ناقة

أتَيْنا القادِسيَّةَ وهيَ تَزْنُو ... إليَّ بِعَيْنِ شَيْطانٍ رَجِيمِ
فَما بلَغتْ بنَا عُسفانَ حتّى ... رَنَتْ بِلحاظِ لُقْمانَ الحكيمِ
وَبدّلَها السُّرَى بالجَهْلِ حِلْماً ... وَقَدَّ أَدِيمَها قَدَّ الادِيمِ
أذابَ سَنامَها قَطعُ الفيافِي ... فَفلّقَ جِلدَها نَضْحُ العَصيمِ
بدَتْ كالبَدْرِ وَافا لَيْلَ سَعْدٍ ... وَآبَتْ مثْلَ عُرْجُونٍ قَدِيمِ

وقال البحترى

وَخدَانُ القِلاَصِ حَوْلاً إذاَ قا ... بَلْنَ حَوْلاً من أنجُمِ الأَسْحَارِ
يَتَرَقْرَقْنَ كالسَّرَابِ وقدْ خُضْـ ... ـنَ غِماراً منَ السَّرَابِ الْجارِي
كالقِسِيِّ المُعطَّفاتِ بلِ الأَسـ ... ـهُمِ مَبْرِيَّةً بلِ الأَوْتارِ

وله أيضاً

وَهيَ العِيسُ دَهْرَها في ارْتِحالٍ ... منْ حلُولٍ أوْ فُرْقَةٍ من جَمِيعِ
رُبَّ مَرْتٍ مرَتْ تُجاذِبُ قُطْرَيْـ ... ـهِ سَرَاباً كالمَنْهَلِ المَشْرُوعِ
وَسُرىً تَنْتَحِيهِ بالوَخْدِ حتّى ... يَصْدَعَ اللّيلُ عنْ بَياضِ الصَّدِيعِ
كالبُرَى فى البُرَى ويُحْسَبْنَ أحْيَا ... ناً نُسوعاً مَجْدُولةً فِي نُسُوعِ

مجلس آخر ٤٣

[تأويل آية] .. إن سال سائل عن قوله تعالى (ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى) الآية .. فقال كيف أضاف الى نفسه اليد وهو ممن يتعالى عن الجوارح .. الجواب قلنا

في هذه الآية وجوه .. أولها أن يكون قوله تعالى (لما خلقت بيدي) جارياً مجرى لما خلقت أنا وذلك مشهور في لغة العرب يقول أحدهم هذا ما كسبت يداك وما جرّت عليك يداك فاذا أرادوا نفي الفعل عن الفاعل استعملوا فيه هـذا الضرب من الكلام فيقولون فلان لا تمشي قدمه ولا ينطق لسانه ولا تكتسب يده وكذلك في الاثبات ولا يكون للفعل رجوع الى الجوارح في الحقيقة بل الفائدة فيه النفي عن الفاعل ..وثانيها أن يكون معنى اليد ههنا النعمة ولا إشكال في ان أحد محتملات لفظة اليد النعمة .. فأما الوجه في تثنيتها فقد قيل فيه ان المراد نعمة الدنيا ونعـمة الآخرة فكأنه تعالى قال ما منعك أن تسجد لما خلقت لنعمتي وأراد بالباء اللام .. وثالثها أن يكون معـنى اليد ههنا القدرة وذلك أيضاً معروف من محتملات هذه اللفظة بقول القائل مالي بهذا الأمر من يد ولا يدان وما يجري مجرى ذلك والمعني إني لا أقدر عليه ولا أطيقه وليس المراد بذلك اثبات قدرة على الحقيقة بل اثبات كون القادر قادراً ونفي كونه قادراً فكأنه تعالى قال ما منعك أن تسجد لما خلقت وأنا قادرٌ على خلقه فعبر عن كونه قادراً بلفظ اليد الذي هو عبارة عن القـدرة وكل ذلك واضح في تأويل الآية ونعود الى ما كنا ابتدأنا به من الكلام على شعر مروان .. فمن قصيدته التي تقدم بعضها ووقع الكلام عليه مما يختار قوله

أحيا أميرُ المؤمنينَ محمدٌ ... سُنَنَ النَّبي حرامَها وحلالَها

ملكٌ تفرَّعَ نبعةً من هاشمٍ ... مدَّ الإلهُ على الأنامِ ظلالَها

جبلٌ لأمتهِ تلوذُ بركنهِ ... رادى جبالَ عدوِّها فازالَها

لم يَغشَها مما يخافُ عظيمةٌ ... الاَّ أجالَ لها الامورَ مجالَها

حتى يفرِّجَها أغرُّ مهذَّبٌ ... ألفى أباهُ مفرِّجاً أمثالَها

ثبتٌ على زَللِ الحوادثِ راكبٌ ... من صرفهنَّ لكلِّ حالٍ حالَها

كلتا يديك جعلت فضلَ نوالِها ... للمسلمينَ وللعدوِّ وبالَها

وقعتْ مواقعها بعفوكِ أنفسٌ ... أذهبتَ بعدَ مخافةٍ أوجالَها

أمِنَتْ غيرَ معاقبٍ طرّادَها وفككتَ عن أسرائها أغلالَها
ونَصَبْتَ نفسَكَ خيرَ نفسٍ دونَها وجعلتَ مالَكَ واقياً أموالَها

أما قوله

أحيا أمير المؤمنين محمد سنن النبي حرامها وحلالها

فقد طعن عليه وعابه من لا معرفة له بنقد الشعر فقال كيف يكون في سنن النبي عليه الصلاة والسلام حرام وما ذلك بعيب وإنما أراد بقوله حرامها وحلالها التحريم والتحليل ومن سنن النبي عليه الصلاة والسلام تحريم الحرام وتحليل الحلال .. وإنما المعيب من هذا المعنى قول ابن الرقاع العاملي

ولقدْ أرادَ اللهُ إذْ ولّاكها من أمّةٍ إصلاحَها وفسادَها(١)

ومثل قول مروان قول سلم الخاسر * ولما وليت ذكرت الذي بتحليله وبتحريمه * فأما قوله — حتى يفرجها أغر مهذب — البيت فكثير جداً للمتقدمين والمحدثين والأصل فيه قول زهير

وما كانَ من خيرٍ أتوْه فإنّما توارثَهُ آباءُ آبائِهِمْ قبلُ
وهلْ يُنبتُ الخطّيَّ إلاّ وشيجُهُ وتُغرَسُ إلاّ في منابتِها النّخلُ

ومثله قول الآخر

وَحمزَةُ وَالعبّاسُ مِنهمْ وَمِنهُمُ عقيلٌ وَماءُ العُودِ من حيثُ يُعصَرُ

ومثله للربيع بن أبي الحقيق اليهودي

إذَا ماتَ منّا سيّدٌ قامَ بعدَهُ لهُ خلفٌ يكفي السّيادةَ بارِعُ

(١) البيت من قصيدة يمدح بها الوليد بن عبد الملك .. ومطلعها

عرف الديار توهماً فاعتادها من بعد ماشمل البلى أبلادها
إلاّ رواسيَ كلهنّ قد اصطلى حمراء أشعل أهلها إيقادها
كانت رواحل للقدور فعريت منهنّ واستلب الزمان رمادها

مِنْ أَبْنائِهِ والعِرقُ يَنْظُرُ فَرْعُهُ　　على أَصلِهِ والعِرقُ للعِرقِ نازِعُ

ومثله له

تَرجُو الغُلامَ وقدْ أعياكَ والدُهُ　　وَفي أَرُومَتِهِ ماينبُتُ العُودُ

وأخذ هذا المعنى وبعض هذا اللفظ الكميت فقال

تجرِي أصاغِرُهمْ مُجْرَى أكابِرِهِمْ　　وَفي أَرُومَتِهِ ماينبُتُ الشَّجَرُ

ومن هذا المعنى قول عبيد الله بن قيس الرقيات

يَخْلُفُكَ البِيضُ من بَنِيكَ كَما　　يُخلَفُ عُودُ النُّضارِ في شُعَبِهْ

ومثله قول نهشل بن جرى

أَرَى كُلَّ عُودٍ نابتًا في أُرُومةٍ　　أَبَى مَنْبتُ العِيدانِ أَنْ يتغَيَّرَا

بَنُوا الصالِحِينَ الصالِحُونَ ومن يكُنْ　　لِوَالدِ سُوءٍ يلقَهُ حيثُ سَيَّرَا (١)

ومثله لمسلم بن الوليد الأنصارى

ألحَّ على الأيامِ يَفرِي خُطُوبَها　　على مَنْهَجٍ ألفى أباهُ بهِ قَبلُ

ولبشار

على أعراقِها تجرِي الجِيادُ

وللبحترى

---

(١) هذا البيت الثانى من جملة ثلاثة أبيات في الحماسة منسوبة الي جميل بن عبد الله بن معمر وقبله

أبوك حُباب سارق الضيف برده　　وجدّي يا حجاج فارس شمّرا

بنو الصالحين الصالحون ومن يكن　　لوالد صدق يلقه حيث سيرا

فان تغضبوا من قسمة الله حظكم　　فلله إذ لم يرضكم كان أبصرا

وَمابِيَ منْ خيْرٍ وَشرٍّ فإِنَّها سَجِيَّةُ آبائِي وَفِعلُ جُدُودِي
هُمُ القوْمُ فرْعِي منْهمُ مُتفرِّعٌ وعُودُهمُ عِنْدَ الحَوادِثِ عُودِي

وللبحترى أيضا

واذَا أبو الفَضلِ استَعارَ سَجِيةً للمَكرُماتِ فمِنْ أبِي يَعقُوبِ
شَرَفٌ تَتابَعَ كابِرًا عنْ كابِرٍ كالرُّمحِ أُنبُوبٌ على أُنبُوبِ
وَأرَى النَّجابَةَ لاَ يكُونُ تَمامُها لِنَجِيبِ قَوْمٍ لَيسَ بِابْنِ نَجِيبِ

وله أيضاً

ماسَعَوْا يَخْلُفُونَ غيْرَ أبِيهِمْ كُلُّ ساعٍ منا يُرِيدُ نِصابَهْ

وله

وَماتابِـعٌ في المَجْدِ نَهجَ عَدُوّهِ كَمُتَّبِـعٍ في المَجْدِ نَهجَ أبِيهِ

وفى هذه القصيدة يقول مروان

هلْ تعلمونَ خليفةً منْ قبلهِ أجرَى لِغايَتِهِ التِي أجرَى لَها
طَلَعَ الدُّرُوبَ مُشَمِّرًا عنْ ساقهِ بالخَيْلِ مُنْصَلِتًا يَجُذُّ نِعالَها
قُودٌ تَرِيعُ إلَى أغرَّ لِوَجهِهِ نُورٌ يَضِيءُ أمامَها وَخِلالَها
قَصُرَتْ حَمائِلُهُ عليهِ فَقَلَّصَتْ ولقَدْ تَحَفَّظَ قَينُها فأَطالَها
حتَّى اذَا وَرَدَتْ أَوائِلُ خَيلِهِ جَيْحانَ بَثَّ على العَدُوِّ رِعالَها
أحْمَى بِلاَدَ المُسلِمِينَ عَلَيْهِمُ وأَباحَ سَهْلَ بِلاَدِهِمْ وَجِبالَها
أدْمَتْ دَوابِرَ خَيْلِهِ وشَكِيمَها غاراتُهُنَّ وَالحَقَتْ آطالَها
لمْ يَبْقَ بَعْدَ مَقادِها وطِرَادِها الاَّ نَحائِزُها وَإلاَّ آلَها

رَفَعَ الخليفةُ ناظري وأَرَاشَني بيدٍ مباركةٍ شكرتُ نوالَها
وَحَسُنتُ حتى قيلَ أصبحَ باغياً في المشيِ مُتْرَفَ شيمةٍ مختالَها
ولقد حذوتُ لمن أطاعَ ومن عصى نعلاً ورثتَ عن النبي مثالَها

أما قوله ـ قصرت حمائله ـ البيت .. فالأصل فيه قول عنترة

بطلٌ كأنَّ ثيابَهُ في سرحةٍ يُحذى نعالَ السِّبتِ ليس بتوأمِ

أو قول الأعشى

إلى ماجدٍ كهلالِ السما ءأزكى وفاءً ومجداً وخيرَا
طويلِ النجادِ رفيعِ العما دِ يحمي المضافَ ويُغني الفقيرَا

ومثله

طويلُ نجادِ السيفِ عارٍ جبينُهُ كنصلِ اليماني أخلصتهُ صياقلُهْ
إذاهمَّ بالمعروفِ لم تجرِ طيرُهُ نحوساً ولم تسبقْ نداهُ عواذلُهْ

ومثله قول طريح بن اسمعيل الثقفي

وأشعثَ طلاَّعِ الثنايا مباركٍ يطولُ نجادَ السيفِ وهو طويلُ

ولأبي جويرية العبدي

يمدُّ نجادَ السيفِ حتى كأنَّهُ بأعلى سنامَيْ فالجٍ يتطوَّحُ
إذاا عتمَّ في البُردِ اليمانيِّ خلتَهُ هلالاً بدا في جانبِ الأُفقِ يلمحُ

ولأبي عطاء السندي

وأزهرَ من بني عمرِو بنِ عمرٍو حمائلُهُ وإنْ طالتْ قِصارُ

ولبعضهم في آل المهلب

رأيتُكمُ أعزَّ الناسِ جارًا وأمنعَهمْ إذا عدُّوا ذِمارَا

حَمَائِلُكُمْ وإِنْ كانَتْ طِوَالاً   تَرَاها عنْ شَمَائِلِكُمْ قِصارًا

ولبعض بني العنبر في معنى الطول

فَجاءَتْ بِهِ عَبْلَ العِظَامِ كأنَّما   عِمَامَتُهُ بينَ الرِّجالِ لِوَاءُ (١)

ولآخر

أشَمُّ طَوِيلُ السَّاعِدَينِ كأنَّما   تُنَاطُ الى جِذْعٍ طَوِيلٍ حَمَائِلُهْ

ولابن هرمة

تُنَاطُ حَمَائِلُ الهِنْدِيِّ منهُ   بِعاتِقِ لاَ أَلَفَّ وَلاَ ضَئِيلِ

وَلَكِنْ يَسْتَقِلُّ بهِ قُوَاهُ   على ماضٍ بِقَائِمهِ ثَقِيلِ

ولسلم الخاسر

يَقُومُ مَعَ الرُّمْحِ الرُّدَيْنِيِّ قائماً   وَيَقْصُرُ عَنْهُ طُولُ كُلِّ نِجادِ

وللخثعمي

يُوَازِي الرُّدَيْنِيَّ في طُولِهِ   وَيَقْصُرُ عنْهُ نِجَادُ الحُسامِ

وللوالبي

طَوْلٌ وَطُولٌ فَتَرَى كَفَّهُ   يَنْهَلُّ بالطَّوْلِ انْهِلاَلَ الغَمامِ

وطُولُهُ يَغْتالُ يومَ الوَغى   وغَيْرِهِ فَضْلَ نِجَادِ الحُسَامِ

فأما قوله ــ ولقد حذوت لمن أطاع ــ البيت ٠٠ فقد ردد معناه مروان في مواضع من شعره فقال

(١) وقبله

فلا تعذلي في حندج ان حندجاً   وليث عفرّين لدي سواء

حبيت عن العهّار أطهار أمه   وبعض الرجال المدعين جفاء

شبيهُ أبيهِ منظَراً وخَليقةً كما حُذِيَتْ يوماً على أختِها النَّعلُ

وقال فى موضع آخر

احيا لنا سنَنَ النبِي محمَّدٍ قدَّ الشِّراكِ بهِ قرنتَ شِرَاكا

وقال أيضاً

صحيحُ الضميرِ سِرُّهُ مثلُ جهرِهِ قِياسُ الشِّراكِ بالشِّراكِ تقابُلُهْ

وقال أيضاً

تَشابَهْتُما حلماً وعدلاً ونائلاً وحزماً إذا أمرٌ أقامَ وأقعدا

تنازَعتُماً تفسيرَ هذي كهذهِ على أصلِ عِرقٍ كانَ أفخرَ متلَدَا

كما قاسَ نعلاً حضرَمِيٌّ فقدَّها على أختِها لم يألُ أنْ يتجرَّدا

وأخذ هذا المعنى أبو نواس فقال

تنازَعَ الأحمدانِ الشَّبْهَ فاتَّفقا خُلقاً وخَلْقاً كما قُدَّ الشِّراكانِ

والأصل فى هذا قول ابن أبي ربيعة

فلما توَاقفْنا اعترَفتُ الَّذِي بها كمثلِ الذي بي حذوكَ النعلَ بالنَّعلِ (١)

---

(١) البيت من قصيدة مطلعها

جرى ناصح بالود بينى وبينها فقربني يوم الحصاب الي قتلى .

فماأنس ملأشياءلا أنس موقفي وموقفها يوماً بقارعة النخل

فلما توافقنا اعترفت الذى بها كمثل الذي بى حذوك النعل بالنعل

ووي ان ابن أبي ربيعة اجتمع هو وجميل بالأبطح فأنشده جميل لاميته التى أولها

لقد فرح الواشون أن صرمت حبلى بثينــة أو أبدت لنا جانب البخل

فأنشــده عمر لاميته فقال جميل هيهات يا أبا الخطاب لا أقول والله مثل هــذا سجيس الليالي وما خاطب النساء مخاطبتك أحد وقام مشمراً

ومثله السيد الحميري رحمه الله تعالى

يَتْلُونَ أَخْلَاقَ النَّبِيِّ وَفِعْلَهُ … فَالنَّعْلُ تُشْبِهُ فِي المِثَالِ طِرَاقَهَا

وقد تقدم الى هذا المعنى يزيد بن الكسر بن ثعلبة بن سيّار العجلى بقوله في يوم ذي قار يحرض قومه على القتال

مَنْ فَرَّ مِنكُمْ فَرَّ عَنْ حَرِيمِهِ … وَجَارِهِ وَفَرَّ عَنْ نَدِيمِهِ

أَنَا ابْنُ سَيَّارٍ عَلَى شَكِيمِهِ … مِثْلَ الشِّرَاكِ قُدَّ مِنْ أَدِيمِهِ

* وَكُلُّهُمْ يَجْرِي عَلَى قَدِيمِهِ *

فأما قوله * وحسدت حتى قيل أصبح باغياً * البيت ففي معناه قول البحترى

أَلَنْتَ لِيَ الأَيَّامَ مِنْ بَعْدِ قَسْوَةٍ … وعاتَبْتَ لِي دَهْرِيَ المُسِيءَ فأعتَبا

وَأَلْبَسْتَنِي النُّعْمَى الَّتِي غَيَّرَتْ أَخِي … عَلَيَّ فَأَمْسَى نَازِحَ الوُدِّ أَجْنَبَا

ومما يختار لمروان قوله

مُوَفَّقٌ لِسَبِيلِ الرُّشْدِ مُتَّبِعٌ … يَزِينُهُ كُلُّ مَا يَأْتِي وَيَجْتَنِبُ

تَسْمُو العُيُونُ إِلَيْهِ كُلَّمَا انْفَرَجَتْ … لِلنَّاسِ عَنْ وَجْهِهِ الأَبْوَابُ وَالحُجُبُ

لَهُ خَلَائِقُ بِيضٌ لَا يُغَيِّرُهَا … صَرْفُ الزَّمَانِ كَمَا لَا يَصْدَأُ الذَّهَبُ

ووجدت بعض من ينقد الشعر يقول ليس في شعر مروان بيت يتمثل به غير هذا البيت الأخير من الثلاثة .. وكأن ابن مناذر إياه أراد بقوله وقد سأل وهو مجاور بمكة عمن ببغداد من الشعراء فقيل له العباس بن الأحنف فقال أنشدوني له فأنشدوه

لَوْ كُنْتِ عَاتِبَةً لَسَكَّنَ عَبْرَتِي … أَمَلِي رِضَاكِ وَزُرْتُ غَيْرَ مُرَاقِبِ

لَكِنْ صَدَدْتِ فَلَمْ تَكُنْ لِي حِيلَةٌ … صَدُّ المَلُولِ خِلَافُ صَدِّ العَاتِبِ

فقال ابن مناذر أخلق بمن أدام بحث التراب أن يصيب خرزة .. [قال الشريف

المرتضي] رضى الله عنه ولا شك فى قلة الأمثال فى شعر مروان ولكن ليس الى هذا الحد وهذا المعنى الذى قد تضمنه البيت قد سبق اليه أيضاً ٠٠ قال طريح بن اسماعيل

جَوَادٌ اذَا جِئْتَهُ رَاجِياً   كَفَاكَ السُّؤَالَ وانْ عُدْتَ عَادَا
خَلَائِقُهُ كَسَبِيكِ النُّضَا   رِ لاَ يَحْمِلُ الدَّهْرُ فِيهِ فَسَادَا

ومثله قول الخزيمي

رَأَيْتُكَ يازَيْدُ زَيْدَ النَّدى   وَزَيْدَ الفَخَارِ وَزَيْدَ الكَرَمْ
تَزِيدُ على نائِبَاتِ الخُطُو   بِ بَذْلاً وفي سابِغَاتِ النِّعَمْ
كَذَا الخَمْرُ والذَّهَبُ المَعْدِنيُّ   يُجَوِّدُ هذَا وذَاكَ القِدَمْ

وفى قوله ــ الذهب المعدني ــ فائدة لانه اذا خلص الذهب وصفا لم يفسد واذا امتزج بغيره لم يكن هذا حكمه ٠٠ وللأموي

تأوِى إلى خُلُقٍ لمْ يُصْدِهِ طَمَعٌ   كأنَّ جوهرَهُ منْ جَوْهرِ الذَّهبِ

ولبعضهم

ملكٌ لهُ خُلُقٌ خليقٌ بالعُلى   كَسَبِيكَةِ الذَّهَبِ التِي لاَ تكلفُ

وقد أخذ الخبزارزى هذا المعنى فى قوله

فلاَ تَعِنَّ لِتَحْرِيفٍ تُكَلِّمُهُ   لِصُورَةٍ حُسْنُهَا الأَصْلِيُّ يَكْفِيهَا
إنَّ الدَّنانِيرَ لاَ تُجْلَى وَإنْ عَتُقَتْ   وَلا تُزَادُ على الحُسْنِ الَّذِي فيها

وللجحظة

صَدِيقٌ لى لهُ أَدَبُ   صَدَاقَةُ مِثْلِهِ حَسَبُ
رَعَى لِيَ فَوْقَ مايُرْعَى   وأَوجَبَ فَوْقَ مايَجِبُ
وَلَوْ نُقِدَتْ خَلاَئِقُهُ   لَبَهْرَجَ عِنْدَهَا الذَّهَبُ

مجلس آخر ٤٤

[تأويل آية] .. إن سأل سائل عن قوله تعالى (نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون اليك وإذ هم نجوى) الآية .. فقال لم وحّد نجوى وهو خبر عن جمع وما معنى مسحوراً وما جرت عادة مشركي العرب بوصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك بل عادتهم جارية بقرفه بانه ساحر .. الجواب أما قوله تعالى (وإذ هم نجوى) فان نجوى مصدر يوصف به الواحد والاثنان والجمع والمذكر والمؤنث وهو مقر على لفظه ويجري ذلك مجرى قولهم الرجال صوم والمناهل حمد يعني بصوم صائمون وبحمد محمودون .. وقد قال قوم ان معناه وإذ هم أصحاب نجوى فحذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه ويقال القوم نجي والقوم أنجية فمن وحّد بني على مذهب المصدر ومن جمع جعله منقولا عن المصادر ملحقاً برغيف وأرغفة وما أشبه ذلك .. قال الشاعر في التوحيد

أتاني نَجِيّي بعدَ هدْءٍ ورَقْدَةٍ ... وَلَمْ أكُ فيما قد بلَوْتُ بِكَاذِبِ[1]

---

(١) قوله — أتاني نجيي — الخ .. هو لسواد بن قارب الدوسي رضى الله عنه وقيل انه سدوسي وهو صحابي وبعده

ثلاث ليال قوله كل ليلة ... أتاك رسول من لؤي بن غالب
فرفعت أذيال الازار وشمرت ... بي العرمس الوجناء هول السباسب
فأشهد أن الله لا رب غيره ... وانك مأمون على كل غائب
وانك أدنى المرسلين وسيلة ... الى الله يابن الأكرمين الأطايب
فرنا بما يأتيك من وحي ربنا ... وان كان فيما جئت شيب الذوائب
وكن لي شفيعاً يوم لاذو قرابة ... بمغن فتيلا عن سواد بن قارب

روى ان سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال له وهو خليفة كيف كهانتك اليوم فغضب سواد وقال يا أمير المؤمنين ما قالها لي أحد قبلك فاستحيي عمر ثم قال له يا سواد ما كنا عليه من الشرك أعظم من كهانتك ثم سأله عن حديثه في بدء الاسلام وما أتاه

وأنشد الفرّاء في الجمع

ظلّتْ نِساؤهمُ والقومُ انجيةٌ ... يُعدَى عليها كما يُعدَى على الغَنَمِ

فأما قوله تعالى (إن تتبعون إلاّ رجلا مسحوراً) ففيه وجوه ‥ أوّلها أن يكون المراد ان تتبعون إلاّ رجلا متغير العقل لأن المشركين كان من مذهبهم عيب النبي صلى الله عليه وسلم وتضعيف أمره وتوهين رأيه وكانوا في وقت ينسبونه الى أنه ساحر وفي آخر يرمونه بالجنون وانه مسحور متغير العقل وربما قذفوه بأنه شاعر حوشي من ذلك كله وقد جرت عادة الناس بان يصفوا من يضيفونه الى البله والغفلة وقلة التحصيل بانه مسحور ‥ وثانيها أن يريدوا بالمسحور المخدوع والمعلل لان ذلك أحد ما يستعمل فيه هذه اللفظة ‥ قال امرؤ القيس

أرانا مُوضِعِينَ لِحتمِ غيبٍ ... ونُسحَرُ بالطعامِ وبالشّرابِ (١)

به رئيه من ظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره انه أتاه رئيه ثلاث ليال متواليات وهو فيها كلها بين النائم واليقظان فقال له قم ياسواد فاسمع مقالتي واعقل ان كنت تعقل قد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو الى الله والى عبادته وأنشد في كل ليلة من الثلاث ليال ثلاثة أبيات معناها واحد وقافيتها مختلفة أولها

عجبت للجن وتطلابها ... وشدها العيس بأقتابها

تهوي الى مكة تبغي الهدى ... ماصادقُ الجن ككذابها

فارحل الى الصفوة من هاشم ... ليس قُدَاماها كأذنابها

وذكر تمام الخبر وانه قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وأنشده الأبيات السابقة

(١) وبعده

عصافيرٌ وذبانٌ ودود ... وأجرأ من مجلحة الذئاب

ويروى وأجر ‥ وبعده

وكل مكارم الأخلاق صارت ... اليه همتي وبه اكتسابي

فبعض اللوم عاذلتي فاني ... ستكفيني التجارب وانتسابي

وقال أمية بن أبي الصلت

فإنْ تَسأَلِينَا فِيمَ نَحْنُ فإنَّنا　　عَصافِيرُ مِنْ هذَا الأَنامِ المُسَحَّرِ

.. وثالثها ان السحر في اللغة العربية الرئة وما تعلق بها وفيه ثلاث لغات سَحَرٌ وسِحْر وسُحرٌ .. وقيل ان السحر ما لصق بالحلقوم والمرئ من أعلا الجوف وقيل انه الكبد فكان المعنى على هذا إن يتبعون إلاَّ رجلا مسحوراً ذا سحر خلقه الله بشراً كخلقتكم .. ورابعها أن يكون معنى مسحوراً أى ساحراً وقد جاء لفظ مفعول بمعنى فاعل قال الله تعالى (واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً) أى ساتراً والعرب تقول للمصسر ملقح[1] ومعناه مُلقح لان ماضيه ألقح فجاؤا بلفظ المفعول وهو للفاعل ومن ذلك قولهم فلان مشؤمٌ على فلان وميمون ويريدون شائم ويامن لانه من شامهم ويمنهم .. [قال الشريف المرتضي] رضى الله عنه ورأيت بعض العلماء يطعن على هذا الاستشهاد الأخير ويقول العرب لا تعرف فلان مشؤم على فلان وانما هذا من كلام أهل الأمصار وانما تسمي العرب من لحقه الشؤم مشؤماً .. قال علقمة بن عبدة

ومنْ تعرّضَ للغِرْبانِ يزْجرُها　　على سلاَمَتِهِ لاَ بُدَّ مَشْؤم[2]

الى عرق الثرى وشجت عروقى　　وهذا الموت يسلبنى شبابي

الى آخر الأبيات

(١) قوله ملقحٌ هكذا في الاصل ووردت كذلك فى بعض الكتب .. والصحيح ملفج بالفاء والجيم وهو من الأوصاف التى وردت على أفعل فهو مفعل أي استغنى بصيغة اسم المفعول فيها عن اسم الفاعل وهي الفج الرجل فهو ملفج أى ذهب ماله وأسهب فهو مسهب أى كثر كلامه وأحصن فهو محصن وأهتر فهو مهتر وزاد بعضهم اجرأشت الابل فهى مجرأشة

(٢) قال الضبي هذا لايمانه بالطيرة يقول من يزجر الطير وان سلم فلا بد أن يمسه شؤم وأنشد

والوجوه الثلاثة الأول أوضح وأشبه .. ومما يختار لمروان بن أبي حفصة قوله من قصيدة يمدح بها معن بن زائدة الشيباني أولها

أرى القلبَ أمسى بالأوانسِ مولعا ... وإنْ كانَ منْ عهدِ الصبى قدْ تمتعا

يقول فيها .

ولمّا سرى الهمُّ الغريبُ قريتُهُ ... قرى منْ أزالَ الشكَّ عنهُ وأزمعا

عزمتُ فعجّلتُ الرّحيلَ ولمْ أكُنْ ... كذي لوثةٍ لا يُطلِعُ الهمَّ مطلعا

فأمّتْ ركابي أرضَ معنٍ ولمْ تزلْ ... إلى أرضِ معنٍ حيثُ ما كانَ نُزَّعا

نجائبُ لولا أنها سخرتْ لنا ... أبتْ عِزّةً منْ جهلِها أنْ تورَّعا

كسونا رِحالَ الميسِ منها غواربا ... تدارَكَ فيها النيُّ صيفا ومرْبعا

فما بلغتْ صنعاءَ حتى تواضعتْ ... ذُراها وزالَ الجهلُ عنها وأقلعا

يقول فيها

وما الغيثُ إذْ عمَّ البلادَ بصوْبهِ ... على الناسِ من معروفِ معنٍ بأوسعا

تداركَ معنٌ قبّةَ الدّينِ بعدَ ما ... خشينا على أوتادِها أنْ تنزَّعا

أقامَ على الثغرِ المخوفِ وهاشمٌ ... تساقى سِماما بالأسنّةِ منْقعا

إمام كان لقمان بن عاد ... أشار له بحكمته مشير

تعلم انه لا طير إلاّ ... على متطير وهو الثبور

بلى شئ يوافق بعض شئ ... أحايينا وباطله كثير

قال الرستمي يقول الغربان يتشاءم بها فمن تعرض لها يزجرها ويطردها خوفاً أن يصيبه الشؤم فلا بد أن يقع بما خاف ويحذر وبيت علقمة من قصيدته المشهورة التي مطلعها

هل ما علمت وما استودعت مكتوم ... أم حبلها إذ نأتك اليوم مصروم

مُقامَ امرِىءٍ يأبَى سوَى الخُطَّةِ التى ... تكونُ لدَى غِبِّ الأحاديثِ أنفَعا
وَما أحجَمَ الأعداءُ عنكَ بَقِيَّةً ... عليكَ ولكنْ لم يرَوْا فيكَ مَطمَعا
رَأَوا مُخْدِرًا قد جرَّبُوهُ وعايَنُوا ... لدَى غِيلِهِ مِنهُمْ مجرًّا وَمَصرَعا
وليسَ بِثانِيهِ إذا شدَّ أنْ يرَى ... لدَى نحرِهِ زُرقَ الأسنَّةِ شُرَّعا
لهُ رَاحتانِ الحتفُ والغيثُ فيهِما ... أبَى اللهُ إلاَّ أنْ تضُرَّ وتنفَعا
لقدْ دَوَّخَ الأعداءَ مَعنٌ فأصبحُوا ... وأمنَعُهُمْ لا يدفَعُ الذلَّ مدفَعا
نجيبُ مَناجِيبٍ وَسيِّدُ سادَةٍ ... ذُرَى المجدِ من فرعَيْ نِزارٍ تفرَّعا
لبانَتْ خِصالُ الخيرِ فيهِ وأُكمِلَتْ ... وما كَمُلَتْ خمسٌ سِنُوهُ وأربَعا
لقدْ أصبحتْ في كلِّ شرقٍ ومغربٍ ... بسيفِكَ أعناقُ المُرِيبينَ خُضَّعا
وطئْتَ خُدُودَ الحَضرَمِيِّينَ وطأةً ... لها هُدَّ رُكْنٌ مِنهُمُ فتضَعضَعا
فأقعَوا على الأذنابِ إقعاءَ معشَرٍ ... يرَوْنَ لزُومَ السِّلمِ أبقَى وأودَعا
فلَوْ مُدَّتِ الأيدِي إلى الحربِ كلُّها ... لكَفُّوا وما مَدُّوا إلى الحربِ إصبَعا

أما قوله — فما بلغت صنعاء حتى تواضعت — البيت .. فقد ردده في موضع آخر فقال

فَما بلَغَتْ حتَّى حَماها كَلالُها ... إذا عرِيَتْ أصلابُها أنْ تُقيَّدا

وهذا كثير فى الشعر القديم والمحدث .. فمنه قول جرير

إذَا بَلَغُوا المَنازِلَ لمْ تُقَيَّدْ ... وفِي طُولِ الكَلالِ لها قيُودُ

وروى انه قيل لنصيب لك بيت نازعك فيه جرير أيكما فيه أشعر فقال ماهو فقيل قولك

أضَرَّ بِها التَّهجِيرُ حتَّى كأنَّها ... بقايَا سِلالٍ لم يدَعْها سِلالُها

وأنشد بيت جرير الذي تقدم فقال قاتل الله ابن الخطفي فقيل له قد فضلته عليك فقال

هو ذاك ٠٠ وأخذ هذا المعنى بعينه المؤمل بن أميل المحاربي فقال

كانَتْ تُقَيِّدُ حينَ تنزِلُ منزِلاً فاليَوْمَ صارَ لَها الكَلالُ قيُودَا

ولأبي نخيلة

قيَّدَها الجَهْدُ ولم يُقَيَّدِ فَهِي سَوَامٍ كالقَنا المُسَنَّدِ

ومالَها مُعَلَّلٌ من مِزْوَدِ مِنها ولاَ من شاحِطٍ مُسْتَبْعَدِ

ومعنى قوله — سوام — أي هي رافعة رؤسها وشبهها بالقنا لأن القنا اذا ركز مال قليلا مع الريح فيقول في أعناقها ميل من الضعف كما قال الشماخ

فأضحَتْ تَفَالى بالسِّتَارِ كأنَّها رِماحٌ نَحَاها وِجهَةَ الرِّيحِ رَاكِزُ

وكما قال حميد بن ثور الهلالي

بِمَثْوَى سَوامٍ والمَطِيُّ كأنَّها قَنًا مُسَنَّدٌ هبّتْ لهُنَّ خَرِيقُ

— الخريق — ريح شديدة تخرق من كل جهة ٠٠ ومعنى قول أبي نخيلة — من مزود — أي من ثميلة تجترها من الاجترار وانه لا شئ في أجوافها تعلل به — والمستبعد — ما بعد من المرعى ٠٠ وأنشد أبو العباس ثعلب

إِذَا بلَغُوا المَنازِلَ لم تُقَيَّدْ وَلم تُشْدَدْ رَكائِبُهُمْ بِعقْلِ

فَهُنَّ مُقَيَّدَاتٌ مُطلَقَاتٌ تُقَضِّمُ ماتَشَذَّبُ في المَحَلِّ

والأصل في هذا قول امرئ القيس

مَطَوْتُ بِهِمْ حتَّى تَكِلَّ مَطِيُّهُمْ وَحتَّى الجِيادُ مايُقَدْنَ بأرْسانِ

ولعباد بن أنف الكلبي الصيداوى

فتُمْسِي لاَ أُقَيِّدُها بحَبْلٌ بِها طُولُ الضَّرارَةِ وَالكَلاَلِ

ومن جيد هذا المعنى قول الفرزدق يصف الابل

بَدَأْنَا بِها من سيفِ رَمْلِ كَهَيْلَةٍ وَفِيها نَشَاطٌ من مِراحٍ وَعَجْرَفُ

فَما بَلَغَتْ حتَّى تقارَبَ خَطْوُها وَبادَتْ ذُرَاها وَالمَناسِمُ رُعَّفُ

وحتَّى قتَلْنا الجَهْلَ عنها وَغودِرَتْ إِذَا ما أُنيخَتْ والمَدَامِعُ ذُرَّفُ

وحتَّى مَشَى الحَادِي البَطِيُّ يَسُوقُها لَها بَخَصٌ دَامٍ وَدِئيٌّ مُجَلَّفُ

ـ البخص ـ لحم الخف الذي (١) يطأ عليه ـ والدئي ـ فقار الظهر ـ والمجلف ـ المقشور

وَحتَّى تَغَشَاها وَما فِي يَدٍ لَهَا اذَا حلَّ عَنْها رِمَّةٌ وَهيَ رُشَّفُ

ـ الرمة ـ الحبل ٠٠ وأراد انها يزيف كما تزيف المقيد وان لم يكن فى يدها قيد

إِذَاما نَزَلْنا قاتَلَتْ عنْ ظُهورِها حرَاجِيجُ أَمْثالُ الأَهِلَّةِ شُسَّفُ

ـ الحراجيج ـ الطوال من الابل ـ والشسف ـ اليابسة من الجهد والكلال ٠٠ ومعنى قتالها للغربان انها اذا عريت ظهورها فتقع الغربان عليها لتأكل دبرها فالابل تدفع الغربان بأفواهها عن ظهورها فذلك قتالها

اذَا ما أَرَيْناها الأَزِمَّةَ أَقبلَتْ الينا بحرّاتِ الخُدُودِ تَصدَّفُ

فأَفْنَى مِراحُ الدَّاهِرِيَّةِ خَوْضُها بِنَا اللَّيْلَ إِذْ نامَ الدَّثُورُ الملَفَّفُ

ويروي أرقلت ٠٠ ومن أحسن ماقيل فى وصف الابل بالنحول من الكلال والجهد بعد السمن قول الشاعر

وَذَاتِ ماثِيْنِ قد غَيَّضْتُ جَمَّتَها بحيثُ يُستَمسَكُ الأَرْوَاحُ بالحَجَرِ

رَدَّتْ عَوارِيَ غِيطَانِ الفَلاَ وَنحتْ بِمِثْلِ إِبالَةٍ منْ حائِلِ العُشَرِ

قوله ـ ذات ماثين ـ يعنى سمناً على سمنٍ وقيل بل عنى أنها رعت كلأً عامين ٠٠ وقوله

---

(١) وقيل البخص ماولى الأرض من تحت أصابع الرجلين وتحت مناسم البعير والنعام وقيل هو لحم يخالطه بياض من فساد يحل فيه والدئي بكسر الدال والهمزة جمع دأية وهى فقر الكاهل والظهر أو غراضيف الصدر أو ضلوعه فى ملتقاه وملتقى الجنب

ـ قد غيضت جمّها ـ يعنى انه أتعبها بالسير حتى ردها هزلى بعد سمن فكأنه غيض بذلك ماءها ٠٠ ومعنى ـ بحيث يستمسك الأرواح بالحجر ـ يعني الفلاة حيث لايكون فيها الماء فيقتسم الركب الماء الذي يكون معهم بالحجر الذي يقال له المقلة فتمسك أرماقهم ٠٠ وقوله ـ ردت عواري غيطان الفلا ـ أى ما رعت من كلأ هذه الأماكن وسمنت عنه كان كعارية عندها فردته حيث جهدها السير وأهزلها ـ والإيبالة ـ الحزمة من الحطب اليابس ٠٠ وأخذ هذا المعنى بعينه أبو تمام فقال

رَعَتْهُ الفَيَافِي بعدَ أنْ كانَ حِقبَةً　　رَعاهَا وماءُ المُزْنِ يَنهَلُّ ساكِبُهْ[1]

فكَمْ جَزَعٍ وَادٍ جَبَّ ذِرْوَةَ غارِبٍ　　وَمِنْ قبلُ كانتْ أنهكَتْهُ مَذاهِبُهْ

فأما قوله ـ فما أحجم الأعداء عنك بقية ـ البيت فمأخوذ من قول الأول

فَما بُقْيا عليَّ تَرَكْتُمَانِي　　ولكِنْ خِفتُما صَرَدَ النِّبالِ[2]

---

(١) هذان البيتان من قصيدته المشهورة التي مدح بها عبد الله بن طاهر لما قدم خراسان حكى أنه لما أنشده إياها وبلغ الى قوله

وقلقل نأي من خراسان جأشها　　فقلت اطمأني أنضر الروض عازبه

وركب كأطراف الأسنة عرجوا　　على مثلها والليل تسطو غياهبه

لأمر عليهم أن تتم صدوره　　وليس عليهم أن تتم عواقبه

صاح الشعراء بالأمير ما يستحق هذا الشعر غير الأمير أعزه الله ٠٠ وقال شاعر منهم يعرف بالرياحي لي عند الأمير أعزه الله جائزة وعدني بها وقد جعلتها لهذا الرجل جزاء عن قوله للأمير فقال له بل نضعفها لك ونقوم له بما يجب له علينا فلما فرغ من القصيدة نثر عليه ألف دينار فلقطها الغلمان ولم يمس منها شيئاً فوجد عليه عبد الله وقال يترفع عن برى ويتهاون بما أكرمته به فلم يبلغ ما أراده منه بعد ذلك

(٢) قوله ـ فما بقيا عليّ ـ الخ ٠٠ البُقيا بالضم الرحمة والشفقة ـ وصرد ـ السهم من باب فرح من الاضداد اذا نفذ واذا نكل فيكون المعنى على النفوذ انكما خفتما نفوذ سهامي فيكما أي هيباني وعلى معنى النكول أى خفتما أن لا تنفذ سهامكما فيّ فعجزتما عني وهو

وقريب منه قول الآخر

لَعَمْرُكَ ماالنَّاسُ اثنَوا عليكَ ... وَلاَ قَرَّظُوكَ وَلاَ عَظَّمُوا
ولوْ أنَّهُمْ وَجدُوا مَطعَنًا ... إلى أنْ يَعيبُوكَ مااْحجَمُوا
فانْتَ بِفَضلِكَ الجأْتَهُمْ ... إلى أنْ يجلُّوا وَأنْ يُعْظِمُوا

ومثله

أما لوْرَأى فِيكَ العَدُوُّ نَقيصةً ... لخَبَّ بِتَصْرِيفِ العُيُوبِ وَأوضَعا
وَلٰكِنَّهُ لما رَءاكَ مبرّءًا ... مِنَ العَيْبِ غَطَّى رَأسَهُ وَتَقَنَّعا

ومثله

قدْ طَلَبَ العَاذِلُ عَيْباً فَما ... أصَابَ عَيْباً فانْثَنى عاذِرَا

وللبحترى فى معنى قول مروان ... * فما أحجم الأعداء عنك بقية *
من قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان ويصف لقاءه الأسد

غداةَ لقيتَ اللَّيثَ وَاللَّيثُ خادِرٌ ... يُحَدِّدُ نابًا بِاللِّقَاءِ وَمِخْلَبَا
شَهِدتُ لقدْ أنصفْتَهُ يومَ تَنبَرِي ... لهُ مُصلِتاً عَضباً منَ البِيضِ مِقْضَبا

أول أبيات للعين المنقري يهجو بهما جريراً والفرزدق وبعده

فدونكما الظرا أهجوت أم لا ... فذوقا فى المواطن من نبالي
وما كان الفرزدق غير قين ... لئيم خاله للؤم تالي
ويترك جده الخطفى جرير ... ويندب حاجباً وبني عقال

وكان اللعين تعرض لجرير والفرزدق فقال

سأقضي بين كلب بني كليب ... وبين القين قين بني عقال
بأن الكلب مرتعه وخيم ... وأن القين يعمل فى سفال

فلم يجبه أحد منهما فقال الأبيات المتقدمة

فلمْ أرَ ضِرغامين أصدقَ منكما ... عِراكاً إذا الهيّابةُ النِكسُ كذّبا
هِزَبْرٌ مشى يبغي هِزَبراً وأغلبٌ ... من القومِ يغشى باسلَ الوجهِ أغلبا
أدلَّ بِشغْبٍ ثمّ هالتهُ صولةٌ ... رآك لها امضى جناناً وأشغبا
فأحجمَ لمّا لم يجد فيك مطمعاً ... وأقدمَ لمّا لم يجدْ عنك مهربا
فلم يغنهِ أنْ كرَّ نحوكَ مقبلاً ... ولم ينجهِ أنْ حادَ عنكَ منكّبا
حملتَ عليهِ السيفَ لا عزمُكَ انثنى ... ولا يدُكَ ارتدّت ولا حدُّهُ نبا
وكُنتَ متى تجمعْ يمينكَ تهتكِ الـ ... ـضريبةَ أوْ لا تُبقِ للسيفِ مضربا

ومن صافي كلام مروان ورائقه وما اجتمع له فيه جودة المعنى واللفظ واطراد النسج قوله

بنو مطرٍ يومَ اللقاء كأنّهمْ ... أسودٌ لها في غيلِ خفّانَ أشبلُ
همُ يمنعونَ الجارَ حتى كأنّما ... لجارِهمُ بينَ السماكينِ منزلُ
لهاميمُ في الإسلامِ سادُوا ولم يكنْ ... كأوّلِهمْ في الجاهليّةِ أوّلُ
همُ القومُ إنْ قالوا أصابوا وإنْ دُعوا ... أجابوا وإنْ أعطوا أطابوا وأجزلوا
وما يستطيعُ الفاعلونَ فعالَهم ... وإنْ أحسنُوا في النائباتِ وأجملُوا
ثلاثٌ بأمثالِ الجبالِ حُباهمُ ... وأحلامُهمْ منها لدى الوزنِ أثقلُ

ومن جيد قوله في قصيدة يمدح بها معناً

ما مِنْ عدوٍّ يرى معناً بساحتهِ ... إلّا يظنُّ المنايا تسبقُ القدرا
يلقى اذا الخيلُ لم تقدِمْ فوارسُها ... كالليثِ يزدادُ إقداماً إذا زُجرا
أغرُّ يُحسبُ يومَ الروعِ ذا لبدٍ ... ورداً ويُحسبُ فوقَ المنبرِ القمرا

وله من قصيدة يصف يوماً حاراً

وَيوم عَسولُ الآلِ حامٍ كأنَّما   لَظَى شَمْسِهِ مَشْبُوبُ نارٍ تَلهّبُ
نَصَبْنا لهُ منّا الوُجُوهَ وَكَنّها   عَصَائِبُ أَسْمَالٍ بِها يتَعَصّبُ

ويشبه أن يكون أخذ ذلك من قول الشنفري

وَيوم من الشِّعْرَى يَذُوبُ لُعابُهُ   أَفاعِيهِ فِي رَمْضائِهِ تَتملْمَلُ (١)
نَصَبْتُ لهُ وجهِي ولكِنّ دُونهُ   وَلاَستْرَ الاَّ الأَتحَميُّ المُرَعْبَلُ (٢)

ولمروان من أبيات يصف فيها حديقة وهبها له المهدى ويذكر فيها نخلها وشجرها أجاد فيها

نَوَاضِرُ علَياقدْ تَدَانَتْ رُؤُسُها   منَ النَّبتِ حتّى ما يَطِيرُ غُرَابُها
تَرَى البَاسِقَاتِ العُمَّ فِيها كأنَّها   ظَعَائِنُ مَضْرُوبٌ عليْها قِبَابُها
تَرَى بابَها سَهْلاً لِكُلِّ مدَفَّعٍ   اذَا أَيْنَعَتْ نَخْلٌ فأُغلِقَ بابُها
يَكُونُ لَنا مانَجْتَنِي منْ ثِمَارِها   رَبِيعاً إِذَا الآفاقُ قلَّ سَحَابُها

(١) البيتان من قصيدته المشهورة المسماة الشنفرية ولامية العرب — الشعرى — هي الكوكب الذي يطلع بعد الجوزاء وطلوعه في شدة الحر — وذاب — الشئ نقيض جمد — ولعابه — ولوابه واحد . ولعابه هنا ما تراه من شدة الحر مثل نسج العنكبوت — والأفاعى — جمع أفعى وهي الحية — والرمض — شدة وقع الشمس على الرمل وغيره والأرض رمضاء أى أصابها الرمض — والتململ — التحرك على الفراش اذا لم تستقر عليه من الوجع كأنه على ملة والملة الرماد الحار . . والواو في ويوم واو رب ومن لبيان الجنس والتقدير ويوم من الأيام التى تطلع فيها الشعرى ومن الشعرى صفة يوم ويذوب نعت ليوم أيضاً أى ذائب لعابه وأفاعيه مبتدا وتململ خبره وفى رمضائه متعلق بتتململ

(٢) — النصب — الاقامة تقول نصبت وجهي للحر أقمته — والكن — الستر والجمع أكنان — والأتحمي — برد معروف — والمرعبل — الممزق فقوله نصبت هو جواب رب

حَظَائِرُ لَمْ يُخْلَطْ بِأَثْمانِهَا الرِّبِي ... وَلَمْ يَكُ مِنْ أَخْذِ الدِّيَاتِ اكْتِسابُهَا
وَلٰكِنْ عَطَاءُ اللّٰهِ مِنْ كُلِّ مِدْحَةٍ ... جَزِيلٍ مِنَ المُسْتَخْلِفِينَ ثَوَابُهَا
وَمِنْ رَكْضِنا الخَيْلِ فِي كُلِّ غارَةٍ ... حَلاَلٌ بِأَرْضِ المُشْرِكِينَ نِهَابُهَا
حَوَتْ غُنْمَهَا آبَاؤُنَا وَجُدُودُنَا ... بِصُمِّ العَوَالِي وَالدِّمَاءُ خِضَابُهَا

فأما قوله

حَظَائِرُ لَمْ يُخْلَطْ بِأَثْمانِهَا الرِّبِي ... وَلَمْ يَكُ مِنْ أَخْذِ الدِّيَاتِ اكْتِسَابُهَا

فكأن ابن المعتز نظر اليه فى قوله

لَنَا إِبِلٌ مَا وَفَّرَتْهَا دِيَاتُنَا ... وَلاَ ذَعَرَتْهَا فِي الصَّبَاحِ الصَّوَائِحُ

وفى ضد هذا قول أبي تمام

كَثُرَتْ فِيهِمُ المَسَارِحُ إِلاَّ ... أَنَّهَا مِنْ مَنَاكِحٍ وَدِيَاتِ

ومثل الأول قول حسان يهجو قوماً من قريش

وَمَا لَكُمُ لاَ مِنْ طِرَادِ فَوَارِسٍ ... وَلٰكِنْ مِنَ التَّرْقِيحِ يَا شَرَّ مَالِكِ



مجلس آخر ٤٥

[تأويل آية] .. إن سأل سائل عن معنى قوله تعالى (كل شيء هالك إلاّ وجهه) .. وقوله تعالى (إنما نطعمكم لوجه الله) .. وقوله (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) وما شاكل ذلك من آى القرآن المتضمنة لذكر الوجه .. الجواب قلنا الوجه ينقسم في اللغة العربية الى أقسام . فالوجه المعروف المركب فيه العينان من كل حيوان . والوجه أيضاً أول الشيء وصدره ومن ذلك قوله تعالى (وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره) أي

أول النهار .. ومنه قول الربيع بن زياد

مَنْ كانَ مَسْرُورًا بِمَقْتَلِ مالِكٍ فَلْيَأْتِ نِسْوَتَنا بِوَجْهِ نَهارِ

أي غداة كل يوم .. وقال قوم وجه نهار اسم موضع . والوجه القصد بالفعل من ذلك قوله تعالى (ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله) .. وقال الفرزدق

وَأسلَمتُ وَجهِي حِينَ شُدَّتْ رَكائِبي إلي آلِ مَرْوانٍ بَناتِ الْمكارِمِ

أى جعلت قصدي وإرادتي لهم .. وأنشد الفراء

استَغفِرُ اللّهَ ذَنْباً لَسْتُ مُحْصِيَهُ رَبَّ العِبادِ إلَيْهِ الْوَجهُ وَالعَمَلُ

أى القصد .. ومنه قولهم في الصلاة وجهت وجهي للذى فطر السموات والأرض أي قصدت قصدي بصلاتى وعملي وكذلك قوله تعالي (فأقم وجهك للدين القيم) . والوجه الاحتيال فى الأمرين من قولهم كيف الوجه لهذا الأمر وما الوجه فيه أى ما الحيلة . والوجه الذهاب والجهة والناحية .. قال حمزة بن بيض الحنفى

أَيُّ الوُجُوهِ انتَجَعْتَ قُلْتُ لهُمْ لِأَيِّ وَجْهٍ إلاَّ إلى الْحكَمِ

مَتَى يَقُلْ صاحِبا سُرادِقِهِ هذَا ابنُ بَيْضٍ بالبابِ يَبْتَسِم

. والوجه القدر والمنزلة ومنه قولهم لفلان وجه عريض وفلان أوجه من فلان أى أعظم قدراً وجاهاً ويقال أوجهه السلطان اذا جعل له جاهاً .. قال امرؤ القيس

وَنادَمتُ قَيْصَرَ فِي مُلكِهِ فأَوْجهَنِي وَرَكِبْتُ البَرِيدَا[1]

(١) وقبله

أأذكرت نفسك مالن يعودا فهاج التذكر قلباً عميدا

تذكرت هنداً وأترابها فأصبحت أزمعت منها صدودا

ونادمت قيصر في ملكه فأوجهني وركبت البريدا

اذا ما ازدحمنا على سكة سبقت الفرانق سبقاً شديدا

يقال حمل فلان فلاناً على البريد اذا هيأ له في كل مرحلة مركوباً ليركبه فاذا وصل الى المرحلة الأخرى نزل عن المعي وركب المرفه وهكذا الى ان يصل الى مقعده • والوجه الرئيس المنظور اليه يقال فلان وجه القوم وهو وجه عشيرته ووجه الشيء نفسه وذاته •• قال أحمد بن جندل

وَنَحْنُ حفزْنا الحَوْفزَانَ بِطَعْنَةٍ ... فافلتَ منها وجهُهُ عتدٌ بهدُ (١)

(١) هكذا بالاصل وفسرها بهامش النسخة أي ضخم •• وقوله قال أحمد بن جندل الخ المعروف ان البيت لسوار بن حبان المنقري قاله يوم جدود والرواية المشهورة

ونحن حفزنا الحوفزان بطعنة ... سقته نجيعاً من دم الجوف أشكلا

وروى ونحن حفزنا الحوفزان بطعنة ... تمج نجيعاً من دم الجوف أشكلا

وبعده وحمران أدته الينا رماحنا ... ينازع غلا في ذراعيه مقفلا

ونسب ابن قتيبة البيتين لجرير وسمي الحوفزان حوفزاناً لأن قيس بن عاصم التميمي حفزه •• قال الجوهري وأما قول من قال انما حفزه بسطام بن قيس فغلط لانه شيباني فكيف يفتخر به جرير وأما قول الآخر

ونحن حفزنا الحوفزان بطعنة ... سقته نجيعاً من دم الجوف آنيا

فهو الأهتم بن سمي المنقري وأول الشعر

لما دعتني للسيادة منقر ... لدى موطن أضحي له النجم باديا

شددت لها أزري وقد كنت قبلها ... أشد لاحناء الأمور إزاريا

ولنعد الى حديث يوم جدود روى عن أبي عبيدة قال قيس بن عاصم هو الذى حفز الحوفزان بن شريك الشيبانى طعنه في استه يوم جدود وكان من حديث ذلك اليوم ان الحارث بن شريك بن عمرو الصلب بن قيس بن شراحيل بن مرة بن همام كانت بينه وبين بنى يربوع موادعة ثم هم بالغدر بهم فجمع بنى شيبان وبنى ذهل واللهازم وقيس بن ثعلبة وتيم الله بن ثعلبة وغيرهم ثم غزا بنى يربوع فنذر به عتيبة بن الحارث ابن شهاب بن شريك فنادى في قومه بنى جعفر بن ثعلبة من بنى يربوع فوادعه وأغار الحارث بن شريك على بنى مقاعس واخوتهم بنى ربيع فلم يجيبوهم فاستصرخوا بنى منقر فركبوا حتى لحقوا بالحارث بن شريك وبكر بن وائل وهم قائلون في يوم شديد

أراد أقلته ونجاه ومنه قولهم انما أفعل ذلك لوجهك ۰ ويدل أيضاً على ان الوجه يعبر به عن الذات قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ووجوه يومئذ باسرة تظن أن يفعل بها فاقرة) ۰۰ وقوله تعالى (وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية) لان جميع ما أضيف الى الوجوه في ظاهر الآى من النظر والظن والرضا لا يصح اضافته على الحقيقة اليها وانما يضاف الى الجملة فمعنى قوله تعالى (كل شئ هالك إلا وجهه) أي كل شئ هالك إلاّ إياه فكذلك قوله تعالى (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) لما كان المراد بالوجه نفسه لم يقل ذى كما قال (تبارك اسم ربك ذى الجلال والإكرام) لما كان اسمه غيره ۰۰ ويمكن في قوله تعالى (كل شئ هالك إلاّ وجهه)

الحر فما شعر الحوفزان إلاّ بالأهتم بن سمى بن سنان بن خالد بن منقر واسم الأهتم سنان وهو واقف على رأسه فوثب الحوفزان الى فرسه فركبه وقال للأهتم من أنت فانتسب له وقال هذه منقر قد أتتك فقال الحوفزان فأنا الحارث بن شريك فنادى الأهتم يا آل سعد ونادى الحوفزان يا آل وائل وحمل كل واحد منهما على صاحبه ولحقت بنو منقر فاقتتلوا أشد قتال وأبرحه ونادت نساء بنى ربيع يا آل سعد فاشتد قتال بنى منقر لصياحهن فهزمت بكر بن وائل وخلوا ما كان فى أيديهم من بنى مقاعس وما كان فى أيديهم من أموالهم وتبعتهم بنو منقر بين قتل وأسر فأسر الأهتم حمران بن عمرو وقصد قيس بن عاصم الحوفزان ولم يكن له همة غيره والحارث على فرس له قارح يدعى الزبد وقيس على مهر فخاف قيس أن يسبقه الحارث فحفزه بالرمح في استه فتحفز به الفرس فنجا فسمى الحوفزان وأطلق قيس أموال بني مقاعس وبنى ربيع وسباياهم وأخذ أموال بكر بن وائل وأساراهم وانتقضت طعنة قيس على الحوفزان بعد سنة فمات وفى هذا اليوم يقول قيس بن عاصم

جزى الله يربوعاً بأسوء فعلها ... اذا ذكرت فى النائبات أمورها
ويوم جدود قد فضحتم ذماركم ... وسالمتموا والخيل تدمى نحورها
ستحطم سعد والرباب أنوفكم ... كما حز فى أنف القضيب جريرها

وجه آخر وقد روى عن بعض المتقدمين وهو أن يكون المراد بالوجه ما يقصد به الى الله تعالى ويوجه به اليه نحو القربة اليه جلّت عظمته فيقول لا تشرك بالله ولا تدع إلهاً غيره فان كل فعل يتقرب به الى غيره ويقصد به سواه فهو هالك باطل وكيف يسوغ للمشبهة أن يحملوا هذه الآية والتى قبلها على الظاهر أو ليس ذلك يوجب انه تعالى يفني ويبقى وجهه وهذا كفر وجهل من قائله .. فأما قوله تعالى (انما نطعمكم لوجه الله) وقوله (إلاّ ابتغاء وجه ربّه الأعلى) وقوله (وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله) فمحمول على ان هذه الأفعال مفعولة له ومقصود بها ثوابه والقربة اليه والزلفة عنده فأما قوله تعالى (فأينما تولوا فثم وجه الله) فيحتمل أن يراد به فثم الله لا على معنى الحلول ولكن على معنى التدبير ..والعلم ويحتمل أيضاً أن يراد به فثم رضى الله وثوابه والقربة اليه ويحتمل أن يكون المراد بالوجه الجهة ويكون الاضافة بمعنى الملك والخلق والانشاء والاحداث لانه عزوجل قال (ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله) أي ان الجهات كلها لله وتحت ملكه وكل هذا واضح بيّن بحمد الله .. أخبرنا أبو الحسن عليّ بن محمد الكاتب قال حدثنا محمد بن يحيي الصولي قال انحدرنا مع المكتفي بالله فى آخر سفرة سافرها للصيد من الموضع المعروف بجبة الى تكريت في خراقة (١) فكانت تجنح كثيراً فيشتد فزع من معه من الجلساء لذلك وكنت أشدهم فزعاً وكان فى الخراقة سواي من الجلساء يحيي بن عليّ المنجم ومتوّج بن محمد بن مروان والقاسم المعروف بابن حبابة وكان يضحك لفزعنا ويقول لقد قسم الله لكم حظاً من الشجاعة جزيلا فقلت له ان البحترى يقول شعراً يصف فيه مثل حالتا ويمدح فيه أحمد بن دينار بن عبد الله وقد غزا الروم في مراكب أوله

أَلَمْ تَرَ تَغْلِيسَ الرَّبِيعِ المبكِّرِ ... وَماحاكَ منْ وَشْيِ الرِّياضِ المنَشَّرِ

فقال له أنشدني الموضع الذى قال هذا فيه منها وكان جيّد العلم بالأشعار حافظاً للأخبار

---

(١) ـ الخراقة ـ سفينة صغيرة فيها الشموع والنار .. وقيل انها من الخرق لانها تخرق الماء ..كذا بهامش الأصل

فأنشده

غَدَوْتَ على الميمونِ صُبْحاً وَإنّما غدا المَرْكبُ الميمونُ تحتَ المُظفّرِ
إذا زَجرَ النوبيُّ فوقَ علاتهِ رأيتَ خَطيباً في ذُؤابةِ مِنبرِ
يَغُضّونَ دُونَ الإشتيامِ عيونَهم وفَوقَ السّماطِ للعظيمِ المؤمَّرِ
إذا ماعلتْ فيهِ الجَنوبُ اعتلى لهُ جَناحُ عُقابٍ في السَّماء مُهجّرِ
إذا ماانكفى في هبوةِ الماءِ خلتَهُ تلفّعَ في اثناءِ بُردٍ مُحبّرِ
وَحولكَ رَكّابونَ للهَولِ عاقروا كؤوسَ الرّدى من دارعينَ وَحُسَّرِ
تَميلُ المَنايا حيثُ مالتْ أكفُّهم إذا اصلتُوا حَدَّ الحديدِ المذكّرِ
اذا أرشقُوا بالنّارِ لم يكُ رشقُهم ليُقلعَ إلاّ عن شِواءٍ مقتّرِ
صدمتَ بهم صهبَ العَثانينِ دُونهم ضِرابٌ كإيقادِ اللّظى المتَسعّرِ
يَسوقونَ إسطولاً كأنّ سفينَهُ سحائبُ صيفٍ من جَهامٍ وَممطرِ
كأنّ ضجيجَ البَحرِ بينَ رِماحِهم إذا إختلفتْ تَرجيعُ عُودٍ مُجرجرِ
تقاربُ من زَحفيهم فَكأنّما تألّفَ من أعنانِ وَحشٍ منفّرِ
على حينَ لا نقعٌ تُطوّحهُ الصَّبا وَلا أرضَ تُلقي للصّريعِ المُقطّرِ (١)
فَما رمتَ حتّى اجلتِ الحربُ عن طُلىً مقصّصةٍ فيهم وَهامٍ مُطيّرِ
وكُنتَ ابنَ كسرَى قبلَ ذاكَ وَبعدَهُ مليّاً بأنْ تُوهي صَفاةَ ابنِ قيصَرِ
جدحتَ لهُ الموتَ الذعافَ فعافَهُ وَطارَ على ألواحِ شَطبٍ مُسمّرِ

(١) ـ المقطّر ـ الملقى على أحد جانبيه .. كذا في هامش الأصل

سَقَى وهو مُوْلِي الرِّيح يَشكرُ فضلَها عليهِ ومن يُولي الصَّنيعةَ يُشكَرِ

قال فاستجاد المكتفي بالله قوله — على حين لا نقع تطوحه الصبا — فقال له يحيي بن على أنشدنى ابن الرومى شعراً له فى هذا المعنى

وَلم أَتعلَّمْ قطُّ من ذِي سباحةٍ سِوَى الغَوصِ والمضعوفُ غيرُ مُغالبِ

وَلِمْ لا ولو أُلقيتُ فيها وصخرةً لوافيتُ منها القعرَ أَوّلَ راسبِ

وأَيسرُ إشفاقي من الماء أَنّني أَمُرُّ بهِ في الكوزِ مرّ الأَجانبِ

واخشى الرّدى منهُ على كلِّ شاربٍ فكيفَ بأمنيهِ على نفسِ راكبِ

فقلت له انما أخذ ابن الرومي بيته الثالث من قول أبي نواس فقال المكتفى بالله فما قال قلت حدثني على بن سراج المصرى قال حدثني أبو وائل النخمي قال حدثنى ابراهيم بن الخصيب قال وقف أبو نواس بمصر على النيل فرأي رجلا قد أخذه التمساح فقال

اضمرتُ للنيلِ هجرانًا ومَقليةً مذ قيلَ لى إنمّا التمساحُ في النيلِ

فمَنْ رأَى النيلَ رأَى العينِ من كثَبٍ

فما أرى النيلَ إلاَّ في البواقيلِ

قال الصولي — والبواقيل — سفن صغار . . ثم أجري المكتفي بعد ذلك ذكر الشيب فقال العرب تقول أظلم من شيب وقد شبت وظلمنى المشيب وشبت ياصولي فقلت جواب عندك في هذا جواب معن بن زائدة الشيباني لجدك المنصور وقد قال له كبرت يامعن فقال في طاعتك يا أمير المؤمنين قال وانك لتتجلد قال على أعدائك قال وفيك بحمد الله بقية قال لخدمتك فنزع المكتفى عمامته فاذا شيبتان فى مقدم رأسه قال لقد غمني طلوع هاتين الشيبتين فقلت له انما يعيش الناس فى الشيب فأما السواد فلا يصحب الناس خالصاً أكثر من أربعين سنة الى الخمسين وقد يعاش في البياض الذي لا سواد فيه ثمانون سنة فأنشده يحيي بن على في معنى طول العمر مع المشيب قول امرئ القيس

أَلا إِنَّ بَعْدَ العُدْمِ لِلْمَرْءِ قِنْوَةً وَبَعْدَ المَشِيبِ طُولَ عُمْرٍ وَمَلْبَسا(١)

وأنشدته أنا أيضاً أبياتاً أنشدها اسحق بن ابراهيم الموصلي لبعض القيسيين

لَمْ يَنْتَقِصْ مِنِّي المَشِيبُ قُلامَةً الآنَ حِينَ ابدأ لَبٌّ وَاكْيَسُ

وَالشَّيْبُ إِنْ يَظْهَرْ فَإِنَّ وَرَاءَهُ عُمْرًا يَكُونُ خِلالَهُ مُتَنَفَّسُ

٠٠[قال الشريف المرتضي] رضي الله عنه أما قول البحتري — مضى وهو مولى الريح — فقد كرر معناه في قوله من قصيدة يمدح بها أبا سعيد الثغري

أَشْلى عَلى منويل أَطْرَافَ القَنَا فَنَجَى عَتِيقَ عَتِيقَةٍ جَرْدَاءِ

فلو انهُ ابطالهنَّ هَنِيئَةً لَصَدَرْنَ عَنْهُ وَهُنَّ غَيْرُ ظِمَاءِ

وَلَئِنْ تَبَقَّاهُ القَضَاءُ لِوَقْتِهِ فَلَقَدْ عَمَمْتَ جُنُودَهُ بِفَنَاءِ

---

(١) هو من قطعته التي أولها

تأوبني دائي القديم فغلسا أحاذر أن يرتد دائي فأنكسا

٠٠ ومنها

فإما تريني لا أغمض ساعة من الليل إلاّ أن أكب فأنعسا

فيارب مكروب كررت وراءه وطاعنت عنه الخيل حتي تنفسا

وما خفت تبريح الحياة كما أري تضيق ذراعي أن أقوم فألبسا

فلو أنها نفس تموت جميعة ولكنها نفس تساقط أنفسا

وبدلت قرحاً دامياً بعد صحة لعل منايانا تحولن أبؤسا

لقد طمح الطماح من بعد أرضه ليلبسنى من دائه ما تلبسا

وسبب هذه القطعة ان امرأ القيس استنجد قيصر ملك الروم فى حربه لبنى أسد المشهورة فأمده بجيش عظيم فلما انفصل عنه وشى به رجل من بني أسد يقال له الطماح الى قيصر فبعث اليه بحلة وشي مسمومة منسوجة بالذهب فلما وصلت اليه لبسها واشتد سروره بها فأسرع فيه السم وسقط جلده فلذلك سمي ذا القروح فقال هذه القطعة

وأظنه أخذ هذا المعنى من قول أبي تمام في قصيدة يمدح بها المعتصم ويذكر فتح الحرمية

لَوْلاَ الظَّلاَمُ وَقُلَّةٌ عَلِقُوا بِهَا ... بَاتَتْ رِقَابُهُمُ بِغَيْرِ قِلاَلِ

فَلْيَشْكُرُوا جُنْحَ الظَّلاَمِ وَدَرْوَزًا ... فَهُمُ لِدَرْوَزٍ وَالظَّلاَمِ مَوَالِي

وقد أخطأ الصولي في تفسير بيت أبي نواس بان البواقيل سفن صغار لأن البواقيل جمع بوقال وهو آلة على هيئة الكوز معروفة تعمل من الزجاج وغيره ٭ وهذا مثل قول ابن الرومي

أَمُرُّ بِهِ فِي الكُوزِ مَرَّ المُجَانِبِ

وانما أراد انني لا أمر بماء النيل إلاّ اذا أردت شربه في كوز أو بوقال وما أشبه ذلك وأظن انه استمر عليه الوهم من جهة قوله فما أري النيل وصرف ذلك الى انه أراد النيل على الحقيقة وانما أراد ماء النيل وما علمت ان السفن الصغار يقال لها بواقيل إلاّ من قول الصولي هذا ولو كان ما ذكره صحيحاً من ان ذلك اسم لصغار السفن لكان بيت أبي نواس بما ذكرناه أشبه وأليق وأدخل في معنى الشعر وكيف يدخل شبهة في ذلك مع قوله ـ فمن رأي النيل رأى العين من كثب ـ ومن رأى النيل في السفن فقد رآه من كثب ومن رأى ماءه في الآنية على بعد فلا يكون رائياً له من كثب ٭٭ فأما مدح الشيب وتفضيله على الشباب فقد قال فيه الناس وأكثروا فمما تقدم من ذلك قول رؤبة بن العجاج ويقال ان رؤبة لم يقل من القصيدة إلاّ هذين البيتين

أَيُّهَا الشَّامِتُ المُعَيِّرُ بِالشَّيْـ ... ـبِ أَقِلَّنَّ بِالشَّبَابِ افْتِخَارَا

قَدْ لَبِسْتُ الشَّبَابَ غَضًّا جَدِيدًا ... فَوَجَدْتُ الشَّبَابَ ثَوْبًا مُعَارَا

ولعلي بن جبلة

جَفَى طَرَبَ الفِتْيَانِ وَهْوَ طَرُوبُ ... وَاعْقَبَهُ قُرْبَ الشَّبَابِ مَشِيبُ

تَجَافَتْ عُيُونُ البِيضِ عَنْهُ وَرُبَّمَا ... مَدَدْنَ الَيْهِ الوَصْلَ وَهْوَ حَبِيبُ

لعَمْرِي لَنِعمَ الصاحبُ الشيْبُ واعظا وإنْ كانَ منهُ للعيونِ نُـكُوبُ
خليطٌ نُهىً مَنْباةُ حلمٍ وإنّهُ على ذاكَ مكرُوهُ الخلاطِ مُرِيبُ

ولآخر

وتَنَكّرَتْ شَيبي فقُلْتُ لَها ليسَ الشّبابُ بناقصٍ عُمْرِي
سِيّانِ شَيْبِي وَالشّبابُ إذَا ما كُنْتُ من عُمُرِي على قَدَرِ

ولآخر

إنْ أكُنْ قَدْ زَرَتْ أسْوَدَ كالفحْـ ـمِ واعقَبْتُ مِثْلَ لونِ النّعامَهْ
فلقَدْ أُسْعِفُ الـكَرِيمَ وَاحبُو أهلَهُ بالنّدَى وآبَى الظُّلامَهْ
غيرَ أنَّ الشّبابَ كانَ رِداءً خانَنا فيؤُهُ كفيْءِ الغَمامَهْ

ولآخر

إنَّ المَشيبَ رِداءُ الحِلمِ وَالأدَبِ كما الشّبابُ رِداءُ الجَهلِ واللّعِبِ
تَعجَّبَتْ أنْ رَأتْ شَيْبِي فقُلْتُ لَها لاَ تَعجَبِي من يَطُلْ عُمْرٌ بهِ يَشِبِ

ولابن الجهم

حَسَرَتْ عنّيَ القِنَاعَ ظَلُومُ وَتَوَلّتْ وَدَمعُها مَسجُومُ
أنكَرَتْ ما رَأتْ بِرَأسِي فقالتْ أمَشيبٌ أمْ لُؤلُؤٌ مَنظُومُ
قلتُ شَيْبٌ وليسَ عيبًا فانّتْ أنّةً يَستَثيرُها المَهمُومُ
شدّ ما أنكَرَتْ تَصَرُّمَ عَهدٍ لَمْ تَدُمْ لِي وَأيُّ حالٍ يَدُومُ

ولأبي هفان

تَعَجّبَتْ دُرٌّ من شَيْبِي فقلتُ لها لاَ تَعجَبِي فطُلُوعُ الشّيبِ في السُّدَفِ

وَزادَها عَجَبًا لما رَأَتْ سَمَلِي ... وما دَرَتْ دُرُّ أنَّ الدُّرَّ في الصَّدَف (١)

وقد أحسن أبو تمام غاية الاحسان فى قوله

أَبدَتْ أَسىً إِذْ رَأَتْني مُخلَسَ القَصَبِ ... فآلَ ما كانَ من عُجْبٍ الى عَجَبِ

سِتٌّ وعِشْرُونَ تَدْعُوني فأتبعُها ... إلى المَشِيب ولمْ تَظلِمْ ولمْ تَحبِ

فلاَ يُؤرِّقكِ إِيمَاضُ القَتيرِ بهِ ... فإنَّ ذَاكَ أَبتِسامُ الرَّأْيِ والأَدَبِ

وللبحتري

عيرَّتني المَشيبَ وَهيَ بدَتْهُ ... في عِذَاري بالصَدِّ والإِجتِنابِ

لاَ تَرَيهِ عارًا فَماهُوَ بالشَّيْـ ... ـبِ وَلَكِنَّهُ جلاءُ الشَّبَابِ

وَبَياضُ البَازِيِّ اصدَقُ حُسْنًا ... إِنْ تأَمَّلتَ منْ سَوَادِ الغُرَابِ (٢)

---

(١) السمل محركة الثوب الخلق ويقال أيضا ثوب أسمال فمن النحويين من جعل أسمالا مفردا لانه صفة ثوب والصحيح انه على التأويل بالجمع أى أنواع الثوب اسمال ومثل ذلك برمة أعشار لان أفعالا لم يثبت فى المفرد وانما هو جمع

(٢) الابيات من قصيدة يمدح بها اسماعيل بن شهاب مطلعها

ماعلى الركب من وقوف الركاب ... فى مغاني الصبا ورسم التصابي

أين أهل القباب بالاجرع الفر ... د تولوا لا أين أهل القباب

سقم دون أعين ذات سقم ... وعذاب دون الثنايا العذاب

وكمثل الاحباب لو يعلم العا ... ذل عندي منازل الأحباب

فاذا ما السحاب كان ركاماً ... فسقى بالرباب دار الرباب

واذا هبت الجنوب بسقيا ... فعلى رسم دارها والجناب

عيرتني المشيب .. الابيات الثلاثة .. وبعده

عذلتني في قومها واسترابت ... جيئتي في سواهم وذهابي

ورأت عند غيرهم من مديحي ... مثل ما كان عندهم من عتابي

هاهوَ الشيبُ لاَئماً فأفيقي ... وَاتْرُكيهِ إنْ كانَ غيرَ مفيقِ
فلقدْ كفَّ عنْ عناءِ المعنّى ... وتلافيْ من إشتياقِ المشوقِ
عذلتنا في عشقِها أمُّ عمرٍو ... هلْ سمعتمْ بالعاذلِ المعشوقِ
ورأتْ لمَّةً ألمَّ بها الشيـ ... ـبُ فريعتْ من ظلمةٍ في شروقِ
ولعمري لولا الأقاحي لأبصرْ ... تِ أنيقَ الرياضِ غيرَ أنيقِ
وسوادُ العيونِ لو لم يكمَّلْ ... ببياضٍ ما كانَ بالموموقِ
ومزاجُ الصهباءِ بالماءِ أولى ... بصبوحٍ مستحسنٍ وغبوقِ
أيُّ ليلٍ يبهى بغيرِ نجومٍ ... أو سماءٍ تندى بغيرِ بروقِ

ويشبه ان يكون أخذ قوله ــ أي ليل يبهي بغير ــ نجوم من قول الشاعر

أشيبٌ ولم أقضِ الشبابَ حقوقَهُ ... ولم يمضِ من عهدِ الشبابِ قديمُ
رأتْ وضحاً في مفرقِ الرأسِ راعها ... وشتّانَ مبيضٌّ به وبهيمُ

ليس من غضبة عليهم ولكن ... هو نجم يعلو مع الكتاب
شيعة السؤدد القريب واخوا ... ن التصافي واخوة الآداب
هم أولو المجد إن سالت فان كا ... ثرت كانوا هم أولى الالباب
ومتى كنت صاحبا لذوى السؤ ... د يوما فانهم أصحابي
وكفاني إذ الحوادث أظلمـ ... ـن شهابا بغرة بن شهاب
سبب أول على جود اسما ... عيل أغنى عن سائر الاسباب
لااستهلت سماؤه فمطرنا ... ذهبا في انهلال ذاك الذهاب
لا يزور الوفاء غبا ولا يعـ ... ـشق غدر النعال عشق الكعاب
مستعيد على اختلاف الليالي ... نسقا من خلائق أتراب

تفاريقُ شيبٍ في الشبابِ لوامعٌ وَما حُسْنُ ليلٍ ليسَ فيهِ نجُومُ

ولمحمود الوراق في مثل هذا المعنى قوله

ما الدُرُّ منظوماً بأحسنَ منْ شيْبٍ يحلّل هامةَ الكهْلِ
فكأنّهُ فيها النُّجُومُ إذَا جدَّ المسيرُ بها على مهْلِ
لاَ تبْكِينَ على الشّبابِ إذَا بكى الجهُولُ عليهِ للجهلِ
واشكُرْ لشيْبكَ حسْنَ صحْبتهِ فلقدْ كساكَ جلالةَ الفضْلِ

ولآخر في مدح الشيب

لاَ يرُعْكِ المشيبُ يا ابْنةَ عبدِ اللهِ فالشّيْبُ حلْيةٌ وَوَقارُ
إنّما تحْسُنُ الرّياضُ إذَا ما ضحِكتْ في خلاَلِها الأنْوارُ

٥٥ [قال الشريف رحمه الله] ولي في هذا المعنى من قصيدة

جزِعتْ لوَخطاتِ المشيبِ وإنّما بلَغَ الشّبابُ مدَا الكمَالِ فنوّرَا
وَالشيْبُ إنْ فكّرْتَ فيهِ موْرِدٌ لاَ بُدّ يُورِدُهُ الفتَى إنْ عُمّرَا
يبْيضُّ بعْدَ سوَادِهِ الشّعرُ الّذي إنْ لمْ يزُرْهُ الشّيْبُ واراهُ الثرى

وممن عدل بين الشباب والشيب ومدح كل واحد منهما طريح بن اسمعيل الثقفي فقال

وَالشّيْبُ للحُكماءِ منْ سفَهِ الصّبا بدَلٌ يكونُ لذِى الفضيلةِ مقْنَعُ
وَالشّيْبُ غايةُ منْ تأخّرَ حيْنُهُ لاَ يستطيعُ دِفاعهُ منْ يجْزَعُ
إنّ الشّبابَ لهُ لذَاذةُ جِدّةٍ وَالشّيْبُ مِنْهُ في المغبةِ أنْفعُ
لاَ يبعِدِ اللهُ الشبابَ فمرْحبا بالشّيْبِ حينَ أوَى اليهِ المضْجَعُ

ومثله لآخر

وكانَ الشّبابُ الغضُّ لي فيهِ لذّةٌ فزَحزَحنى عنْهُ المشيبُ وأدّبا

فسقياً ورعياً للشباب الذي مضى   وأهلاً وسهلاً بالمشيب ومرحبا

مجلس آخر ٤٦

[تأويل آية] •• إن سأل سائل عن قوله تعالى (واذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي اذا دعاني) الآية •• فقال كيف ضمن الاجابة وتكفل بها وقد نرى من يدعو فلا يجاب •• الجواب قلنا في ذلك وجوه •• أولها أن يكون المراد بقوله تعالى (أجيب دعوة الداعي) أي أسمع دعوته ولهذا يقال للرجل دعوت من لا يجيب أي من لا يسمع وقد يكون أيضاً يسمع بمعنى يجيب كما كان يجيب بمعنى يسمع يقال سمع الله لمن حمده يراد به أجاب الله من حمده ••وأنشد ابن الاعرابي

دَعَوْتُ اللهَ حتى خِفْتُ أن لا   يكُونَ اللهُ يَسْمَعُ ما أقُولُ

أراد يجيب ما أقول •• وثانيها انه تعالى لم يرد بقوله تعالى قريب من قرب المسافة بل أراد انني قريب باجابتي ومعونتي ونعمتي أو لعلمي بما يأتي العبد ويذر وما يسر ويجهر تشبيهاً بقرب المسافة لأن من قرب من غيره عرف أحواله ولم يخف عليه ويكون قوله تعالى أجيب على هذا تأكيداً للقرب فكأنه أراد إنّي قريب قرباً شديداً وإنني بحيث لا يخفى على أحوال العباد كما يقول القائل اذا وصف نفسه بالقرب من صاحبه والعلم بحاله أنا بحيث أسمع كلامك وأجيب نداءك أو ما جرى هذا المجرى •• وقد روى ان قوماً سألوا الرسول صلى الله عليه وسلم فقالوا له ربنا قريب فنناجيه أم بعيد فنناديه فأنزل الله تعالى هذه الآية •• وثالثها أن يكون معنى هذه الآية إنى أجيب دعوة الداعي اذا دعاني على الوجه الصحيح وبالشرط الذي يجب أن يقارن الدعاء وهو أن يدعو باشتراط المصلحة ولا يطلب وقوع ما يدعو به على كل حالٍ ومن دعا بهذا الشرط فهو مجاب على كل حال لانه ان كان صلاحاً فعل ما دعا به وان لم يكن صلاحاً لم يفعله لفقد شرط دعائه فهو أيضاً مجاب الي دعائه •• ورابعها أن يكون معنى دعاني أي عبدني وتكون

الاجابة هي الثواب والجزاء على ذلك فكأنه تعالى قال إنني أثيب العباد على دعاهم لي وهذا مما لا اختصاص فيه ٠٠ وخامسها ما قاله قوم من ان معنى الآية ان العبد اذا سأل الله تعالى شيئاً في إعطائه صلاح فعل به وأجابه اليه وان لم يكن في إعطائه إياه في الدنيا صلاحٌ وخير لم يعطه ذلك في الدنيا وأعطاه إياه في الآخرة فهو مجيب لدعائه على كل حال ٠٠ وسادسها انه تعالى اذا دعاه العبد لم يخل من أحد أمرين إمّا أن يجاب دعاؤه وإمّا أن يجاب له بصرفه عما سأل ودعا فحسن اختيار الله له يقوم مقام الاجابة فكأنه يجاب على كل حالٍ وهذا الجواب يضعف لأن العبد ربما سأل مافيه صلاحٌ ومنفعة له في الدنيا وان كان فيه فساد في الدين لغيره فلا يعطي ذلك لأمر يرجع اليه لكن لما فيه من فساد غيره فكيف يكون مجاباً مع المنع الذى لايرجع اليه منه شيءٌ من الصلاح اللهم إلاّ أن يقال انه دعاء مشروط بأن يكون صلاحاً ولا يكون فساداً وهذا مما تقدم ومعنى قوله تعالى (فليستجيبوا لي) أى فليجيبوني وليصدقوا رسلى ٠٠ قال الشاعر

وَدَاعٍ دَعَا يامنْ يُجِيبُ إلى النَّدَى   فلمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَاكَ مُجِيبُ
فقلتُ ادْعُ أُخرَى وارْفَعِ الصَّوْتَ ثانياً   لعَلَّ أَبِي المِغْوَارِ مِنْكَ قَرِيبُ (١)

(١) قوله ـ لعل أبي المغوار ـ بجرابي على لغة عقيل فان لعل عندهم تجر فى أربع لغات من لغاتها أي ثابتة الأول ومحذوفته مفتوحة الآخر ومكسورته وأما بقية لغات لعل فلا يجر بها عندهم وأبو المغوار بكسر الميم وسكون الغين المعجمة اسمه شبيب وروى * فقلت ادع أخرى وارفع الصوت دعوة * بالنصب على التعليل وروى أبو المغوار بالنصب على أصله وهذان البيتان من قصيدة لكعب بن سعد الغنوي يرثى أخاه شبيباً أولها

تقول سليمي مالجسمك شاحباً   كأنك يحميك الطعام طبيب
فقلت ولم أعى الجواب لقولها   وللدهر فى صم السلام نصيب
تتابع احداث تخرّ منَ اخوتى   وشيبن رأسي والخطوب تشيب
لعمري لئن كانت أصابت مصيبة   أخى والمنايا للرجال شعوب
لقد كان أما حلمه فروح   علينا وأما جهله فعزيب

أي لم يجبه •• [قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه وإذ كنا قد ذكرنا في المجالس المتقدمة لهذا المجلس طرفاً من الشعر فى تفضيل الشيب وتقديمه والتعزّي عنه والتسلي عن نزوله فنحن متبعوه بطرف مما قيل في ذمّه والتألم به والجزع منه •• فمن ذلك قول أبي حيّة النميرى

تَرَحَّلَ بالشَّبابِ الشَّيبُ عنَّا ... فليتَ الشَّيبَ كانَ بِهِ الرَّحِيلُ
وَقَدْ كانَ الشَّبابُ لَنا خَليلاً ... فقَدْ قَضَى ما رِبَهُ الخَليلُ
لعمرُ أبي الشَّبابِ لقَدْ تَوَلَّى ... حَميدًا ما يُرادُ بِهِ بَديلُ
إذِ الأَيَّامُ مقْبلَةٌ علينا ... وَظِلُّ أَراكَةِ الدُّنْيا ظَليلُ

وقال الفرزدق

أرَى الدَّهرَ أيامُ المَشيبِ أَمَرُّهُ ... علينا وأَيامُ الشَّبابِ أطايِبهْ
وَفي الشَّيبِ لَذَّاتٌ وَقُرَّةُ أعيُنٍ ... وَمنْ قَبلِهِ عَيشٌ تَعَلَّلَ جاذِبهْ
إذا نازَلَ الشَّيبُ الشَّبابَ فاصلَتا ... بِسيفيهِما فالشَّيبُ لا شكَّ غالبهْ

•• ومنها

فان تكن الأيام أحسنّ مرة ... اليّ فقد عادت لهن ذنوب

الى ان قال

وداع دعا يامن يجيب الى الندى ... فلم يستجبه عند ذاك مجيب
فقلت ادع أُخرى وارفع الصوت جهرة ... لعلّ أبى المغوار منك قريب
يجبك كما قد كان يفعل إنه ... نجيب لأبواب العلاء طلوب

قال أبو عليّ القالي فى الأمالي بعض الناس يروى هذه القصيدة لكعب بن سعد الغنوي وهو من قومه وليس بأخيه والمرثي بهذه القصيدة يكنى أبا المغوار واسمه هرم وبعضهم يقول اسمه شبيب ويحتج ببيت روي فى هذه القصيدة * أقام وخلى الظاعنين شبيب *

فياخيرَ مهزومٍ ويا شرَّ هازمٍ إذا الشيبُ وافت للشبابِ كتائبُهْ
وليس شبابٌ بعد شيبٍ براجعٍ مدى الدهرِ حتى يَرجعَ الدرَّ حالبُهْ
وما المرءُ منفوعاً بتجريبِ واعظٍ إذا لم تعظْهُ نفسُهُ وتجاربُهْ

وأنشد اسحاق الموصلي

لعمري لئن حُلِّئتُ عن منهلِ الصبا لقد كنتُ وَرّاداً لمشربِهِ العذبِ
ليالي أمشي بين بُردَيَّ لاهياً أميسُ كغصنِ البانةِ الناعمِ الرطبِ
سلامٌ على سيرِ القلاصِ مع الركبِ ووصلِ الغواني والمدامةِ والشربِ
سلامُ امرىءٍ لم تبقَ منهُ بقيةٌ سوى نظرِ العينينِ أو شهوةِ القلبِ

ولمنصور النمري

ما تنقضي حسرةٌ مني ولا جزَعُ اذا ذكرتُ شباباً ليس يرتجعُ
بانَ الشبابُ ففاتتني بشرّتهِ صروفُ دهرٍ وأيامٍ لها خِدَعُ
ما كنتُ أوفي شبابي كنهَ غرّتهِ حتى انقضى فاذا الدنيا لهُ تبعُ (١)

---

(١) هذه الأبيات من قصيدة يمدح بها الرشيد روى انه دخل عليه وكان عنده الكسائي فقال له الرشيد أنشدني فأنشده قوله * ما تنقضي حسرة * البيت فتحرك الرشيد ثم أنشده حتى انتهى الى قوله

ما كنت أوفي شبابي كنه غرته حتى انقضى فاذا الدنيا له تبع

فطرب الرشيد وقال أحسنت والله وصدقت لا والله لا يتهنى أحد بعيش حتى يخطر في رداء الشباب وأمر له بجائزة سنية ومن أبياتها الحسان قوله

أي امرىء بات من هارون في سخط فليس بالصلوات الخمس ينتفع
ان المكارم والمعروف أودية أحلك الله منها حيث يتسع

ولمحمد بن أبي حازم

عَهْدَ الشبابِ لقدْ أبقيتَ لي حزَنا   ماجدّ ذِكْرُكَ الاّ جدّلي ثُكلُ
سقيا ورعياً لأيّام الشبابِ وإنْ   لمْ يبقَ منكِ لهُ رَسمٌ ولاَ طَلَلُ
جرّ الزمانُ ذيولاً في مفارقهِ   وللزمانِ على إحسانهِ عِللُ
ورُبّما جرّ اذيالَ الصِّبا مرَحاً   وبينَ بُرْدَيْهِ غُصنٌ ناعِمٌ خَضِلُ
لاَ تكذِبَنّ فما الدُّنيا بأجمَعها   منَ الشَّبابِ بيومٍ واحدٍ بدَلُ
كَفاكَ بالشّيْبِ عيباً عِندَ غانِيةٍ   وبالشَّبابِ شفيعاً أيُّها الرَّجلُ

اذا رفعت امرأ فالله يرفعه   ومن وضعت من الأقوام متضع
نفسي فداؤك والأبطال معلمة   يوم الوغى والمنايا صابها فزع

روى ان البيدق دخل على الرشيد وعنده الفضل بن الربيع ويزيد بن مزيد وبين يديه خوان لطيف عليه جرمان ورغيفان سميد ودجاجتان فقال لي أنشدني قال البيدق فأنشدته قصيدة النمرى العينية فلما بلغت الى قوله

* أي امرئ بات من هارون في سخط * الأبيات الأربعة قال فرمي بالخوان بين يديه وصاح وقال هذا والله أطيب من كل طعام وكل شئ وبعث اليه بسبعة آلاف دينار قال البيدق فلم يعطني منها مايرضيني وشخص الى رأس العين فأغضبني وأحفظني فأنشدت هرون قوله

ساد من الناس راتع هامل   يعللون النفوس بالباطل

فلما بلغت الى قوله

ألا مساعير يغضبون لها   بسلة البيض والقنا الزابل

قال أراه يحرض علي ابعثوا اليه من يجئ برأسه فكلمه فيه الفضل بن الربيع فلم يغن كلامه شيئاً وتوجه اليه الرسول فوافاه في اليوم الذى مات فيه ودفن وروى من غير هذا الوجه ان العتابي سئل عن سبب غضب الرشيد عليه فقال استقبلت منصورا

ولأبي نواس

كانَ الشَّبابُ مَطيَّةَ الجَهْلِ　　　وَمُحَسِّنَ الضَّحِكَاتِ وَالهَزْلِ

كانَ الجَميلَ إِذَا ارْتَدَيْتُ بهِ　　　وَمَشَيْتُ اخطُرُ صيِّتَ النَّعْلِ

كانَ البَليغَ إِذَا نَطقتُ بهِ　　　وَأَصاخَتِ الآذَانُ للمُمْلي

كانَ المشَفَّعَ في مآرِبهِ　　　عِندَ الحسَانِ وَمُدْرِكَ التَّبْلِ

والبَاعِثي وَالنَّاسُ قدْ هجَعُوا　　　حتَّي أَتَيْتُ حَلِيلَةَ البَعْلِ

النمري يوماً من الأيام فرأيته مغموماً واجماً كئيباً فقلت له ماخبرك فقال تركت امرأتي تطلق وقد عسر عليها ولادها وهي يدي ورجلي والقيمة بأمري وأمر منزلي فقلت له لم لا تكتب على فرجها هرون الرشيد قال ليكون ماذا قال لتلد على المكان قال وكيف ذاك قلت لقولك

ان أخلف الغيث لم تخلف مخائله　　　أو ضاق أمر ذكرناه فيتسع

فقال لي يا كشخان والله لئن تخلصت امرأتي لأذكر قولك هذا للرشيد فلما ولدت امرأته خبر الرشيد بما كان بيني وبينه فغضب لذلك وأمر بطلبي فاستترت عند الفضل بن الربيع فلم يزل يسئله فيّ حتى أذن لي في الظهور فلما دخلت عليه قال لي قد بلغني ما قلته للنمري فاعتذرت اليه حتى قبل ثم قلت والله ياأمير المؤمنين ماحمله على التكذب عليّ إلاّ وقوفي على ميله للعلوية فان أراد أمير المؤمنين ان أنشده شعره في مديحهم فعلت فقال أنشدني فأنشدته قوله

شاد من الناس راتع هامل　　　يعللون النفوس بالباطل

حتى بلغت الى قوله

الا مساعير يغضبون لهم　　　بسلة البيض

فغضب من ذلك غضباً شديداً وقال للفضل بن الربيع احضره الساعة فبعث الفضل في ذلك فوجده قد توفي فأمر بنبشه ليحرقه فلم يزل الفضل يلطف له حتى كف عنه

وَالآمِرِى حتَّي اذا عزَمَتْ ... نَفسي أعانَ عليَّ بالفِعلِ
فالآنَ صِرتُ الى مُقَارِبَةٍ ... وَحَطَطتُ عنْ ظَهرِ الصِّبا رحلي

[قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه وعلى هذا الكلام حسن طلاوة ومسحة من اعرابي ليستا لغيره •• ولبشار

الشَّيبُ كُرْهٌ وكُرْهٌ أنْ يفَارِقَني ... أعْجِبْ بِشَىءٍ على البَغضَاء مَوْدُودِ
يَمْضي الشَّبابُ وَيأتِي بَعْدَهُ خَلَفٌ ... وَالشَّيبُ يَذْهبُ مَفقُودًا بِمفقُودِ

وهذا البيت الأخير يروى لمسلم بن الوليد الأنصارى •• ومما أحسن فيه مسلم فى هذا المعنى قوله

طَرَفَتْ عيُونَ الغَانِيَاتِ وَربما ... أمْلَنَ إليَّ الطَّرْفَ كلَّ مَمِيلِ
وماالشَّيبُ إلاَّ شَعْرَةٌ غَيرَ أنَّهُ ... قَليلٌ قَذَاةِ العَيْنِ غيرُ قَليلِ

ولآخر

أهلاً بِوَافِدَةٍ لِلشَّيبِ وَاحِدَةٍ ... وإنْ تَرَاءتْ بِشَخصٍ غيرِ مَوْدُودِ
لاَ أجْمَعُ الحِلْمَ والصَّهباءَ قدْ سكَنَتْ ... نَفسِي الى الماءِ عنْ ماءِ العَنَاقِيدِ
لم يَنْهَنِي كِبَرٌ عنها وَلاَ فَنَدٌ ... لَكنْ صَحَوْتُ بِغُصنٍ غيرِ مَمْدُودِ
أوْفَي بِي الحِلْمَ واقْتَادَ النُّهَى طَلَقًا ... شَأوِي وَعِفتُ الصِّبا منْ غيرِ تَفْنِيدِ

ولقد أحسن دعبل فى قوله يصف الشباب والشيب

كانَ كَحْلاً لماَ قِيها فَقدْ ... صارَ بالشَّيْبِ لِعَيْنَيْهَا قَذَا

ولغيره

رَأتْ طَالِعًا للشَّيْبِ أغفَلْتُ أمْرَهُ ... فَلَمْ تَتَعَهَّدْهُ أكُفُّ الخَوَاضِبِ
فَقالَتْ أشَيبٌ ما أرَى قُلْتُ شَامَةٌ ... فَقالَتْ لَقَدْ شَامَتْكَ عِنْدَ الحَبائِبِ

ولمحمود الورّاق ويروي لمحمد بن أبي حازم

أليسَ عجيبًا بأنّ الفتى يُصاب ببعض الذي في يديه
فمنْ بينِ باكٍ له مُوجَعٍ وبينَ مُعزٍّ مُعزٍّ اليه
ويُسلبُهُ الشيبُ شرخَ الشبابِ فليسَ يُعزّيهِ خلقٌ عليه

ولأبي دُلَف

في كلِّ يوم أرى بيضاءَ طالعةً كأنّما طلعتْ في أسودِ البصرِ
لئنْ قصصتُكِ بالمقراضِ عن بصري
لما قصصتُكِ عن همّي وعن فكري

وليحيي بن خالد بن برمك ويروى لغيره

الليلُ شيّبَ والنهارُ كلاهما رأسي بكثرةِ ماتدورُ رحاهما
يتناهبانِ نفوسنا ودماءنا ولحومنا عمدًا ونحنُ نراهما
والشيبُ إحدى الميتتينِ تقدّمتْ أولاهما وتأخّرتْ أخراهما

وقد أتى الفحلان المبرزان أبو تمام وأبو عبادة في هذا المعنى بكل غريب عجيب ٠٠ فمن ذلك قول أبي تمام

لئنْ جزعَ الوحشيُّ منها لرؤيتي لإنسيُّها منْ شيبِ رأسي أجزعُ
غدا العمرُ مختطًّا بفوديَّ خطّةً طريقُ الردى منها إلى الموتِ مهيَعُ
هوَ الزورُ يُجفى والمعاشرُ يُجتوى وذو الإلفِ يُقلى والجديدُ يُرقّعُ
لهُ منظرٌ في العينِ أبيضُ ناصعٌ ولكنّهُ في القلبِ أسودُ اسفعُ
ونحنُ نُرجّيهِ على السخطِ والرضي وأنفُ الفتى منْ نفسهِ وهوَ أجدعُ

٥٥ وله

أصبحتْ رَوضةُ الوصالِ هشيماً وغدَتْ ريحُهُ البليلُ سَمُوما
شُعلةٌ في المَفارِقِ استودَعتني في صميمِ الفُؤادِ ثُكلاً صميما
تستثيرُ الهمومُ ما اكتنَّ منها صعُدًا وهي تستثيرُ الهُموما
غِرَّةٌ غرَّةٌ ألا إنما كُنْـ ـتُ أغرًّا أيامَ كُنتُ بَهيما
دِقةٌ في الحياةِ تُدعى جلالاً مثلَ ما سُمّيَ اللَّديغُ سَليما
حلَّمَتني زعمتمُ وأراني قبلَ هذا التحلُّمِ كُنتُ حليما

٠٠ وله

لَعِبَ الشيبُ بالمَفارقِ بل جَـ ـدَّ فأبكى تُماضرًا ولَعوبا
خضبَتْ خدَّها إلى لؤلؤِ العِقْـ ـدِ دَماً أن رأتْ شواتي خَضيبا
كلُّ داءٍ يُرجى الدواءُ له إلاَّ الـ ـفظيعَينِ مِيتةً ومَشيبا
يا نسيبَ الثَّغامِ ذَنبُكَ أبقى حسناتي عندَ الحِسانِ ذُنوبا
ولئِن عِبنَ ما رأينَ لقد أنكرنَ مُستنكَرًا وعِبنَ مَعيبا
أو تصدَّعنَ عن قِلًى لكفى بالـ ـشيبِ بيني وبينهنَّ حسيبا
لو رأى اللهُ أنَّ للشيبِ فضلاً جاوَرَتهُ الأبرارُ في الخُلدِ شِيبا

[قال الشريف المرتضى] رضي الله عنه ٠٠ وجدت الآمدي يذكر ان قوماً ادعوا المناقضة على أبي تمام في هذه الابيات بقوله ٭ فابكا تماضرا ولعوبا ٭ وقوله

خضبت خدها الى لؤلؤ العقـ ـدِ دماً أن رأت شواتي خضيبا
يا نسيب الثغام ذنبـك أبقى حسناتي عند الحسان ذنوبا

وقوله ٭ ولئن عبن ما رأين لقـد ٭ قالوا كيف يبكين دماً على شيبه ثم يعبنه ٠٠ قال الآمدي وليس ههنا تناقض لأن الشيب انما أبكي تماضرا ولعوب أسفاً على شبابه والحسان

اللواتي عبنه غير هاتين المرأتين فيكون من أشفق عليه من الشيب منهن وأسف على شبابه بكى كما قال الأخطل

لما رأت بدلَ الشبابِ بكتْ لهُ　　إنَّ المشيبَ لأرذَلُ الأبدالِ

ولم يكن هذه حال من عابه قال وهذا مستقيم صحيح ٠٠[قال الشريف المرتضى]رضى الله عنه وليس يحتاج فى العذر لأبي تمام الى ما تكلفه الآمدي بل المناقضة زائلة عنه على كل حال ٠٠ وان كان من قد بكي شبابه وتلهف عليه من النساء هن اللواتي أنكرن مشيبه وعبنه به وما المنكر من ذلك وكيف يتناقض أن يبكي على شبابه ونزول شيبه منهن من رأى الشيب ذنباً وعيباً منكراً وفى هذا غاية المطابقة لانه لا يبكي الشيب ويجزع من حلوله وفراق الشباب إلاّ من رآه منكراً ومعيباً ٠٠ وقال أبو تمام

راحتْ غوانِي الحيِّ عنكَ غوانيا　　يلبسنَ نأياً تارةً وصدُودا
من كلِّ سابغةِ الشبابِ إذا بدتْ　　تركتْ عميدَ القريتينِ عميدا
أربينَ بالمردِ الغطارفِ بدْنا　　غيدا ألفنهمُ لدانا غيدا
أحلى الرجالِ من النساءِ مواقعاً　　من كانَ أشبهُهمْ بهنَّ خدودا

اوقوله ــ أربين بالمرد ــ من أرب بالشيء اذا لزمه وأقام عليه يقال أربَّ وألبَّ بالمكان اذا أقام فيه ولزمه يريد انهن لزمن هوى المرد وأقمن عليه ٠٠ ورواه قوم أربين بالمرد من لربا الذي معناه الزيادة يقال قد أربا الرجل اذا ازداد فيقول أربين بالمرد أي ازددن علينا بهم وجعلن المرد زيادة اخترنها علينا ٠٠ ويقال انه أخذ قوله ــ أحلى الرجال من النساء ــ البيت من قول الأعشى

وأرى الغواني لا يواصلنَ امرأً　　فقدَ الشبابَ وقد يصلنَ الأمردا[1]

(١) وقبله

أثوى وقصّر ليله ليزوّدا　　فمضى وأخلف من قتيلة موعدا

ولمنصور النمري قوله

كرهن من الشيب الذي لو رأينه ... بهن رأيت الطرف عنهن أزورا

وقول الآخر

أرى شيب الرجال من الغواني ... كموقع شيبهن من الرجال

٥٥ وقال أبو تمام

شاب رأسي وما رأيت مشيب الرأس إلا من فضل شيب الفؤاد

وكذاك القلوب في كل بؤس ... ونعيم طلائع الأجساد

طال إنكاري البياض وإن عمرت شيئاً أنكرت لون السواد

زادني شخصه بطلعة ضيم ... عمرت مجلسي من العواد

نال رأسي من ثغرة الهم داء ... لم ينله من ثغرة الميلاد

ومعنى البيت الأخير ان الثغرة وهي الفرجة والثلمة تكون في الشيء ولذلك سمي كل بلد جاور عدواً ثغراً كأن معناه مكشوف للعدو ويجوز أن يكون أصله من ثغر الانسان لأنه أول ما يقابلك من اسنانه وأول ما يظهر عند الكلام وأول ما يسقط فيرى مثلوماً فيشبه الثغر الذي هو البلدة به ويقال أثغر الصبي وأتغر وتسمي تلك الفرجة في موضع

يجحدن ديني بالنهار واقتضي ... ديني اذا وقذ النعاس الرقدا

وأرى الغواني الخ٥٥ روي عن اسحاق الموصلي قال حدثني أبي قال غنيت بين يدي الرشيد وستارته منصوبة

وأرى الغواني لا يواصلن امرأً ... فقد الشباب وقد يصلن الأمردا

فطرب واستعاده وأمر لي بمال فلما أردت ان أنصرف قال لي ياعياض كذا وكذا أتغنى بهذا الصوت وجواري من وراء ستارة يسمعنه لولا حرمتك لضربت عنقك فتركته والله حتى أنسيته

السن ثغرة وفي كل موضع منفرج ومنه ثغرة النحر وأراد بقوله
* نال رأسي من ثغرة الهم * أي وجد الشيب من الهم فرجة دخل على رأسي منها لأن الهم يشيب لا محالة ٠٠ وقوله * مالم ينله من ثغرة الميلاد * أراد بثغرة الميلاد الوقت الذي يهجم عليه فيه الشيب من عمره لانه يجد السبيل في ذلك الوقت الى الحلول برأسه فجعله ثغرة من هذا الوجه فأراد ان الشيب حل برأسه من جهة همومه وأحزانه مالم يبلغ السن التي يوجب حلوله به من حيث كبره ٠٠ [قال الشريف المرتضي] رضى الله عنه ورأيت الآمدي يطعن على قوله * عمرت مجلسي من العواد * ويقول لا حقيقة لهذا ولا معنى لإنا مارأينا ولا سمعنا أحداً جاءه عواده يعودونه من الشيب ولا أن أحداً أمرضه الشيب ولا عزّاه المعزون عن الشباب وهذا من الآمدي قلة بصر في نقد الشعر وضعف بصره بدقيق معانيه التي يغوص عليها حذاق الشعراء ولم يرد أبو تمام بقوله * عمرت مجلسي من العواد * العيادة الحقيقية التي يغشى فيها العوّاد مجالس المرضى وذوي الأوجاع وانما هذه استعارة وتشبيه واشارة الى الغرض خفية فكأنه أراد ان شخص الشيب لما زارني كثر المتوجعون لي والمتأسفون على شبابي والمتفجعون من مفارقته فكأنهم في مجلسي عواد لي لان من شأن العائد للمريض أن يتوجع ويتفجع وكنى بقوله * عمرت مجلسي من العواد * عن كثرة من تفجع وتوجع من مشيبه وهذا من أبي تمام كلام في نهاية البلاغة والحسن وما المعيب إلاّ من عابه وطعن عليه ونحن نذكر في المجلس الآتي ما للبحتري في هذا المعنى بمشيئة الله وعونه ان شاء الله

مجلس آخر ٤٧

[تأويل آية] ٠٠ إن سأل سائل عن قوله تعالى (هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجرٌ فيه تسيمون) ٠٠ فقال اذا كان الشجر ليس ببعض للماء كما كان الشراب بعضاً له فكيف جاز أن يقول تعالى ومنه شجر بعد قوله منه شراب وما معني تسيمون وهل الفائدة في هذه اللفظة هي الفائدة في قوله تعالى (والخيل المسوّمة)

وقوله تعالى (وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل منضود مسوّمة عند ربك) .. الجواب قلنا في قوله تعالي (منه شجر) وجهان .. أحدهما أن يكون المراد ومنه سقي شجر وشرب شجر فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه وذلك كثير في لغة العرب ومثله قوله تعالى (وأشربوا في قلوبهم العجل) أي حب العجل ... والوجه الآخر أن يكون المراد ومن جهة الماء شجر ومن سقيه وإنباته شجر فحذف الأول وخلفه الثاني كما قال عوف بن الخرع

أَمِنْ آلِ لَيْلَى عَرَفْتَ الدِّيَارَا ... بِجَنْبِ الشَّقِيقِ خَلَاءً قِفَارَا

أي من ناحية آل ليلى .. وقال زهير

أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لَمْ تَكَلَّمِ ... بِحَوْمَانَةِ الدَّرَّاجِ فَالْمُتَثَلَّمِ

أراد من ناحية أم أوفى .. وقال أبو ذؤيب

أَمِنْكِ الْبَرْقُ أَرْقُبُهُ فَهَاجَا ... فَبِتُّ إِخَالُهُ دُهْماً خِلَاجَا

.. وقال أيضاً

أَمِنْكِ بَرْقٌ أَبِيتُ اللَّيْلَ أَرْقُبُهُ ... كَأَنَّهُ فِي عِرَاضِ الشَّأْمِ مِصْبَاحُ

.. وقال الجعدي

لِمَنِ الدِّيَارُ عَفَوْنَ بِالتَّهْطَالِ ... بَقِيَتْ عَلَى حِجَجٍ خَلَوْنَ طِوَالِ

أراد بقيت على مر حجج وتكرار حجج .. فأما قوله تعالى (فيه تسيمون) فمعناه ترعون وترسلون أنعامكم يقال أسام الابل يسيمها اسامة اذا أرعاها وأطلقها فرعت متصرفة حيث شاءت وسومها أيضاً يسومها من ذلك وسامت هي اذا رعت فهي تسوم وهي ابل سائمة ويقال سمتها اذا قصرتها على مرعى بعينه وسمتها الخسف اذا تركتها على غير مرعى ومنه قيل لمن أذل وأضيم واهتضم سيم فلان الخسف وسيم خطة الضيم .. قال الكميت بن زيد في الاسامة التي هي الاطلاق في الرعي

رَاعِيًا كَانَ مُسْجِحًا فَفَقَدْنَا ... هُ وَفَقْدُ الْمُسِيمِ هُلْكُ السَّوَامِ

•• وقال آخر

وَأَسكُنُ ماسَكَنْتَ بِبَطْنِ وادٍ ... وَأَظْعَنُ ماظَعَنْتَ فلاَ أُسِيمُ

وذهب قوم الى ان السوم في البيع من هـذا لأن كل واحدٍ من المتبايعين يذهب فيما يبيعه من زيادة ثمن أو نقصانه الى مايهواه كما تذهب سوام الابل من المواشي حيث شاءت •• وقد جاء في الحديث لاسوم قبل طلوع الشمس فحمله قوم على ان الابل وغيرها لا تسام قبل طلوع الشمس لئلا تنتشر وتفوت الراعي ويخفى عليه مقاصدها وحمله آخرون على ان السوم قبل طلوع الشمس في البيوع مكروه لأن السلعة المبيعة تستتر عيوبها أو بعضها فيدخل ذلك في بيوع الغرر المنهي عنها •• وأما الخيل المسومة فقد قيل أنها المعلمة بعلامات مأخوذة من السيماء وهى العلامة •• وروى عن الحسن البصرى في قوله تعالى (والخيل المسوّمة) قال سوّمت نواصيها وأذنابها بالصوف •• وقيل أيضاً ان المسوّمة هي الحسان وروى عن مجاهد في قوله تعالى (والخيل المسوّمة) قال هي المطهمة الحسان •• وقال آخرون بل هي الراعية وقد روى ذلك عن سعيد بن جبير وكل يرجع الى أصل واحد وهو معنى العلامة لأن تحسين الخيل يجري مجرى العلامة فيها التي تعرف بها وتميز لمكانها وقد قيل ان السوم من الراعي يرجع الى هذا المعنى أيضاً لأن الراعي يجعل في المواضع التي يرعاها علامات أو كالعلامات بما يزيله من نباتها ويمحوه من آثارها فكأن الأصل في الكل متفق غير مختلف •• وقال لبيد في التوسيم الذى هو التعليم

وَغَداةَ قاعِ القرنَتينِ أتينهم ... رَهوًا يلوحُ خِلالَها التَّوسِيمُ

أراد التعليم •• وأما قوله في الملائكة (مسوّمين) فالمراد به معلمين •• وكذلك قوله تعالى (حجارة من سجيل منضود مسوّمة) أي معلمة وقيل انها كان عليها كأمثال الخواتيم وقال في الملائكة مسوّمين أى معلمين •• [قال المرتضى] رضى الله عنه ونعود الى ما كنا وعدنا به من ذكرنا للبحترى في ذم الشيب والتألم من فقد الشباب فمن ذلك قوله

وَكُنتُ أُرَجِّي في الشَّبابِ شَفاعةً ... فَـكَيفَ لِباغِي حاجةٍ بشفيعِهِ

مَشيبٌ كَتَمْتِ السِّرَّ أعيي بِحَمْلِهِ مُحَدِّثَهُ أوضاقَ صَدْرُ مُذِيعِهِ
تلاحَقَ حتّى كادَ يأتي بِطيئهُ لِحَثِّ اللّيالي قبلَ آتي سريعِهِ

ا أحسن هذا من كلام وأبلغه وأطبعه .. وقال أيضاً

رُدِّي عليَّ الصِبا إنْ كُنْتِ فاعِلةً إنَّ الصِبا ليسَ منْ شأني ولا أرَبِي
جاوَزْتُ حَدَّ الشَّبابِ النَّضْرِ مُلْتفتاً إلى بناتِ الصِبا يَرْكُضْنَ في طَلَبِي
والشَّيبُ مَهْرَبُ مَنْ جاوَرَ منيّتَهُ ولاَ نَجاءَ لهُ منْ ذَلِكَ الهَرَبِ
وَالمَرْءُ لوْ كانَتِ الشِّعْرى لهُ وَطَناً
صُبَّتْ عليهِ صُرُوفُ الدَّهْرِ منْ صَبَبِ (١)

(١) الأبيات من قصيدة له يمدح بها اسماعيل بن بلبل مطلعها

اليك ما أنا من لهو ولا طرب منيت مني بقلب غير منقلب
ردى على الصبا إن كنت فاعلة ان الهوى ليس من شأني ولا أربي
جاوزت حد الشباب النضر ملتفتاً الى بنات الصبا يركضن فى طلبي
والشيب مهرب من جارى منيته ولا نجاء له من ذلك الهرب
والمرء لو كانت الشعرى له وطناً حطت عليه صروف الدهر من صبب
لقد أقذف العيس من ليل كأن له وشياً من النَّوْر أو أرضاً من العشب
حتى اذا ما انجابت أخراه عن أُفق مضمخ بالصباح الورد مختضب
أوردت عادية الآمال فانصرفت بريها وأخذت النجح من كثب
هاتيك أخلاق اسماعيل في تعب من العلى والعلى منهن فى تعب
أتعبت شكري فأضحى منك فى نصب فاذهب فمالىَ في جدواك من أرب
لا أقبل الدهر نيلا لا يقوم به شكرى ولو كان مسديه اليَّ ابي
لما سألتك وافانى نداك على أضعاف ظني فلم أخفق ولم أخب

ويروى ــ حطت عليه صروف ــ •• وقال البحتري

لا بِسٌ من شبيبةٍ أمْ ناضِ ... وَمليحٌ من شَيبَةٍ أمْ رَاضي
وَإذَا ما امتُعِضتُ من ولع الشَّيْـ ... ـبِ برأسي لم يُغنِ ذاكَ امتعاضي
ليسَ يَرضَى عنِ الزَّمانِ مرؤٌ ... فيه إلاَّ عن غفلةٍ أو تغاضي
وَالبوَاقِي منَ الليَالِي وَإنْ خا ... لَفْنَ شيئاً مشبهاتُ الموَاضي
ناكرَت لِمتي وناكرتُ منها ... سوءَ هذي الأبدالِ والأعوَاضِ
شَعرَاتٌ أقصهُنَّ وَيرْجعْـ ... ـنَ رُجوعَ السهامِ في الأغراضِ
وَأبتْ تركِيَ الغُديَّاتُ والآ ... صالُ حتَّى خضبتُ بالمِقرَاضِ
غيرَ نفعٍ إلاَّ التعلُّلَ من شخـ ... ـصِ عدوٍّ لم يعدُهُ إِنغاضي
وَروَاءُ المشيبِ كالبحصِ في عيـ ... ـني فقُلْ فيه في العيُونِ المرَاضِ
طِبتُ نفساً عنِ الشبابِ وما سوّ ... دَ من صبغِ بُردِهِ الفضفاضِ
فهلِ الحادِثاتُ يابنَ عويفٍ ... تارِكاتي وَلبْسَ هذا البيَاضِ

وقال أيضاً

تَعِيبُ الغانياتُ عليّ شيبي ... ومَنْ لي أنْ أمتَّعَ بالمَعيبِ

لم يخط ما أبض خلسات لعمدها ... فشك ذا الشعبة الطولي فلم يصب
لأشكرنك إن الشكر نائله ... أبقى على حاله من نائل اللشب
بكل شاهدة للقوم غائبة ... عنهم جميعاً ولم تشهد ولم تغب
مرصوفة باللآلي من نوادرها ... مسبوكة اللفظ والمعنى من الذهب
ولم أحابك في مدح تكذبه ... بالفعل منك وبعض المدح من كذب

وَوجدِي بالشَّبابِ وَإنْ تولّى حَميدًا دُونَ وَجدِي بالمَشيبِ

وقال أيضاً

أُرَيْتُهُ من بعدِ جَثْلٍ فاحمٍ جَوْنَ المفارقِ بالنَّهارِ خضيبا
فعجبتُ من حالَيْنِ خالفَ فيهما صرفُ الزَّمانِ وما رأيتُ عجيبا
إنَّ الزَّمانَ إذا تتابعَ خطوُهُ سبقَ الطَّلوبَ وأدركَ المطلوبا

وقال أيضاً

رَأتْ فلتاتِ الشَّيبِ فابتسمتْ لها وَقالتْ نجومٌ لوْ طلعنَ بأسعُدِ
أعاتكُ ما كانَ الشَّبابُ مقرِّبي إليكِ فألحى الشَّيبَ إذْ كانَ مبعِدي

وقال أيضاً

غشتْ كبدي قسوةٌ منكِ ما إنْ تزالُ تجدِّدُ فيها ندوبا
وَحمِّلتُ عنكِ ذنبَ المشيبِ حتَّى كأنِّي ابتدعتُ المشيبا
وَمَنْ يطَّلعْ شرفَ الأربعينَ يحيِّ منَ الشَّيبِ زورًا غريبا

[قال الشريف المرتضى] رحمه الله ٠٠ ولي في هذا المعنى

قلنَ لمَّا رأينَ وخطاً منَ الشَّيبِ برأسي أغيَ على مجهودي
كسنًا بارقٍ تعرَّضَ وهنًا في حواشي بعضِ الليالي السُّودِ
أبياضٌ مجدَّدٌ من سوادٍ كانَ قدماً لا مرحبًا بالجديدِ
يالحاكنَّ من رما كنَّ بالحسـْنِ لتقهرْننا بغيرِ جنودِ
ليس بيضٌ منِّي فاجري عليهنَّ صدودًا أوْ ليسَ فيكنَّ سودُ
قلَّ ما ضرَّكنَّ من شعراتٍ كنَّ يومًا على الوقارِ شهودي

وقال البحتري أيضاً

خَلِّيَاهُ وَجِدَّةَ اللَّهْوِ مادَا م رِدَاءُ الشَّبابِ غَضًّا جَدِيدَا
إِنَّ أَيَّامَهُ مِنَ البِيضِ بِيضٌ مارَأَيْنَ المَفارِقَ السُّودَ سُودَا

وقال أيضاً

تَرَكَ السَّوَادَ لِلاَبِسِيهِ وَبَيَّضَا وَنَضَا مِنَ السِّتِّينَ عنهُ ما انْتَضَا
وَسِباهُ أَغْيَدُ في تَصَرُّفِ لَحْظِهِ مَرَضٌ أَعَلَّ بِهِ القُلُوبَ وَأَمْرَضَا
فَكَأَنَّهُ وَجَدَ الصِبا وَجَدِيدَهُ دَيْنًا دَنَا مِيقَاتُهُ أَنْ يُقْتَضَى
أَسْيَانُ أُثْرِيَ مِنْ جَوىً وَصَبَابَةٍ وَأَسافَ مِنْ وَصْلِ الحِسَانِ وَأَنْفَضَا(١)

ويروى ــ اسوان ــ .. وقال أيضاً

هَلْ أَنْتَ صارِفُ شَيْبَةٍ إِنْ غَلَّسَتْ في الوَقْتِ أَوْ عَجِلَتْ عَنِ المِيعَادِ
جاءَتْ مُقَدِّمَةً أَمامَ طَوالِعٍ هذِي تُرَاوِحُنِي وَتِلْكَ تُغَادِي
وَأَخُو الغَبِينَةِ تَاجِرٌ في لِمَّةٍ يَشْرِي جَدِيدَ بَيَاضِهَا بِسَوَادِ
لاَ تَكْذِبَنَّ فَمَا الصِبا بِمُخَلَّفٍ لهوًا وَلاَ زَمَنُ الصِبا بِمُعَادِ
وَأَرَى الشَّبَابَ عَلَى غَضَارَةِ حُسْنِهِ وَجَمَالِهِ عَدَداً مِنَ الأَعْدَادِ

وقال أيضاً

أَيَثْنِي الشَّبَابُ أَمْ مَا تَوَلَّى مِنْهُ في الدَّهْرِ دَوْلَةٌ مَا تَعُودُ
لاَ أَرَى العَيْشَ وَالمَفَارِقُ بِيضٌ إِسْوَةَ العَيْشِ وَالمَفَارِقُ سُودُ
وَأَعُدُّ الشَّقِيَّ جِدًّا وَلَوْ اعْـ طِيَ غُنْمًا حَتَّى يُقَالَ سَعِيدُ

---

(١) ــ أساف ــ الرجل اذا هلكت ابله

مَنْ عدَتهُ العيونُ وانصرَفتْ عنهُ إلتفاتاً الى سِواهُ الخدودُ

وقال أيضاً

قدّ منّي فما جرَى السقمُ إلاّ في ضلوعٍ على جوَى الحبّ تحني
لو رأتْ حادِثَ الخضابِ لأنّتْ وأرنّتْ من اخمِرارِ اليرنّي
كلفُ البيضِ بالمُعمَّرِ قدراً حين يكلفنَ والمصغّرِ سنا
يتشاغفنَ بالغريرِ المُسمّي من تصابٍ دُونَ الجليلِ المكنّي

وقال أيضاً

أخيَّ إنّ الصبا استمرّ به سيرُ الليالي فانهجتْ بُردُهُ
تَصدُّ عني الحسانُ مبعدةً إذ انا لاقربه ولا صددُهُ
شيبٌ على المفرقين يأرضُهُ يكثرُني أن أبينهُ عددُه
تطلبُ عندي الشبابَ ظالمةً بُعيدَ خمسينَ حينَ لا تجدُه
لا عجبٌ إنْ مللتِ خلّتنا فافتقدَ الوصلَ منكِ مفتقدُه
مَن يتطاولْ على مُطاولةِ العيش تقعقع مَنْ ملَّهُ عمده

[قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه ٠٠ ورأيت الآمدى وقد أخطأ في معنى البيت الأخير لانه قال معنى يتقعقع من مله عمده أى عظامه يجيء لها صوت اذا قام وقعد من كبره وضعفه قال وقوله ــ من مله ــ أى من تملى العيش يريد طوله ودوامه ومنه تمليت حبيبك والأمر بخلاف ما توهمه ومعنى ــ تقعقع من مله عمده ــ أي من تطاول عمره تعجل ترحله وانتقاله من الدنيا وكنى عن ذلك بتقعقع العمد وهذا مثل معروف للعرب يقولون من يجمع بتقعقع عمده يريدون أن التجمع داعى التفرق وان الاجتماع يعقب ويورث ما يدعو الى الانتقال الذى يتقعقع معه العمد ٠٠ [قال الشريف المرتضي] رضى الله عنه والآمدى مع كثرة ما يدعيه من التنقيب والتنقير على علوم العرب ان كان لم

يعرف هذا المثل ومعناه فهو طريف وان كان قد سمعه وجهل أن معنى بيت البحترى يطابقه فهو أطرف ٠٠ فأما قوله ـ من مله ـ فانما أراد به من ملل وملّة فعلة من الملل وكيف يكون من تملى العيش ولم يسمع في تمليت مله وهذا خطأ على خطأ ٠٠ وقال البحترى

مَا كَانَ شَوْقِي بِبِدْعٍ يومَ ذَاكَ ولاَ ... دَمْعِي بأَوَّلِ دَمْعٍ فِي الهَوَى سفِحَا

ولِمَّةٍ كُنْتُ مَشْغُوفاً بِجِدَّتِها ... فما عفَى الشَّيْبُ عَنْهَا لاَ وَلاَ صَفَحَا

وقال أيضاً

وَمَا أَنْسَ لاَ أَنْسَ عَهْدَ الشَّبَابِ ... وَعلوَةَ إِذْ عيَّرَتْنِي الكِبَرْ

كَوَاكِبُ شَيْبٍ عَلِقْنَ الصبا ... فَقَلَّلْنَ مِنْ حُسْنِهِ مَا كَثُرْ

وَإِنى وَجَدْتُ وَلاَ يَكْذِبَنَّ ... سوَادَ الهوَى في بيَاضِ الشَّعَرْ

ولاَبُدَّ من تَرْكِ إِحدي اثنتين ... إِمَّا الشَّبَابَ وإِما العُمُرْ

قال الآمدي وعليه في قوله ـ ولا بد من ترك إحدى اثنتين ـ معارضة وهو أن يقال ان من مات شاباً فقد فارق الشباب وفاته العمر فهو تارك لهما معاً ومن شاب فقد فارق الشباب وهو مفارق للعمر لا محالة فهو أيضاً تارك لهما جميعاً ٠٠ وقوله إما وإمّا لا توجب الا أحداهما قال والعذر للبحترى أن يقال انه من مات شاباً فقد فارق الشباب وفاته العمر وحده لانه لا يعمر فيكون مفارقاً للعمر ألا ترى انهم يقولون عمّر فلان اذا أسن وفلان لم يعمّر اذا مات شاباً ومن شاب وعمّر ثم مات لم يكن مفارقاً للشباب فى حال موته لانه قد قطع أيام الشباب وتقدمت مفارقته له وانما يكون فى حال موته مفارقاً للعمر وحده فالى هذا ذهب البحتري وهو صحيح ولم يرد بالعمر المدة القصيرة التى يعمرها الانسان وانما أراد بالعمر ههنا الكبر كما قال زهير

رَأَيْتُ المنَايَا خَبْطَ عَشْوَى فمنْ تُصِبْ ... تمته وَمَنْ تخطي يُعمرْ فيَهرَمِ

[قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه ٠٠ وما رأيت أشد تهافتاً فى الخطأ منه فيما يفسره ويتكلم عليه من شعر هذين الرجلين ومعنى البيت غير ما توهمه وهو أظهر من

أن يخفى حتى يحتاج فيه الى هذا التعليل والتعسف وانما أراد البحتري ان الانسان بين حالتين إمّا أن يفارق الشباب بالشيب أو العمر بالموت فمن مات شاباً وان كان قد خرج من العمر وخرج بخروجه عن سائر أحوال الحياة من شباب وشيب وغيرهما فانه لم يفارق الشباب وحده وانما فارق العمر الذى فارق بمفارقته الشباب وغيره وقسمة الرجل تناولت أحد الأمرين إمّا مفارقة الشباب وحده بلا واسطة ولا يكون ذلك إلاّ بالشيب أو مفارقة العمر بالموت وتلخيص كلامه إنه لابد للحي من شيب أو موت فكأن الشيب والموت متعاقبان والبحترى انما جعل قوله العمر مقام قوله الحياة والبقاء وانما قال العمر لأجل القافية مع انه مبين عن مراده ولو قال ولا بد من ترك الحياة أو ترك الشباب لقام مقام قوله العمر ٠٠ أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني علىّ بن محمد الكاتب قال حدثنا أحمد بن عبيد الله قال من معاني ابن الرومي التى فتقها قوله يذم من جعل مصيبة غيره مصيبة له وعاب من تعلل بالتأسي بما نال غيره وهو يرثي شبابه وأحسن

يا شبابي وَأَينَ منى شَبابي … آذنتنى أيامُهُ بانقضاب

لهفَ نفْسي على نعيمي ولهوى … تحتَ أفنانه اللّدانِ الرّطاب

ومعزٍّ عن الشّباب مؤسٍّ … بمشيب اللّدات والأَصحاب

قلتُ لمّا انتحي يُعيّدُ أساةٍ … بمصابٍ شَبابُهُ كمصابِ

ليس تأسو كلُومُ غيري كلومي … ما بهِ ما بهِ وما بيَ ما بي

ولابن الرومي

لَهفى على الدُّنيا وَهلْ لهفَةٌ … تنصِفُ منها إنْ تلهّفتُها

قُبْحاً لها قُبْحاً على أنها … أقبحُ شيءٍ حينَ كشّفتُها

وَقد يُعزّيني شَبابٌ مَضى … وَلذّةٌ للعيشِ أسلفتُها

فكّرتُ في خمسينَ عاماً مضتْ … كانتْ أمامِي ثمّ خلّفتُها

جهلتها إذ هي موفورة ثم مضت عني فعرفتها
ففرحة الموهوب أعدمتها وترحة المسلوب ألحقتها
لو أن عمري مائة هدني تذكري أني تنصفتها

وله في هذا المعنى وقد تقدمت هـذه الأبيات في الأمالي السالفة وقد أحسن فيها كل الإحسان

كفى بسراج الشيب للرأس هاديا لمن قد أضلته المنايا لياليا
أمن بعد إبداء المشيب مقاتلي لرامي المنايا تحسبني ناجيا
غدا الدهر يرميني فتدنو سهامه لشخصي أخلق أن يصبن سواديا
وكان كرامي الليل يرمي ولا يرى فلما أضاء الشيب شخصي رمانيا

مجلس آخر ٤٨

[تأويل آية] .. إن سأل سائل عن قوله تعالى (ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون) .. فقال كيف جاءت أو بعد ما لا يجوز أن يعطف عليه وما الناصب لقوله تعالى (أو يتوب عليهم) وليس في ظاهر الكلام ما يقتضي نصبه .. الجواب قلنا قد ذكر في ذلك وجوه .. أولها أن يكون قوله تعالى (أو يتوب عليهم) معطوفاً على قوله ليقطع طرفاً والمعنى انه تعالى عجل لكم هـذا النصر ومنحكم به ليقطع طرفاً من الذين كفروا أي قطعة منهـم وطائفة من جمعهم أو يكبتهم ويغلبهم ويهزمهم فيخيب سعيهم وتكذب فيكم ظنونهم أو يغلبهم ما يرون من تظاهر آيات الله تعالى الموجبة لتصديق نبيه عليه الصلاة والسلام فيتوبوا ويؤمنوا فيقبل الله تعالى ذلك منهم ويتوب عليهم أو يكفروا بعد قيام الحجج وتأكيد البينات والدلائل فيموتوا أو يقتلوا كافرين فيعذبهم الله تعالى باستحقاقهم النار ويكون على هـذا الجواب قوله

تعالى ﴿ ليس لك من الأمر شيء ﴾ معطوفاً علي قوله تعالى ﴿ وما النصر إلاّ من عند الله العزيز الحكيم ﴾ أى ليس لك ولا لغيرك من هـذا الأمر شيء وانما هو من الله عزوجل •• والجواب الثاني أن يكون أو بمعنى حتى وإلاّ أن والتقدير ليس لك من الأمر شيء حتى يتوب عليهم وإلاّ أن يتوب عليهم كما قال امرؤ القيس

بكى صاحبي لما رأى الدَّربَ دونَهُ ... وأيقنَ أنا لاحقانِ بقيصرا (١)
فقلتُ لهُ لا تبكِ عيناكَ إنّما ... نحاولُ ملكاً أو نموتَ فنعذرا

أراد إلاّ أن نموت فنعذرا وهذا الجواب يضعف من طريق المعني لأن لقائل أن يقول ان أمر الخلق ليس الى أحدٍ سوى الله قبل توبة العباد وعقابهم وبعـد ذلك فكيف يصح أن يقول ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهـم أو يعذبهم حتي كأنه اذا كان أحد الأمرين كان اليه من الأمر شيء ••ويمكن أن ينصرذلك بأن يقال قد يصح الكلام اذا حمل على المعنى وذلك ان قوله ﴿ ليس لك من الأمر شيء ﴾ معناه ليس يقع ما تريده وتؤثره من ايمانهم وتوبتهـم أو ما تريده من استئصالهم وعذابهم على اختلاف الرواية في معنى الآية وسبب نزولها إلاّ أن يلطف الله تعالى لهم في التوبة فيتوب عليهـم أو يعذبهم وتقدير الآية ليس يكون ما تريده من توبتهم أو عذابهم بك وانمـا يكون ذلك الله تعالى •• والجواب الثالث أن يكون المعنى ليس لك من الأمر شيء أو من أن يتوب الله عليهم فأضمر من اكتفاء بالأول وأضمر أن بعدها لدلالة الكلام عليها أو اقتضائه لها وهي مع الفعل الذى بعدها بمنزلة المصدر وتقـدير الكلام ليس لك من الأمر شيء ومن توبتهم وعذابهم ••[قال المرتضى] رضى الله عنه ووجدت أبا بكر محمد بن القاسم

(١) قوله بكى صاحبي الخ •• هو من قصيدته المشهورة ومطلعها

سما لك شوق بعد ما كان أبصرا ... وحلت سليمى بطن قوٍّ فعرعرا

قالها لما ذهب الى قيصر يستنجده على بنى أسد بعد قتلهم أباه وعنى بقوله ـ صاحبي ـ عمرو ابن قميئة من قيس بن ثعلبة بن مالك رهط طرفة وهو قديم جاهلى كان مع حجر أبي امرئ القيس فلما خرج امرؤ القيس الى الروم صحبه

يطعن على هـذا الجواب ويستبعده قال لان الفعل لا يكون محمولا على اعراب الاسم الجامد الذى لا تصرف له على إضمار أن مع الفعل لانه ليس في كلام العرب عجبت من أخيك ويقوم على معـنى عجبت من أخيك ومن أن يقوم لأن أخاك اسم جامد محض لا يعطف عليه إلاّ ما شاكله قال هـذا انما يستقيم ويصلح فى رد الفعل الى المصـدر كقولهم كرهت غضبك ويغضب أبوك على معـني كرهت غضبك وان يغضب أبوك فيطرد هذا في المصادر لانها تؤل بأن فيقول النحويون يعجبنى قيامك وتأويله يعجبنى أن تقوم قال والاسم الجامد لا يمكن مثل هذا فيه ٠٠[قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه وليس ما ذكره مستبعداً وان لم يضعف هذا الجواب إلاّ من حيث ذكر فليس بضعيف وذلك ان فيما امتنع منه مثل الذى أجازه لانه قد أجاز ذلك في المصادر وان لم يجزه في غـيرها وقوله تعالى ﴿ ليس لك من الأمر شئ أو يتوب عليهم ﴾ فيـه دلالة الفعل لان الأمر مصـدر أمرت أمراً فكأنه تعالى قال ليس لك من أمرتهم أو تأمرهم شئ ولا من أن يتوبوا وجرى ذلك مجرى قولهم كرهت غضبك ويغضب أبوك في رد الفعل الى المصدر والوجه الأول أقوي الوجوه والله أعلم بما أراد

[تأويل خبر] ٠٠إن سأل سائل عن الخبر الذي يرويه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تناجشوا ولا تدابروا وكل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه ٠٠ الجواب قيل له أما النجش فهو المدح والاطراء ٠٠ قال نابغة بني شيبان يذكر الخمر

وَتُرَ ٓ بالَ منْ يَشْرَبُها وَنُفَدِّى كَرْمَها عِندَالنَّجَشْ(١)

(١) هو من قصـيدة له مشهورة روى ان أبا كامل مولي الوليد بن يزيد غنى يوماً بحضرته

أمدح الكاس ومن أعملها واهجُ قوماً قتلونا بالعطش

فسأل الوليد عن قائل هذا الشعر فقيل نابغة بنى شيبان فأمر باحضاره فاستنشده القصيدة فأنشده إياها وظن ان فيها مدحاً له فاذا هو يفتخر بقومه ويمدحهم فقال له الوليد لو سعد جدك لكانت مديحاً فينا لا فى بني شيبان ولسنا نخليك على ذلك من حظ ووصله

أي عند مدحها ومنه النجش في البيع وهو مدح السلعة والزيادة في ثمنها من غير ارادة لشرائها بل ليقتدى بالزائد في زيادته غيره وأصل النجش استخراج الشئ والتسعير عنه .. قال بعض الفقعسيين

أجْرِشْ لها يابْنَ أَبي كِبَاشِ فَما لها اللَّيلةَ منْ إنْفاشِ
غيرَ السُّرَى وسائقٍ نجّاشِ اسمَرَ مثلَ الحيَّةِ الخُشْخاشِ

ويروى الخشحاش ــ والنجاش ــ هو المستثير لسيرها والمستخرج لما عندها منه ومعني ــ أجرش لها ــ أي أحد لها لتسمع الحداء فتسير وهو مأخوذ من الجرش وهو الصوت ومعنى والصرف .. وأول هذه القصيدة قوله

خل قلبي من سليمى نبلها إذ رمتني بسهام لم تطش
طفلة الأعطاف رؤددمية وشواها بختري لم يحش
وكأن الدر في أخراصها بيض كحلاء أقرنه بعش
ولها عينا مهاة في مهي ترتعي نبت خزامي وقش
حرة الوجه رخيم صوتها وطب تجنيه كف المنتقش
وهي من الليل اذا ماعونقت منية البعل وهمّ المفترش

.. ومنها

أيها الساقي سقته مزنة من ربيع ذي أهاضيب وطش
أمدح الكاس ومن أعملها وأهج قوماً قتلونا بالعطش
انما الكاس ربيع باكر فاذا ماغاب عنّا لم نعش
وكأن الشرب قوم موّتوا من يقم منهم لأمر يرتعش
خرس الألسن مما نالهم بين مصروع وصاح منتعش
من حميا قرقف حصية قهوة حولية لم تمتحش
ينفع المزكوم منها ريحها ثم تنفي داءه إن لم تنش
كل من يشربها يألفها ينهب الأموال فيها كل هش

ـ الأنفاش ـ أراد انها لاتترك ترعى ليلا والنفش أن ترعى الابل ليلا وقد أنفشها اذا أرسلها ليلا ترعى ـ والخشخاش ـ الخفيف الحركة السريع التقلب •• والنجش في البيوع يرجع معناه الى هذا أيضاً من الزيادة لان الناجش يستثير بزيادته في الثمن ومدحه السلعة الزيادة في ثمنها فيكون معنى الخبر على هـذا لا تناجشوا أى لا يمدح أحدكم السلعة فيزيد فى ثمنها وهو لا يريد شراءها ليسمعه غيره فيزيده وقد يجوز أيضاً أن يريد بذلك لا يمدح أحدكم صاحبه من غير استحقاق ليستدعي منفعته ويستثير فائدته وهـذا المعنى أشبه بأن يكون مراده عليه الصلاة والسلام لأن قوله ولاتدابروا أشد مطابقة له •• ومعنى ـ لا تدابروا ـ أى لا تهاجروا ويولي كل واحـد منكم صاحبه دبر وجهه •• قال الشاعر

وأوصي أبو قيسٍ بأنْ تتَوَاصلُوا وَأَوصي أبو كُمْ وَيحَكُمْ أنْ تدَابَرُوا

فكأنه قال عليه الصلاة والسـلام لا تمادحوا ولا تتواصلوا بالمدح الذي ليس بمستحق ولا تهاجروا وتقاطعوا •• فأما قوله عليه الصلاة والسلام ـ كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه ـ فقد ذهب قوم الى أن عرض الرجل انما هو سلفه من آبائه وأمهاته وما جرى مجراهم وذهب ابن قتيبة الى أن عرض الرجل عرض نفسه واحتج بحديث النبي صلى الله عليه وسلم حين ذكر أهل الجنة فقال لا يبولون ولا يتغوطون انما هو عرق يجري من اعراضهم مثل المسك أى من ابدانهم قال ومنه قول أبي الدرداء أقرض من عرضك اليوم من قذفك أراد من شتمك فلا تشتمه ومن ذكرك بسوء فلا تذكره به ودع ذلك قرضاً لك عليه ليوم الجزاء والقصاص •• واحتج أيضاً بحديث الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وسـلم انه قال أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم كان اذا خرج من منزله قال اللهم إني قد تصدقت بعرضي على عبادك قال فمعناه قد تصدقت بنفسي وأحللت من يغتابني فلو كان العرض الاسـلاف ماجاز أن يحل من سب الموتي لان ذلك اليهـم لا اليه •• قال ويدل على ذلك أيضاً حديث سـفيان بن عيينة لو أن رجلا أصاب من عرض رجـل شيئاً ثم تورع من بعده فجاء الى ورثته بعـد موته فأحلوه لم يكن ذلك

كفارة له ولو أصاب من ماله شيئاً ثم دفعه الى ورثته لكنا نرى ان ذلك كفارة له قال ويدل على ان عرض الرجل نفسه قول حسان

هَجَوْتَ مُحَمَّدًا فأَجَبْتُ عنهُ وعِنْدَ اللهِ في ذاكَ الجزاءُ[1]

فإِنَّ أَبِي ووَالِدَه وَعِرْضي لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وِقاءُ

أَتَهْجُوهُ وَلَسْتَ لهُ بِكُفْءٍ فَشَرُّ كُمَا لِخَيْرِكُما الفِداءُ

أراد ان أبي وجدّي ونفسي وقاء لنفس محمد صلى الله عليه وسلم .. وقال آخرون وهو الصحيح العرض موضع المدح والذم من الرّجل فاذا قيل ذكر عرض فلان فمعناه ذكر ما يرتفع به أو ما يسقط بذكره ويمدح أو يذم به وقد يدخل في ذلك ذكر الرجل نفسه وذكر آبائه وأسلافه لان كل ذلك مما يمدح به ويذم والذي يدل على هذا ان أهل اللغة لا يفرقون فى قولهم شتم فلان عرض فلان بين أن يكون ذكره فى نفسه بقبيح الأفعال أو شتم سلفه وأباه ويدل عليه قول مسكين الدارمي

رُبَّ مَهْزُولٍ سَمِينٍ عِرْضُهُ وسَمِينِ الجِسْمِ مَهْزُولِ الحَسَبْ[2]

---

(١) روي انه لما انتهى الى هذا البيت قال له النبي صلى الله عليه وسلم جزاؤك على الله الجنة يا حسان ولما انتهى الى قوله * فان أبي ووالده وعرضى * الخ قال صلى الله عليه وسلم وقاك الله ياحسان حر النار ولما انتهى الى قوله * أتهجوه ولست له بكفء * الخ قال من حضر هذا أنصف بيت قالته العرب .. وقوله ـ فشركما لخيركما الفداء ـ قال السهيلي فى ظاهر هذا اللفظ شناعة لأن المعروف أن لا يقال هو شرهما إلاّ وفي كلاهما شر وكذلك خير مثله ولكن سيبويه قال تقول مررت برجل شر منك اذا نقص عن أن يكون مثله وهذا يدفع الشناعة عن الكلام الأول ونحو منه قوله عليه الصلاة والسلام شر صفوف الرجال آخرها يريد نقصان حظهم عن حظ الصف الأول كما قال سيبويه ولا يجوز أن يريد التفضيل في الشر والله أعلم

(٢) ذكر أبو عليّ القالي العرض بأنواعه فتركنا كل ما لا نعاق له بموضع البحث

فلو كان العرض نفس الانسان لكان الكلام متناقضاً لان السمن والهزل يرجعان الى

فقال والعرض أيضاً ماذم من الانسان أو مدح يقال فلان نقي العرض أى هو بريء من أن يشتم أو يعاب واختلف فيه فقال أبو عبيدة عرضه آباؤه وأسلافه وخالفه ابن قتيبة فقال عرضه جسده واحتج بحديث النبي صلى الله عليه وسلم في صفة أهل الجنة لا يبولون ولا يتغوّطون انما هو عرق يجرى من اعراضهم مثل المسك يعنى من أبدانهم ونصر شيخنا أبو بكر بن الانباري أبا عبيدة فقال ليس هذا الحديث حجة له لان الاعراض عند العرب المواضع التى تعرق من الجسد قال والدليل على غلط ابن قتيبة فى هذا التأويل وصحة تأويل أبي عبيدة قول مسكين الدارمى

رب مهزول سمين عرضه　　　وسمين الجسم مهزول الحسب

فمعناه رب مهزول البدن والجسم كريم الآباء قال وأما احتجاجه ببيت حسان بن ثابت

فان أبى ووالده وعرضي　　　لعرض محمد منكم وقاء

في أن العرض الجسم فليس كما ذكر لان معناه فان أبي ووالده وآبائي فأتى بالعموم بعد الخصوص ذكر الأب ثم جمع الآباء كما قال الله جل وعز ﴿ ولقد آتيناك سبعاً من المثانى والقرآن العظيم ﴾ فخص السبع ثم أتي بالقرآن العام بعد ذكره إياها والذي قاله ابن قتيبة قد قاله غيره ويمكن أن ينصر ابن قتيبة بيت مسكين ومعناه رب مهزول الجسم سمين الحسب أي عظيم الشرف وسمين الجسم مهزول الحسب أى ضعيف الشرف اه قلت وبعد بيت مسكين المتقدم

أكسبته الورق البيض أباً　　　ولقد كان ولا يدعي لأب

ـ الورق ـ بفتح الواو وكسر الراء وهي الدراهم المضروبة وكذلك الرقة والهاء عوض عن الواو وقوله ـ ولا يدعى لأب ـ أى ولا ينتسب من الدعوة بكسر الدال •• المعنى انه كان مجهول النسب ولم يكن له أب يدعي اليه فلما أعطي مالا ظهر له نسب واشتهر له أب يدعى اليه •• وقوله ـ ولقد كان ـ الواو للحال واللام للتأكيد وقد للتحقيق وكان تامة فلا تحتاج الى خبر •• وقوله ـ ولا يدعى لأب ـ جملة وقعت حالا أيضاً وهى مضارع منفى جاء بالواو وهو قليل والأكثر مجيئه بلا واو

شيء واحد وانما أرادت مهزول كريمة أفعاله أو كريم آباؤه وأسلافه •• وقد قال ابن عبدل الأسدي

وَإِنّي لأَستغني فما أَبطَرُ الغِنى   وابذُلُ ميسُوري لِمَنْ يَبتَغي قَرْضي

واعسَرُ أَحيانًا فَتَشتَدُّ عُسْرَتي .   وادرِكُ مَيسُورَ الغِنى وَمَعي عِرْضي

ولا يليق ذلك إلاّ بما ذكرناه •• [قال الشريف المرتضي] رضى الله عنه وجدت أبا بكر ابن الانباري قد رد على ابن قتيبة هذا وطعن على ما احتج به فقال فى الحديث المروى عنه عليه الصلاة والسلام في وصف أهل الجنة ان المراد بالاعراض مغابن الجسد •• وحكي عن الأموى انه قال الاعراض المغابن التى تعرق من الجسد نحو الابطين وغيرهما وقال في حديث أبي الدرداء معناه من عابك وذكر أسلافك فلا تجازه ليكون الله تعالى هو المثيب لك •• وقال فى قول أبي ضمضم معناه انه أحل من أوصل اليه أذى بذكره وذكر آبائه فلا يحل إلاّ من أمره اليه •• وقال في قول حسان المراد بعرضه أيضاً أسلافه فكأنه قال ان أبي ووالده وجميع أسلافى الذين أمدح وأذم من جهتهم وقاءله عليه الصلاة والسلام فأتى بالعموم بعد الخصوص كما قال الله تعالى (ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم) فأتي بالعموم بعد الخصوص ولم أجده ذكر في خبر سفيان ابن عيينة شيئاً وتأويله يقرب من تأويل خبر أبي ضمضم لأن من آذى رجلا بسبه في نفسه أو سب سلفه وأدخل عليه بذلك وضعاً ونقصاً لم يكن الى ورثته بعد موته الاحلال من ذلك لأن الأذى لم يدخل عليهم ولو كان داخلا عليهم أيضاً مع دخوله على المسبوب لكان إحلالهم مما يرجع الى غيرهم لم يصح على أن الاحلال من الضرر وسقوط العوض المستحق عليه وهل يسقط باسقاط مستحقه أم لا فيه كلام ليس هذا موضعه وقد ذكرناه في مواضع •• وبعد فلو سلم لابن قتيبة ان المراد بالعرض في كل المواضع التى ذكرناها النفس دون السلف أو سلم له ذلك فى بيت حسان خاصة فانه أقرب الى أن يكون المراد به ما ذكره لم يقدح فيما ذكرناه لانّا لم نقل ان العرض مقصور على سلف الانسان بل ذكرنا انه موضع الذم والمدح من الانسان ولا فرق

بين سلفه ونفسه فكيف يكون الاحتجاج بما المراد بالعرض فيه النفس طعناً علينا وانما ينفع ابن قتيبة أن يأتي بما يدل على ان العرض لا يستعمل إلاّ في النفس دون السلف وكل شيء ورد مما المراد بالعرض فيه النفس أوالمراد به السلف فهو مؤكد لقولنا فى ان هذه اللفظة مستعملة فى موضع الذم والمدح من الانسان وانما يكون ما استشهدنا به وما جرى مجراه مما يدل على استعمال لفظة العرض فى السلف حجة على ابن قتيبة لانه قصر معناها على النفس والذات دون السلف وهذا واضح بحمد الله •• أخبرنا أبو عبيد الله المرزبانى قال حدثنا محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرنا أبو حاتم قال كان أبو عبيدة معمر بن المثنى صفرياً وكان يكتم ذلك فأنشد لعمران بن حطان (١)

أَنْـكَرْتُ بَعْدَكَ مَنْ قَدْ كُنْتُ أَعْرِفُهُ ... ما النَّاسُ بَعْدَكَ يا مِرْدَاسُ بِالناسِ
إِمَّا تَـكُنْ ذُقْتَ كَأْساً دَارَ أَوَّلُها ... علي القُرُونِ فَذَاقُوا نَهْلَةَ الكَاسِ
قَدْ كُنْتُ أَبْـكِيكَ حِيناً ثُمَّ قَدْ يَئِستْ ... نَفْسِي فَما رَدَّ عَنِّي عَبْرَتِي ياسِي

وأخبرنا أبو عبيد الله المرزبانى قال حدثنا ابن دريد قال حدثنا الاسناباذاني قال قال الثوري كنت اذا أردت ان أبسط أبا عبيدة ذكرته بأخبار الخوارج فابعج منه ثبج بحر لجته يوماً وهو مطرق ينكث فى الأرض فى صحن المسجد وقد قربت منه الشمس

---

(١) وهو أحد بني ذهل بن ثعلبة وكان رأس القعدة من الصفرية وخطيبهم وشاعرهم وهذه الأبيات يرثى بها أبا بلال وهو مرداس بن ادية وهي جدته وأبوه حدير وهو أحد بنى ربيعة بن حنظلة ورواية أبي العباس

يا عين بكي لمرداس ومصرعه ... يارب مرداس اجعلني كمرداس
تركتني هائماً أبكى لمرزأتي ... في منزل موحش من بعد إيناس
أنكرت بعدك من قد كنت أعرفه ... ما الناس بعدك يا مرداس بالناس
إمّا شربت بكأس دار أوّلها ... على القرون فذاقوا جرعة الكاس
فكل من لم يذقها شارب عجلا ... منها بأنفاس ورد بعد أنفاس

فسلمت عليه فلم يرد فتمثلت

وَما لِلْمَرْءِ خَيْرٌ في حَياةٍ إِذَا ما عُدَّ مِنْ سَقَطِ المَتاعِ

والبيت لقطري بن الفجاءة فنظر اليّ ثم قال ويحك أتدري من يقوله قلت قطري قال اسكت فض الله فاك فإلاّ قلت أمير المؤمنين أبو نعامة ثم انتبه فقال اكتمها عليّ يا ثوري فقلت هي ابنة الأرض فأنشدني

أَقُولُ لَها وَقَدْ جاشَتْ حَياءً مِنَ الأَبْطالِ وَيْحَكِ لا تُراعِي

فإِنَّكِ لَوْ طَلَبْتِ حَياةَ يومٍ على الأَجَلِ الَّذِي لَكِ لَنْ تُطاعِي

فَصَبْرًا في مَجالِ المَوْتِ صَبْرًا فَما نَيْلُ الخُلُودِ بِمُسْتَطاعِ

وَما طُولُ الحَياةِ بِثَوْبِ مَجْدٍ فَيُطْوَى عَنْ أَخِي الخَنَعِ اليَراعِ

سَبِيلُ المَوْتِ مَنْهَجُ كُلِّ حَيٍّ وَدَاعِيهِ لأَهْلِ الأَرْضِ دَاعِي

وَمَنْ لَمْ يَغْتَبِطْ يُسأَمْ وَيَهْرَمْ وَيُفْضِ بِهِ القَضاءُ إِلى انْقِطاعِ

وَما لِلْمَرْءِ خَيْرٌ في حَياةٍ إِذَا ما عُدَّ مِنْ سَقَطِ المَتاعِ(١)

(١) رواية الحماسة

أقول لها وقد طارت شعاعاً من الأبطال ويحك لن تراعي

فإنك لو سألت بقاء يوم على الأجل الذى لك لم تطاعي

فصبراً في مجال الموت صبراً فما نيل الخلود بمستطاع

وما ثوب الحياة بثوب عز فيطوى عن أخى الخنع اليراع

سبيل الموت غاية كل حى فداعيه لأهل الأرض داعى

ومن لا يغتبط يسأم ويهرم وتسلمه المنون الى انقطاع

وما للمرء خير فى حياة اذا ما عُدَّ من سقط المتاع

فكتبتها وقت لا انصرف فقال اقعد ثم أنشدني

إلى كَمْ تُغازِيني السيوفُ ولا أرى ... مُغازَاتَها تدعو إليَّ حمامِيا
أُقارِعُ عن دارِ الخلودِ ولا أرى ... بقاءً على حالٍ لمن ليسَ باقِيا
ولو قرَّبَ الموتَ القِراعُ لقد أنى ... لموتيَ أنْ يدنو لطولِ قِراعِيا
أُغادِي جِلادَ المُعلمينَ كأنَّني ... على العَسَلِ الماذيِّ أُصبِحُ غادِيا
وادعو الكُماةَ للنزالِ إذا القنا ... تحطَّمَ فيما بيننا من طِعانِيا
ولستُ أرى نفساً تموتُ وإنْ دنَتْ ... من الموتِ حتَّى يبعثَ اللهُ داعِيا

قال ابن دريد وهذا الشعر أيضاً لقطرى .. أخبرنا أبو الحسن عليّ بن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا أبو حاتم قال جئت أبا عبيدة يوماً ومعي شعر عروة بن الورد فقال فارغ حمل شعر فقير ليقرأه على فقير فقلت مامعي غيره فأنشدني أنت ماشئت فأنشدني

يا رُبَّ ظِلِّ عُقابٍ قد وقيتُ بهِ ... مُهري من الشمسِ والأبطالُ تجتلِدُ
ورُبَّ يومِ حِمىً أرعى عقوَّتَهُ ... خيلي اقتساراً وأطرافُ القنا قُصُدُ
ويومِ لهوٍ لأهلِ الخفضِ ظلَّ بهِ ... لهوي اصطلاءَ الوغا إذ نارُهُ تَقِدُ
مُشَهِّراً موقفي والحربُ كاشفةٌ ... عنها القناعَ وبحرُ الموتِ يطَّرِدُ
ورُبَّ هاجرةٍ تغلي مراجلُها ... مخرتُها بمطايا غارةٍ تخِدُ
تجتابُ أوديةَ الأفزاعِ آمنةً ... كأنَّها أُسُدٌ يقتادُها أسَدُ
فإنْ أمُتْ حتفَ نفسي لا أمُتْ كمداً ... على الطِعانِ وقصرُ العاجزِ الكمَدُ
ولم أقلْ لم أُساقِ القتلَ شارِبَهُ ... في كأسِهِ والمنايا شُرَّعٌ وُرُدُ

ثم قال لي هذا الشعر لا ما تعللون به نفوسكم من أشعار المخانيث والشعر لقطري ..
أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثنا محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرنا أبو حاتم قال كان أبو عبيدة يأنس الي في أول ما اختلفت اليه ويسألني عن خوارج سجستان لانه كان يظنني على رأيهم وكنت أوهمه أنني منهم فنالتني منه لذلك عناية خاصة فكان كثيراً ينشدني أشعارهم ثم يتمثل

أُولَئِكَ قَوْمٌ إِنْ بَنَوا احْسَنُوا البِنَا ... وَإِنْ عاهَدُوا أَوْفُوا وَإِنْ عَقَدُوا اشَدُّوا

قال وأنشدني يوماً لرجل من طيء من الخوارج

لَا كابْنِ مِلحانَ مِنْ شارٍ أَخِي ثِقَةٍ ... أَوْ كابْنِ عَلْقمةَ المُسْتَشْهِدِ الشَّارِي
مِنْ صادِقٍ كُنْتُ أُصْفِيهِ مُخالَصَتِي ... فَباعَ دارِي بِأَغْلَى صَفْقَةِ الدَّارِ
إِخْوَانُ صِدْقٍ أُرَجِّيهِمْ واحْذَرُهُمْ ... اشْكُو الى اللهِ إِخْوَانِي وإِحْذَارِي
فَصِرْتُ صاحِبَ دُنْيا لَسْتُ أَمْلِكُها ... وصارَ صاحِبَ جَنَّاتٍ وأَنْهارِ

مجلس آخر ٤٩

[تأويل آية] .. إن سأل سائل عن قوله تعالى (وقالت اليهود يد الله مغلولة غُلَّتْ أيديهم ولُعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان) .. فقال ما اليد التي أضافتها اليهود الى الله تعالى وادَّعوا انها مغلولة فما نرى ان عاقلا من اليهود ولا غيرهم يزعم ان لربه يداً مغلولة واليهود تتبرأ من أن يكون منها قائل بذلك وما معنى الدعاء عليهم بغلّ أيديهم وهو تعالى ممن لا يصح أن يدعو على غيره لانه تعالى قادر على أن يفعل ما يشاء وانما يدعو الداعي بما لا يتمكن من فعله طالباً له .. الجواب قلنا يحتمل أن يكون قوم من اليهود وصفوا الله تعالى بما يقتضي تناهي مقدوره فجرى ذلك مجرى أن يقولوا ان يده مغلولة لان عادة الناس جارية بان يعبروا بهذه العبارة عن هذا المعنى فيقولون يد فلان منقبضة

عن كذا وكذا ويده لا تنبسط الي كذا اذا أرادوا وصفه بالفقر والقصور ويشهد بذلك قوله تعالى في موضع آخر (لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء) ثم قال تعالى مكذباً لهم (بل يداه مبسوطتان) أي انه لا يعجزه شئ وثنى اليدين تأكيداً للأمر وتفخيماً له ولان ذلك أبلغ فى المعنى المقصود من أن يقول بل يده مبسوطة .. وقد قيل أيضاً ان اليهود وصفوا الله تعالى بالبخل واستبطؤا فضله ورزقه وقيل انهم قالوا على سبيل الاستهزاء ان إله محمد الذي أرسله يداه الى عنقه إذ ليس يوسع عليه وعلى أصحابه فرد الله قولهم وكذبهم بقوله (بل يداه مبسوطتان) واليد ههنا الفضل والنعمة وذلك معروف فى اللغة متظاهر في كلام العرب وأشعارهم ويشهد بذلك من الكتاب قوله تعالى (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط) ولا معنى لذلك إلا الأمر بترك امساك اليد عن النفقة فى الحقوق وترك الاسراف الى القصد والتوسط ويمكن أن يكون الوجه فى تثنية النعمة من حيث أريد بها نعم الدنيا ونعم الآخرة لان الكل وان كانت نعماً لله فمن حيث اختص كل واحد من الأمرين بصفة تخالف صفة الآخر صارا كأنهما جنسان وقبيلان ويمكن أيضاً أن يكون فى تثنية النعمة لانه أريد بها النعم الظاهرة والباطنة .. فأما قوله تعالى (غُلّتْ أيديهم) ففيه وجوه .. أولها أن لا يكون ذلك على سبيل الدعاء بل على وجه الاخبار منه عز وجل عن نزول ذلك بهم وفى الكلام ضمير وقد قيل قوله (غُلّتْ أيديهم) وموضع غُلّت نصب على الحال كأنه تعالى قال وقالت اليهود كذا وكذا فى حال ماغل الله تعالى أيديهم ولعنهم أو حكم بذلك فيهم ويسوغ إضمار قد ههنا كما ساغ فى قوله عز وجل (إن كان قميصه قُدَّ من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قُدَّ من دبر فكذبت) والمعنى فقد صدقت وقد كذبت .. وثانيها أن يكون معنى الكلام وقالت اليهود يد الله مغلولة فغلت أيديهم أو وغلت أيديهم فأضمر تعالى الفاء والواو لان كلامهم تم واستؤنف بعده كلام آخر ومن عادة العرب أن تحذف فيما يجري مجرى هذا الموضع من ذلك قوله تعالى (وإذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزواً) أراد فقالوا أتتخذنا هزواً فأضمر تعالى الفاء لتمام كلام موسى عليه الصلاة والسلام

ومنه قول الشاعر

لمَّا رَأَيْتُ نَبَطا أَنْصارَا شَمَّرْتُ عن رُكْبَتِيَ ٱلإِزَارَا
كُنْتُ لَها منَ النَّصارَى جارَا

أراد وكنت لها فأضمر الواو .. وثالثها أن يكون القول خرج مخرج الدعاء إلاّ أن معناه التعليم من الله تعالى لنا والتأديب فكأنه تعالى وقفنا على الدعاء عليهم وعلمنا ما ينبغي أن نقول فيهم كما علمنا الاستثناء فى غير هذا الموضع بقوله (لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين) وكل ذلك واضح والمنّة لله

[تأويل خبر] .. ان سأل سائل عن الخبر الذي روي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده .. الجواب قلنا قد تعلق بهذا الخبر صنفان من الناس فالخوارج تتعلق به وتدعى ان القطع يجب فى القليل والكثير ويستشهد على ذلك بظاهر قوله تعالى (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما) ويتعلق بهذا الخبر أيضاً الملحدة والشكاك ويدعون انه مناقض للرواية المتضمنة انتفاء القطع إلاّ فى ربع دينار ونحن نذكر ما فيه .. فأول ما نقوله ان الخبر مطعون فيه عند أصحاب الحديث وعلى اسناده أيضاً طعن وقد حكى ابن قتيبة فى تأويله وجهاً عن يحيي بن أكثم طعن عليه وضعفه وذكر عن نفسه وجهاً آخر نحن نذكرهما وما فيهما ونتبعهما بما نختاره .. قال ابن قتيبة كنت حضرت يوماً مجلس يحيي بن أكثم بمكة فرأيته يذهب الى ان البيضة في هذا الحديث بيضة الحديد التى تغفر الرأس فى الحرب وان الحبل من حبال السفن قال وكل واحد من هذين يبلغ ثمنه دنانير كثيرة .. قال ورأيته يعجب بهذا التأويل ويبدى فيه ويعيد ويرى انه قطع بحجة الخصم .. قال ابن قتيبة وهذا انما يجوز على من لا معرفة له باللغة ومخارج الكلام وليس هذا موضع تكثير لما يأخذه السارق فيصرفه الى بيضة تساوى دنانير وحبل لا يقدر السارق على حمله ولا من عادة العرب والعجم أن يقولوا قبح الله فلاناً عرض نفسه للضرر في عقد جوهر وتعرض لعقوبة الغلول في جراب مسك وانما العادة جارية

بان يقال لعنه الله تعرض لقطع اليد فى حبل رثٍ أو أداوة خَلَق أو كبة شعر فكل ما كان من ذلك حقيراً كان أبلغ ·· قال والوجه في الحديث ان الله تعالى لما أنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم (والسارق والسارقة) الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده على ظاهر ما أنزل عليه في ذلك الوقت ثم أعلمه الله تعالى بعدُ ان القطع لا يكون إلاّ في ربع دينار فما فوقه ولم يكن عليه الصلاة والسلام يعلم من حكم الله تعالي إلاّ ما أعلمه الله تعالي ولا كان الله يعرفه ذلك جملة بل يبيّن له شيئاً بعد شيء ·· [قال المرتضي] رضى الله عنه ووجدت أبا بكر الانبارى يقول ليس الذى ذكر ابن قتيبة على تأويل الخبر بشيء قال لأن البيضة من السلاح ليست علماً في كثرة الثمن ونهاية علو القيمة فتجري مجرى العقد من الجوهر والجراب من المسك الذين يساويا الألوف من الدنانير والبيضة من السلاح ربما أشتريت بأقل مما يجب فيه القطع وانما أراد عليه الصلاة والسلام انه يكتسب قطع يده بما لا غناء له به لان البيضة من السلاح لا يستغنى بها أحد والجوهر والمسك فى اليسير منهما غناء ·· [قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه والذى نقوله ان ماطعن به ابن الانباري على كلام ابن قتيبة متوجه وليس فى ذكر البيضة والحبل تكثير كما ظن فيشبه العقد والجراب من المسك غير انه يبقى فى ذلك أن يقال أي وجه لتخصيص البيضة والحبل بالذكر وليس هما النهاية فى التقليل وان كان كما ذكره ابن الانبارى من ان المعنى انه ليسرق ما لا يستغنى به فليس ذكر ذلك بأولي من غيره فلا بد من ذكر وجه في ذلك ·· وأما تأويل ابن قتيبة فباطل لان النبى عليه الصلاة والسلام لا يجوز أن يقول ماحكاه عند سماع قوله تعالي (والسارق والسارقة) لان الآية مجملة مفتقرة الي بيان ولا يجوز أن يحملها أو يصرفها الي بعض محتملاتها دون بعض بلا دلالة على ان أكثر من قال ان الآية مجملة وان ظاهر القول يقتضي العموم ويذهب الي ان تخصيصها بسارق دون سارق لم يتأخر عن حال الخطاب بها فكيف يصح ما قاله ابن الانباري ان الآية تقدمت ثم تأخر تخصيص السارق ولو كان ذلك كما ظن لكان المتأخر ناسخاً للأول وعلى تأويله هذا يقتضى أن يكون كل الخبر منسوخاً واذا أمكن تأويل أخباره عليه الصلاة والسلام على ما لا يقتضى

رفع أحكامها ونسخها كان أولى . . والأشبه أن يكون المراد بهذا الخبران السارق يسرق الكثير الجليل فتقطع يده ويسرق الحقير القليل فتقطع يده فكأنه تعجيز له وتضعيف لاختياره من حيث باع يده بقليل الثمن كما باعها بكثيره . . وقد حكى أهل اللغة ان بيضة القوم وسطهم وبيضة الدار وسطها وبيضة السنام شحمته وبيضة الصيف معظمه وبيضة البلد الذى لا نظير له وان كان قد يستعمل ذلك في المدح والذم على سبيل الاضداد واذا استعمل فى الذم فمعناه ان الموصوف بذلك حقير مهين كالبيضة التى تفسدها النعامة فتتركها ملقاة ولا تلتفت اليها فماجاءمن ذلك في المدح قول أخت عمرو ابن عبد ود ترثيه (١) وتذكر قتل أمير المؤمنين عليه السلام إياه وقيل ان الأبيات لامرأة من العرب غير أخته

لَوْ كانَ قاتِلُ عَمْرٍو غيْرَ قاتِلِهِ ... لَكُنْتُ أَبْكِي عليْهِ آخِرَ الأَبَدِ
لَكِنَّ قاتِلَهُ مَنْ لاَ يُعابُ بِهِ ... قَدْ كانَ يُدْعي قَدِيمًا بَيْضَةَ البَلَدِ

(١) عمرو بن عبد ود هذا من بني عامر بن لؤى خرج فى فرسان من قريش منهم عكرمة بن أبي جهل وهبيرة بن أبى وهب ونوفل بن عبد الله وضرار بن الخطاب فى غزوة الخندق فتيمموا مكاناً من الخندق ضيقاً فضربوا خيولهم فاقتحمت منه فجالت بهم في السبخة بين سلع والخندق وخرج علىّ بن أبي طالب رضى الله عنه في نفر من المسلمين حتي أخذ عليهم الثغرة التى اقتحموا منها خيلهم فقال لعمرو بن عبد ود ياعمرو إنك كنت تعاهد الله أن لا يدعوك رجل من قريش الي خلتين إلاّ أخذت منه احداهما قال أجل قال له علىّ فإنى أدعوك الى الله عزوجل والى رسوله والي الاسلام قال لا حاجة لي بذلك قال فإني أدعوك الى النزال قال ولم يابن أخى فوالله ما أحب أن أقتلك قال علىّ ولكنى والله أحب أن أقتلك فحمى عمرو عند ذلك فاقتحم عن فرسه فعقره أو ضرب وجهه ثم أقبل على علىّ فتنازلا وتجاولا فقتله علىّ عليه السلام وخرجت خيله منهزمة حتى اقتحمت من الخندق هاربة وقتل مع عمرو منبه بن عثمان الداري ونوفل بن عبد الله بن المغيرة

وقال آخر فى المدح

كانَتْ قُرَيْشاً بيضةٌ فتَفلَّقَتْ فالمُخُّ خالِصة لعبْدِ مَنافِ

وقال آخر فى الذم

تأبي قضاعةُ أنْ تعرِفَ لكُمْ نَسباً وَابنا نِزارٍ فأَنتُمْ بَيضَةُ البَلَدِ

أراد أن تعرف فأسكن .. وقال آخر في ذلك

لكنَّهُ حوضُ منْ أُودى بإخوَتِهِ رَيْبُ الزّمانِ فأَمسَى بَيضَةَ البَلَدِ (١)

فقد صار معنى البيضة كله يعود الى التفخيم والتعظيم .. وأما الحبل فيذكر على سبيل المثل والمراد المبالغــة في التحقير والتقليل كما يقول القائل ما اعطاني فلان إلاّ عقالا وما ذهب من فلان عقال ولا تساوى كذا نقيراً كل ذلك على سبيل المثل والتقليل وليس الغرض بذكر الحبل الواحد من الحبال على الحقيقة واذا كان على هــذا تأويل الخبر زال عنه المناقضة التى ظنلت وبطلت شبهة الخوارج فى ان القطع يجب فى القليل والكثير .. أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني أبو عبيد الله الحكيمي قال حدثني يموت بن المزرع قال حدثنى أبو وهب عليّ بن ثابت قال قال الأصمعي تصرفت بالأسباب على باب الرشيد مؤملا بالظفر به والوصول اليه حتى إنى صرت لبعض حرسه خديناً فإنى فى ليلة قد نثرت السعادة والتوفيق فيها الأرق بين أجفان الرشيد إذ خرج خادم فقال أما بالحضرة أحد يحسن الشعر فقلت الله أكبر رب قيدٍ مضيقه قد حله التيسير فقال لي الخادم ادخل فلعلها أن تكون ليلة تعرس في صباحها بالغنى ان فزت بالحظوة عنده

(١) وقبله

لو كان حوض حمار ماشربت به إلاّ باذن حمار آخر الأبد
لكنه حوض من أودى باخوته وريب الزمان فأمسى بيضة البلد
لو كان يشكي الى الأموات مالقي الا احياء بعدهم من شدة الكمد

فدخلت فواجهت الرشيد في بهوة والفضل بن يحيي الى جانبه فوقف بي الخادم بحيث يسمع التسليم فسلمت فرد علىّ السلام ثم قال ياغلام أرجه قليلا ليفرخ روعه ان كان قد وجد للروعة حساً فدنيت قليلا ثم قلت ياأمير المؤمنين إضاءة مجدك وبهاء كرمك مجيران لمن نظر اليك من اعتراض أذية فقال ادن فدنوت فقال أشاعر أم راوية فقلت راوية لكل ذى جد وهزل بعد أن يكون محسناً فقال تالله مارأيت ادعاء أعم فقلت أنا على الميدان فأطلق من عناني ياأمير المؤمنين فقال قد أنصف القارة من راماها ثم قال ما معنى هذه الكلمة بديا قال قلت فيها قولان القارة هي الحرّة من الأرض وزعمت الرواة ان القارة كانت رماة للتبابعة والملك إذ ذاك أبو حسان فواقف عسكره عسكر السعد فخرج فارس من السعد قد وضع سهمه فى كبد قوسه فقال أين رماة العرب فقالت العرب قد أنصف القارة من راماها[1] فقال لي الرشيد أصبت ثم قال

---

(١) القارة قبيلة وهم عضل والديش أبناء الهون بن خزيمة وانما سموا قارة لالتفافهم واجتماعهم لما أراد الشداخ أن يفرقهم فى بني كنانة وقريش قال شاعرهم

دعونا قارة لاتنفرونا فنجفل مثل إجفال الظليم

وهم رماة الحدق في الجاهلية وهم اليوم فى اليمن ويزعمون ان رجلين إلتقيا أحدهما قاري والآخر أسدي فقال القاري ان شئت صارعتك وان شئت سابقتك وان شئت راميتك فقال الآخر قد اخترت المراماة فقال الأسدي قد اخترت المراماة فقال القاري قد أنصفتني وأنشد

قد أنصف القارة من راماها إنّا اذا ما فئة نلقاها

* نرد أولاها على أخراها *

ثم انتزع له سهماً وشك فؤاده ٠٠ وانما قيل أنصف القارة من راماها فى حرب كانت بين قريش وبين بكر بن عبد مناف بن كنانة وكانت كنانة مع قريش وهم قوم رماة فلما التقى الفريقان راماهم الآخرون فقيل قد أنصفهم هؤلاء اذ ساووهم في العمل الذي هو شأنهم وصناعتهم

أروي لرؤبة بن العجاج والعجاج شيئاً فقلت هما شاهدان لك بالقوافي وان غيبا عن بصرك بالأشخاص فأخرج من ثني فرشه رقعة ثم قال أنشدني

أَرَّقَنِي طارِقُ هَمٍّ طَرَقا

فمضيت فيها مضي الجواد في متن ميدانه تهدر بها أشداقي فلما صرت الى مديحه لبني أمية ثنيت لساني الي امتداحه للمنصور في قوله

قُلْتُ لِزِيرٍ لم تَصِلْهُ مَرْيَمُهْ

فلما أراني قد عدلت من أرجوزة الى غيرها قال أعن حيرة أم عن عمدٍ قلت عن عمد تركت كذبه الى صدقه فيما وصف به المنصور من مجدٍ فقال الفضل أحسنت بارك الله عليك مثلك يؤهل لهذا المجلس فلما أتيت على آخرها قال لي الرشيد أتروي كلمة عدي بن الرقاع

عَرَفَ الدِّيارَ تَوَهُّماً فاعتادَها

قلت نعم قال هات فمضيت فيها حتى صرت الى وصف الجمل قال لي الفضل ناشدتك الله أن تقطع علينا ما أمتعنا به السهر من ليلتنا هذه بصفة جمل أجرب فقال له الرشيد اسكت فالابل هي التي أخرجتك من دارك واستلبت تاج ملكك ثم ماتت وعملت جلودها سياطاً ثم ضربت بها أنت وقومك فقال الفضل لقد عوقبت على غير ذنب الحمد لله فقال الرشيد أخطأت الحمد لله على النعم ولو قلت أستغفر الله كنت مصيباً ثم قال لي امض في أمرك فأنشدته حتى اذا بلغت الى قوله

تُزْجِي أَغَنَّ كأَنَّ إِبْرَةَ رَوْقِهِ قَلَمٌ أَصابَ مِنَ الدَّواةِ مِدادَها

استوى جالساً ثم قال لي أتحفظ في هذا ذكراً قلت نعم ذكرت الرواة ان الفرزدق قال كنت في المجلس وجرير الى جانبي فلما ابتدأ عدي في قصيدته قلت لجرير مسرًّا اليه هلم نسخر من هذا الشامي فلما ذقنا كلامه يئسنا منه فلما قال

تُزْجِي أَغَنَّ كأَنَّ إِبْرَةَ رَوْقِهِ

وعدى كالمستريح فقال جرير اذاً تراه يستلب بها مثلا فقال الفرزدق يالكم انه يقول

قلم أصابَ منَ الدَّواةِ مِدَادَها

فقال جرير كأنّ سمعك مخبو في صدره فقال لي اسكت شغلني سبُّك عن جيد الكلام(١) فلما بلغ الى قوله

ولقَدْ أَرَادَ اللهُ إذْ ولاَّ كَها   منْ أُمَّةٍ إصلاَحَها وَرَشَادَها

قال الأصمعي قال لي الرشيد ماتراه قال حين أُنشده الشاعر هذا البيت فقلت قال كذلك أراد الله فقال الرشيد ماكان في جلالته يقول هذا أحسبه قال ماشاء الله قال وكذا جاءت الرواية فلما أتيت على آخرها قال لى أتروي لذي الرمة شيئاً قلت الأكثر قال فماذا أراد بقوله

مُمَرٌّ أَمرَّتْ فَتْلَهُ أَسَدِيَّةٌ   ذِرَاعِيَّةٌ حَلاَّلَةٌ بالمَصانِعِ

قلت وصف حمار وحش أسمنه بقل روضة تواشجت أصوله وتشابكت فروعه عن مطر سحابة كانت بنوء الأسد فى الذراع فقال الرشيد أرخ فقد وجدناك ممتعاً وعرفناك محسناً ثم قال إني لأجد ملالة ونهض فأخذ الخادم يصلح عقب النعل فى رجله وكانت عربية فقال الرشيد عقرتنى ياغلام فقال الفضل قاتل الله الأعاجم أما انها لو كانت سندية لما احتجت الى هذه الكلفة فقال الرشيد هذه نعلي ولعل آبائي كم تعارض فلا تترك من بجواب ممضٍ ثم قال ياغلام تأمر صالح الخادم بتعجيل ثلاثين ألف درهم

(١) وقال أبو العباس يروي ان جريراً دخل الى الوليد وابن الرقاع العاملي عنده ينشده القصيدة التى يقول فيها

غلب المساميحَ الوليدُ سماحة   وكفى قريش المعضلات وسادها

قال جرير فحسدته على أبيات منها حتى أنشد فى صفة الظبية * تزجي أغن كأن إبرة روقه * الخ قال فقلت فى نفسى وقع والله ما يقدر أن يقول أو يشبه به قال فقال * قلم أصاب من الدواة مدادها * قال فما قدرت حسداً له أن أقيم حتى انصرفت

على هذا الرجل فى ليلته هـذه ولا يحجب فى المستأنف فقال الفضل لولا أنه مجلس أمير المؤمنين ولا يأمر فيه غيره لأمرت لك بمثل ما أمر لك به وقد أمرت لك به إلا ألف درهم فتاتى الخادم صباحاً ٠٠ قال الأصمعي فما صليت من غد إلاّ وفى منزلى تسعة وخمسون ألف درهم



مجلس آخر ٥٠

[تأويل آية] ٠٠ إن سأل سائل عن قوله تعالى (الله ولىّ الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور) ٠٠ فقال أليس ظاهر هذه الآية يقتضى انه هو الفاعل للايمان فيهم لأن النور ههنا كناية عن الايمان والطاعات والظلمة كناية عن الكفر والمعاصي ولا معنى لذلك غير ماذكرناه واذا كان مضيف الاخراج اليه فهو الفاعل لما كانوا به خارجين وهذا خلاف مذهبكم ٠٠ الجواب قلنا إن النور والظلمة المذكوران في الآية جائز أن يكون المراد بهما الايمان والكفر وجائز أيضاً أن يراد بهما الجنة والنار والثواب والعقاب فقد تصح الكناية عن الثواب والنعيم فى الجنة بأنه نور وعن العقاب فى النار بانه ظلمة فاذا كان المراد بهما الجنة والنار ساغت اضافة اخراجهم من الظلمات الى النور اليه تعالى لانه لا شبهة فى انه جل وعز هو المدخل للمؤمن الجنة والعادل به عن طريق النار والظاهر بما ذكرناه أشبه لانه يقتضى ان المؤمن الذى ثبت كونه مؤمناً يخرج من الظلمة الى النور ولو حمل على الايمان والكفر لتناقض المعنى ولصار تقدير الكلام انه يخرج المؤمن الذى قد تقدم كونه مؤمناً من الكفر الى الايمان وذلك لايصح واذا كان الكلام يقتضى الاستقبال فى اخراج من ثبت كونه مؤمناً كان حمله على دخول الجنة والعدول به عن طريق النار أشبه بالظاهر على أنا لو حملنا الكلام على الايمان والكفر لصح ولم يكن مقتضياً لما توهموه ويكون وجه اضافة الاخراج اليه تعالى وان لم يكن الايمان من فعله من حيث بيّن ودل وأرشد ولطف وسهّل وقد علمنا انه لولا هذه الأمور لم يخرج المكلف من الكفر الى الايمان فيصح اضافة الاخراج اليه تعالى لكون ما عددناه من

جهته وعلى هذا يصح من أحدنا اذا أشار على غيره بدخول بلدٍ من البلدان ورغبه في ذلك وعرّفه ما فيه من الصلاح والنفع أو بمجانبة فعل من الأفعال أن يقول أنا أدخلت فلاناً البلد الفلانى وأنا أخرجته من كذا وانتشته منه ويكون وجه الاضافة ما ذكرناه من الترغيب وتقوية الدواعي ألا ترى انه تعالى قد أضاف اخراجهم من النور الى الظلمات ومن الايمان الي الطاغوت وان لم يدل ذلك على ان الطاغوت هو الفاعل للكفر في الكفار بل وجه الاضافة ماتقدم لان الشياطين يغوون ويدعون الي الكفر ويزينون فعله فتصح اضافته اليهم من هذا الوجه والطاغوت هو الشيطان وحزبه وكل عدو لله تعالى صدّ عن طاعته وأغرى بمعصيته يصح اجراء هذه التسمية عليه فكيف اقتضت الاضافة الأولي ان الايمان من فعل الله تعالي في المؤمن ولم تقتض الاضافة الثانية ان الكفر من فعل الشياطين في الكفار لولا بله المخالفين وغفلتهم •• وبعد فلو كان الأمر على ما ظنوه لما صار الله تعالي وليًا للمؤمنين وناصراً لهم على ما اقتضته الآية والايمان من فعله تعالي لا من فعلهم ولما كان خاذلا للكافرين مضيفاً لولايتهم الي الطاغوت والكفر من فعله تعالى فيهم ولما فصل بين الكافر والمؤمن فى باب الولاية وهو المتولي لفعل الأمرين فيهما ومثل هذا لا يذهب على أحد ولا يعرض عنه إلاّ معاند مغالط لنفسه •• أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال قال أبو بكر محمد بن القاسم الانبارى حدثنا أحمد بن حيان قال حدثنا أبو عبد الله بن البطاح قال أخبرنا أبو عبيدة قال قال عبد الملك بن مسلم كتب عبد الملك بن مروان الى الحجاج انه لم يبق شئ من لذة الدنيا إلاّ وقد أصبت منه ولم يبق لى من لذة الدنيا إلاّ مناقلة الاخوان الأحاديث وقبلك عامر الشعبي فابعث به اليّ يحدثني فدعا الحجاج بالشعبي وجهزه وبعث به اليه وأطراه فى كتابه فخرج الشعبي حتي اذا كان بباب عبد الملك قال للحاجب استأذن لى قال ومن أنت قال عامر الشعبي قال حيّاك الله ثم نهض وأجلسه على كرسيه فلم يلبث أن خرج الحاجب اليه فقال ادخل قال فدخلت فاذا عبد الملك جالس على كرسى وبين يديه رجل أبيض الرأس واللحية على كرسي فسلمت فرد السلام ثم أومأ اليّ بقضيبه فقعدت عن يساره ثم أقبل على الذى بين يديه فقال ويحك من أشعر الناس قال أنا يا أمير المؤمنين

فأظلم عليَّ مابيني وبين عبد الملك ولم أصبر ان قلت ومن هذا يا أمير المؤمنين الذي يزعم انه أشعر الناس فعجب عبد الملك من عجلتي قبل أن يسألني عن حالي ثم قال هذا الأخطل فقلت يا أخطل أشعر منك الذي يقول

هَذَا غُلَامٌ حَسَنٌ وَجْهُهُ مُقْتَبَلُ الخَيْرِ سَرِيعُ التَّمَامْ
لِلحارثِ الأَكْبَرِ وَالحارثِ الأَصغرِ والحارثِ خيرِ الأَنامْ
خَمسَةٌ آباؤُهُمْ ماهُمُ هُمْ خيرُ مَن يَشرَبُ صَوْبَ الغَمامْ (١)

فقال عبد الملك ردّدها عليَّ فرددتها حتى حفظها فقال الأخطل من هذا يا أمير المؤمنين فقال هذا الشعبي قال صدق والله النابغة أشعر مني .. قال الشعبي ثم أقبل عليَّ عبد الملك فقال كيف أنت يا شعبي قلت بخير لا زلت به ثم ذهبت لأصنع معاذيري لما كان من خلافي على الحجاج مع عبد الرحمن بن محمد الأشعث فقال مه فانا لا نحتاج الى هذا المنطق ولا تراه منّا في قول ولا فعل حتى تفارقنا ثم أقبل عليَّ فقال ماتقول في النابغة قلت يا أمير المؤمنين قد فضله عمر بن الخطاب في غير موطن على جميع الشعراء وذاك انه خرج يوماً وببابه وفد غطفان فقال يامعاشر غطفان أي شعرائكم الذي يقول

حَلَفتُ فلم أَترُكْ لِنَفسِكَ رِيبَةً وَلَيسَ وَرَاءَ اللهِ لِلمَرءِ مَذْهَبُ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَعطاكَ سَوْرَةً تَرَى كُلَّ مَلْكٍ دُونَهَا يَتَذَبْذَبُ
لأَنَّكَ شَمسٌ والمُلُوكُ كَوَاكِبُ إِذَا طَلَعَتْ لَم يَبْدُ مِنْهُنَّ كَوْكَبُ
لَئِنْ كُنتَ قَدْ بُلِّغتَ عَنّي خِيانَةً لَمُبلِغُكَ الوَاشِي أَغَشُّ وأَكْذَبُ
وَلَستَ بِمُستَبقٍ أَخاً لا تَلُمُّهُ على شَعَثٍ أَيُّ الرِّجالِ المُهَذَّبُ

(١) وروى ان الشعبي لما أنشد هذه الأبيات قال الأخطل ان أمير المؤمنين انما سألني عن أشعر أهل زمانه ولو سألني عن أشعر أهل الجاهلية لكنت حرياً أن أقول كما قلت

قالوا النابغة قال فأيكم الذي يقول

فإنكَ كالليلِ الذي هوَ مُدرِكي ... وإنْ خلتُ أنَّ المنتأَى عنكَ واسعُ

خطاطيفُ حُجْنٍ في حبالٍ متينةٍ ... تمدُّ بها أيدٍ اليكَ نوازعُ

قالوا النابغة قال أيكم الذي يقول

إلى ابنِ محرّقٍ أعملتُ رحلِي ... وَرَاحِلتي وقدْ هدتِ العيونُ

أتيتُكَ عارياً خلَقٌ ثيابي ... على خوفٍ تُظنُّ بيَ الظنُونُ

فألفيتَ الأمانةَ لم تخنْها ... كذلكَ كانَ نوحٌ لا يخونُ

قالوا النابغة قال هذا أشعر شعرائكم ٠٠ ثم أقبل عبد الملك على الأخطل فقال أتحب ان لك قياضاً بشعرك شعر أحد من العرب أو تحب إنك قلته فقال لا والله إلاّ أني وددت أني كنت قلت أبياتاً قالها رجل منّا كان والله مغدف القناع قليل السماع قصير الذراع قال وما قال فأنشده

إنّا محيّوكَ فاسلَمْ أيُّها الطلَلُ ... وإنْ بليت وإنْ طالَتْ بكَ الطِّيَلُ

ليسَ الجديدُ بهِ تبقى بشاشتهُ ... إلاّ قليلاً ولاَ ذُو خلّةٍ يَصِلُ

وَالعيشُ لاَ عيشَ إلاّ ماتقرُّ بهِ ... عينٌ ولاَ حالَ إلاّ سوفَ ينتقلُ

إنْ ترجعِي عنْ أبي عثمانَ منجحةً ... فقدْ يهونُ على المستنجحِ العملُ (١)

---

(١) أبو عثمان هو عبد الواحد بن الحارث بن الحكم بن أبي العاصي بن عبد شمس بن عبد مناف ٠٠ وقال مصعب الزبيري هو عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك وكان عبد الواحد والياً في المدينة لمروان بن محمد هكذا في خزانة الادب وهذا الأخير لا يخفى انه غلط لأن القصة وقعت مع عبد الملك بن مروان بنفسه فكيف يكون عبد الواحد والياً لابن ابنه ومروان بن محمد أيضاً هو آخر ملوك بني أمية ومن القصيدة

أهل المدينة لا يحزنك شأنهم ... اذا تخطأ عبدَ الواحد الأجل

وَالنَّاسُ مَنْ يَلْقَ خَيْرًا قَائِلُونَ لَهُ ... مَا يَشْتَهِي وَلِأُمِّ الْمُخْطِلِ الْهَبَلُ

قَدْ يُدْرِكُ الْمُتَأَنِّي بَعْضَ حَاجَتِهِ ... وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَعْجِلِ الزَّلَلُ

قال الشعبي فقلت قد قال القطامي أفضل من هذا قال وما قال قلت قال

طَرَقَتْ جَنُوبُ رِحَالَنَا مِنْ مَطْرِقِ ... مَا كُنْتُ أَحْسِبُهُ قَرِيبَ الْمَعْنَقِ (١)

أما قريش فلن تلقاهم أبداً ... إلاّ وهم خير من يحفى وينتعل

ألا وهم جبل الله الذي قصرت ... عنه الجبال فما سوّى به جبل

قوم هم ثبتوا الاسلام وامتنعوا ... رهط الرسول الذي ما بعده رسل

من صالحوه رأى في عيشه سعة ... ولا يرى من أرادوا ضره يئل

كم نالني منهم فضلا على عدم ... إذ لا أكاد من الإقتار أحتمل

وكم من الدهر ما قد ثبتوا قدمي ... إذ لا يزال مع الأعداء ينتضل

فما هم صالحوا من يتقي عنتي ... ولا هم كدروا الخير الذي فعلوا

هم الملوك وأبناء الملوك لهم ... والآخذون به والساسة الاول

(١) وبعده

قطعت اليك بمثل جيد جداية ... حسن معلق تومتيه مطوق

ومصرعين من الكلال كأنما ... سمروا الغبوق من الرحيق المغبق

متوسدين ذراع كل نجيبة ... ومفرّج عرق المقد منوّق

وجثت على ركب تهديها الصفا ... وعلى كلا كل كالنقيل المطرق

واذا سمعن الى هماهم رفقة ... ومن النجوم غوائر لم تلحق

جعلت تميل خدودها آذانها ... طرباً بهن الى حداء السوق

كالمنصتات الى الغناء سمعنه ... من رائع لقلوبهن مشوق

واذا نظرن الى الطريق رأينه ... لهقاً كشاكلة الحصان الأبلق

واذا تخالف بعدهن لحاجة ... حاد يشعشع نعله لم يلحق

واذا يصيبك والحوادث جمة ... حدث حداك الى أخيك الأوثق

ليت الهموم عن الفؤاد تفرقت ... وخلي التكلم للسان المطلق

حتى أتيت الى آخرها فقال عبد الملك بن مروان ثكلت القطامي أمه هذا والله الشعر قال فالتفت اليّ الأخطل فقال يا شعبي ان لك فنوناً فى الأحاديث وان لنا فنّا واحداً فان رأيت أن لا تحملني على أكتاف قومك فادعهم حرضاً قلت لا أعرض لك فى شئ من الشعر أبداً فأقلني هذه المرة فقال من يكفل بك قلت أمير المؤمنين فقال عبدالملك هو على أن لا يعرض لك أبداً .. ثم قال ياشعبي أى شعراء الجاهلية كان أشعر من النساء قلت خنساء قال ولم فضلتها على غيرها قلت لقولها

وقائلةٍ والنَّعشُ قدفاتَ خَطوَها ... لِتُدرِكَهُ يا لَهفَ نَفسي على صَخرِ

ألا ثَكِلَت أمُّ الَّذِينَ غَدَوا بِهِ ... إلى القَبرِ ماذَا يَحمِلُونَ إلى القَبرِ

فقال عبد الملك أشعر منها والله ليلى الأخيلية حيث تقول

مُهَفهَفُ الكَشحِ والسِّربالِ مُنخَرِقٌ ... عنهُ القَمِيصُ لِسَيرِ اللَّيلِ مُحتَقِرُ

لا يأمَنُ النَّاسُ مُمساهُ وَمُصبَحَهُ ... في كُلِّ حَيٍّ وَإن لم يَغزُ يُنتَظَرُ

ثم قال ياشعبي لعله شق عليك ما سمعته فقلت أى والله يا أمير المؤمنين أشد المشقة إني لمحدثك منذ شهرين لم أفدك الا أبيات النابغة فى الغلام ثم قال يا شعبي انما أعلمناك هذا لانه بلغنى ان أهل العراق يتطاولون على أهل الشام ويقولون ان كانوا غلبونا على الدولة فلن يغلبونا على العلم والرواية وأهل الشام أعلم بعلم أهل العراق ثم ردد عليَّ أبيات ليلى حتي حفظتها وأذن لي فانصرفت فكنت أول داخل وآخر خارج .. [قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه والصحيح فى الرواية ان البيتين اللذين رواهما عبدالملك ونسبهما الى ليلى الأخيلية لأعشى باهلة يرثي المنتشر بن وهب الباهلي وهذه القصيدة من المراثي المفضلة المشهورة بالبلاغة والبراعة وهي

إنِي أتَتني لِسانٌ لا أُسَرُّ بِها ... من عَلوَ لا عَجَبٌ مِنها ولا سَخَرُ (١)

(١) رواية ثعلب

إني أتيت بشئ لا أسر به ... من علو لا عجب فيه ولا سخر

فَظَلْتُ مُكْتَئِبًا حَرَّانَ أَنْدُبُهُ ... وَكُنْتُ أَحْذَرُهُ لَوْ يَنْفَعُ الحَذَرُ
فَجَاشَتِ النَّفْسُ لَمَّا جَاءَ جَمْعُهُمُ ... وَرَاكِبٌ جَاءَ مِنْ تَثْلِيثَ مُعْتَمِرُ(١)
يَأْتِي عَلَى النَّاسِ لَا يَلْوِي عَلَى أَحَدٍ ... حَتَّى التَقَيْنَا وَكَانَتْ بَيْنَنَا مُضَرُ(٢)
إِنَّ الَّذِي جِئْتَ مِنْ تَثْلِيثَ تَنْدُبُهُ ... مِنْهُ السَّمَاحُ وَمِنْهُ النَّهْيُ وَالغِيَرُ(٣)

وروى أبو زيد في نوادره

إني أتاني شيءٌ لا أسر به ... من علُ لا عجب فيه ولا سخر

وروى للمبرد في الكامل

إني أتتني لسان لا أسر بها ... من علُ لا عجبٌ منها ولا سخر

ـ اللسان ـ هنا بمعنى الرسالة وأراد بها نعي المنتشر ولهذا أنث الفعل فانه اذا أريد به الكلمة أو الرسالة يؤنث ويجمع على ألسن واذا كان بمعنى جارحة الكلام فهو مذكر ويجمع على ألسنة أى أتاني خبر من أعلى نجد وقيل أراد العالية وقيل من أعالي البلاد ويقال من علو بتثليث الواو ومن علُ بكسر اللام وضمها ومن علا ومن أعلى ومن معال ٠٠ وقوله ـ لا عجب ـ الخ أي لا عجب منها وان كانت عظيمة لان مصائب الدنيا كثيرة ولا سخر بالموت وقيل معناه لا أقول ذلك سخرية وهو بفتحتين وبضمتين مصدر سخر منه

(١) قوله ـ فجاشت النفس ـ الخ أي غثت ويقال دارت للغثيان فان أردت انها ارتفعت من حزن أو فزع قلت جشأت بالهمز وروى بدل جمعهم فلّهم أي الذين شهدوا مقتله فلّهم بفتح الفاء وتشديد اللام يقال جاء فل القوم أي منهزموهم يستوى فيه الواحد والجمع وربما قالوا فلول وفلال ـ وتثليث ـ بكسر اللام وياء ساكنة وثاء أُخرى مثلثة موضع بالحجاز قرب مكة ـ ومعتمر ـ صفة راكب بمعنى زائر ويقال من عمرة الحج

(٢) قوله ـ يأتي على الناس ـ الخ فاعل يأتي ضمير الراكب ـ ويلوي ـ مضارع لوى بمعنى توقف وعرج أى يمر هذا الراكب على الناس ولم يعرج على أحد حتى أتانى لاني كنت صديقه ٠٠ ويروي دوننا بمعنى قدام بدل بيننا

(٣) قوله ـ ان الذي جئت ـ الخ أي فقلت لهذا الراكب ان الذي جئت الخ

تنعي امرأً لا تغب الحي جفنته ... إذا الكواكب أخطى نوءها المطر (١)

وراحت الشول مغبراً مناكبها ... شعثاً تغير منها النيّ والوبر (٢)

والجأ الكلب مرفوع الصقيع به ... والجأ الحي من تنفاحه الحجر (٣)

ـ والندب ـ مصدر ندب الميت من باب نصر بكى عليه وعدد محاسنه •• وجملة منه السماح خبر ـ والنهي ـ خلاف الأمر ـ والغير ـ بكسر المعجمة وفتح المثناة التحتية اسم من غير الشيء فتغير أقامه مقام الغير

(١) قوله ـ تنعي امرأ ـ الخ رواية أبي العباس ينعي بالياء المثناة والنعي خبر الموت يقال نعاه ينعاه •• قال الأصمعي كانت العرب اذا مات ميت له قدر ركب راكب فرساً وجعل يسير في الناس ويقول نعاء فلاناً أي أنعه وأظهر خبر وفاته وهي مبنية على الكسر ـ ولا تغب ـ هو من قولهم فلان لا يغبنا عطاؤه أي لا يأتينا يوم دون يوم بل يأتينا كل يوم ـ والجفنة ـ القصعة ـ وأخطاه ـ كتخطاه تجاوزه ـ والنوء ـ سقوط نجم من المنازل في المغرب مع الفجر وطلوع رقيبه من المشرق يقابله من ساعته في كل يوم الى ثلاثة عشر يوماً وهكذا كل نجم الى انقضاء السنة وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد الى الساقط منها •• يريد ان جفانه لا تنقطع في القحط والشدة

(٢) قوله ـ وراحت ـ هو معطوف على مدخول اذا ـ والشول ـ كما في القاموس الشائلة من الابل وهي ما أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فجف لبنها والجمع شول على غير قياس •• وفي النهاية الشول مصدر شال لبن الناقة أي ارتفع وتسمي الناقة الشول أي ذات شول لانه لم يبق في ضرعها إلا شول من لبن أي بقية ويكون ذلك بعد سبعة أشهر من حملها •• وروي ـ مباءتها ـ أي مراحها بدل مناكبها ـ ومغبر ـ يعني من الرياح والعجاج ـ والني ـ بفتح النون الشحم ومصدر نوت الناقة تنوي نواية ونيا اذا سمنت يريد ان الجدب وقلة المرعى خشن لحمها وغيره

(٣) قوله ـ والجأ ـ معطوف أيضاً على مدخول اذا والجأ اضطر ويروي أحجر يقال أجحرته أي ألجأته الى ان دخل جحره ـ والصقيع ـ الجليد ـ وتنفاحه ـ ضربه

عَلَيْهِ أَوَّلُ زَادِ القَوْمِ قَدْ عَلِمُوا ثُمَّ المَطِيُّ إِذَامَا أَرْمَلُوا جُزُرُ (١)
قَدْ تَكْظِمُ البُزْلُ مِنْهُ حِينَ تُبْصِرُهُ حَتَّى تَقَطَّعَ فِي أَعْنَاقِهَا الجِرَرُ (٢)
أَخُو رَغَائِبَ يُعْطِيهَا وَيُسْأَلُهَا يَأْبَى الظُّلَامَةَ مِنْهُ النَّوْفَلُ الزُّفَرُ (٣)
لَمْ تَرَ أَرْضًا وَلَمْ تَسْمَعْ بِسَاكِنِهَا إِلَّا بِهَا مِنْ نَوَادِي وَقْعِهِ أَثَرُ (٤)

وهو مصدر نفحت الريح اذا هبت باردة والضمير للصقيع والباء في به بمعنى على والضمير للكلب ــ والحجر ــ بضم الحاء وفتح الجيم جمع حجرة بالضم الغرفة وحظيرة الابل من شجر ·· يقول هو في مثل هذه الأيام الشديدة يطعم الناس الطعام

(١) قوله ــ عليه أول ــ الخ يعني انه يرتب على نفسه زاد أصحابه أولا واذا نفد الزاد نحر لهم ــ وأرمل ــ الرجل نفد زاده ــ والمطي ــ جمع مطية وهي الناقة ــ والجزر ــ بضمتين جمع جزور وهي الناقة التي تنحر وروى بفتحتين جمع جزرة وهي الناقة والشاة تذبح

(٢) يروي * وتفزع الشول منه حين يفجأها * ــ والكظم ــ من كظم البعير بالفتح يكظم بالكسر كظوماً اذا أمسك عن الجرة وقيل الكظم أن لا تجتر لشدة الفزع اذا رأت السيف ــ والبزل ــ جمع بازل وهو الداخل في السنة التاسعة ــ والجرر ــ جمع جرة بكسر الجيم فيهما وهي ما يخرجه البعير للاجترار ·· يقول تعودت الابل انه يعقر منها فاذا رأته كظمت على جرتها ــ وتقطع ــ فعل مضارع منصوب بان .

(٣) ــ الرغائب ــ الأشياء التي يرغب فيها يريد يعطي ما يرغب الرجال في ادخاره ويحرصون على التمسك به لنفاسته ــ وأخو ــ خبر مبتدإ محذوف أي هو أخو رغائب وجملة يعطيها ويسألها مفسرة لوجه الملابسة في قوله أخو رغائب ــ ويسألها ــ بالبناء للمجهول من السؤال ويروى موضعه ويسلبها بالبناء للمعلوم من السلب ــ والظلامة ــ بالضم ومثله الظليمة والمظلمة بكسر اللام وضمها وهو ما تطلبه عند الظالم وهو اسم ما أخذ منك ــ والنوفل ــ البحر والكثير العطاء ·· وقال ثعلب النوفل العزيز الذى ينفل عنه الضيم أى يدفعه ــ والزفر ــ الكثير الناصر والأهل والعدة

(٤) ــ نوادى ــ كل شيء بالنون أوائله وما ندر منه واحده نادية ومنه قولهم لا يندالك

وَلَيْسَ فِيهِ إِذَا اسْتَنْظَرْتَهُ عَجَلٌ ... وَلَيْسَ فِيهِ إِذَا يَاسَرْتَهُ عُسُرُ

فَإِنْ يُصِبْكَ عَدُوٌّ فِي مُنَاوَءَةٍ ... يَوْماً فَقَدْ كُنْتَ تَسْتَعْلِي وَتَنْتَصِرُ (١)

مَنْ لَيْسَ فِي خَيْرِهِ مَنٌّ يُكَدِّرُهُ ... عَلَى الصَّدِيقِ وَلَا فِي صَفْوِهِ كَدَرُ (٢)

أَخُو شُرُوبٍ وَمِكْسَابٌ إِذَا عَدِمُوا ... وَفِي المَخَافَةِ مِنْهُ الجِدُّ وَالحَذَرُ (٣)

مِرْدِي حُرُوبٍ وَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ ... كَمَا أَضَاءَ سَوَادَ الظُّلْمَةِ القَمَرُ (٤)

مُهَفْهَفٌ أَهْضَمُ الكَشْحَيْنِ مُنْخَرِقٌ ... عَنْهُ القَمِيصُ لِسَيْرِ اللَّيْلِ مُحْتَقِرُ (٥)

من سوء أبداً أي لا يندر اليك ــ والوقع ــ النزول

(١) ويروى ــ فقد كان يستعلي وينتصر ــ والمناوأة ــ المعاداة يقال ناوأت الرجل مناوأة وقيل هي المحاربة ناوأته أي حاربته ٠٠ قال الشاعر

اذا أنت ناوأت القرون فلم تنوء ... بقرنين عزتك القرون الكوامل

(٢) قوله ــ من ليس فى خيره منٌ ــ الخ رواية المبرد من ليس في خيره شر يكدره ــ كدّره ــ جعله كدراً يقال تكدر الماء نقيض صفا وكدره غيره جعله كدِراً

(٣) ــ الشروب ــ جمع شَرب وهو جمع شارب كصحب جمع صاحب ٠٠ ويروى أخو حروب ــ والمكساب ــ مبالغة كاسب ــ والعدم ــ الفقر وفعله من باب فرح

(٤) ــ المِردى ــ بكسر الميم حجر يرمى به ومنه قيل للشجاع انه لمردى حروب ومعناه انه يقذف فى الحروب ويرجم فيها ويروي * كما أضاء سواد الطخية القمر * الطخية بضم المهملة وسكون المعجمة الظلمة والطخياء بالمد الليلة المظلمة يريد أنه كامل شجاعة وعقلا فشجاعته كونه يرمى فى الحروب وعقله كون رأيه نوراً يستضاء به وهما وصفان متضادان غالباً

(٥) ــ المهفهف ــ الخميص البطن الدقيق الخصر ــ والأهضم ــ المنضم الجنبين ــ والكشح ــ ما بين الخاصرة الى الضلع الخلف وهذا مدح عند العرب فانها تمدح الهزال والضمر وتذم السمن ٠٠ وفى العباب ورجل منخرق السربال اذا طال سفره

طاوِي المَصيرِ على العَزَّاء مُنْجَرِدٌ | بالقَوْمِ لَيْلَةَ لاَ ماءٌ وَلاَ شَجَرُ (١)
لاَ يُصْعِبُ الأَمْرَ إلاَّ رَيْثَ يَرْكَبُهُ | وكُلُّ أمْرٍ سِوَى الفَحْشاء يأْتَمِرُ

معنى ـ لا يصعب الأمر ـ أي لا يجده صعباً

لاَ يَتأَرَّي لِما في القِدْرِ يَرْقُبُهُ | ولاَ يَعَضُّ على شُرْسُوفِهِ الصَّفَرُ (٢)

فشققت ثيابه ـ ولسير الليل ـ متعلق بما بعده وهذا يدل على الجلادة وتحمل الشدائد

(١) ـ الطوى ـ الجوع وفعله من باب فرح وطوى بالفتح يطوى بالكسر طياً اذا تعمد الجوع ـ والمصير ـ المعا الرقيق وجمعه مصران كرغيف ورغفان وجمع هذا مصارين أراد طاوى البطن ـ والعزاء ـ بفتح العين المهملة وتشديد الزاى المعجمة الشدة والجهد وقال فى الصحاح هي السنة الشديدة ـ والمتجرد ـ المتشمر ٠٠ وقوله ـ ليلة لا ماء ولا شجر ـ أي يرعى وزاد عبد القادر البغدادى هنا بيتاً وهو

لا يهتك الستر عن أنثى يطالعها | ولا يُشَدُّ الى جاراته النظر

ومعناه انه لا ينظر الى جارته ولا يشد اليهن النظر من غيره احتراماً له والله أعلم

(٢) ـ لا يتأرى ـ لا يتحبس ويتلبث يقال تأري بالمكان اذا أقام فيه أى لا يتلبث لادراك طعام القدر وجملة ـ يرقبه ـ حال من المستتر فى يتأري ٠٠ يمدحه بأن همته ليست في المطعم والمشرب وانما همته فى طلب المعالى فليس يرقب نضج مافى القدر اذا هم بأمر له شرف بل يتركها ويمضى ـ والشرسوف ـ طرف الضلع ـ والصفر ـ دويبة مثل الحية تكون في البطن تعترى من به شدة الجوع ٠٠ قال فى النهاية في حديث لا عدوى ولا هامة ولا صفر لان العرب كانت تزعم ان في البطن حية يقال لها الصفر تصيب الانسان اذا جاع وتؤذيه فابطل الاسلام ذلك وقيل أراد به النبي صلى الله عليه وسلم النسىء الذي كانوا يفعلونه فى الجاهلية وهو تأخير المحرم الى صفر ويجعلون صفراً هو الشهر الحرام انتهى ولم يرد الشاعر ان فى جوفه صفراً لا يعض على شراسيفه وانما أراد انه لا صفر في جوفه فيعضه يصفه بشدة الخلق وصحة البلية

لاَيَغمِزُ الساقَ من أينٍ ولاَ وصَبٍ ولاَ يَزَالُ أَمامَ القَوْمِ يَقْتَفِرُ (١)
لاَ يأْمَنُ النَّاسُ مُمساهُ وَمُصبحَهُ في كُلِّ فجٍ وانْ لم يَغْزُ يُنْتَظَرُ (٢)
تَكْفيهِ حُزَّةُ فِلْذَانٍ أَلَمَّ بِها من الشِّوَاءِ ويُرْوِي شُرْبَهُ الغُمَرُ (٣)
لاَ تأْمَنُ البَازِلُ الكَوماءُ عَدْوَتَهُ ولاَ الأَمُونُ اذَا مَا اخرَوَّطَ السَّفَرُ (٤)
كأَنَّهُ بعدَ صدقِ القَوْمِ أَنفُسَهُمْ باليأْسِ تَلمَعُ من قدَّامِهِ البُشُرُ (٥)

---

(١) ـ لا يغمز الساق ـ لا يحيها يصف جلده وتحمله للمشاق ـ والأين ـ الاعياء ـ والوصب ـ الوجع ـ والاقتفار ـ بتقديم القاف على الفاء اتباع الآثار .. في الصحاح وقفرت أثره أقفره بالضم أي قفوته واقتفرت مثله وأنشد هذا البيت ورواه أبو العباس في شرح نوادر أبي زيد يقتفر بالبناء للمجهول ومعناه انه يفوت الناس فيتبع ولا يلحق

(٢) قوله ـ لا يأمن الناس ـ أى لا يأمنه الناس على كل حال سواء كان غازياً أم لا فان كان غازياً يخافون أن يغير عليهم وان لم يكن غازياً فانهم في قلق أيضاً لانهم يترقبون غزوه وينتظرونه

(٣) ـ الحُزَّة ـ بضم الحاء المهملة وتشديد الزاى المعجمة قطعة من اللحم قطعت طولا ـ والفلذان ـ جمع فلذة بكسر الفاء فيهما ـ وألم بها ـ أصابها يعني أكلها ـ والغمر ـ بضم الغين المعجمة وفتح الميم قدح صغير لا يروى

(٤) ـ البازل ـ البعير الذى فطر نابه بدخوله في السنة التاسعة ويقال للناقة بازل أيضاً يستوي فيه الذكر والأنثى ـ والكوماء ـ بالفتح الناقة العظيمة السنام ـ والعدوة ـ التعدى فانه ينحرها لمن معه سواء كانت المطية مسنة كالبازل أو شابة كالأمون وهي الناقة الموثقة الخلق يؤمن عثارها وضعفها ـ واخروط ـ امتد وطال ورواية المبرد

لا تنكر البازل الكوماء ضربته بالمشرفي اذا ما اجلوذ السفر

ومعنى اجلوذ امتد

(٥) ـ لمع ـ أضاء ـ والبشر ـ بضمتين جمع بشير يقول اذا فزع القوم وأيقنوا بالهلاك

قال المبرد لا نعلم بيتاً في يمن النقيبة وبركة الطلعة أبرع من هذا البيت

لاَ يُعْجِلُ القومَ أَنْ تغلي مراجلُهمْ ... وَيَدْلِجُ اللَّيلَ حتَّى يُفسِحَ البَصَرُ (١)

عِشْنا بهِ حِقْبَةً حِباً فَفارَقَنا ... كَذَلِكَ الرُّمْحُ ذُو النَّصْلَيْنِ يَنْكَسِرُ (٢)

أَصبْتَ في حَرَمٍ منّا أَخا ثِقَةٍ ... هِنْدَ ابْنَ أَسْماءَ لاَ يَهْنِئ لَكَ الظَّفَرُ (٣)

عند الحروب أو الشدائد فكأنه من ثقته بنفسه قدامه بشير يبشره بالظفر والنجاح فهو منطلق الوجه نشيط غير كسلان

(١) يريد انه رابط الجاش عند الفزع لا يستخفه الفزع فيعجل أصحابه عن الاطباخ ..وقوله ـ حتى يفسح البصر ـ أى يجد متسعاً من الصبح وقيل معناه ليس هو شرها يتعجل بما يؤكل ـ والمراجل ـ القدور جمع مرجل

(٢) وروى * عشنا بذلك دهراً ثم ودعنا * و ـ النصلان ـ هما السنان وهي الحديدة العليا من الرمح والزج وهي الحديدة السفلى ويقال لهما الزجان أيضاً وهذا مثل أى كل شئ يهلك ويذهب

(٣) خاطب المنتشر هند بن أسماء وأراد بالحرم ذا الخلصة ثم دعا عليه والتهنئة خلاف التعزية وكانت قصة هند بن أسماء ان المنتشر بن وهب الباهلي خرج يريد حج ذي الخلصة ومعه غلمة من قومه والأقيصر بن جابر أخو بني فراص وكان بنو نفيل ابن عمرو بن كلاب أعداء له فلما رأوا مخرجه وعورته وما يطلبه به بنو الحارث بن كعب وطريقه عليهم وكان من حج ذا الخلصة أهدى له هديا يحرم به ممن لقيه فلم يكن مع المنتشر هدي فسار حتي اذا كان بهضب النباع انكسر له بعض غلمته الذين كانوا معه فصعدوا فى شعب من النباع فقالوا فى غار فيه وكان الأقيصر يتكهن وأنذر بنو نفيل بالمنتشر بني الحارث بن كعب فقال الأقيصر النجاء يامنتشر فقد أتيت فقال لا أبرح حتى أبرد فضى الأقيصر فأقام المنتشر وأتاه غلمته بسلاحه وأراد قتالهم فأمنوه وكان قد أسر هند بن أسماء المتقدم فسأله أن يفدي نفسه فأبطأ عليه فقطع أنملة ثم أبطأ فقطع منه أخرى وقد أمنه القوم ووضع سلاحه فقال أتؤمنون مقطعاً وإلهي لا آمنه ثم قتله

لَوْ لم تَخُنْهُ نُفَيْلُ وَهْيَ خائنةٌ لَصَبَّحَ القَوْمَ وِرْدٌ ماله صَدَرُ (١)
وَأَقبلَ الخَيْلَ من تَثْليثَ مُصْغِيَةً وَضَمَّ أعْيُنَها رَغْوانُ أَوْ حَضَرُ (٢)
إمّا سَلَكْتَ سَبيلاً كُنْتَ سالِكَها فاذْهَبْ فَلاَ يُبْعِدَنْكَ اللّهُ مُنْتَشِرُ

[قال الشريف] رضى الله عنه • • وقد رويت هذه القصيدة للدّعجاء أخت المنتشر وقيل لليلى أخته ولعل الشبهة الواقعة فى نسبها الى ليلى الأخيلية من ههنا والصحيح ماذكرناه • • أخبرنا أبو القاسم علىّ بن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال وفد الأخطل على معاوية فقال إنى قد امتدحتك بأبيات فاسمعها فقال ان كنت شبهتني بالحيّة أو الأسد أو الصقر فلا حاجة لى فيها وان كنت قلت فيّ كما قالت الخنساء

وما بَلَغَتْ كَفُّ امْرِءٍ مُتطَاوِلٍ بهِ المَجْدُ إلاَّ حَيْثُما نِلْتَ أَطْوَلُ
وَما بلَغَ المُهْدُونَ في القَوْلِ مَدْحةً وَإِنْ صدَقُوا إلاَّ الّذِي فِيكَ أَفْضَلُ

فهات فقال الأخطل والله لقد أحسنت وقد قلت فيك بيتين ما هما بدون ما سمعته فأنشد

اذا مُتَّ ماتَ العُرْفُ وانقَطَعَ الغِنى فَلَم يَبْقَ إلاَّ مِنْ قَلِيلٍ مُصَرَّدِ

وقتل غلمته انتهي وزاد عبد القادر البغدادى بين البيتين بيتاً وهو

فان جزعنا فقد هدَّت مُصابتنا وإن صبرنا فإنا معشرٌ صبرُ

ــ المصابة ــ بضم الميم بمعنى المصيبة يقال جبر الله مصابه وهو فاعل والمفعول محذوف أي قوانا والصبر بضمتين جمع صبور مبالغة صابر وروي مصيبتنا

(١) ــ صبحه ــ سقاه الصبوح وهو الشرب بالغداة أراد أنه كان يقتلهم

(٢) ــ أقبل الخيل ــ جعلها مقبلة ومقبلة مائلة نحوكم ــ ورغوان وحضر ــ موضعان أى كانت تأتي خيله عليكم في هذين الموضعين وما كانت تنام فى منزل إلاّ فيهما

وَرُدَّتْ أَكُفُّ الرَّاغِبِينَ وَأَمْسَكُوا
عَنِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا بِخِلْفٍ مُجَدَّدِ

فأحسن صلته ٠٠ وأخبرنا المرزباني قال حدثنا ابراهيم بن محمد النحوي قال أخبرنا أحمد بن يحيي النحوى ان ابن الاعرابى أنشدهم

مَرَرْنا عليهِ وَهوَ يَكعَمُ كلبَهُ ... دَعِ الكَلْبَ يَنْبَحْ إنَّما الكَلْبُ نابِحُ

قال قوله ــ يكعم كلبه ــ أي يشد فاه خوفاً أن ينبح فيدل عليه ٠٠ وقال آخر

وَتَكعَمُ كَلْبَ الحَيِّ مِنْ خَشْيَةِ القِرَى ... وَنارُكَ كالعَذْرَاءِ مِنْ دُونِها سِتْرُ

وقد قال الأخطل

قَوْمٌ اذَا استَنْبَحَ الأَضيافُ كَلْبَهُمُ ... قالوا لأُمِّهِمُ بُولِي عَلى النَّارِ

قال أبو عبد الله وسمعت محمد بن يزيد الأزدي يقول هذا من أهجى ما هجي به جرير لأنه جعل نارهم تطفيها البولة وجعلهم يأمرون أمهم بالبول استخفافاً بها



مجلس آخر ٥١

[تأويل آية] ٠٠ إن سأل سائل عن قوله تعالى (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا) الآية ٠٠ فقال أو ليس ظاهر الآية يقتضي انه تعالى يجوز أن يزيغ القلوب عن الايمان حتي تصح مسألته تعالى أن لا يزيغها ويكون هذا الدعاء مفيداً ٠٠ الجواب قلنا في هذه الآية وجوه ٠٠ أولها أن يكون المراد بالآية ربنا لا تشدد علينا المحنة فى التكليف ولا تشق علينا فيه فيفضى بنا ذلك الى زيغ القلوب منا بعد الهداية وليس يمتنع أن يضيفوا ما يقع من زيغ قلوبهم عند تشديده تعالى عليهم المحنة اليه كما قال عز وجل فى السورة (إنها زادتهم رجساً الى رجسهم) وكما قال مخبراً عن نوح عليه السلام (فلم يزدهم دعائي إلاّ فراراً) ٠٠ فان قيل كيف يشدد المحنة عليهم ٠٠ قلنا بأن يقوى

شهواتهم لما قبحه في عقولهم ونفورهم عن الواجب عليهم فيكون التكليف عليهم بذلك شاقاً والثواب المستحق عليه عظيماً متضاعفاً وانما يحسن أن يجعله شاقاً تعريضاً لهذه المنزلة .. وثانيها أن يكون ذلك دعاء بالتثبيت لهم على الهداية وامدادهم بالألطاف التي معها يستمرون على الايمان فان قيل وكيف يكون مزيغاً لقلوبهم بان لا يفعل اللطف .. قلنا من حيث المعلوم انه متي قطع امدادهم بألطافه وتوفيقاته زاغوا وانصرفوا عن الايمان ويجرى هذا مجرى قولهم اللهم لا تسلط علينا من لا يرحمنا معناه لا تخلّ بيننا وبين من لا يرحمنا فيتسلط علينا ومثله قول الفرزدق

أَتَانِي وَرَحلِي بالمَدِينَةِ وَقعَةٌ لِآلِ تَمِيمٍ اقعَدَتْ كُلَّ قَائِمِ

أراد قعد لها كل قائم فكأنهم قالوا لا تخلّ بيننا وبين نفوسنا وتمنعنا ألطافك فنزيغ ونضل .. وثالثها ما أجاب به أبو عليّ الجبائي محمد بن عليّ لانه قال المراد بالآية ربنا لا تزغ قلوبنا عن ثوابك ورحمتك ومعني هذا السؤال انهم سألوا الله تعالى أن يلطف لهم فى فعل الايمان حتي يقيموا عليه ولا يتركوه في مستقبل عمرهم فيستحقوا بترك الايمان أن يزيغ قلوبهم عن الثواب وان يفعل تعالى بهم بدلا منه العقاب .. قال فان قال قائل فما هذا الثواب الذى هو فى قلوب المؤمنين حتي زعمتم انهم سألوا الله أن لا يزيغ قلوبهم عنه وأجاب بان من الثواب الذي في قلوب المؤمنين ما ذكره الله تعالى من الشرح والسعة بقوله تعالى (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام) وقوله تعالى للرسول عليه الصلاة والسلام (ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك) وذكر ان ضد هذا الشرح هو الضيق والحزن اللذان يفعلان بالكفار عقوبة قال ومن ذلك أيضاً التطهير الذي يفعله فى قلوب المؤمنين وهو الذي منعه الكافرين فقال تعالى (أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم) قال ومن ذلك كتابته فى قلوب المؤمنين كما قال تعالى (أولئك كتب في قلوبهم الايمان) وضد هذه الكتابة هي سمات الكفر التى فى قلوب الكافرين فكأنهم سألوا الله تعالى أن لا يزيغ قلوبهم عن هذا الثواب الي ضده من العقاب .. ورابعها أن تكون الآية محمولة على الدعاء بأن لا يزيغ القلوب

عن اليقين والايمان ولا يقتضي ذلك انه تعالي سئل ما كان لايجب أن يفعله وما لولا المسألة لجاز فعله لانه غير ممتنع أن يدعوه على سبيل الانقطاع اليه والافتقار الى ماعنده بان يفعل تعالى ما نعلم انه لا بد من أن يفعله وبأن لا يفعل ما نعلم انه واجب أن لا يفعله تعالى اذا تعلق بذلك ضرب من المصلحة كما قال تعالى حاكياً عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام (ولا تخزني يوم يبعثون) وكما قال فى تعليمنا ما ندعوه به (قل ربّ احكم بالحق) وكقوله تعالي (ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) على أحد الأجوبة وكل ماذكرناه واضح بحمدالله ٠٠[قال الشريف] رضي الله عنه وإني لأستحسن قول الراعي في وصف الاثافي والرماد فلقد طبق وصفه المفصل مع جزالة الكلام وقوته واستوائه واطراده

وَأَوْرَقَ مِنْ عَهْدِ ابْنِ عَفَّانَ حَوْلَهُ حَوَاضِنُ الآفُ عَلى غَيْرِ مَشْرَبِ
وِرَادُ الأَعالي أَقْبَلَتْ بِنُحُورِها عَلى رَاشِحٍ ذِي شامَةٍ مُتَقَوِّبِ
كأَنَّ بَقايَا لَوْنِهِ فِي مُتُونِها بَقَايا هِناءٍ في قَلاَئِصِ مُجْرِبِ

ـ الأورق ـ الرماد جعل الاثافى له كالحواضن لاحتضانها له واستدارتها حوله ٠٠ وأراد ـ بوراد الأعالي ـ ان ألوانها تضرب الى الحمرة وخصّ الأعالي لانها مواضع القدر فلا تكاد تسودّ ـ والراشح ـ هو الراضع وانما شبه الرماد بينهن بفصيل بين أظآر ـ والمتقوب ـ الذى قد انحسر أعلاه وشبه ما سودت النار منهن بأثر قطران على قلائص جربى ـ والمجرب ـ الذى قد جربت إبله ٠٠ ولنظيرهذا المعنى بعينه أعنى تشبيه تسويد النار بالهناء قول ذي الرمة

عَفي الزُّرْقُ مِنْ أَطْلاَلِ مَيَّةَ فَالدَّحْلُ فَأَجْمادُ حَوْضَي حَيْثُ زَاحَمَها الحَبْلُ(١)

---

(١) ـ الزرق ـ رمال بالدهناء وقيل هي قرية بين النباج وسمينة وهي صنعة المسالك ـ والدحل ـ بالفتح ماء نجدي لغطفان ـ والأطلال ـ جمع طلل محركة وهو الشاخص من آثار الدار ـ والاجماد ـ جمع جمد بالتحريك وهو ما ارتفع من الأرض ـ وحوضي ـ

سِوَى أَنْ يَرَى سَوْدَاءَ مِنْ غَيْرِ خِلْقَةٍ تَخَطَّأَهَا وَارْتَثَّ جَارَاتِهَا النَّقْلُ
مِنَ الرَّضَمَاتِ الْبِيضِ غَيَّرَ لَوْنَهَا نَبَاتُ فِرَاضِ الْمَرْخِ وَالْيَابِسُ الْجَزْلُ
كَجَرْبَاءَ دُسَّتْ بِالْهِنَاءِ فَأَصْبَحَتْ بِأَرْضٍ خَلَاءٍ أَنْ تُقَارِبَهَا الْإِبِلُ

قوله ـ سوداء من غير خلقة ـ يعنى أثفية لان السواد ليس بخلقة وانما سودتها النار •• وقوله ـ تخطأها النقل ـ أي تجاوزها فلم تحمل من مكان الى مكان بل بقيت منفردة ـ وارتث جاراتها ـ يعنى بجاراتها أي نقلن عنها الاثافى اللواتي كنّ معها ـ والمرتث ـ هو المنقول من مكان الى مكان وأصل ذلك فى الجريح والعليل يقال ارتث الرجل ارتثاثاً اذا حمل من المعركة وبه رمق •• قال النضر بن شميل معني ارتث صرع •• وقال أبو زيد مأخوذ من قولهم ارتثينا رثة القوم اذا جمعوا ردىء متاعهم بعد أن يحملوا من موضعهم وكلا المعنيين يليق ببيت ذي الرمة لانه يجوز أن يريد صرعن وبقيت ثانية قائمة ـ والرضمات ـ حجارة بيض بعضها على بعض ـ والفراض ـ جمع فرض وهو الحزّ يكون فى الزند •• وعنى ببنات فراض المرخ شرر النار الخارجة من ذلك الفرض ـ والمرخ ـ شجر تتخذ منه الزندة •• ومن أمثالهم في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار وهذا المثل يضرب للرجل الكريم الذي يفضل على القوم ويزيد عليهم فكأن المعنى كل القوم كرام وأكرمهم فلان (١) ومعنى ـ كجرباء دست بالهناء ـ انه

بالفتح ثم السكون مقصور بوزن سكرى اسم ماء لبنى طهمان بن عمرو بن سلمة الي جنب جبل فى ناحية الرمل ـ وزاحمها ـ ضايقها ـ والحبل ـ الرمل المستطيل

(١) وقال الميداني فى تفسيره له يقال مجدت الابل تمجد مجوداً اذا نالت من الخلي قريباً من الشبع واستمجد المرخ والعفار أى استكثرا وأخذا من النار ما هو حسبهما شبها بمن يكثر العطاء طلباً للمجد لانهما يسرعان الورى يضرب في تفضيل بعض الشئ على بعض •• قال أبو زياد ليس فى الشجر كله أوري زناداً من المرخ قال وربما كان المرخ مجتمعاً ملتفاً وهبت الريح فحك بعضه بعضاً فأورى فاحترق الوادي كله ولم نر

شبه الاثفية المفردة بناقة جرباء قد أُفردت وأُبعدت عن الابل حتى لا تجربها ولا تعديها ومعنى دست بالهناء أي طليت به •• وفي معني قول الراعي وراد الأعالي شبه من قول الشماخ بن ضرار

أَقامتْ علي رَبْعيْها جارتَا صفًا كُمَيْتا الأَعَالي جَوْنَتا مُصطَلاهُما [1]

ذلك في سائر الشجر •• قال الأعشى

زنادك خير زناد الملوك خالط فيهن مرخ عفارا
ولو بت تقدح في ظلمة حصاة بنبع لاوريت نارا

والزند الأعلى يكون من العفار والأسفل من المرخ •• قال الكميت

اذا المرخ لم يور تحت العفار وضن بقدر فلم تعقب

(١) وقبله

أمن دِمنتين عرج الركب فيهما بحقل الرخامي قد أنى لبلاهما
أقامت على ربعيهما جارتا صفا كُميتا الأعالي جَوْنتا مصطلاهما
وإرث رماد كالحمامة ماثل ونؤيان من مظلومتين كداهما
أقاما لليلى والرباب وزالتا بذات السلام قد عفا طللاهما
ففاضت دموعي في الرداء كأنها عزالي شَعِيب مخلف وكلاهما
ليالي ليلى لم يشب عذب مائها بملح وحبلانا متين قواهما
ولو دَيْن للبيض الهجان وحالك من اللون غربيب بهيم علاهما
اذا اجتهدا التروح مدا عجاجة أعاصير مما يستثير خطاهما
وسر بين كدرين قدرعت غدوة على الماء معروف الي لغاهما
اذا غادرا منه قطاتين ظلتا أديم النهار تطلبان قطاهما
وإني عداني عنكم غير ماقت نواران مكتوب عليّ بغاهما
وعلس كألواح الإران نسأتها اذا قيل للمشبوبتين هما هما
تغالي برجلها اليك ابن مربع فيالم لم المفتلي مغتلاهما

يعني ـ بربعيهما ـ منزلي المرأتين اللتين ذكرهما ويعني ـ بجارتا صفا ـ الاثفيتين لانهما مقطوعتان من الصفا الذي هو الصخر .. ويمكن في قوله جارتا وجه آخر هو احسن من هذا وهو ان الاثفيتين توضعان قريباً من الجبل لتكون حجارة الجبل ثالثة لهما وممسكة للقدر معهما ولهذا تقول العرب رماه بثالثة الاثافي أي بالصخرة أو الجبل وشبه أعلاهما بلون الكميت وهو لون الحجر نفسه لأن النار لم تصل اليه فتسوده ـ ومصطلاهما جون ـ أي اسود لان النار قد سفعته وسوّدته .. وقال الراعي في وصف الاثافي أيضاً

أَذَاعَ بِأَعْلاَهُ وَأَبْقَى شَرِيدَهُ ... ذَرَي مُجْنِحَاتٍ بَيْنَهُنَّ فُرُوجُ
كَأَنَّ بِجِزْعِ الدَّارِ لَمَّا تَحَمَّلُوا ... سَلاَئِبَ وُرْقًا بَيْنَهُنَّ خَدِيجُ

ـ أذاع بأعلاه ـ يعني الرماد لأن السافي طيّر ظاهره وما علا منه ـ وأبقى شريده ـ يريد به الذي أبقى لما شرد على السافي فلم يطيره ـ وذري مجنحات ـ يعني الاثافي وذرى كل شئ جانبه وما استذريت به منه ـ والمجنحات ـ المسيلات منه ـ والسلائب ـ جمع سلوب وهي الناقة التي سلبت ولدها بموت أو نحر وقد عطفت على حوار آخر ـ والخديج ـ الذي قد سقط لغير تمام ـ والورق ـ اللواتي ألوانهن كلون الرماد .. وفي معنى قول الراعي وأبقى شريده ذرى قول المخبل السعدي

اذا ماحصيرا زورها لم يعلقا ... لها الضفر إلاّ من امام رحاها
كست عضديها زورها وانحت بها ... ذراعا لجوج عوهج ملتقا هما
فباتت بأبلى ليلة ثم ليلة ... بحاذة واجتابت نوي عن نواهما
وراحت على الأفواه أفواه غيقة ... نجاء بغتلاوين ماض سراهما
أجدت هباباً عن هباب وساحت ... قوي نسعتيها بعد طول اذاهما
ولولا فتى الأنصار ماسلك سمعها ... ضمير ولا حورانه فقراهما
وإني لأرجو من يزيد بن صبيع ... حذبته من خيرتين اصطفاهما
حذبته من نائل وكرامة ... سعى في بغاء المجد حتى احتواهما

وأرَى لَها دَارًا بأَغدِرَةِ السِّيــدانِ لم يَدرُسْ لها رَسمُ (١)
إلاّ رَمادًا هامِـدًا دَفَعَتْ عنهُ الرِّياحَ خَوالِدٌ سُحمُ (٢)

ـ لا ـ ههنا بمعنى الواو فكأنه قال وأرى رماداً هامداً ولولا ان إلاّ ههنا بمعنى الواو لفسد الكلام ونقض آخره أوّله لانه يقول في آخر البيت ان الخوالد السحم دفعت عنه الرياح فكيف خبر بأنه قد درس وانما أراد انه باق ثابت لان الاثافي دفعت عنه الرياح فلم تسفه إذهو من جملة مالم يدرس بل هو داخل في جملته وللراعي أيضاً في الاثافي

أُنخنَ وَهُنَّ أَغفالٌ عليْها فقَدْ تَرَكَ الصِّلاءُ بِهِنَّ نارَا

شبه الاثافي بنوق أُنخن أغفالا ليست عليهنّ سمة ثم أُخبر ان الوقود قد أثّر فيهن أثراً كالسمة فالنار السمة تقول العرب ما نار بعيرك أي ماسمته وفي أمثالهم نجارها نارها أي

(١) ـ الأَغدرة ـ جمع غدير وهو القطعة من الماء يغادرها السيل أي يتركها وهو فعيل في معنى مفعول على اطراح الزائد وقد قيل انه من الغدر لانه يخون ورّاده فينضب عنهم ويغدر بأهله فينقطع عند شدة الحاجة اليه ٠٠ وقال اللحياني الغدير اسم ولا يقال هذا ماء غدير وقال الليث الغدير مستنقع الماء ماء المطر صغيراً كان أو كبيراً غير انه لا يبقى الى القيظ إلاّ ما يتخذه الناس من عد ووجذ ووقط أو صهريج أو حائر قال أبو منصور العد الماء الدائم الذي لا انقطاع له ولا يسمي الماء الذى يجمع في غدير أو صهريج أو صنع عدا لان العد ما يدوم مثل ماء العين والركية

(٢) ـ الرماد ـ دقاق الفحم من حراقة النار وما هبا من الجمر فصار دقاقاً والطائفة منه رمادة ٠٠ وفي حديث أم زرع زوجي عظيم الرماد أي كثير الأَضياف لان الرماد بكثرة الطبخ ـ وهامداً ـ طافئاً ٠٠ قال الأَصمعي طفئت النار اذا سكن لهبها وهمدت همودا اذا طفئت البتة فاذا صارت رماداً قيل هبا يهبو وهو هاب ـ والخوالد ـ الصخور ٠٠ قال الجوهري قيل لاثافي الصخور خوالد لطول بقائها بعد دروس الاطلال ـ وسحم ـ جمع سحماء أي سوداء وهو صفة لخوالد

سمنها تدل على كرمها يضرب ذلك للرجل ترى له ظاهراً حسناً يدل على باطن خبره

•• وقال عدي بن الرقاع العاملي

إلاّ رَوَاكِدَ كلّهنَّ قدِ اصطلَى ... حَمْرَاء أشعَلَ أهلُها إيقادَها

كانَتْ رَوَاحِلَ لِلقُدُورِ فعُرِّيَتْ ... مِنهُنَّ واستَلَبَ الزَّمانُ رَمادَها

وقال مالك الجعفي

إلاّ رَوَاكِدَ بَينهُنَّ خَصاصَةٌ ... سُفعَ المنَاكِبِ كلّهُنَّ قدِ اصطلَى

وقال حميد بن ثور

فتَغَيَّرَتْ إلاّ مَلاَعِبَها ... وَمُعَرَّساً من جَوْنِهِ ظُهَرِ

عَرِشَ الثِّقابُ لها بِدارِ إقامَةٍ ... لِلحَيِّ بَينَ نَظَائِرٍ وِتْرِ

ـ الجونة ـ القدر ويقال قدر ظهر وقدور ظهور اذا كانت قديمة ـ وعرش ـ أى جعل مثل العريش يعنى الوقود ـ والثقاب ـ ما أثقبت به النار من الوقود ـ والنظائر ـ هي الأثافى ـ والوتر ـ الفرد وأراد انها ثلاث •• وقال الكميت بن زيد

وَلَنْ تُحَيِّيكَ أظآرٌ مُعَطَّفَةٌ ... بالقاعِ لا تَمَكٌ فيها ولاَ مَيَلُ

لِبسْنَ بعُوذٍ ولم تُعطَفْ على رُبَعٍ ... ولاَ يَهِيبُ بِها ذُو النِّيةِ الأَبِلُ

يعني الأثافي فشبه عطفها على الرماد بنوق أظآر قد عطفت على فصيل ـ والتمك ـ انتصاب السنام ـ والميل ـ من صفة السنام أيضاً ـ والعائذ ـ من النوق التى يتبعها ولدها ـ والربع ـ الذى نتج في الربيع ـ والاهابة ـ الدعاء أهاب بابله اذا دعاها ـ وذو النية ـ الذي قد نوى الرحيل ـ الأبل ـ صاحب الابل •• وقال ذو الرمة

فلَم يَبْقَ إلاّ أنْ تَرَى في مَحَلِّهِ ... رَمادًا نَحَتْ عنهُ الخُيُولُ جَنادِلَهْ

كأنَّ الحَمامَ الوُرْقَ في الدّارِ وَقّعَتْ ... على خَرِقٍ بَينَ الظُّؤُورِ جَوَازِلَهْ

شبه الأثافي بالحمام الورق وجعلها ظؤوراً لتعطفها على الرماد وشبه الرماد بفرخ خرق

قد سقط ريشه ــ والجوازل ــ الفراخ واحدها جوزل •• وقال البعيث

أَلَا حَيِّيا الرَّبْعَ القِوَاءَ وَسَلِّما وَرَسْماً كَجُثْمانِ الحَمامَةِ أَدْهَما

قيل ان الحمام ههنا القطاة وانه شبه ألوان الرسوم من الرماد وموقد نار ودمنة ومجرّ طنب وما أشبه هذه الأشياء بألوان ريش القطاة •• ومثله لجرير

كأَنَّ رُسُومَ الدَّارِ رِيشُ حَمامَةٍ مَحَاها البِلَى واستَعْجَمَتْ أَنْ تَكلَّما

ولقد أحسن كل الاحسان كثير في قوله

أَمِنْ آلِ قيلةَ بالدَّخولِ رُسومُ وَبِحَوْمَلٍ طَلَلٌ يَلُوحُ قَدُومُ

لَعِبَ الرِّياحُ بِرَسْمِهِ فأَجَدَّهُ جُونٌ عَوَاكِفُ في الرَّمادِ جُثُومُ

سُفْعُ الخُدُودِ كأَنَّهُنَّ وَقَدْ مَضَتْ حِجَجٌ عَوَائِدُ بَيْنَهُنَّ سَقِيمُ

وقيل فى قوله ــ فأجده جون عواكف ــ يعنى الاثافى لأن الريح لما كشفت عنها وظهرت صارت كأنها هي أجدت الرسم •• ويحتمل وجه آخر وهو أن يكون معنى أجدّت انها حملت الرماد الذى أحاطت به من لعب الرّياح فبقى بحالة يستدل بها المترسم فكأن الرياح دوست الربع ومحته إلاّ ما أجدّته هــذه الاثافي من الرماد ومنعت الريح عنه ويجرى ذلك مجرى قول المخبل * إلاّ رماداً هامداً * البيت •• وقال مرار الفقعسى في الاثافى

أَثَرُ الوَقُودِ على جوَانِبِها بِخُدُودِهِنَّ كأَنَّهُ لَطْمُ

ويقال ان أبا تمام الطائى أخذ ذلك فى قوله

قِفُوا نُعْطِ المَنازِلَ مِنْ عُيُونٍ لَها في الشَّوْقِ أَحْشاءٌ غِزَارُ

عَفَتْ آيَاتُهُنَّ وَأَيُّ رَبْعٍ يَكُونُ لهُ على الزَّمَنِ الخِيارُ

أَثافٍ كالخُدُودِ لُطِمْنَ حُزْناً وَنُؤْيٌ مِثْلُ مَا انْفَصَمَ السِّوَارُ

وقد عاب عليــه قوله لطمن حزناً بعض من لا معرفة له وقال لا فائدة فى قوله حزنا ولذلك فائدة وذلك ان لطم الحزن أوجع فتأثيره أبلغ وأظهر وأبين وقد يكون اللطم

لغير الحزن فأما قوله * ونؤيٌ مثل ما انفصم السوارُ * فمأخوذ من قول الشاعر

نؤيٌ كما انقضَّ الهِلالُ مَخافةً ... أَوْ مِثْلما فصمَ السِّوَارَ المِعصَمُ

وقد شبه الناس النؤي بالسوار والخلخال كثيراً أو بغير ذلك ٠٠ قال كثير

عَرَفْتُ لِسُعْدَى بَعْدَ عِشْرِينَ حِجَّةً ... بِما دَرْسَ نُؤْيٌ في المَحَلَّةِ مُنْحَنِ [1]

قَدِيمٌ كَوَقْفِ العاجِ ثَبْتٌ حِوَاؤُهُ ... مغَادِرُ أَوْتادٍ بِرَضْمٍ مُوَضَّنِ

ـ الوقف ـ السوار من الذبل ومن العاج ـ والرضم ـ صخور عظام ـ والموضن ـ الذي بعضه فوق بعض ٠٠ وقال بشار

وَنُؤْيٌ كَخلخالِ الفتاةِ وَصائمٌ ... أَشَجُّ على رَيْبِ الزمانِ رَقوبُ

ـ الصائم الأشج ـ يعني الوتد وانما وصفه بانه صائم لقيامه وثباته وجعله رقوباً لانفراده والمرأة الرقوب والشيخ الرقوب الذى لا يعيش له ولد ٠٠ ومن مستحسن ما وصف به النؤى قول أبي تمام

وَالنُّؤْيُ أَهْمَدَ شَطْرُهُ فَكأَنَّهُ ... تَحْتَ الحَوَادِثِ حاجِبٌ مَقْرُونُ [2]

---

(١) ـ درس ـ بسكون الراء أصله درس بفتحها وسكنت وكل ذلك جائز فى كل فعل ثلاثي فان كانت عينــه حلقية فهو مقيس وإلاّ فحكمه الضرورة يقال درس الرسم عفا ودرسته الريح محته لازم متعد ـ ومنحن ـ دارس

(٢) البيت من قصيدة يمدح بها الواثق بالله أولها

وأبى المنازل إنهــا لشجون ... وعلى العجومة انهــا لتبين

فاعقل بنضو الدار نضوك يقتسم ... فرط الصبابة مسعد وحزين

لا تمنعى وقفــة أشفى بهــا ... داء الفؤاد فانها ماعون

واسق الأثافي من شؤونك ريها ... ان الضنين بدمعه لضنين

والنؤي أهمد شطره فكأنه ... تحت الحوادث حاجب مقرون

حزن غداة الحزن هاج غليله ... في أبرق الحنان منك حنين

وقال المتنبي في ذلك

قِفْ على الدِّمنَتَيْنِ بالدَّوِّ من رَيَّــا كَخالٍ في وَجْنَةٍ جَنْبَ خالِ
بِطُلُولٍ كأَنَّهُنَّ نُجُومٌ في عِراصٍ كأَنَّهُنَّ لَيالِي
وَنُؤْيٌ كأَنَّهُنَّ عليهِـ ـنّ خِدامٌ خُرْسٌ بِسُوقٍ خِدالِ[1]

الخدام جمع خدمة وهي الخلخال وجعلها خرس لانها غير قلقة وشبه ما أحدق به النوى من الأرض وامتلائها بامتلاء الخلخال من الساق الخدلة وهي الممتلئة

سمة الصبابة زفرة أو عبرة متكفل بهما حشا وشؤون
لولا التفجع لادعى هضب الحمى وصفى المشقر انه محزون

(١) الأبيات من قصيدة يمدح بها عبد الرحمن بن المبارك الانطاكي ومطلعها

صلة الهجر لي وهجر الوصال نكساني في السقم نُكسَ الهلال
فغدا الجسم ناقصاً والذي ينـ * ـقص منــه يزيد في بلبال
قف على الدمنتين .. الأبيات الثلاثة .. ومنها
ماتريد النوى من الحية الذوّاق حر الفلا وبرد الظلال
فهو أمضى في الروع من ملك الموت وأسرى في ظلمة من خيال
ولحتف في العز يدنو محب ولعمر يطول في الذل قال
نحن ركب مِلجن في زي ناس فوق طير لها شخوص الجمال
من بنات الجديل تمشي بنا في الـ * ـبيد مشي الايام في الآجال
كل هوجاء للدياميم فيها أثر النار في سليط الذبال
عامدات للبدر والبحر والضـ * ـرغامة ابن المبارك المفضال
من يزره يزر سليمان في الملـ * ـك جلالا ويوسفاً في الجمال
وربيع يضاحك الغيث فيه زهر الشكر من رياض المعالي
نفحتنا منه الصبا بنسيم ورواحاً في ميت الآمال
همّ عبد الرحمن نفع الموالي وبوار الأعداء والأموال

مجلس آخر ٥٢

[تأويل آية] .. إن سأل سائل عن قوله تعالى (وإذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة) الى قوله (الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون) .. فقال ما تأويل هذه الآيات وهل البقرة التى نعتت بهذه النعوت هى البقرة المرادة باللفظ الأول والتكليف واحد والمراد مختلف أو التكليف متغاير .. الجواب قلنا أهل العلم فى تأويل هذه الآية مختلفون بحسب اختلاف أصولهم فمن جوّز تأخير البيان عن وقت الخطاب يذهب الى أن التكليف واحد وان الأوصاف المتأخرة هي البقرة المتقدّمة وانما تأخر البيان عن وقت الخطاب ولما سئل عن الصفات ورد البيان شيئاً بعد شيء ومن لم يجوّز تأخير البيان يقول ان التكليف متغاير وانهم لما قيل لهم اذبحوا بقرة لم يكن المراد منهم إلاّ ذبح أي بقرة شاؤا من غير تعيين بصفة ولو انهم ذبحوا أى بقرة اتفقت كانوا قد امتثلوا الأمر فلما لم يفعلوا كلفوا ذبح بقرة لا فارض ولا بكر ولو ذبحوا ما اختص بهذه الصفة من أي لون كان لأجزأ عنهم فلما لم يفعلوا كلفوا ذبح بقرة صفراء فلما لم يفعلوا كلفوا ذبح ما اختص بالصفات الأخيرة .. ثم اختلف هؤلاء من وجه آخر فمنهم من قال فى التكليف الأخير انه يجب أن يكون مستوفياً لكل صفة تقدّمت حتى تكون البقرة مع أنها غير ذلول تثير الأرض ولا تسقى الحرث مسلمة لا شية فيها صفراء فاقعٌ لونها ولا فارض ولا بكر فمنهم من قال انما يجب أن يكون بالصفة الأخيرة فقط دون ما تقدّم فظاهرها ما تقدم الكتاب بالقول الأول أشبه وهو المبنى على جواز تأخير البيان وذلك انه تعالى لما كلفهم ذبح بقرة قالوا للرسول عليه الصلاة والسلام (ادع لنا ربك يبين لنا ما هي) فلا يخلو قولهم ما هي من أين يكون كناية عن البقرة المتقدم ذكرها أو عن التي أمروا بها ثانياً على قول من يدعي ذلك وليس يجوز أن يكونوا سألوا عن الصفة التى تقدم ذكرها لان الظاهر من قولهم ما هي بعد قوله لهم اذبحوا بقرة يقتضى أن يكون السؤال عن صفة البقرة المأمور بذبحها لانهم لا علم لهم بتكليف ذبح بقرة أُخرى فيستفهموا عنها واذا صح أن السؤال انما كان عن صفة البقرة المنكّرة التى أمروا فى الابتداء بذبحها فليس يخلو قوله أنها بقرة

لافارض ولا بكرٌ من أن يكون كناية عن البقرة الأُولى أو عن غيرها وليس يجوز أن يكون ذلك عن بقرة ثانية لان ظاهرقوله تعالى (انها بقرة لا فارضٌ ولا بكرٌ) من أن يكون كنايةعن البقرة الأُولى أو عن غيرها وليس يجوز أن يكون ذلك كناية عن بقرة ثانية لان ظاهر قوله تعالى (إنها بقرة) من صفتها كذا وكذا بعد قولهم ماهي يقتضي أن يكون كنايةً متعلقة بما تضمنه سؤالهم وان الأمر لو لم يكن على ماذكرناه لم يكن ذلك جواباً لهم بل كان يجب أن يكونوا سألوه عن شئ فأجابهم عن غيره وهذا لايليق بالنبي عليه الصلاة والسلام على انه تعالى لما أراد أن يكلفهم تكليفاً ثانياً عند تفريطهم فى الأول على مايدعيه من يذهب الى هذا المذهب قد كان يجب أن يجيبهم عن سؤالهم وينكر عليهم الاستفهام فى غير موضعه وتفريطهم فيما أمروا به مما لا حاجة بهم الى الاستفهام عنه فيقول فى جواب قولهم ماهي انما كلفهم أي بقرة شئتم وما يستحق اسم بقرة وقد فرطتم في ترك الامتثال وأخطأتم فى الاستفهام مع وضوح الكلام إلاّ انكم قد كلفتم ثانياً كذا وكذا لان هذا مما يجب عليه بيانه لازالة الشك والابهام واللبس فلما لم يفعل ذلك وأجاب بالجواب الذي ظاهره يقتضى التعلق بالسؤال علم ان الأمر على ماذكرناه وهب انه لم يفعل ذلك فى أول سؤال كيف لم يفعله مع تكرار الأسئلة والاستفهامات التى لم تقع على هذا المذهب بموقعها ومع تكرر المعصية والتفريط كيف يستحسن أن يكون جميع أجوبته غير متعلقة بسؤالاتهم لانهم يسألونه عن صفة شئ فيجيبهم بصفة غيره من غير بيان بل على أقوي الوجوه الموجبة لتعلق الجواب بالسؤال لان قول القائل فى جواب من سأله ما كذا وكذا انه بالصفة الفلانية صريح فى ان الهاء كناية عن ماوقع السؤال عنه هذا مع قولهم ان البقر تشابه علينا لانهم لم يقولوا ذلك إلاّ وقد اعتقدوا ان خطابهم مجمل غير مبين فلم لم يقل أى تشابه عليكم وانما أمرهم فى الابتداء بأي بقرة كانت وفى الثاني انما اختص باللون المخصوص من أي البقر كان ٠٠ فان قيل كيف يجوز أن يأمرهم بذبح بقرة لها جميع الصفات المذكورة الى آخر الكلام ولا يبين ذلك لهم وهذا تكليف مالا يطاق ٠٠ قلنا لم يرد منهم أن يذبحوا البقرة في الثاني من حال الخطاب ولو كانت حال الحاجة الي الفعل حاضرة لما

جاز أن يتأخر البيان لان تأخيره عن وقت الحاجة هو القبيح الذي لا شبهة فى قبحه وانما أراد أن يذبحوها فى المستقبل فلو لم يستفهموا ويطلبوا البيان لكان قد ورد عليهم عند الحاجة اليه .. فان قيل اذا كان الخطاب غير متضمن لصفة ما أمروا بذبحه فوجوده كعدمه وهـذا يخرجه من باب الفائدة ويوجب كونه عبثاً .. قلنا ليس يجب ماظننتم لان القول وان كان لم يفد صفة البقرة بعينها فقد أفاد تكليف ذبح بقرة على سبيل الجملة ولم يكن ذلك معلوماً قبل هذا الخطاب فصار مفيداً من حيث ذكرناه وخرج من أن يكون وجوده كعدمه وفوائد الكلام لا يجب أن يدخلها الاقتراح وليس يخرج الخطاب من تعلقه ببعض الفوائد كونه غير متعلق بغيرها وبما هو زيادة عليها ..فان قيل ظاهر قوله تعالى (فذبحوها وما كادوا يفعلون) يدل على استبطائهم وذمهم على التقصير فى امتثال الأمر .. قلنا ليس ذلك صريح ذم لأن كادوا للمقاربة وقد يجوز أن يكون التكليف صعب عليهم لغلاء ثمن البقرة التى تكاملت لها تلك الصفة فقدروي أنهم ابتاعوها بملء جلدها ذهباً على ان الذم يقتضى ظاهره أن يصرف الى تقصيرهم أو تأخيرهم امتثال الأمر بعد البيان التام لان قوله تعالى (وما كادوا يفعلون) انما ورد بعد تقدم البيان التام المتكرر ولا يقتضى ذمهم على ترك المبادرة فى الأول الى ذبح بقرة فليس فيه دلالة على مايخالف ما ذكرناه .. فان قيل لو ثبت تقديراً أن التكليف فى البقرة متغاير أى القولين اللذين حكيتموهما عن أهل هذا المذهب أصح وأشبه .. قلنا قول من ذهب الي أن البقرة انما يجب أن تكون بالصفة الأخيرة فقط لان الظاهر بهأشبه من حيث انه اذا ثبت تغاير التكليف وليس في قوله إنهـا بقرة لا ذلول تثير الأرض الى آخر الأوصاف ذكر لما تقدم من الصفات وهذا التكليف غير الأول فالواجب اعتبار ما تضمنه لفظه والاقتصار عليه .. فأما ـ الفارض ـ فهى المسنة وقيل هي العظيمة الضخمة يقال غرب فارض أي ضخم والغرب الدلو ويقال أيضاً لحية فارضـة اذا كانت عظيمة والأشبه بالكلام أن يكون المراد المسنة .. فأما ـ البكر ـ فهي الصغيرة التى لم تلد فكأنه تعالى قال غير مسنة ولا صغيرة ـ والعوان ـ دون المسنة وفوق الصغيرة وهى النصف التي قد ولدت بطناً أو بطنين يقال حرب عوان اذا لم تكن أول حرب وكانت ثانية وانمـا

جاز أن يقول بين ذلك وبين لا يكون إلاّ بين اثنين أو أكثر لان لفظة ذلك تنوب عن الجمل تقول ظننت زيداً قائماً فيقول القائل قد ظننت ذاك وقد ظننت ذلك وقد ظن ذاك •• ومعنى ـ فاقع لونها ـ أي خالصة الصفرة وقيل ان كل ناصع اللون بياضاً كان أو غيره فهو فاقع وقيل انه أراد بصفراء ههنا سوداء •• ومعني قوله تعالى (لا ذلول تثير الأرض) أى تكون صعبة لا يذللها العمل في إثارتها الأرض وسقى الزرع •• ومعني ـ مسلمة ـ مفعلة من السلامة من العيوب •• وقال قوم مسلمة من الشية أى لاشية فيها تخالف لونها • وقوله ـ لاشية فيها ـ أى لا عيب فيها وقيل لا وضح وقيل لا لون يخالف لون جلدها والله أعلم بما أراد وإيّاه نسأل التوفيق •• [قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه •• كنت أظن ان المتنبي قد سبق الى معنى قوله فى مرثية أخت سيف الدولة

طَوى الجزيرةَ حتّى جاءني خبرٌ   فزِعتُ فيهِ بآمالي إلى الكذِبِ
حتّى إذا لم يدَعْ لي صِدقُهُ أملاً   شرِقتُ بالدّمعِ حتّى كادَ يشرَقُ بي

حتى رأيت هذا المعني لمسلم بن الوليد الأنصاري وللبحتري •• أما الذى لمسلم فقوله في قصيدة يرثي بها سهل بن الصباح

وقفَ المُفاةُ عليكَ من متحيّرٍ   ولهُ الرّجاء وذو غنىً يسترجِعُ
ويُخادِعُ السّمعَ النّعيّ ودونَهُ   خطبٌ ألمّ بصادِقٍ لم يخدَعِ

وقال البحتري يرثي وصيفا التركي

إذا جدّ ناعيهِ توهمتُ أنّهُ   يُكرّرُ من أخبارِهِ قولَ مازِحِ

وكنت أظن ان المتنبي سبق الى قوله

تحلُّ القَنا يومَ الطّعانِ بعقْوتي   فأحرِمهُ عِرضي وأُطعمهُ جِلدي (١)

---

(١) ـ القنا ـ جمع قناة وهي الرمح ـ وعقوتي ـ ساحتي ـ والعرض ـ موضع الذم والمدح من الانسان •• والمعنى ان الطعن يقع في ساحته فيجعل جلده طعماً له ولا ينهزم خوفاً من الطعن فى عرضه وهو من قصيدة يودع بها ابن العميد عند مسيره قاصداً سيف

حتي رأيت هذا المعنى بعينه واللفظ لجيم بن شبل الكلابي من أهل اليمامة في قوله

ثَنَي قومَهُ عن خِذرِجانٍ وقدحنا ... الى الموْتِ ذا بِي الصفحتين كليمُ

أخُو الحرْبِ إمّا جِلدُهُ فمجرّحٌ ... كَلِيمٌ وَإمّا عِرضُهُ فسليمُ

وكنت أظن ان البحترى سبق الى معنى قوله فى الفتح بن خاقان

حملتَ إليهِ السيفَ لا عزمُكَ انثنى ... ولا يدُكَ ارْتدّتْ ولا حدُّهُ نبا

حتي وجدت لشاعر متقدم

طعنتُ ابنَ دَهمانٍ بنجرانَ طعنةً ... شققتُ بِها عنهُ مُضاعفةَ السّرْدِ

الدولة ثم قتله فاتك الأسدى ومطلعها

نسيت وما أنسى عتاباً على الصد ... ولا خفراً زادت به حمرة الخد

ولا ليلة قصرتها بقصيرة ... أطالت يدى في جيدها صحبة العقد

ومن لي بيوم مثل يوم كرهته ... قربت به عند الوداع من البعد

وإلاّ يخص الفقد شيئاً لانني ... فقدت فلم أفقد دموعي ولا وجدى

تمنٍّ يلذ المستهام بذكره ... وان كان لا يغنى فتيلا ولا يجدى

وغيظ على الأيام كالنار فى الحشى ... ولكنه غيظ الأسير على القِد

فإمّا تريني لا أقيم ببلدة ... فآفة غمدي في دلوقي وفى حدى

يحل القنا يوم الطعان بعقوتي ... فأحرمه عرضى وأطعمه جلدي

تبدل أيامي وعيشى ومنزلي ... نجائب لا يفكرن فى النحس والسعد

وأوجه فتيان حياء تلثموا ... عليهن لا خوفاً من الحر والبرد

وليس حياء الوجه فى الذئب شيمة ... ولكنه من شيمة الأسد الورد

اذا لم تجزهم دار قوم مودة ... أجاز القنا والخوف خير من الود

يحيدون عن هزل الملوك الى الذي ... توفر من بين الملوك على الجد

فَلاَ الكَفُّ أَوْهَتْ بِي وَلاَ الرُّمْحُ خانَنِي ‌‌ وَلاَ الأَدْهَمُ المَنْعُوتُ حادَ عَنِ القَصْدِ

قال محمد بن يحيى الصولي وصف الناس صفرة اللون في العلل فكل حكى ذلك وقال بلا فضيلة الا البحتري فانه أغرق من أبيات قال اعرابي بن أبنات(١)

جَعَلْتُ وَمَا عَايَنْتُ عِطْرًا كَأَنَّما ‌‌ جَرَى بَيْنَ جِلْدِي والعِظَامِ خَلُوقُ

وقال أبو تمام

لَمْ يَشِنْ وجهَهُ المَلِيحَ وَلٰكِنْ ‌‌ جَعَلَتْ وَرْدَ وَجْنَتَيْهِ بَهَارَا

وقال غيره

لَمْ تَشِنْ شَيْئًا وَلٰكِنَّهَا ‌‌ بَدَّلَتِ التُّفَّاحَ بالياسَمِينِ

وقال أبو بكر عيسى الزلفي

عِلَّةٌ زَعْفَرَتْ مُوَرَّدَ خَدٍّ ‌‌ كَادَ مِنْ رِقَّةٍ وَرِيٍّ يُفِيضُ

ولأحمد بن يزيد المهلبي

وَقَالوا غَزَتْ غراء حمى شَدِيدَةٌ ‌‌ فَوَجْنَتُها مِنْهَا شَدِيدٌ صِفَارُهَا

فَقُلْتُ لَهُمْ هَيْهاتَ هَاتِيكَ رَوْضَةٌ ‌‌ مَضَى وَرْدُهَا عنا وَجاءَ بَهَارُهَا

ولأبي العتاهية

وَكَأَنَّنِي مِمَّا تَطَاوَلَ بِي ‌‌ مِنْكَ السَّقَامُ طُلِيتُ بالوَرْسِ

وقال ابن المعتز

وَصَفَّرَتْ عِلَّتُهُ وَجْهَهُ ‌‌ فَصَارَ كالدِّينَارِ مِنْ حُقِّ

وقال البحتري

بَدَتْ صُفْرَةٌ فِي لَوْنِهِ إِنَّ حَمْدَهُمْ ‌‌ مِنَ الدُّرِّ مَا اصْفَرَّتْ نَوَاحِيهِ فِي العِقْدِ

---

(١) هكذا فيما وقفنا عليه من النسخ على انه لم يظهر لنا استقامة المعنى فليحرر

وَجرَتْ علي الأَيْدِي مَجسةُ كَفّهِ ... كَذَلِكَ مَوْجُ البَحْرِ ملتهبُ الوَقدِ
وَما الـكَلْبُ مَحْمُوماً وإنْ طَالَ عَمْرُهُ ... أَلاَ إنَّما الحُمّي علي الأَسَدِ الوَرْدِ [1]

[قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه ٠٠ أما تشبيه صفرة اللون بصفرة الدر فهو تشبيه مليح موافق لغرضه إلاّ أنه أخطأ فى قوله ان حدهم من الدر ما اصفرّت نواحيه في العقد لان ذلك ليس بمحمود بل مذموم ولو شبه وترك التعليل لكان أجود ٠٠ وروى أبو العباس أحمد بن فارس المنبجي قال حدثنا أبو أحمد عبيد الله بن يحيى البحتري قال حدثني أبي قال حدثني جدّي البحترى قال كنت عند أبي العباس المبرد يوماً فتذاكرنا شعر عمارة بن عقيل فقال أبو العباس لقد أحسن عمارة فى قوله لخالد بن يزيد لما وجّه اليه بهذين البيتين

لمْ أَستَطِـعْ سَيْرًا لِمَدْحَةِ خالِدٍ ... فَجَعَلْتُ مَدْحيهِ إليْهِ رَسُولاَ
فَلَيَرْحَلَنَّ إليَّ نائِلُ خالِدٍ ... وَلَيَـكْفِيَنَّ رَوَاحِلي التَّرْحِيلاَ

قال البحتري فقلت له لمروان بن أبي حفصة في عبد الله بن طاهر وقد أتاه نائله من الجزيرة ماهو أحسن من هذا وأنشدته

لَعَمْرِي لَنِعمَ الغَيْثُ غَيْثٌ أَصابَنا ... بِبَغْدَادَ مِنْ أَرْضِ الجَزِيرَةِ وَابِلُهْ
فَـكُنَّا كَحَيٍّ صَبَّحَ الغَيْثُ أَهْلَهُ ... وَلَمْ يُرْتَحَلْ أَظْعانُهُ وَرَوَاحِلُهْ

[١] هى من أبيات يمدح بها ابراهيم بن المدبر ويذكر علة نالته ومطلعها

بأنفسنا لا بالطوارف والتلد ... نقيك الذى نخفى من الشكو أو نبدى
بنا معشر العافين ما بك من أذى ... فان أشفقوا مما أقول فبي وحدي
ظللنا نعود الجد من وعكك الذي ... وجدت وقلنا اعتلّ عضو من المجد
ولم ننصف الليث اقتسمنا نواله ... ولم نقتسم حمّاه إذ أقبلت تردى
بدت صفرة من لونه الأبيات الثلاثة ٠٠ وبعدها
وإن ترى عود القناذة خافقاً ... سموم الرياح الآخذات من الرند

فقال لم هذا أحسن فقلت له ان لي في بني السمط وقد أتاني برهم من حمص مالا يتضع عن الجميع وأنشده

جَزَى اللهُ خَيْرًا والجَزَاء بِكَفِّهِ بَنِي السِّمْطِ أَخْدَانَ السَّمَاحَةِ وَالمَجْدِ

هُمُ وَصَلُونِي وَالمَهَامِهُ بَيْنَنَا كَمَا أَرْفَضَّ غَيْثٌ مِنْ تِهَامَةَ فِي نَجْدِ

فقال هذا والله أرق مما قالا وأحسن •• وروي أحمد بن فارس المنبجي عن عبيد الله ابن يحيي بن البحتري قال حدثنا أبي عن جماعة من أهل العلم والأدب منهم يموت بن المزرع قال قلت لأبي عثمان الجاحظ من أنسب العرب فقال الذي يقول

عَجِلَتْ إِلَى فَضْلِ الخِمَارِ فَأَثَّرَتْ عَذَبَاتُهُ بِمَوَاضِعِ التَّقْبِيلِ

وقال هذا البحتري في القصيدة التي أولها

صَبٌّ يُخَاطِبُ مُفْحَمَاتِ طُلُولِ (١)

[١] هو مطلع قصيدة يمدح بها الفضل بن اسماعيل الهاشمي

صب يخاطب مفحمات طلول من سائل باك ومن مسؤول
حلت معالمهن أعباء البلى حتى كأن نحولهن نحولي
ياوهب هب لأخيك وقفة مسعد يعطي الأسى من دمعه المبذول
أو ماترى الدمن المحيلة نشتكي غدرات عهدٍ للزمان محيل
إن كنت تنكرها فقد عرف الهوى قدماً معارف رسمها المجهول
تلك التي لم يعدها قصد الهوى مالت مع الواشين كل مميل
عجلت الى فضل الخمار فأثرت عذباته بمواضع التقبيل
وتبسمت عند الوداع فأشرقت إشراقه عن عارض مصقول
أأخيب عندكِ والصبا لي شافع وأرد دونك والشباب رسولي
ولقد تأملت الفراق فلم أجد يوم الفراق على امرء بطويل
قصرت مسافته على متزود منه لدهر صبابة وعويل

[وقال الشريف المرتضى] رضى الله عنه ٠٠ وفي نسيب هذه القصيدة بيت ليس بقصر في الملاحة والرشاقة وأخذه بمجامع القلوب عن البيت الذي فضله به الجاحظ وهو

أَأُخِيبُ عِندَكِ والصبا لى شَافِعٌ وَأُرَدُّ دُونَكِ والشبابُ رَسُولِى

وفى مديح هذه القصيدة بيت معروف بفرط الحسن وهو

لاَ تَطْلُبَنَّ لَهُ الشَّبِيهَ فانَّهُ قَمَرُ التَّأَملِ مزْنةُ التَّأْميلِ

وبهذا الاسناد عن يحيي بن البحتري قال انصرفت يوماً من مجلس أبي العباس محمد بن يزيد المبرد فقال لى أبي البحتري ما الذى أفدت يومك هـذا من أبي العباس قلت أملى علىّ أخباراً حسـنة وأنشدني أبياتاً للحسين بن الضحاك فقال أبى أنشـدنى الأبيات فأنشدته

كأَنِّي إِذَا فارَقتُ شخصَكَ ساعةً لِفقْدِكَ بينَ العالَمينَ غريبُ
وَقَدْرُمتُ أسبابَ السلُوِّ فخانَني ضَميرٌ عليهِ في هوَاكَ رقيبُ
أَغرّكَ صفحِي عن ذُنُوبٍ كثيرةٍ وَغَضّي على أَشياءَ منكَ تَرِيبُ
كأَنْ لم يكنْ في النّاسِ قبلي مُتَيَّمٌ وَلم يَكُ في الدُّنْيا سِواكَ حَبِيبُ
إلى اللهِ أَشكُو إِنْ شَكَوتُ فلم يَكُنْ
لِشَكوَايَ من عَطفِ الحبيبِ نَصيبُ

واذا الكرام تنازعوا أكرومة فالفضل للفضل بن اسماعيل
قسموا على أخلاقهم فتفاوتوا فيهنّ قسمة غرّة وحجول
فى كل مكرمة يدٍ مبسوطة من فاضل منهم به مفضول
لا تطلبنّ له الشبيه فانه قمر التأمل مزنة التأميل
جاز المدى فرمي بغير مناضل في سُودد وجرى بغير رسيل
فتى سمت عين الحسود لفخره طرفت بطارف من علاه كليل

فقال ما أحسن هذا الكلام وأنشدنى لنفسه

حبيبي حبيبٌ يكتمُ الناسَ إنّهُ لنا حينَ تلقانا العيونُ حبيبُ
يباعدُني في الملتقى وفؤادُهُ وإنْ هوَ أبدَى لى البعادَ قريبُ
ويُعرضُ عنّي والهوَى منهُ مقبلٌ إذَا خافَ عيناً أوْ أشارَ رقيبُ
فتنطقُ منّا أعينٌ حينَ نلتقي وتخرَسُ منّا ألسنٌ وقلوبُ

ثم قال يا بنى اروو هذين فانهما من أحسن الشعر وطريفه ٠٠ روى أحمد بن فارس للنيجي عن أبى نصر محمد بن اسحق النحوى قال سمعت بعض أهل الأدب يقول للزجاج قد كنت تعرف أبا العباس المبرد وكبره وانه ما كان يقوم لأحدٍ ولا يتطاول له وينشد اذا أشرف عليه الرجل

ثهلانُ ذو الهضباتِ لاَ يتحلحلُ (١)

ولقد رأيته يوماً وقد دخل عليه رجل متدرع فقام اليه أبو العباس فاعتنقه ونحي عن موضعه وأجلسه فجعل الرجل يكفه ويستعفيه من ذلك فلما أكثر من ذلك عليه أنشده أبو العباس

أتُنكرُ أنْ أقومَ وقدْ بدَا لِي لأُكرمهُ وأُعظمهُ هشامُ
فلاَ تُنكرْ مبادرَتي اليهْ فإنَّ لمثلهِ خلقَ القيامُ

فلما انصرف الرجل سألت عنه فقيل لى هذا البحترى

مجلس آخر ٥٣

[تأويل آية أخرى]٠٠ إن سأل سائل عن قوله تعالى في قصة قابيل وهابيل حاكياً عن هابيل (لئن بسطت اليّ يدك لتقتلني ما أنا بباسطٍ يدىَ اليك لأقتلك إنى أخاف

(١) صدره البيت * فارفع بكفك ان أردت بناءها *

الله رب العالمين إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك الآية) .. فقال كيف يجوز أن يخبر تعالى عن هابيل وقد وصفه بالتقوى والطاعة بأنه يريد أن يبوء أخوه بالإثم وذلك ارادة القبيح وارادة القبيح قبيحة عندكم على كل حال ووجه قبحها كونها ارادة لقبيح وليس قبحها مما يتغير وكيف يصح أن يبوء القاتل بإثمه وإثم غيره وهل هذا الا ما يأبونه من أخذ البريء بجرم السقيم .. الجواب قلنا جواب أهل الحق عن هذه الآية معروف وهو ان هابيل لم يرد من أخيه قبيحاً ولا أراد أن يقتله وانما أراد ما خبر الله تعالى به عنه من قوله (إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك) أي تبوء بجزاء ما قدمت عليه من القبيح وعقابه وليس بقبيح أن يريد نزول العقاب المستحق بمستحقه ولظير قوله إثمي مع أن المراد به عقوبة إثمي الذي هو قتلي قول القائل عمن يعاقب على ذنب جناه هذا ما كسبت يداك والمعني هذا جزاء ما كسبته يداك وكذلك قولهم لمن يدعون عليه لقاك الله عملك وستلقى عملك يوم القيامة معناه ما ذكرناه .. فان قيل كيف يجوز أن يحسن وادة عقاب غير مستحق لم يقع سببه لان القتل على هذا القول لم يكن واقعاً .. قلنا ذلك جائز بشرط وقوع الأمر الذي يستحق به العقاب فهابيل لما رأي من أخيه التصميم على قتله والاضمار والعزم على إمضاء القبيح فيه وغلب على ظنه وقوع ذلك جاز أن يريد عقابه بشرط أن يفعل ما هم به وعزم عليه .. فأما قوله اثمي واثمك فالمعنى فيه واضح لأنه أراد بإثمي عقاب قتلك لي وبإثمك أي عقاب المعصية التي أقدمت عليها من قبلي فلم يتقبل قربانك لسببها لان الله تعالى أخبر عنهما بأنهما قرّبا قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر وان العلة في ان قربان أحدهما لم يتقبل انه غير متق وليس يمتنع أن يريد بإثمي ما ذكرناه لأن الاثم مصدر والمصادر قد تضاف الى الفاعل والمفعول جميعاً وذلك مستعمل مطرد في القرآن والشعر والكلام فمثال ما أضيف الى الفاعل .. قوله تعالى (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض) ومن اضافته الى المفعول .. قوله تعالى (لا يسأم الانسان من دعاء الخير وان مسه الشر) .. وقوله تعالى (لقد ظلمك بسؤال نعجتك

الى لماجه) •• ومما جاء فى الشعر من اضافته الى المفعول ومعه الفاعل قول الشاعر

أَمِنْ رَسْمِ دَارٍ مَرْبَعٌ وَمَصِيفُ   لِعَيْنَيْكَ مِنْ مَاءِ الشُّؤُونِ وَكِيفُ(١)

(١) قوله * أمن رسم دار الخ * هو مطلع قصيدة للحطيئة عدتها ثمانية عشر بيتاً مدح بها سعيد بن العاص الأموي لما كان والياً بالكوفة لعثمان بن عفان رضى الله عنه قوله * أمن رسم دار الخ * الهمزة للاستفهام التقريري ومن تعليلية متعلقة بوكيف وهو مصدر وكف وكوفاً ووكيفاً سال شيئاً فشيئاً وتأويله أمن رسم داراً مربع أى أثر فيها آثاراً والرسم الأثر بلا شخص ــ والشؤون ــ مجاري الدمع من الرأس الى العين واحدها شأن •• وقوله ــ لعينيك ــ جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر مقدم على المبتدا وهو وكيف يروى بالتثنية ويروى بالافراد ــ ومربع ــ فاعل المصدر وهو رسم وهو على حذف مضاف والتقدير مطره ونحوه وهو وما بعده اسمان لزمن الربيع والصيف ويأتيان اسمي مكان ومصدرين أيضاً وهذه الصيغة تشترك فيها هذه المعانى وهى صيغة قياسية يذكرها الصرفيون والمذكور فى كتب اللغة انما هو المربع بمعنى منزل القوم فى الربيع خاصة وبعد البيت

رشاش كغربي هاجري كلاهما   له داجن بالكسرتين عليف
اذا كرّ غرباً بعد غرب أعاده   على رغمه وافى السبال عنيف
تذكرت فيها الجهل حتى تبادرت   دموعي وأصحابي علىّ وقوف
يقولون هل يبكى من الشوق مسلم   تخلى الى وجه الإله حنيف
فلا بأ أزاحت علي ذات ملسم   نكيب تغالى فى الزمام خنوف
مقذفة باللحم وجناء عدوها   على الأين إرقال معاً ووجيف
اليك سعيد الخير جبت مهامها   يقابلنى آل بها وتنوف
ولولا الذي العاصي أبوه تعلقت   بحوران جذام المشى عصوف
ولولا أصيل اللب غضّ شبابه   كريم لأيام المنون عروف
اذا همّ بالأعداء لم يثن همه   كعاب عليها لؤلؤ وشنوف
حصان لها فى البيت زي وبهجة   ومشي كما تمشي القطاة قطوف

في الكلام بقول القائل أعجبني ضرب عمرو خالداً اذا كان عمرو فاعلا وضرب عمرو خالدٌ اذا كان عمرو مفعولا ٠٠وقد ذكر قومٌ في الآية وجهاً آخر وهو أن يكون المراد إني أريد زوال أن تبوء بإثمي وإثمك لأنه لم يرد له إلاّ الخير والرشد فحذف الزوال وأقام أن وما اتصل بها مقامه كما قال تعالى (وأُشربوا في قلوبهم العجل) أراد حب العجل فحذف الحب وأقام العجل مقامه وكما قال تعالى (واسأل القرية) وهذا قول بعيد لأنه لادلالة في الكلام على محذوف وإنما تستحسن العرب الحذف في بعض المواضع لاقتضاء الكلام المحذوف ودلالته عليه ٠٠وذكر أيضاً وجه آخر وهو أن يكون المعنى إني أريد أن لا تبوء بإثمي وإثمك أي أريد أن لا تقتلني ولا أقتلك فحذف لا واكتفى بما في الكلام كما قال تعالى (يبين الله لكم أن تضلوا) معناه أن لا تضلوا وكقوله تعالى (وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم) معناه أن لا تميد بكم وكقول الخنساء

فأقسمتُ آسي على هالكٍ وأسألُ نائحةً مالَها

أرادت لا آسى ولا أسأل ٠٠وقال امرؤ القيس

فقالتْ يمينَ اللهِ أبرحُ قاعدًا ولوقطعوارأسي لديكِ وأوصالي

أراد لا أبرح ٠٠ وقال عمرو بن كلثوم

نزلتمْ منزلَ الأضيافِ منا فعجّلْنا القِرى أنْ تشتِمُونا

أراد أن لا تشتمونا والشواهد في هذا كثيرة جدًّا وهذا الجواب يضعفه كثير من أهل

ولو شاء وارى الشمس من دون وجهه حجاب ومطوي السراة منيف

ولكنّ إدلاجاً بشهباء فخمة لها لَقَحٌ في الأعجمين كشوف

اذا قادها للموت يوماً تتابعت ألوف على آثارهنّ ألوف

فصفوا وما ذي الحديد عليهم وبيض كأولاد النعام كثيف

أنابت الى جنات عدن نفوسهم وما بعدها للصالحين حتوف

خميص الحشى لا يملأ الهمُّ صدره اذا سمته الزاد الخبيث عيوف

العربية لانهم لا يستحسنون اضمار لا في مثل هـذا الموضع ٠٠ فأما قوله تعالى حاكياً عنه (لئن بسطت الىّ يدك لتقتلني ماأنا بباسطٍ يدى اليك لأقتلك) ٠٠فقال قومٌ من المفسرين ان القتل على سبيل الانتصار والمدافعة لم يكن مباحاً فى ذلك الوقت وان الله تعالى أمره بالصبر عليه وامتحنه بذلك ليكون هو المتولي للانتصاف ٠٠ وقال آخرون بل المعنى انك ان بسطت الىّ يدك مبتدئاً ظالماً لتقتلني ما أنا بباسط يدي اليك على وجه الظلم والابتداء فكأنه نفى عن نفسه القتل القبيح وهوالواقع على سبيل الظلم ٠٠ والظاهر من الكلام بغير ما ذكر من الوجهين أشبه لانه تعالى خبر عنه انه وان بسط أخوه اليه يده ليقتله لا يبسط يده ليقتله أي وهو مريد لقتله ومجرٍ اليه لان هـذا اللام بمعنى كى وهي منبئة عن الارادة والغرض ولا شبهة فى حظر ذلك وقبحه لان المدافع انما تحسن منه المدافعة للظالم أو طلب التخلص منه من غير أن يقصد الى قتله والاضرار به ومتى قصد ذلك كان فى حكم المبتدى بالقتل في انه فاعلٌ القبيح والعقل شاهدٌ بوجوب التخلص من المضرّة بأي وجهٍ تمكن منه بعد ان يكن غير قبيح ٠٠ فان قيل فكأنكم تمنعون من حسن امتحان الله تعالى بالصبر على ترك الانتصار والمدافعة ووجوبهما على كل حال ٠٠ قلنا لايمتنع من ذلك وانما بينا ان الآية غير مقتضية لتحريم المدافعة والانتصاف على ما ذهب اليه قومٌ لان قوله لأقتلك يقتضي أن يكون البسط لهذا الغرض والمدافعة لا يقتضى ذلك ولا يحسن من المدافع أن يجري بها الى الضرب فلا دلالة فى الآية على تحريم المدافعة ووجب أن يكون ما ذكرناه أولى بشهادة الظاهر

[تأويل خبر] ٠٠ إن سأل سائلٌ عن معنى الخبر الذى رواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم من انه قال لا يموت لمؤمن ثلاثة من الأولاد فتمسه النار الا تحلة القسم ٠٥ الجواب قلنا أما أبو عبيد القاسم بن سلام فانه قال يعنى بتحلة القسم قوله تعالى (وان منكم إلاّ واردها كان على ربّك حتماً مقضيا) فكأنه عليه الصلاة والسلام قال لا يرد النار إلاّ بقدر مايبر الله قسمه ٠٠ وأما ابن قتيبة فانه قال فى تأويل أبي عبيد هـذا مذهب حسن من الاستخراج ان كان هذا قسماً ٠٠ قال وفيه مذهب آخر أشبه بكلام العرب ومعانيهم وهو ان العرب اذا أرادوا تقليل مكث الشئ وتقصير مدته شبهوه بتحلة

القسم وذلك أن يقول الرجل بعد حلفه ان شاء الله فيقولون ما يقيم فلان عنــدنا الا تحلة القسم وما ينام العليل إلاّ كتحليل الألية وهو كثير مشهور ٠٠ قال مزاحم بن أحمر وذكر الريح

إذَا عَصَفَتْ رَسْماً فَلَيْسَ بِدَائِمٍ　　بِهِ وَتِدٌ إلاَّ تَحِلَّةَ مَقْسَمِ

يقول لا يثبت الوتد الا قليـلا كتحلة القسم لان هبوب الريح يقلعــه ٠٠ وقال آخر يذكر ثوراً

يَخْفِي التُّرَابَ بِأَظْلَافٍ ثَمَانِيَةٍ　　فِي أَرْبَعٍ مَسُّهُنَّ الأَرْضَ تَحْلِيلُ (١)

يقول هو سريع خفيف فقوائمه لا تثبت فى الأرض إلاّ كتحليل اليمين ٠٠ وقال ذو الرمة كأنه يصف صاحب سفر أغفى غفاةً ثم انتبه سريعاً

---

(١) ـ يخفي التراب ـ يستخرجها لشدة عدوه ويقال خفيت الشئ اذا استخرجته وقرأ بعضهم (ان الساعة آتية أكاد أخفيها) أى أظهرها ومن قرأ أُخفيها أراد أسرها ومنه الحديث ليس على مختف قطع ومنه قول امرئ القيس

خفاهن من أنفاقهن كأنما　　خفاهن ودق من عشىٍّ مجلّبِ

ويروي مجلّب أى مجلب الماء ومجابة من الجلبة جلبة الريح والرعد ٠٠ وقوله ـ باظلاف ثمانيـة في أربع ـ يريد ثمانيـة اظلاف فى أربع قوائم فى كل قائمة ظلفان ٠٠ وقوله ـ مسهنّ الأرض تحليل ـ أى كتحلة اليمين وأهـل الحجاز يسمون النباش المختفى وقال مسهنّ الأرض تحايل قدر تحلة اليمين كأنه أقسم ليمس الأرض كما قال الراعى

حدت السراب وألحقت أعجازها　　روح يكون وقوعها تحليـلا

والبيت من قصيدة لعبدة بن الطبيب وهى مفضلية ومطلعها

هل حبل خولة بعد الهجر موصول　　أم أنت عنها بعيد الدار مشغول

حلت خويلة فى دار مجاورة　　أهـل المدائن فيها الديك والفيل

يقارعون رؤوس العجم ضاحية　　منهـم فوارس لا عزل ولا ميل

فخامر القلب من ترجيع ذكرها　　رس لطيف ورهن منك مكبول

طَوى طَيَّهُ فَوْقَ الكَرَا جفنُ عَيْنِهِ ... على رَهَبَاتٍ من جَنَانِ المَحَاذِرِ
قَلِيلاً كَتَحْلِيلِ الأَلَى ثم قَلَّصَتْ ... بهِ شِيمَةٌ رَوْعاءُ تَقْلِيصَ طائِرِ

ـ والألى ـ جمع ألوة وهي اليمين قال ومعنى الخبر على هذا التأويل ان النار لا تمسه إلاّ قليلا كتحليل اليمين ثم ينجيه الله منها .. وقال أبو بكر محمد بن القاسم الانبارى الصواب قول أبي عبيد لحجج ثلاث .. منها ان جماعة من كبار أهل العلم فسروه على تفسير أبي عبيد .. ومنها انه ادعى أن النار تمس الذى وقعت منزلته عند الله جليلة لكن مساً قليلا والقليل من النار لا يقع به الألم العظيم وليس صفة الأبرار فى الآخرة صفة من تمسه النار لا قليلا ولا كثيراً .. ومنها ان أبا عبيد لم يحكم على هذا المصاب بولده بمس وانما حكم عليه بالورود والورود لا يوجب أن يكون من الأبرار لان إلاّ معناه الاستثناء المنقطع فكأنه قال فتمسه النار لاكن تحلة اليمين أى لاكن ورود النار لا بد منه فجرى مجرى قول العرب سار الناس الا الأثقالا وارتحل العسكر الا الخياما وأنشد الفرّاء

وَسَمْحَةِ المَشْيِ شِمْلاَلٍ قَطَعْتُ بها ... أرْضاً يَحَارُ بها الهادُونَ دَيْمُوما (١)
مهامِهاً وَحُزُوناً لا أَنِيسَ بها ... إلاّ الصَّوائِحَ وَالأَصْدَاءَ والبُوما (٢)

وأنشد الفرّاء

---

(١) ـ الديموم ـ والديمومة الفلاة الواسعة يدوم السير فيها لبعدها وقيل هى المفازة لا ماء بها وأنشد ابن برى لذى الرّمة * اذا انتخّ الدياميم * وقيل الديمومة الأرض المستوية التى لا أعلام بها ولا طريق ولا ماء ولا أنيس .. وقال أبو عمرو الدياميم الصحارى الملس المتباعدة الأطراف

(٢) ـ الصوائح ـ جمع صائح وهو ما يصيح أى يصوت والمراد به الأصوات التي تسمع فى الخلاء ولا حقيقة لها ـ والأصداء ـ جمع صدى وهو ما يرده الجبل على المصوت فيه ـ والبوم ـ طائر معروف

لَيْسَ عَلَيْكَ عَطَشٌ وَلاَ جُوع ... إِلاَّ الرُّقَادَ وَالرُّقَادُ مَمْنُوع

فمعنى الحديث لا يموت لمسلم ثلاثة من الأولاد فتمسه النار البتة لاكن تحلة القسم لا بد منها وتحلة اليمين الورود والورود لا يقع فيه مس .. قال أبو بكر وقد سنح لي فيه قول آخر وهو أن يكون إلاّ زائدة دخلت للتوكيد وتحلة اليمين منصوب على الوقت والزمان ومعنى الخبر فتمسه النار وقت تحلة القسم وإلاّ زائدة .. قال الفرزدق شاهداً لهذا

هُمُ القَوْمُ إِلاَّ حَيْثُ سَلُّوا سُيُوفَهُمْ ... وَضَحَّوْا بِلَحْمٍ مِنْ مُحِلٍّ وَمُحْرِمِ

معناه هم القوم حيث سلّوا سيوفهم وإلاّ مؤكدة .. وقال الأخطل

وَيَقْطَعْنَ إِلاَّ مِنْ فُرُوعٍ يَرِدْنَهَا ... بِمِدْحَةِ مَحْمُودٍ ثَنَاهُ وَنَائِلُهُ (١)

معناه يقطعون الابل من فروع يردنها والفروع الواسعة من الأرض .. [قال الشريف

(١) وفي ديوانه

اليكم من الأغوار حتى يزرنكم ... بمدحة محمود ثناه ونائله

ـ الأغوار ـ جمع غور بالفتح وهو القعر من كل شئ وهي هنا الأمكنة المطمئنة ـ والثنا ـ بالفتح والقصر الخبر .. والبيت من قصيدة يمدح بها بشر بن مروان ومطلعها

صحا القلب عن أروى وأقصر باطله ... وعاد له من حب أروى أخايله

أجدّك ما نلقاك إلاّ مريضة ... تداوين قلباً ما تنام بلابله

عفا واسط منها فالجام حامر ... فروض القطا صحراؤه وحمائله

.. ومنها

ومستقبل لفح الحرور بحاجة ... اليكم أبا مروان شدت رواحله

اليكم من الأغوار حتى يزرنكم ... بمدحة محمود ثناه ونائله

جزاء وشكراً لامرىء لا تغبّنى ... اذا جئته نعماؤه وفواضله

أخو الحرب ماينفك يدعي لعصبة ... حرورية أو أعجمي يقاتله

المرتضى] رضى الله عنه والوجوه المذكورة فى تأويل الخبر متقاربة لأن الوجه الذى اختص به ابن الانبارى فيه أدنى تعسف وبعد من حيث جعل إلاّ زائدة وذلك كالمستضعف عند جماعة من أهل العلم بالعربية وقد تبقى في الخبر مسئلة التشاغل بالجواب عنها أولى مما تكلفه القوم وهى متوجهة على كل الوجوه التى ذكروها في تأويله •• وهو أن يقال كيف يجوز أن يخبر عليه الصلاة والسلام بان من مات له ثلاثة أولاد لا تمسه النار إما جملة أو مقدار تحلة القسم وهو النهاية فى القلة أو ليس ذلك يوجب أن يكون إغراء بالذنوب لمن هذه حاله واذا كان من يموت له بهذا العدد من الأولاد غير خارج عن التكليف فكيف يصح أن يؤمن من العقاب •• والجواب عن ذلك اذاً قد علمت أولا خروج هذا الخبر مخرج المدحة لمن كانت هذه صفته للتمييز ولا مدحة فى مجرد موت الأولاد لان ذلك لا يرجع الى فعله ولا بد من أن يكون تقدير الكلام ان النار لا تمس المسلم الذى يموت له ثلاثة من الأولاد اذا حسن صبره واحتسابه وعزاؤه ورضاه بما جرى به القضاء عليه لانه بذلك يستحق الثواب والمدح واذا كان اضمار الصبر والاحتساب لا بد منه لم يكن فى القول اغراء لان كيفية وقوع الصبر والوجه الذى اذا وقع عليه تفضل الله تعالى بغفران ما لعله أن يستحقه من العقاب فى المستقبل غير معلوم واذا لم يكن معلوماً متميزاً فلا وجه للاغراء وأكثر ما في هذا الكلام أن يكون القول مرغباً في حسن الصبر وحاثاً عليه رغبة فى الثواب ورجاء لغفران ما لعله أن يستحق فى المستقبل من العقاب وهذا واضح لمن تأمله

مجلس اخر ٥٤

[تأويل آية] •• إن سأل سائل عن قوله تعالى (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة) •• فقال ما معنى أو هنا وظاهرها يفيد الشك الذى لا يجوز عليه تعالى •• الجواب قلنا في هذه الآية وجوه •• أولها أن تكون أو ههنا للاباحة كقولهم جالس الحسن أو ابن سيرين والق الفقهاء أو المحدثين ولم يريدوا الشك بل

كأنهم قالوا هذان الرجلان أهل للمجالسة وهذان القبيلان من العلماء أهل للقاء فان جالست الحسن فأنت مصيب وان جالست ابن سيرين فأنت مصيب وان جمعت بينهما فكذلك فيكون معنى الآية على هذا ان قلوب هؤلاء قاسية متجافية عن الرشد والخير فان شبهتم قسوتها بالحجارة أصبتم وان شبهتموها بما هو أشد أصبتم ولن شبهتموها بالجميع فكذلك وعلى هذا يتأول قوله تعالى (أو كصيب من السماء) لان أو لم يرد بها الشك بل على نحو الذي ذكرناه من انكم إن شبهتموهم بالذي استوقد ناراً فجائز وان شبهتموهم بأصحاب الصيب فجائز وان شبهتموهم بالجميع فكذلك ٠٠ وثانيها أن تكون أو دخلت للتفصيل والتمييز ويكون معنى الآية ان قلوبهم قست فبعضها ما هو كالحجارة في القسوة وبعضها ما هو أشد قسوة منها ويجرى ذلك مجرى قوله تعالى (وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا) ومعناه قال بعضهم كونوا هوداً وهم اليهود وقال بعضهم كونوا نصارى وهم النصاري فدخلت أو للتفصيل وكذلك قوله تعالى (وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتاً أو هم قائلون) معناه فجاء بعض أهلها بأسنا بياتاً وجاء بعض أهلها بأسنا في وقت القيلولة وقد يحتمل قوله تعالى (أو كصيب من السماء) هذا الوجه أيضاً ويكون المعني ان بعضهم يشبه الذي استوقد ناراً وبعضهم يشبه أصحاب الصيب ٠٠ وثالثها أن يكون أو دخلت على سبيل الابهام فيما يرجع الي المخاطب وان كان الله تعالى عالماً بذلك غير شاك فيه لانه تعالى لم يقصد في إخبارهم عن ذلك إلا التفصيل بل علم عزوجل ان خطابهم بالاجمال أبلغ فى مصلحتهم فأخبر تعالى ان قسوة قلوب هؤلاء الذين ذمهم كالحجارة أو أشد قسوة والمعنى انها كانت كأحد هذين لايخرج عنهما ويجري ذلك مجرى قولهم ما أطعمتك إلاّ حلواً أو حامضاً فيبهمون على المخاطب مايعلمون انه لافائدة فى تفصيله والمعنى ما أطعمتك إلاّ أحد هذين الضربين وكذلك يقول أحدهم أكلت بسرة أو تمرة وهو قد علم ما أكل على التفصيل الا انه أبهمه على المخاطب ٠٠ قال لبيد

تمنّى ابنتاي أن يعيش أبوهما وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر (١)

أراد هل أنا إلا من أحد هذين الحيين فسبيلي ان أفنى كما فنيا وانما حسن ذلك لان قصده الذى أجرى اليه وغرضه الذي نحاه وهو أن يخبر بكونه ممن يموت ويفنى ولا يخل به اجمال ما أجمل من كلامه فاضرب عن التفصيل لانه لافائدة فيه ولانه سواء كان من ربيعة أو مضر فونه واجب وكذلك الآية لان الغرض فيها أن يخبر تعالى عن شدة قسوة قلوبهم وانها مما لا تنثني لوعظ ولا تصغي الى حق فسواء كانت فى القسوة كالحجارة أو أشد منها فقد تم ما أجري اليه من الغرض فى وصفها وذمها وصار تفصيل تشبيهها بالحجارة وبما هو أشد قسوة منها كتفصيل كونه من ربيعة أو مضر فى انه غير محتاج اليه ولا يقتضيه الغرض فى الكلام .. ورابعها أن تكون أو بمعنى بل كقوله تعالى (وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون) معناه بل يزيدون وروى عن ابن عباس في قوله تعالى (وأرسلناه الي مائة ألف أو يزيدون) قال كانوا مائة ألف وبضعاً وأربعين

---

(١) وبعده

فقوما وقولا بالذى تعلمانه ولا تخمشا وجهاً ولا تحلقا شعر

وقولا هو المرء الذي لاصديقه أضاع ولا خان الصديق ولاغدر

الى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

والبيت الأخير يورده بعض النحاة على ان لفظ اسم مقحم .. قال ابن جنى هذا قول أبي عبيدة وكذلك قال في بسم الله ونحن نحمل الكلام على ان فيه محذوفاً قال أبو علىّ وانما هو حد حذف المضاف أى ثم اسم معنى السلام عليكما واسم معنى السلام هو السلام وكأنه قال ثم السلام عليكما فالمعنى لعمرى ماقاله أبو عبيدة لكنه من غير الطريق التي أتاه هو منها ألا تراه هو اعتقد زيادة شئ واعتقدنا نحن نقصان شئ اه .. وروى ان لبيد رضى الله عنه لما حضرته الوفاة قال لابنتيه هذه الأبيات فكانتا بعد وفاته تلبسان ثيابهما فى كل يوم وتأتيان مجلس جعفر بن كلاب قبيلته فترثيانه ولا تعولان فأقامتا على ذلك حولا كاملا ثم انصرفتا

ألفاً •• وأنشد الفرّاء

بَدَتْ مِثْلَ قَرْنِ الشمْسِ فِي رَوْنَقِ الضُّحَى   وَصُورَتِهَا أَوْ أَنْتِ فِي العَيْنِ أَمْلَحُ

وقد تكون أم فى الاستفهام أيضاً بمعنى بل كقول القائل أضربت عبد الله أم أنت رجل متعنت معناه بل أنت رجل متعنت •• وقال الشاعر

فَوَاللهِ مَا أَدْرِي أَسَلْمَى تَغَوَّلَتْ   أَمِ النَّوْمُ أَمْ كُلٌّ إِلَيَّ حَبِيبُ

معناه بل كلٌّ •• وقد طعن بعضهم على هذا الجواب فقال وكيف يجوز أن يخاطبنا تعالى بلفظة بل وهي تقتضى الاستدراك والنقض للكلام الماضى والاضراب عنه وليس ذلك بشئ إما الاستدراك فان أريد به الاستفادة أو التذكر لما لم نكن معلوماً فليس بصحيح لان أحدنا يقول اعطيته ألفاً بل ألفين وقصدته دفعة بل دفعتين وهو عالم في ابتداء كلامه بما أخبر به فى الثانى ولم يتجدد به علم وان أراد به الأخذ فى كلام غير الماضى واستئناف زيادة عليه فهو صحيح ومثله جائز عليه تعالي فأما النقض للكلام الماضى فليس بواجب فى كل موضع يستعمل فيه لفظ بل لان القائل اذا قال اعطيته ألفاً بل ألفين لم ينقض الأول وكيف ينقضه والأول داخل في الثاني وانما زاد عليه وانما يكون ناقضاً للماضى اذا قال لقيت رجلا بل حماراً واعطيته درهماً بل ثوباً لان الأول لم يدخل فى الثاني على وجه وقوله تعالى (أو أشد قسوة) غير ناقض للأول لانها لا تزيد فى القسوة على الحجارة إلاّ بعد أن تساويها وانما تزيد عليها بعد المساواة •• وخامسها أن تكون أو بمعني الواو كقوله (أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم) معناه وبيوت آبائكم •• قال جرير

نَالَ الخِلَافَةَ أَوْ كَانَتْ لَهُ قَدَرًا   كَمَا أَتَى رَبَّهُ مُوسَى عَلَى قَدَرِ [١]

---

(١) قوله نال الخلافة الخ •• هو من قصيدة يمدح بها عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى •• ويروى جاء الخلافة وأتى الخلافة وفى ديوانه نال الخلافة •• والبيت من شواهد النحاة في باب الفاعل على توسط المفعول بين الفعل والفاعل جوازاً ومطلع القصيدة

١٤٩

وقال توبة بن الحمير

وَقَدْ زَعَمَتْ لَيْلَى بِأَنِّيَ فاجِرٌ ... لِنَفْسِي تُقاها أوْ عَلَيْها فُجُورُها[1]

لجت امامة فى لومي وما علمت ... عرض السماوة روحاتى ولا بكري

وقال العبني وأولها قوله

كم باليمامة من شعثاء أرملة ... ومن يتيم ضعيف الصوت والنظر

وهذا غلط لان البيت قبله أثنا عشر بيتاً ومنها

إنا لنرجو اذا ما الغيث أخلفنا ... من الخليفة ما نرجو من المطر

•• ومنها

أصبحت للمنبر المعمور مجلسه ... زيناً وزين قباب الملك والحجر

(١) هو من قطعة أولها

حمامة بطن الواديين ترنمي ... سقاك من الغر الغوادي مطيرها

أبيني لنا لا زال ريشك ناعماً ... ولا زلت فى خضراء غض نضيرها

وكنت اذا مازرت ليلى تبرقعت ... وقد رابني منها الغداة سفورها

وقد رابني منها صدود رأيته ... واعراضها عن حاجتي وبسورها

وأشرف بالقور اليفاع لعلنى ... أرى نار ليلى أو يرانى بصيرها

يقول رجال لا يضيرك نأيها ... بلى كل ماشف النفوس يضيرها

بلى قد يضير العين أن تكثر البكى ... ويمنع منها نومها وسرورها

وقد زعمت ليلى بأني فاجر ... لنفسي تقاها أو عليها فجورها

روي ان ليلى الأخيلية لما أنشدت الحجاج هذه الأبيات قال لها ما الذى رابه من سفورك فقالت أيها الأمير كان يلم بي كثيراً فأرسل الىّ يوماً إنى آتيك وفطن الحي فأرصدوا له فلما أتانى سفرت عن وجهى فعلم ان ذلك لشر فلم يزد على التسليم والرجوع فقال لله درك فهل رأيت منه شيئاً تكرهينه فقالت لا والذي أسأله أن يصلحك غير انه قال مرة قولا ظننت انه قد خضع لبعض الأمر فأنشأت أقول

وقال جرير أيضاً

أَثَعْلَبَةَ الفَوَارِسَ أَمْ رِيَاحاً ، عَدَلْتَ بِهِمْ طُهَيَّةَ وَالخِشَابا[1]

أراد أو رياحاً •• وقال آخر

فَلَوْ أَنَّ البُكَاءَ يَرُدُّ مَيْتاً بَكَيْتُ على بُجَيْرٍ أَوْ عِفَاقِ

على المَرْأَيْنِ إِذْ هَلَكَا جَمِيعاً لِشَأْنِهِمَا بِشَجْوٍ وَاشْتِيَاقِ

أراد على بُجير وعفاق •• وحكى المفضل بن سلمة هذا الوجه عن قطرب وطعن عليه بان قال ليس شئ يعلم أشد قسوة عند المخاطبين من الحجارة فيشبه قلوبهم الزيادة عليها وانما يصح ذلك في قولهم أطعمتك تمراً أو أحلا منه لان أحلا منه معلوم واختار

وذى حاجة قلنا له لاتبح بها فليس اليها ماحييت سبيل

لنا صاحب لاينبغى أن نخونه وأنت لأُخرى فارغ وخليل

فلا والله الذى أسأله أن يصلحك مارأيت منه شيئاً حتى فرق الموت بينى وبينه

(١) قوله ــ أثعلبة ــ أراد بها القبيلة وهي ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث ابن غطفان •• وفي أسد بن خزيمة ثعلبة أيضاً وهي ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة •• وقوله ــ أم رياحاً ــ بكسر الراء وبالياء آخر الحروف وهي أيضاً قبيلة وهي رياح بن يربوع ابن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم •• وفي قضاعة أيضاً رياح بطن وهو ابن عوف ابن عميرة بن الهون بن أعجب بن قدامة بن حزم بن أبان بن حلوان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة •• وفي سليم أيضاً وهي رياح بن يقظة بن عصية بن خفاف ابن امرئ القيس بن بُهثة بن سليم •• وقوله ــ طهية ــ بضم الطاء وفتح الهاء وتشديد الياء آخر الحروف وفي آخره هاء وهي حى من بنى تميم يقال لهم بنو طهية بنت عبد شمس بن سعد بن زيد مناة بن تميم •• وقوله ــ والخشابا ــ بكسر الخاء المعجمة وبالشين المعجمة وبعد الألف باء موحدة وهي أيضاً قبيلة •• قال الجوهري وبنو رزام بن مالك ، حنظلة يقال لهم الخشاب ثم أنشد البيت ..

المفضل الوجه الذي يتضمن أنّ أو بمعنى بل وهـذا الذي طعن به المفضل ليس بشيء لانهم وان لم يشاهدوا أو يعرفوا ما هو أشد قسوة من الحجارة فصورة قسوة الحجارة معلومة لهم ويصح أن يتصوروا ما هو أشد قسوة منها وما له عليها فضل لان قدراً ما اذا عرف جاز أن يعرف ما هو أزيد منه أو أنقص لان الزيادة والنقصان انمـا يضافان الى معلوم معروف على ان الآية خرجت مخرج المثل وأراد تعالى بوصف قلوبهم بالزيادة فى القسوة على الحجارة انها قد انتهت الى حد لا تلين معه للخير على وجه من الوجوه وان كانت الحجارة ربما لانت وانتفع بها فصارت من هذا الوجه كأنها أشد قسوة منها تمثيلا وتشبيهاً وقول المفضل ليس يعرفون ما هو أقسى من الحجارة لا معنى له اذا كان القول على طريق المثل •• وبعد فان الذي طعن به على هذا الجواب يعرض على الوجه الذى اختاره لانه اذا اختار أن أو فى الآية بمعنى بل فكيف جاز بان يخبرهم بان قلوبهم أشد قسوة من الحجارة وهم لا يعرفون ما هو أقسى من الحجارة واذا جاز أن يقول لهم بل قلوبهم أقسى مما يعرفون من الحجارة جاز أن يخبر عن مثل ذلك بالواو فيقول قلوبهم كالحجارة التي يعرفون فى القوة وهى مع ذلك تزيد عليها •• فان قيـل كيف يكون أو فى الآية بمعنى الواو والواو للجمع وليس يجوز أن تكون قلوبهم كالحجارة أو أشد من الحجارة فى حالة واحدة لان الشئ اذا كان على صفة لم يجز أن يكون على خلافها •• قلنا قد أجاب بعضهم عن هذا الاعتراض بان قال ليس يمتنع أن تكون قلوبهم كالحجارة فى حالٍ وأشد من الحجارة فى حال أُخرى فيصح المعنى ولا يتنافى وهذا قريب ويكون فائدة هذا الجواب ان قلوب هؤلاء في بعض الأحوال مع القسوة والعدول عن تصور الحق والفكرة فيـه ربمـا لانت بعض اللين وفى حال أُخرى تكون في نهاية البعد عن الحق وكانت تصغى الى الحق فتكون فى هذا الحال كالحجارة التى ربما لانت وفى حال أُخرى ربما تكون في نهاية البعد عن الحق والنفور منه فتكون فى هذا الحال أشـد قسوة من الحجارة على انه يمكن في الجواب عن هذا الاعتراض وجه آخر وقد تقدم معنـاه فى بعض كلامنا وهو ان قلوبهم لا تكون أشد من الحجارة إلاّ بعد أن يكون فيها قسوة الحجارة لأن القائل اذا قال فلان أعلم من فلان فقد أخبر أنه زائد عليه في العلم

الذي اشتركا فيه فلا بد من الاشتراك ثم الزيادة فليس ههنا تناف على ما ظن المعترض ولا اثبات لصفة ونفيها فكل هذا بيّن بحمد الله تعالى .. [قال المرتضي] رضي الله عنه وإني لأستحسن من الشعر قول الأحوص بن محمد الأنصاري

وَمَوْلًى سَخِيفِ الرَّايِ رَخْوٍ تَزِيدُهُ ... أَنَاتِي وعَفْوِي جَهْلَةً عِنْدَهُ ذَمَّا[1]

وَصَلْتُ وَلَوْ عَيَّرْتُهُ لأَصَبْتُهُ ... بِشَنْعَاءَ بَاقٍ عَارُهَا يَفْرَأُ العَظْمَا

طَوَى حَسَدًا ضِغْنًا عَلَيَّ كَأَنَّمَا ... اداوِي بِهِ فِي كُلِّ مُجْمَعَةٍ كَلْمَا

وَيَجْهَلُ أَحْيَانًا فَلاَ يَسْتَخِفُّنِي ... وَلاَ أَجْهَلُ العُتْبَى إِذَا رَاجَعَ الحِلْمَا

يَصِدُّ وَيَنْأَى فِي الرَّخَاءِ بِوِدِّهِ ... وَيَدْعُو وَيَدْعُونِي إِذَا خَشِيَ الهَضْمَا

فَيُفْرِجُ عَنْهُ إِزْبَةَ الخَصْمِ مَشْهَدِي ... وَأَدْفَعُ عَنْهُ عِنْدَ عَثْرَتِهِ الظُّلْمَا

— الاربة — الدهاء والاربة العقدة وكلا المعنيين يحتمل لفظ البيت

وَكُنْتُ امْرَأً عَوْدَ الفِعَالِ تَهُزُّنِي ... مَآثِرُ مَجْدٍ تَالِدٍ لَمْ يَكُنْ زَعْمَا

وَكُنْتَ وَشَتْمِي فِي ارُومَةِ مَالِكٍ ... بِسَبِّي لَهُ كَالْكَلْبِ إِذْ يَنْبَحُ النَّجْمَا

وَلَسْتَ بِلاَقٍ سَيِّدًا سَادَ مَالِكًا ... فَتَنْسِبَهُ إِلاَّ أَبًا لِيَ أَوْ عَمَّا

سَتَعْلَمُ إِنْ عَادَيْتَنِي قَفْعَ قَرْقَرٍ ... امالاً أَفَدْتَ لاَ أَبًا لَكَ أَوْ عُدْمَا[2]

---

(١) — المولي — القريب كابن العم ونحوه والواو فيه واو رب أي رب مولى سخيف الرأي أي ضعيفه — والاناة — الحلم والوقار .. المعنى أن اناتي وعفوي يزيد انه من ذمي عنده

(٢) — القفع — البيضاء من الكمأة وهي منصوبة على الذم — والقرقر — الأرض المطمئنة .. وهذا مأخوذ من قولهم أذل من قفع بقرقر لانه لا يمتنع على من اجتناه ويقال بل لانه

لقد أبقت الأيامُ منها وجرسها لأعدائنا ثُكلاً وحسادنا رغما
وكانت عروق السوء أودت وقصرت به أن ينال الحمد فالتمس الذما

ومن مختار شعره

إني إذا خفي الرجالُ رأيتني كالشمس لا تخفى بكل مكانِ
ما من مصيبة نكبة أمنى بها إلا تشرفني وتعظم شاني
وتزول حين تزول عن متخمط تخشى بوادره لدى الأقرانِ

ومن جيد شعره

خليلان باحا بالهوى فتشاحنت أقاربها في وصلها وأقاربُه
ألا إن أهوى الناس قرباً وروية وريحاً إذا ما الليل غارت كواكبه
ضجيع دنا مني جذلت بقربه فبات يمنيني وبت أعاتبه
وأخبره بالسر بيني وبينه بأن ليس شيء عند نفسي يقاربه

وقد عبّر في وجه كل من وصف المضاجعة امرؤ القيس حيث يقول

يوطأ بالأرجل والجمع فقعة مثل جبء وجبأة ويقال حمام فقيع اذا كان أبيض ويشبه الرجل الذليل بالفقع فيقال هو فقع قرقر لان الدواب تجله بأرجلها •• قال النابغة يهجو النعمان بن المنذر

حدثوني بني الشقيقة ما يمـــنع فقعا بقرقر أن يزولا

لان الفقعة لا أصول لها ولا أغصان ويقال فلان فقعة لقاع كما يقال في مولد الأمثال من كان كذلك هو كشوث الشجر لان الكشوث نبت يتعلق بأغصان الشجر من غير أن يضرب بعرق في الأرض قال الشاعر

هو الكشوث فلا أصل ولا ورق ولا نسيم ولا ظل ولا ثمر

تقولُ وقد جرَّدتُها من ثيابها ... كما رُعتَ مكحولاً من العِينِ أتلعا
وَجَدِّكَ لو شيءٌ أتانا رسولُه ... سِواكَ ولكن لم نجد عنكَ مدفعا
فبتنا نذودُ الوحشَ عنّا كأنّنا ... قتيلانِ لم تعلمْ لنا النّاسُ مصرعا
إذا أخذتها هزّةُ الرّوعِ أمسكت ... بمنكبِ مقدامٍ على الهولِ أروعا

وقال عليّ بن الجهم في وصفه شدة الالتزام

سقى اللهُ ليلاً ضمّنا بعد هجعةٍ ... وأدنى فؤادًا من فؤادٍ معذّبِ
فبتنا جميعا لو تُراقُ زجاجةٌ ... من الرّاحِ فيما بيننا لم تُسرّبِ

ولعبد الصمد بن المعذل في هذا المعنى

كأنّني عانقتُ ريحانةً ... تنفّستْ في ليلِها البارِدِ
فلوْ ترانا في قميصِ الدّجا ... حَسِبتَنا في جسدٍ واحدِ

ولبشار

إنّني اشتهي لِقاءكَ واللـــهِ فماذا عليكَ أنْ تلقاني
قد تلفُّ الرّياحُ غُصنًا من البـــانِ الى مِثلِهِ فيلتقيانِ

ومثله للبحتري

ولم أنسَ ليلتَنا في العِنـــاقِ لفَّ الصّبا بقضيبٍ قضيبا
كما أقبلَتِ الرّيحُ في مرّها ... فطورًا خفوتًا وطورًا هبوبا

ولآخر في مثل هذا بعينه ولسنا ندري هل سبق البحتري أو تأخر عنه

وضمٌّ لا يُنهنهُهُ اعتناقٌ ... كما لفَّ القضيبُ على القضيبِ

ولعلي بن الجهم

وبتنا على رغمِ الحسودِ كأنّنا ... خليطانِ من ماءِ الغمامةِ والخمرِ

وهذا وان جمعه في العناق فهو مأخوذ من قول بشار

وإنْ نلتقي خَلْفَ العيونِ كأنّنا ... سُلافُ عُقارٍ بالنقاخ مشوبُ

والأصل في هذا قول الأخطل والناس من بعده على أثره

منَ الجارياتِ الحُورِ مَطْلَبُ سِرِّها ... كبيضِ الأنوقِ المُستكِنةِ في الوَكْرِ

وإنّي وإيّاها إذا مالقيتُها ... لكالماء من صَوْبِ الغمامةِ والخَمْرِ

وقد أخذه أيضاً ابن أبي عيينة فقال

ماأنْسَ لاَ أنْسَ يُمْناها مُعطّفةً ... على فؤادي وَيُسْراها على رَاسي

وَقولَها ليتَهُ ثوبا على جسَدِي ... أوليتَني كُنتُ سِرْبالاً لِعبّاسِ

أوليتَهُ كانَ لي خمْرًا وكُنتُ لهُ ... من ماء مزنٍ فكنّا الدّهرَ في كاسِ

ومثل هذا للبحتري

وَجَدتُ نفسكَ من نفسي بمنزلةٍ ... هي المُصافاةُ بينَ الماءِ والرّاحِ

ولقد أحسن بشار في قوله

لقدْ كانَ مابيني زَمانا وبينَها ... كما كانَ بينَ المسكِ والعنبرِ الوَرْدِ

أخبرنا أبو عبيدالله المرزباني قال حدثنا أحمد بن محمد المكي قال حدثنا أبوالعيناء قال حدثني القتيبي عن أبيه قال سير الوليد بن عبد الملك [1] الأحوص الى دهلك فكتب

---

(١) قوله سير الوليد بن عبد الملك الأحوص الخ . المشهور ان الذي نفاه سليمان ابن عبد الملك وسبب ذلك ان الأحوص كان ينسب بنساء ذوات أخطار من أهل المدينة ويتغنى في شعره معبد ومالك ويشيع ذلك في الناس فنهي فلم ينته فشكي الى عامل سليمان بن عبد الملك على المدينة وسألوه الكتاب فيه اليه ففعل ذلك فكتب سليمان الى عامله يأمره أن يضربه مئة سوط ويقيمه على البلس للناس ثم يصيره الى دهلك ففعل ذلك به فثوى هناك سلطان سليمان بن عبد الملك ثم ولي عمر بن عبد العزيز فكتب

الأحوص الى عمر بن عبد العزيز حين استخلف

وكَيفَ ترَي لِلنَّوم طعْما ولَذَّةً وَخالُكَ أمسى مُوثقافي الحَبائِلِ

فَمَنْ يَكُ أمسَى سائِلاً عن شَماتةٍ لِيَشْمَتَ بِي أَوْشامِتاًغيرَ سائِلِ

فقدْعَجَمتْ مِنِّي الحَوادِثُ ماجدًا صَبُورًا على غمَّاء تِلكَ البَلابِلِ

إذا سُرَّ لم يَفرَحْ وليسَ لِنَكبةٍ ألمّتْ بهِ بالخاشِعِ المُتضائِلِ

فبعث عمر بن عبد العزيز الى عراك بن مالك الذي كان شهد عليه فقال ما ترى في هذا

اليه يستأذنه في القدوم ويمدحه فأبى أن يأذن له وكتب فيما كتب اليه به

أيارا كباً إمّا عرضت فبلغن هُديت أمير المؤمنين رسائلي

وقل لأبي حفص اذا ما لقيته لقد كنت نفّاعاً قليل الغوائل

وكيف ترى للعيش طيباً ولذة وخالك أمسى موثقاً في الحبائل

ثم ان رجالا من الأنصار كلموا فيه عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فقال لهم فمن الذي يقول

فما هو إلاّ أن رآها فجاءة فأبهتَ حتى ما أكادُ يجيب

قالوا الأحوص والصحيح ان هذا البيت لعروة بن حزام .. قال فمن الذي يقول

أدور ولولا ان أرى أم جعفر بأبياتكم مادرت حيث أدور

وما كنت زوّاراً ولكنّ ذا الهوى اذا لم يزر لا بد أن سيزور

قالوا الأحوص .. قال فمن الذي يقول

كأن لبنى صبير غادية أو دمية زينت بها البيع

الله بيني وبين قيّمها يفر مني بها وأتبع

قال بل الله بين قيمها وبينه .. فمن الذى يقول

ستبقى لها في مضمر القلب والحشى سريرة حب يوم تبلى السرائر

قالوا الأحوص قال ان الفاسق عنها يومئذ لمشغول والله لا أرده ما كان لي سلطان

البالس فقال عراك مكانه خير له فتركه في موضعه فلما ولي يزيد بن عبد الملك جلب الأحوص وسير عراكا .. [قال المرتضى] رضي الله عنه وانما كان الأحوص خال عمر بن عبد العزيز من جهة ان أم عمر هي أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب وأمها أنصارية .. فأما قوله ـ اذا سر لم يفرح ـ فأخوذ من قول لقيط بن زرارة

لَا مُتْرَفًا إِنْ رَخَاءُ العَيْشِ سَاعَدَهُ ... وَلَيْسَ إِنْ عَضَّ مَكْرُوهٌ بِهِ خَشَعَا (١)

.. وللأحوص

وَبِبَطْنِ مَكَّةَ لَا أَبُوحُ بِهِ ... قُرَشِيَّةٌ غَلَبَتْ عَلَى قَلْبِي

لَوْ أَنَّهَا إِذْ مَرَّ مَرْكَبُهَا ... يَوْمَ الكَدِيدِ أَطَاعَنِي صَحْبِي

قُلْنَا لَهَا حُيِّيتِ مِنْ شَجَنٍ ... وَلِرَكْبِهَا حُيِّيتَ مِنْ رَكْبِ

---

(١) البيت من قصيدته المشهورة التي أنذر بها قومه غزو كسرى إياهم وكان لقيط كاتباً في ديوان كسرى فلما رآه مجمعاً على غزو إياد كتب اليهم بهذا الشعر فوقع الكتاب في يد كسرى فقطع لسان لقيط وغزا إياداً ومطلعها

يا دار عمرة من محتلها الجرعا ... هاجت لي الهم والاحزان والوجعا

تامت فؤادي بذات الجزع خرعبة ... مرت تريد بذات العذبة البيعا

بمقلتي خاذل أدماء طاع لها ... نبت الرياض تزجي وسطه ذرعا

.. ومنها

وقلدوا أمركم لله دركم ... رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا

لا مترفاً ان رخاء العيش ساعده ... ولا اذا عض مكروه به خشعا

لا يطعم النوم إلا ريث يبعثه ... هم يكاد سناه يقصم الضلعا

مسهد النوم تعنيه أموركم ... يروم منها الى الأعداء مطلعا

ما انفك يحلب هذا الدهر أشطره ... يكون متبعاً طوراً ومتبعا

حتى استمرت على شزر مريرته ... مستحكم الرأي لا قحماً ولا ضرعا

وَالشَّوْقُ أَقْتَلُهُ بِرُؤْيَتِهَا ... قَبْلَ الظَّمَا بِالْبَارِدِ الْعَذْبِ
وَالنَّاسُ إِنْ حَلُّوا جَمِيعُهُمُ ... شِعْبًا سَلَامٌ وَكُنْتِ فِي شِعْبِ
لَحَلَلْتُ شِعْبَكِ دُونَ شِعْبِهِمُ ... وَلَكَانَ قُرْبُكِ مِنْهُمُ حَسْبِي

قوله ـ والشوق أقتله ـ نظير قول جرير

فَلَمَّا التَقَى الحَيَّانِ أُلْقِيَتِ العَصَا ... وماتَ الهَوَى لَمَّا أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهْ

مجلس آخر ٥٥

[تأويل آية] •• إن سأل سائل عن قوله تعالى (وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبؤوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين) •• فقال كيف يأمرهم تعالى بان يخبروا بما لا يعلمون وليس أقبح من تكليف ما لا يطاق الذي تأبونه والذي لا يجوز أن يكلف تعالى مع ارتفاع القدرة لا يجوزه •• الجواب قلنا قد ذكر في هذه الآية وجهان •• أولهما ان ظاهر هذه الآية إن كان أمراً يقتضي التعلق بشرط وهو كونهم صادقين عالمين بأنهم اذا أخبروا عن ذلك صدقوا فكأنه قال تعالى خبروا بذلك ان علمتموه ومتى رجعوا الى نفوسهم فلم يعلموا فلا تكليف عليهم وهذا بمنزلة أن يقول القائل لغيره خبرني بكذا وكذا ان كنت تعلمه وان كنت تعلم أنك صادق فيما تخبر به عنه •• فان قيل أو ليس قد قال المفسرون في قوله تعالى (ان كنتم صادقين) ان المراد به ان كنتم تعلمون بالعلة التي من أجلها جعلت في الأرض خليفة أو ان كنتم صادقين في اعتقادكم انكم تقومون بما أنصب الخليفة له وتضطلعون به وتصلحون به •• قلنا قد قيل كل ذلك وقيل أيضاً ما ذكرناه واذا كان القول محتملا للأمرين جاز أن يبنى الكلام على كل واحد منهما وهذا الجواب لم يتم لمن يذهب الى ان الله تعالى لا يصح أن يأمر العبد بشرط قد علم انه لا يحصل ولا يحسن أن يريد منه الفعل على هذا الوجه ومن ذهب الى جواز ذلك صح منه أن يعتمد على هذا الجواب •• فان

قيل فأي فائدة في أن يأمرهم بان يخبروا عن ذلك بشرط أن يكونوا صادقين وهو عالم بأنهم لا يتمكنون من ذلك لفقد علمهم به •• قلنا لمن ذهب الى الأصل الذي ذكرناه أن يقول لا يمتنع أن يكون الغرض في ذلك هو أن يكشف باقرارهم وامتناعهم من الإخبار بالأسماء ما أراد تعالى بيانه من استئثاره بعلم الغيب وانفراده بالاطلاع على وجوه المصالح في الدين •• فان قيل فهذا يرجع الى الجواب الذي تذكرونه من بعد •• قلنا هو وان رجع الى هذا المعنى فبينهما فرق من حيث كان هذا الجواب على تسليم أن الآية تضمنت الأمر والتكليف الحقيقيين والجواب الثاني لا نسلم فيه ان القول أمر على الحقيقة فمن ههنا افترقا •• والوجه الثاني أن يكون الأمر وان كان ظاهره أمراً فغير أمر على الحقيقة بل المراد به التقرير والتنبيه على مكان الحجة وقد يرد بصورة الأمر ماليس بأمر والقرآن والشعر وكلام العرب مملوء بذلك وتلخيص هذا الجواب ان الله تعالى قال للملائكة (إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك فقال لهم إني أعلم ما لا تعلمون) أي إني مطلع من مصالحكم وما هو أنفع لكم من دينكم على مالا تطلعون عليه ثم أراد التنبيه على انه لا يمتنع أن يكون غير الملائكة مع انها تسبح وتقدس وتطيع ولا تعصي أولى بالاستخلاف في الأرض وان كان في ذريته من يفسد ويسفك الدماء فعلم تعالى آدم عليه الصلاة والسلام أسماء جميع الأجناس أو أكثرها وقيل أسماء النبي محمد صلى الله عليه وآله والأئمة من ولده وسلم وفيه أحاديث مروية ثم قال تعالى للملائكة أنبؤوني بأسماء هؤلاء مقرراً لهم ومنبهاً على ما ذكرناه ودالا على اختصاص آدم عليه الصلاة والسلام بما لم يخصوا به فلما أجابوا بالاعتراف والتسليم اليه علم الغيب الذي لا يعلمونه فقال تعالى (ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون) منبهاً على انه تعالى هو المنفرد بعلم المصالح في الدين وان الواجب على غير مكلف أن يسلم لأمره تعالى ، يعلم انه لا يختار لعباده إلا ما هو أصلح لهم في دينهم علموا وجه ذلك أم جهلوه وعلى هذا الجواب يكون قوله تعالى (ان كنتم صادقين) محمولا على كونهم صادقين في العلم بوجه المصلحة في نصب الخليفة أو في ظنهم انهم يقومون بما يقوم به هذا

الخليفة ويكملون له ولولا ان الأمر على ماذكرناه وان القول لا يقتضى التكليف لم يكن لقوله تعالى بعد اعترافهم واقرارهم (ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ماتبدون وما كنتم تكتمون) معنى لان التكليف الأول يتغير حاله بان يخبرهم آدم عليه الصلاة والسلام بالأسماء ولا يكون قوله تعالى (إنى أعلم غيب السموات) الى آخر الآية الا مطابقاً لما ذكرناه من المعنى دون معنى التكليف فكأنه تعالى قال إذا كنتم لا تعلمون هذه الأسماء فأنتم عن علم الغيب أعجز وبان تسلموا الأمر لمن يعلمه ويدبر أمركم بحسبه أولى .. فان قيل كيف علمت الملائكة بأن فى ذرية آدم من يفسد فى الأرض ويسفك الدماء وما طريق علمها بذلك وان كانت غير عالمة فكيف يجوز أن تخبر عنه بغير علم .. قلنا قد قيل انها لم تخبر وانما استفهمت فكأنها قالت متعرفة أتجعل فيها من يفعل كذا وكذا وقيل أيضاً ان الله تعالى أخبرها بانه سيكون من ذرية هذا المستخلف من يعصي ويفسد فى الأرض فقالت على وجه التعرف لما فى هذا التدبير من المصلحة والاستفادة لوجه الحكمة فيه أتجعل فيها من يفعل كذا وكذا وهذا الجواب الأخير يقتضى أن يكون فى أول الكلام حذف ويكون التقدير (وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل في الأرض خليفة) وإني عالم أن سيكون من ذريته من يفسد فيها ويسفك الدماء فاكتفى عن إيراد هذا المحذوف بقوله تعالى (قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها) لان ذلك دلالة على الأول وانما حذفه اختصاراً وفى جملة جميع الكلام اختصار شديد لانه تعالى لما حكى عنهم قولهم (أتجعل فيها من يفسد فيها) الآية كان في ضمن هذا الكلام فنحن على ما نظنه وما يظهر لنا من الأمر أولى بذلك لانا نطيع وغيرنا يعصى وقوله تعالى (إنى أعلم مالا تعلمون) يتضمن إنى أعلم من مصالح المكلفين مالا تعلمونه وما يكون مخالفاً لما تظنونه على ظواهر الأمور وفى القرآن من الحذوف العجيبة والاختصارات الفصيحة مالا يوجد فى شيء من الكلام فمن ذلك قوله تعالى في قصة يوسف عليه الصلاة والسلام والناجي من صاحبيه في السجن رؤيا الملك البقر السمان والعجاف أنا أنبئكم بتأويله فارسلون يوسف أيها الصديق افتنا ولو بسط الكلام فأورد محذوفه لقال أنا أنبئكم بتأويله فارسلون ففعلوا فأتى يوسف فقال له

يا يوسف أيها الصديق ومثله قوله في الأنعام (قل إني أمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين) أي وقيل لي ولا تكونن من المشركين وكذلك قوله تعالى في قصة سليمان عليه الصلاة والسلام (ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر) الى قوله تعالى (اعملوا آل داود شكراً) أي وقيل لهم (اعملوا آل داود شكراً) •• وقال جرير

وَرَدْتُمْ علي قَيْسٍ بِخُورِ مُجَاشِعٍ ... فَنُؤْتُمْ على ساقٍ بَطِيءٍ جُبُورُها

أراد فنؤتم على ساق مكسورة بطيء جبورها كأنه لما كان في قوله بطيء جبورها دليل على الكسر اقتصر عليه •• وقال عنترة

هَلْ تُبلِغَنِّي دَارَها شَدَنِيَّةٌ ... لُعِنَتْ بِمَحْرُومِ الشَّرابِ مُصَرَّمِ

يعني ناقته •• ومعني ــ لعنت ــ دعاء عليها بانقطاع لبنها وجفاف ضرعها فصارت كذلك والناقة اذا كانت لا تنتج كان أقوى لها على السير •• قال تأبط شراً ويروي للشنفرى

فَلاَ تَدْفِنُونِي إنَّ دَفْنِي مُحَرَّمٌ ... عَلَيكُمْ ولكِنْ خامِرِي أُمَّ عامِرِ (١)

(١) ــ خامري أم عامر ــ مثل وأم عامر وأم عمرو وأم عويمر الضبع يشبه بها الأحمق ويروي عن عليّ رضي الله عنه انه قال لا أكون مثل الضبع تسمع اللدم فتبرز طمعاً في الحية حتى تصاد وهي كما زعموا من أحمق الدواب لانهم اذا أرادوا صيدها رموا في جحرها بحجر فتحسبه شيئاً تصيده فتخرج لتأخذه فتصاد عند ذلك ويقال لها ابشري بجراد عظال وكمر رجال فلا يزال يقال لها حتي يدخل عليها رجل فيربط يديها ورجليها ثم يجرها والجراد العظال الذي ركب بعضها بعضاً كثرة وأصل العظال سفاد السباع •• وقوله وكمر رجال يزعمون ان الضبع اذا وجدت قتيلاقد انتفخ جردانه ألقته على قفاه ثم ركبته •• قال العباس بن مرداس

ولو مات منهم من جرحنا لأصبحت ... ضباع بأعلى الرقتين عرائسا

وبعد البيت

لانه أراد فلا تدفنوني بل دعوني تأكلني التي يقال لها خامري أم عامر وهى الضبع
•• وقال أوس بن حجر

حتى إذا الكلابُ قال لها ... كاليوم مطلوبٌ ولا طلبا

أراد لم أراك اليوم فحذف •• وقال أبو دواد الايادي

إنَّ من شيمتي لبذلِ تلادي ... دون عرضي فإن رضيتِ فكوني

أراد فكوني معي على ما أنا عليه وان سخطت فبيني فحذف هذا كله •• ولآخر

إذا قيلَ سيروا إنَّ ليلى لعلَّنا ... جرى دون ليلى مائلُ القرنِ أعضبُ

أراد لعلها قربت وهذا باب يتسع وهو أكثر من أن يحيط به قول •• والحذف غير الاختصار وقوم يظنون انهما واحد وليس كذلك لان الحذف يتعلق بالألفاظ وهو أن يأتي بلفظ يقتضي غيره ويتعلق به ولا يستقل بنفسه ويكون في الموجود دلالة على المحذوف فيقتصر عليه طلباً للاختصار والاختصار يرجع الى المعاني وهو أن يأتي بلفظ مفيد لمعانٍ كثيرة لو عبر عنها بغيره لاحتيج الى أكثر من ذلك اللفظ فلا حذف الا وهو اختصار وليس كل اختصار حذفاً ••فمثال الحذف قوله ـ ولكن خامري أم عامر ـ ولنظائره مما أنشدناه لان القول غير مستغنٍ بنفسه بل يقتضي كلاماً آخر غير أنه لما كان فيه دلالة على ما حذف حسن استعماله •• ومثال الاختصار الذي ليس بحذف قول الشاعر

أولادُ جفنةَ حولَ قبرِ أبيهمُ ... قبرِ ابنِ ماريةَ الكريمِ المفضلِ(١)

اذا احتملت رأسي وفي الرأس أكثري ... وغودر عند الملتقى ثم سائري

هنالك لا أرجو حياة تسرني ... سجيس الليالي مبسلا بالجرائر

(١) قوله ـ قبر ابن مارية ـ الخ •• قال أبو عبيدة هى مارية بنت أرقم بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة وقال ابن الكلبي مثل قول أبي عبيدة ثم قال وقالت كندة جمعاء هى مارية بنت ظالم بن وهب بن الحارث بن معاوية بن ثور بن كندة وقال القعنبي بنت ظالم ابن وهب بن الحارث وقال ابن السكيت هي مارية بنت أرقم بن ثعلبة •• والبيت من قصيدة

أراد أنهم أعزاء مقيمون بدار مملكتهم لاينتجعون كالاعراب فاختصر هذا المبسوط كله في قوله حول قبر أبيهم .. ومثله قول عدي بن زيد

عالِمٌ بالَّذِي يُرِيدُ نقي الصـــــدْرِ عفٌّ على جَنَاهُ نَحُورُ (١)

وفي معنى الاختصار قول أوس بن حجر

وَفِتْيانِ صِدْقٍ لاَ تَخِمُّ لِحَامُهُمْ إِذَا شَبَّهَ النَّجْمُ الصِوَارَ النَّوَافِرا

فقوله — لاتخم لحامهم — لفظ مختصر لو بسط لقال انهم لا يدخرون اللحم ولا يستبقونه فيخم بل يطعمونه الأضياف والطراق .. ومعنى قوله — اذا شبه النجم الصوار النوافرا — يعني في شدة البرد وكلب الشتاء لان الثريا تطلع في هذا الزمان عشاء كأنها صوار متفرق وهذا أيضاً أكثر من أن يحصى وانما فضل الكلام الفصيح بعضه على بعض لقوة حظه من افادة المعاني الكثيرة بالألفاظ المختصرة .. فأما قوله تعالى (ثم عرضهم على الملائكة) بعد ذكر الأسماء التي لا تليق بها هذه الكناية فالمراد به عرض المسميات لان الكناية لا تليق بالأسماء ولا بد من أن تكون تلك المسميات أو فيها ما يجوز أن يكنى عنه بهذه

حسان رضي الله عنه المشهورة التي مدح بها آل جفنة ومطلعها

أسألتَ رسم الدار أم لم تسأل بين الجوابي فالبضيع فحومل

ومنها لله در عصابة نادمتهم يوماً بجلّقَ في الزمان الأول

ومنها يغشون حتى ما تهر كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل

يسقون من وَرَدَ البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل

بيض الوجوه كريمة أحسابهم شم الأنوف من الطراز الأول

ومنها ولقد شربت الخمر في حانوتها صهباء صافية كطعم الفلفل

يسعى عليَّ بكأسها متنطف فيعلني منها ولو لم أنهل

إن التي ناولتني فرددتها قتلت قتلت فهاتها لم تقتل

كلتاهما حلب العصير فعاطني بزجاجة أرخاهما للمفصل

(١) — هكذا في الاصول التي بايدينا ولم نقف عليه

الكناية لانها لاتستعمل إلاّ في العقلاء وما يجري مجراهم •• وقيل ان في قراءة أُبيّ ثم عرضها وفي قراءة عبد الله بن مسعود ثم عرضهنّ وعلى هاتين القراءتين يصلح أن تكون عبارة عن الأسماء ••وقد يبقى في هذه الآية سؤال لم نجد أحداً ممن تكلم في تفسير القرآن ولا في متشابهه ومشكله تعرض له وهو من مهم مايسأل عنه•• وذلك أن يقال من أين علمت الملائكة عليها السلام لما أخبرها آدم عليه الصلاة والسلام بتلك الأسماء صحة قوله ومطابقة الأسماء للمسميات وهي لم تكن عالمة بذلك من قبل اذ لو كانت عالمة لأخبرت بالأسماء ولم تعترف بفقد العلم والكلام يقتضيه لانهم لما أنبأهم آدم عليه الصلاة والسلام علموا صحتها ومطابقتها للمسميات ولولا ذلك لم يكن لقوله تعالى (ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض) معنىً ولا كانوا مستفيدين بذلك نبوته وتمييزه واختصاصه بما ليس لهم لان كل ذلك انما يتم مع العلم دون غيره •• الجواب انه غير ممتنع أن تكون للملائكة عليها السلام في الأول غير عارفين بتلك الأسماء فلما أنبأهم آدم عليه السلام بها فعل الله لهم في الحال العلم الضروري بصحتها ومطابقتها للمسميات لها أما عن طريق أو ابتداء بلا طريق فعلموا بذلك تمييزه واختصاصه وليس لأحدٍ أن يقول ان ذلك يؤدي الى انهم علموا نبوته اضطراراً وفي هذا منافاة لطريق التكليف وذلك أنه ليس في علمهم بصحة ماأخبر به ضرورة مايقتضي العلم بالنبوة ضرورة بل بعده درجات ومراتب لا بد من الاستدلال عليها ويجري هذا مجرى أن يخبر أحدنا نبيٌّ بما فعل على سبيل التفصيل على وجه تجري به العادة وهو وان كان عالماً بصدق خبره ضرورة لا بد له من الاستدلال فيما بعد على نبوته لان علمه بصدق خبره ليس هو العلم بنبوته لكنه طريق يوصل اليها على ترتيب ••ووجه آخر وهو انه لا يمتنع أن يكون للملائكة لغات مختلفة فكل قبيل منهم يعرف أسماء الأجناس في لغته دون لغة غيره إلاّ أن يكون احاطة عالم واحد بأسماء الأجناس في جميع لغاتهم خارقة للعادة فلما أراد تعالى التنبيه على نبوة آدم عليه السلام علمه جميع تلك الأسماء فلما أخبرهم بها علم كل فريق مطابقة ماخبر به من الأسماء للغته وهذا لا يحتاج فيه الى الرجوع الى غيره وعلم مطابقته ذلك لباقي اللغات بخبر كل قبيل ولا شك في ان كل قبيل اذا كانوا كثيرة وخبروا بشيء

يجرى هذا المجرى علم صحة مخبرهم واذا أخبر كل قبيل صاحبه علم من ذلك فى لغة غيره ما علمته من لغته وهذا الجواب يقتضى أن يكون قوله تعالى (أنبؤنى بأسماء هؤلاء) أي ليخبرنى كل قبيل منكم جميع الأسماء وهذان الجوابان جميعاً مبنيان على ان آدم عليه السلام لم يتقدم لهم العلم بنبوّته وأن إخباره بالأسماء كان افتتاح معجزاته لانه لو كان نبياً قبل ذلك وكانوا قد علموا بقدم ظهور معجزاتٍ على يديه لم يحتج الى هذين الجوابين معاً لانهم يعلمون اذا كان الحال هذه مطابقة الأسماء للمسميات بعد ان لم يعلموا ذلك بقوله الذى قد أمنوا به فيه غير الصدق وهذا لمن تأمله بيّن بحمد الله

••[قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه رأيت قوماً ممن تكلم على معانى الشعر يذكرون فى بيت حسان بن ثابت

لَمْ تَفُتْها شَمْسُ النَّهارِ بِشَيْءٍ ... غيرَ أَنَّ الشَّبابَ لَيْسَ يَدُومُ (١)

ان المراد به الاعتذار من كبرها وعلو سنها فكأنه قال ــ لم تفتها شمس النهار بشيء ــ انها كبيرة طاعنة فى السن وعذرها فى ذلك ان الشباب ليس يدوم لأمثالها وهذا الذى

---

(١) البيت من قصيدته التى قالها بعد وقعة أُحد يروي انه دعا قومه ليلا فقال لهم خشيت أن يدركنى أجلى قبل ان أصبح فلا ترووها عنى ومطلعها

منع النوم بالعشاء الهموم ... وخيال اذا تغور النجوم
من حبيب أصاب قلبك منه ... سقم فهو داخل مكتوم
يال قومي هل يقتل المرء مثلي ... واهن البطش والعظام سؤوم
همها العطر والفراش ويعـ ... لوها لجين وحالك منظوم
لو يدب الحولي من ولد الذ ... ر عليها لأندبتها الكلوم
لم تفتها شمس النهار بشيء ... غير أن الشباب ليس يدوم
ان خالي خطيب جابية الجو ... لان عند النعمان حين يقوم
وأبي في سميحة القائل الفا ... صل يوم التفت عليه الخصوم
وأنا الصقر عند باب ابن سلمي ... يوم نعمان فى الكبول مقيم

ذكروه ليس بشيء والأشبه والأولى أن يكون مراد حسّان ان شمس النهار لم تفنها بشيء غير ان شبابها مما لا يدوم ولا بد من أن يلحقها الهرم الذي لا يلحق الشمس ولم يدر انها في الحال كذلك وكيف يريد ما توهموه مع قوله

يالَقَوْمي هَلْ يَقتُلُ المَرْءَ مِثلِي ... واهِنُ البَطْشِ والعِظَامِ سَؤُومُ

شأنُها العِطْرُ والفِرَاشُ وَيَعْ ... لُوها لُجَيْنٌ وَلُؤْلُؤٌ مَنظُومُ

لَوْ يَدِبُّ الحَوْلِيُّ مِنْ وَلَدِ الذَّ ... رِ عَليها لأنْدَبَتْها الكُلُومُ (١)

وهذه الأوصاف لا تليق لمن طعن في السن من النساء ولا يوصف بمثلها إلاّ الصبيان والاحداث ٠٠ ومن العجائب ان هذا الاستخراج على ركاكته مسند الى الأصمعي وما أولى من يكون نتيجة تغلغله وثمرة توصله مثل هـذه الثمرة بالاضراب عن استخراج المعاني والبحث عنها ٠٠ ومما فسره أصحاب المعاني على وجه وهو بغيره أشبه وأقل الأحوال أن يكون محتملا للأمرين ولا يقتصر على أحدهما قول الخنساء

ياصخرُ وَرَّاد ماءٍ قدْ تناذَرَهُ ... أهلُ المَوَارِدِ مافي وِرْدِهِ عارُ

وأبيّ وواقـد أطلقا لى ... حين رحنا وكبلهم محطوم

ورهنت اليدين عنهم جيعاً ... كل كف فيهـا جزء مقسوم

وسطت نسبتي الذوائب منهم ... كل دار فيها أب لي عظيم

رب حلم أضاعه عدم المال ... وجهل غطا عليـه النعيم

ماأبالى أنبّ بالحزن تيس ... أم لحـانى بظهر غيب لئيم

تلك أفعالنا وفعل الزبعرى ... خامل في صـديقه مذموم

ولى البأس منهم إذ حضرتم ... أسرة من ذرى قصي صميم

تسعة تحمل اللواء وطارت ... فى رعاع من القنا مخزوم

(١) يقول لو يدب الصغير من ولد الذر على جلدها لأثّر فيـه وجرحه ولم يرد بالحولي ما أتى عليه حول ولكن جعله في صغره كالحولي من ولد الحافر والخف

لانهم يقولون مرادها بالبيت ما في ترك ورده عار ويظنون أنه متى لم يحمل على ذلك لم يكن له فائدة ولا فيه مدح ويجرونه مجرى قول المرقش

لَيْسَ على طولِ الحَيَاةِ نَدَمْ ... وَمِنْ وَرَاءِ المَرْءِ مايَعْلَمْ (١)

وليس الأمر كما ظنوه لانه يحتمل أن يريد انه لاعار في ورده على ظاهر الكلام والفائدة فيه ظاهرة لان البيت وان تضمن ذكر ورود الماء فهو كناية عن ركوب الأمور العظيمة الصعاب التي من جملتها إيراد الماء غلبة وقهراً فكأنها قالت انك تورد ماء قد تحاذره الناس وتركب أمراً صعباً قد نكل عنه الخلق ولك بذلك حظ الشجاعة والبسالة ومع ذلك فلا عار عليك في ركوبه لانه ربما فعل الانسان فعلاً يحوز به أكثر الحظ من الشجاعة وان لحقه بعض العار من قطيعة رحمٍ أو نكث عهدٍ أو ماجرى ذلك المجرى

---

(١) قوله ـ ليس على طول الحياة ـ الخ ٠٠ قال الأصمعي أراد ليس على فوت طول الحياة ندم ٠٠ وقوله ـ ومن وراء المرء ما يعلم ـ يقول من عمل شيئاً وجده ووراء هنا امام من الاضداد قال الله جل ذكره (ومن ورائه عذاب غليظ) وقال الشاعر

أيرجو بنو مروان سمعي وطاعتي ... وقومي تميم والفلاة ورائيا

أي امامي ٠٠ قال أبو عبيدة ومنه قول الله عز وجل (وكان وراءهم ملك) أي امامهم هذا قول أبي عِكرمة ٠٠ وقال غيره ومن وراء المرء ما يعلم أي الهرم والكبر والضعف وكثرة العلل ٠٠ والبيت للمرقش الأكبر واسمه عوف بن سعد وهو عم الأصغر والأصغر عم طرفة بن العبد وهو من قصيدة مطلعها

هل بالديار أن تجيب صمم ... لوكان رسم ناطقاً كلم

الدار قفر والرسوم كما ... رقش في ظهر الأديم قلم

ديار أسماء التي تبلت ... قلبي فعيني ماؤها يسجم

أضحت خلاء نبتها ثئد ... نوّر فيها زهوها فاعتم

بل هل شجتك الظعن باكرة ... كأنهن النخل من ملهم

النشر مسك والوجوه دنا ... نير وأطراف البنان عنم

فكأنها نفت عن فعله وجوه العار وليس يجري هذا مجري قول المرقش ـ ليس على طول الحياة ندم ـ لان البيت متى لم يحمل على ان المراد به ليس على فوت طول الحياة ندم لم يفد شيئاً وقد بينا فائدة قول الخنساء اذا كان المراد ما ذكرناه

مجلس آخر ٥٦

[تأويل آية] •• إن سأل سائل عن قوله تعالى (واسأل من أرسلنا قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن) الآية •• الجواب قد ذكر في هذه الآية وجوه •• أولها أن يكون المعنى واسأل أتباع من أرسلنا قبلك من رسلنا ويجرى ذلك مجرى قولهم السخاء حاتم والشعر زهير يريدون السخاء سخاء حاتم والشعر شعر زهير وأقاموا حاتماً مقام السخاء المضاف اليه وقوله تعالى (ولكن البر من آمن بالله) ومثله قول الشاعر

لهمْ مجلسٌ صُهْبُ السِّبالِ أذِلَّةٌ ... سَوَاسِيَةٌ أحْرَارُها وَعَبِيدُها(١)

والمأمور بالسؤال في ظاهر الكلام النبي عليه الصلاة والسلام وهو فى المعنى لامته لأنه عليه الصلاة والسلام لا يحتاج الى السؤال لكنه خوطب خطاب أمته كما قال تعالى (المص كتاب أُنزل اليك فلا يكن فى صدرك حرجٌ منه) فأفرده الله تعالى بالمخاطبة ثم رجع الى خطاب أمته فقال (اتبعوا ما أُنزل اليكم) (فلا يكن في صدرك حرج) وفي موضع آخر (يأيها النبيّ اتق الله) الآية فخاطبه عليه الصلاة والسلام والمعنى لأمته لانه بين بقوله تعالى (ان الله كان بما تعملون خبيراً) •• وقال تعالي (يا أيها النبي اذا طلقتم النساء) فوحّد وجمع فى موضع واحد وذلك للمعني الذى ذكرناه

---

(١) أى لهم أهل مجلس ـ وصهب ـ جمع أصهب أى فى سبالهم صهبة وهى حمرة أو شقرة فى الشعر ـ والسبال ـ بالكسر جمع سبلة بالتحريك وهى الدائرة فى وسط الشفة العليا أو ما على الشارب من الشعر أو طرفه أو مجتمع الشاربين أو ما على الذقن الى طرف اللحية كلها أو مقدمها خاصة ويقال للأعداء صهب السبال ـ وأذلة ـ جمع ذليل ـ وسواسية ـ مستوون

•• وقال الكميت

إلى السراجِ المنيرِ أحمدَ لا تعدلُني رغبةٌ ولا رهبُ
عنهُ إلى غيرِهِ ولو رفعَ النــاسُ إليَّ العيونَ وارتقبوا
لو قيلَ أفرطتَ بل قصدتَ ولو عنَّفني القائلونَ أو ثلبوا
لجَّ بتفضيلكَ اللسانُ ولو أكثرَ فيكَ الضجاجُ واللجبُ
أنتَ المصفَّى المحضُ المهذَّبُ في التشبيهِ إن نصَّ قومكَ النسبُ

فظاهر الخطاب للنبي عليه الصلاة والسلام والمقصود به أهل بيته عليهم الصلاة والسلام لان أحداً من المسلمين لايمتنع من تفضيله عليه الصلاة والسـلام والاطناب فى وصف فضائله ومناقبه ولا يعنف فى ذلك أحد وانما أراد الكميت وان أكثر فى أهـل بيته وذريته عليهم الصلاة والسلام الضجاج واللجب والتقريع والتعنيف فوجه القول اليه عليه الصلاة والسلام والمراد غيره وبهذلك وجه صحيح وهو ان المراد بموالاتهم الانحياز اليهم والانقطاع الى حبهم لما كان رسول الله صـلى الله عليه وسـلم هو المقصود بجميع ذلك جاز أن يخرج الكميت الكلام هذا المخرج ويضعه هذا الموضع •• وقد قيل ان المراد باتباع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الذين أمر بمسألتهم أهل الكتاب كعبد الله ابن سلام ونظرائه ولا يمتنع على هذا الجواب أن يكون هو عليه الصلاة والسلام المأمور بالمسئلة على الحقيقة كما يقتضيه ظاهر الخطاب وان لم يكن شاكا فى ذلك ولا مرتاباً به ويكون الوجه فيه تقرير أهل الكتاب به وإقامة الحجة عليهـم باعترافهم أو لان بعض مشركى العرب أنكر أن تكون كتب الله المتقدمة وأنبياؤه الآتون بها دعوا الي التوحيد فأمر عليه الصلاة والسلام بتقرير أهل الكتاب بذلك لتزول الشبهة عمن اعترضته الشبهة ••والجواب الثاني أن يكون السؤال متوجهاً اليه عليه الصلاة والسلام خاصة دون أمته والمعنى اذا لقيت النبيين في السماء فسألهم عن ذلك لان الرواية قد وردت بانه عليه الصلاة والسلام لقى النبيين في السماء فسلم عليهم وأمهم ولا يكون أمره تعالي بالسؤال لانه كان

شاكا لان مثل ذلك لا يجوز عليه الشك فيه لكن لبعض المصالح الراجعة الى الدين إمّا لشيء يخصه عليه الصلاة والسلام أو يتعلق ببعض الملائكة الذين يستمعون ما يجري بينه وبين النبيين من سؤال وجواب .. والجواب الثالث ما أجاب به ابن قتيبة وهو ان المعنى واسأل من أرسلنا اليه قبلك رسلا من رسلنا يعني أهل الكتاب وهذا الجواب وان كان يوافق في المعنى الجواب الأول فبينهما خلاف في تقدير الكلام وكيفية تأويله فلهذا صارا مفترقين وقد رد على ابن قتيبة هذا الجواب وقيل انه خطأ في الاعراب لان لفظة اليه لا يصح اضمارها في مثل هذا الموضع لانهم لا يجوزون الذي جلست عبد الله على معنى الذي جلست اليه عبد الله لان اليه حرف منفصل عن الفعل والمنفصل لا يضمر فلما كان القائل اذا قال الذي أكرمت إياه عبد الله ولم يجز أن يضمر إياه لانفصاله من الفعل كانت لفظة اليه بمنزلته وكذلك لا يجوز الذي رغبت محمد بمعنى الذي رغبت فيه محمد لان الاضمار انما يحسن في الهاء المتعلقة بالفعل كقولهم الذي أكلت طعامك والذي لقيت صديقك معناهما الذي أكلته ولقيته [1] وقال الفراء انما حذفت الهاء لدلالة الذي عليها

---

(١) هذا الكلام يحتاج الى تبيين لعدم إيضاح ما تضمنه والحاصل أن العائد المنصوب يجوز حذفه ان كان متصلا وناصبه فعل أو وصف غير صلة الألف واللام فالفعل نحو يعلم ما يسرون وما يعلنون ويجوز في ماهنا أن تكون موصولا حرفياً قيل وشرط جواز حذف العائد المنصوب أن يكون متعيناً للربط كما مثل فلو كان غير متعين لم يجز حذفه نحو جاء الذي أكرمته في داره فان العائد أحدهما لا بعينه وفيه نظر عند صاحب التوضيح وشرط الفعل أن يكون تاماً فلا يجوز جاء الذي كانه زيد على الأصح ومثال الوصف قوله

ما الله موليك فضل فاحمدنه به ... فما لدى غيره نفع ولا ضرر

بخلاف جاء الذي إيّاه أكرمت لانه منفصل وحذفه يوقع في إلباسه بالمتصل ومفوت لما قصد به من التخصيص وانما حذف منفصلا من قوله سبحانه وتعالى (ومما رزقناهم ينفقون) والأصل رزقناهم إيّاه لان تقديره متصلا يلزم منه اتحاد الضميرين المتحدي

وقال غيره في حفظها غير ذلك وكل هذا ليس مما تقدم فى شئ فصح ان جواب ابن قتيبة مستضعف والمعتمد ما تقدم

الرتبة فى ضميري الغيبة وهو قليل وبخلاف جاء الذى انه فاضل أو كأنه أسد لان اسم ان وكأن المشددتين لايحذف الا شذوذاً وبخلاف جاءنى الضاربه زيد لان الوصف صلة الألف واللام واسمية أل خفية والضمير اذا كان مذكوراً يدل على اسميتها نصاً فاذا حذف فات هذا المعنى وهم بصدد التنصيص على اسميتها

آخر الجزء الثالث من كتاب أمالي السيد المرتضى .. ويليه الجزء الرابع وأوله تأويل خبر .. والحمد لله أولا وآخراً وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الجزء الرابع من كتاب

امالي السيد المرتضى

الشريف أبي القاسم علي بن الطاهر أبي أحمد الحسين المتوفى سنة ٤٣٦ رضي الله عنه

في التفسير والحديث والادب

الطبعة الاولى

(سنة ١٣٢٥ هـ و ١٩٠٧ م)

(على نفقة أحمد ناجي الجمالي ومحمد أمين الخانجي وأخيه)

صححه وضبط ألفاظه وعلق حواشيه

حضرة الفاضل الشيخ احمد بن الامين الشنقيطي نزيل القاهرة حالا



(مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر لصاحبها محمد اسماعيل)

بسم الله الرحمن الرحيم

[تأويل خبر] ٠٠ان سأل سائل عن معنى ماروا، أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قوله كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه يهودانه وينصرانه ٠٠الجواب أما أبو عبيد القاسم بن سلام فانه قال فى تأويل هذا الخبر سألت محمد بن الحسن عن تفسيره فقال كان هذا فى أول الاسلام قبل أن تنزل الفرائض ويؤمر المسلمون بالجهاد قال أبو عبيد كأنه يذهب الى انه لو كان يولد على الفطرة ثم مات قبل أن ينصره أبواه ويهوداه ماورثاه وكذلك لو ماتا قبله ما ورثهما لانه مسلم وهما كافران وما كان أيضاً يجوز أن يسبي فلما نزلت الفرائض وجرت السنن بخلاف ذلك علم انه يولد على دين أبويه ٠٠قال أبو عبيد وأما عبد الله بن المبارك فانه قال هذا بمنزلة الحديث الآخر الذي يتضمن انه عليه الصلاة والسلام سئل عن أطفال المشركين فقال الله أعلم بما كانوا عاملين يذهب الى انهم يولدون على ما يصيرون من اسلام أو كفر فمن كان فى علمه انه يصير مسلماً فانه يولد على الفطرة ومن كان فى علمه انه يموت كافراً ولد على ذلك ٠٠قال أبو عبيد ومما يشبه هذا الحديث حديثه الآخر انه قال يقول الله عز وجل إني خلقت عبادي جميعاً فاحتالتهم الشياطين عن دينهم وجعلت ما أحللت لهم حراماً ٠٠ قال أبو عبيدة يريد بذلك البحائر والسوائب ونحو ذلك مما أحله الله تعالى فجعلوه حراماً ٠٠ وأما ابن قتيبة فانه قال وقد حكى ما ذكرناه عن أبي عبيد لست أرى ما حكاه أبو عبيد عن عبد الله ابن المبارك ومحمد بن الحسن مقنعاً لمن أراد أن يعرف معنى الحديث لانهما لم يزيدا على ان ردا على من قال من أهل القدر وتفسير محمد بن الحسن يدل على ان الحديث منسوخ والنسوخ لا يكون فى الاخبار وانما يكون فى الأمر والنهي قال ولا يجوز أن يراد به على تأويل ابن المبارك بعض المولودين دون بعض لان مخرجه مخرج العموم

.. قال ولا أرى معنى الحديث الا ماذهب اليه حماد بن سلمة فانه قال فيه هــذا عندنا حيث أخذ العهد عليهــم فى أصلاب آبائهم يريد حين مسح الله تعالى ظهر آدم فأخرج منه ذريته الى يوم القيامة أمثال الذر وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى فأراد عليه الصلاة والسلام ان كل مولود يولد فى العالم على ذلك العهد وعلى ذلك الاقرار الأول وهو الفطرة .. [قال الشريف المرتضى] رضي الله عنه وهذا كله خبط وتخليط وبعد عن الجواب الصحيح والصحيح في تأويله أن قوله عليه الصلاة والسلام يولد على الفطرة يحتمل أمرين .. أحدهما أن تكون الفطرة ههنا الدين وتكون على بمعنى اللام فكأنه عليه الصلاة والسلام قال كل مولود يولد للدين ومن أجل الدين لان الله تعالى لم يخلق من يبلغ مبلغ المكلفين إلاّ ليعبده فينتفع بعبادته ويشهد بذلك قوله تعالى (وما خلقت الجن والانس إلاّ ليعبدون) والدليل على ان على تقوم مقام اللام ما حكاه ابن السكيت عن أبي زيد عن العرب انهم يقولون صف على كذا وكذا حتى أعرفه بمعنى صف لي ويقولون ما أغيظك عليّ يريدون ما أغيظك لي والعرب تقيم بعض الصفات مقام بعض فيقولون سقط الرجل لوجهه يريدون على وجهه .. وقال الطرماح

كأنَّ مُخَوّاها على ثَفِنَاتِها مُعَرَّسُ خَمْسٍ وقَّعَتْ للجَناجِنِ (١)

وقال عنترة

شَرِبَتْ بماءِ الدُّحْرُضَيْنِ فأصبَحَتْ زَوْرَاءَ تنفِرُ عَنْ حِياضِ الدَّيْلَمِ

معناه شربت الناقة من ماء الدحرضين وهما ماآن يقال لأحدهما وشيع والآخر دحرض فغلب الأشهر وهو الدحرض . انما ساغ أن يريد عليه الصلاة والسلام بالفطرة التي هي الخلقة

---

(١) ــ مخواها ــ تجافيها فى بروكها ــ وثفناتها ــ جمع ثفنة بكسر الفاء وهي ركبتها وما مس الأرض من كركرتها وسعدانتها وأصول أفخاذها ــ ومعرس خمس ــ موضع تعريسها أي نزولها آخر الليل للاستراحة وخمس أى خمس من القطا ــ ووقعت ــ بركت ــ والجناجن ــ عظام الصدر وقيل رؤس الأضلاع وقيل أطراف الأضلاع مما يلى قص الصدر وعظم الصلب واحدها جنجن وجنجنة بكسرهما ويفتحان وقد يقال جنجون

في اللغة الدين من حيث كان هو المقصود بها وقد يجري على الشيء اسم ماله به هـذا الضرب من التعلق والاختصاص وعلى هـذا يتأول قوله تعالى (فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي) الآية أراد دين الله الذي خلق الخلق له وقوله (لا تبديل لخلق الله) المراد به أن ما خلق العباد له من العبادة والطاعة ليس مما يتغير ويختلف حتى يخلق تعالى قوماً للطاعة وآخرين للمعصية ويجوز أن يريد بذلك الأمر وإن كان ظاهره الخبر فكأنه تعالى قال ولا تبدلوا ما خلقكم الله له من الدين والطاعة بأن تعصوا وتخالفوا ٠٠ والوجه الآخر في تأويل قوله عليه الصلاة والسلام الفطرة أن يكون المراد بها الخلقة وتكون لفظة على على ظاهرها لم يرد بها غيرها ويكون المعنى كل مولود يولد على الخلقة الدالة على وحدانيته تعالى وعبادته والايمان به لانه عز وجل قد صور الخلق وخلقهم على وجه يقتضي النظر فيه معرفته والايمان به وان لم ينظروا ولم يعرفوا فكأنه قال كل مخلوق ومولود فهو يدل بخلقته وصورته على عبادة الله تعالى وان عدل بعضهم فصار يهودياً أو نصرانياً وهذا الوجه يحتمله أيضاً قوله تعالى (فطرة الله التي فطر الناس عليها) واذا ثبت ما ذكرناه في معنى الفطرة فقوله عليه الصلاة والسلام حتى يكون أبواه يهودانه وينصرانه يحتمل وجهين أحدهما أن من كان يهودياً أو نصرانياً ممن خلقته لعبادتي وديني فانما جعله كذلك أبواه ومن جرا مجراهما ممن يوقع له الشبهة ويقلده الضلال عن الدين وانما خص عليه الصلاة والسلام الابوين لان الاولاد في الاكثر ينشؤن على مذهب آبائهم ويألفون أديانهم ونحلهم ويكون الغرض بالكلام تنزيه الله عن الضلالة للعباد وكفرهم وانه انما خلقهم للايمان فصدهم عنه آباؤهم ومن يجري مجراهم ٠٠ والوجه الآخر أن يكون معنى يهودانه وينصرانه أي يلحقانه بأحكامهما لان أطفال أهل الذمة قد ألحق الشرع أحكامهم بأحكامهم فكأنه قال عليه الصلاة والسلام لا تتوهموا من حيث لحقت أحكام اليهود والنصارى أطفالهم انهم خلقوا لدينهم بل لم يخلقوا الا للايمان والدين الصحيح لكن آباؤهم هم الذين أدخلوهم في أحكامهم وعبر عليه الصلاة والسلام عن ادخالهم في أحكامهم بقوله يهودانه وينصرانه وهذا واضح ٠٠ فأما جواب أبي عبيد الله الذي حكاه عن محمد بن الحسن فانا اذا تمكنا من حمل الخبر على وجه لسلم

معه من النسخ لم نحتج الى غيره وانما توهم النسخ لاعتقاده ان خلقهم على الفطرة يمنع من الحاقهم بحكم آبائهم وذلك غير ممتنع •• وأما الجواب الذي حكاه عن ابن المبارك ففاسد لان الله تعالى لايجوز أن يخلق أحداً للكفر فكيف يخلقه له وهو يأمره بالايمان ويريده منه ويعاقبه ويذمه على خلافه •• فأما ماروى عنه عليه الصلاة والسلام وقد سئل عن أطفال المشركين فقال الله أعلم بما كانوا عاملين فانه يحتمل أن يكون عليه الصلاة والسلام سئل عمن لم يبلغ من أطفال المشركين كيف صورته والى أى شئ تنتهي عاقبته فقال عليه الصلاة والسلام ألله أعلم بما كانوا يعملون فأراد أن ذلك مستور عنى ولو كانت المسألة عمن اخترم طفلا لم يجز أن يكون الجواب ذلك وأما ابن قتيبة فانه رد على أبي عبيد من غير وجه يقتضي الرد واعترض جواب ابن المبارك باعتبار العموم والخصوص وكيف يلبه على فساده من هذه الجهة وقد اختار في تأويل الخبر ما يجري في الفساد والاختلال مجرى تأويل ابن المبارك •• فأما النسخ فى الاخبار فجائز اذا تضمنت معنى الامر والنهي ويكون ما دل على جواز النسخ في الامر دالا على جواز ذلك فيها وهذا مثل أن يقول عليه الصلاة والسلام الصلاة واجبة عليكم ثم يقول بعد زمان ليست بواجبة فيستدل بالثاني على نسخ الحكم الاول كما لو قال عليه الصلاة والسلام صلوا ثم قال لا تصلوا كان النهى الثاني ناسخاً للاول •• فأما الجواب الذي ذكره ابن قتيبة فقد بينا فساده فيما تقدم من الأمالي عند تأويلنا قوله تعالى (واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم) وأفسدنا قول من اعتقد أنه مسح ظهر آدم عليه السلام واستخرج منه الذرية وأشهدها على نفوسها وأخذ اقرارها بمعرفته بوجوه من الكلام ولا طائل فى اعادة ذلك

مجلس اخر ٥٧

[تأويل آية] •• ان سأل سائل عن قوله تعالى (فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها) الآية

الى قوله تعالى (الا ماشاء ربك عطاء غير مجذوذ) فقال ما معنى الاستثناء ههنا والمراد الدوام والتأبيد ثم ما معنى التمثيل بمدة السموات والارض التي تفنى وتنقطع .. الجواب قلنا قد ذكر في هذه الآية وجوه .. أولها أن تكون الا وإن كان ظاهرها الاستثناء فالمراد بها الزيادة فكأنه تعالى قال (خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ماشاء ربك) من الزيادة لهم على هذا المقدار كما يقول الرجل لغيره لي عليك ألف دينار الا الفين الذين اقرضتكهما وقت كذا وكذا فالالفان زيادة على الالف بغير شك لان الكثير لايستثنى من القليل وهذا الجواب يختاره الفراء وغيره من المفسرين .. والوجه الثاني أن يكون المعنى الا ماشاء ربك من كونهم قبل دخول الجنة والنار في الدنيا وفي البرزخ الذي هو مابين الحياة والموت وأحوال المحاسبة والعرض وغير ذلك لأنه تعالى لو قال خالدين فيها أبداً ولم يستثن لتوهم متوهم انهم يكونون في الجنة والنار من لدن نزول الآية أو من بعد انقطاع التكليف فصار للاستثناء وجه وفائدة معقولة .. والوجه الثالث أن تكون الا بمعنى الواو والتأويل فيها مادامت السموات والأرض وماشاء ربك من الزيادة واستشهد على ذلك بقول الشاعر

وكلُّ أخٍ مفارقُهُ أخوهُ   لعمرُ أبيكَ إلاَّ الفرقدانِ (١)

---

(١) البيت من شواهد سيبويه والمغنى على أن إلا صفة لكل مع صحة جعلها اداة استثناء ونصب الفرقدين على الاستثناء كما هو الشرط في وصفية إلا .. قال ابن هشام في المغنى والوصف هنا مخصص فان مابعد الا مطابق لما قبلها لأن المعنى كل أخوين غير هذين الكوكبين متفارقان وليست لاستثنائية والا لقال الا الفرقدين بالنصب لانه بعد كلام تام موجب كما هو الظاهر مع كونه مستغرق وهو كل أخ كما نصب الشاعر في هذا البيت وهو من أبيات مذكورة في مختار أشعار القبائل لأبي تمام صاحب الحماسة لأسعد الذهلي وهو

وكل أخ مفارقه أخوه   لشحط الدار الا ابنى شمام

وابنا شمام جبلان وهما بفتح الشين المعجمة وكسر الميم كقذام وقيل هما جبلان في دار

معناه والفرقدان ويقول الآخر

وأرى لها دارًا بأغدرة السـ ـيدان لم يدرس لها رسم
إلا رمادًا هامدًا دفعت عنه الرياح خوالد سحم

والمراد بالا ههنا الواو والا لكان الكلام متناقضاً .. والوجه الرابع أن يكون الاستثناء الاول متصلا بقوله تعالى (لهم فيها زفير وشهيق) وتقدير الكلام لهم في النار زفير وشهيق الاماشاء ربك من أجناس العذاب الخارجة عن هذين الضربين ولايتعلق الاستثناء بالخلود فان قيل فهبوا ان هذا أمكن فى الاستثناء الاول كيف يمكن فى الثانى

بنى تميم مما يلى دار عمرو بن كلاب وقيل شمام هو جبل وابناه رأساه وعند ابن الحاجب في البيت الشاهد شذوذ من ثلاثة أوجه أحدها انه اشترط فى وقوع الا صفة تعذر الاستثناء وهنا يصح لو نصبه وثانيها وصف المضاف والمشهور وصف المضاف اليه وثالثها الفصل بين الصفة والموصوف بالخبر وهو قليل والبيت جاء فى شعرين لصحابيين أحدهما عمرو بن معد يكرب أنشده الجاحظ في البيان والتبيين له وكذا نسبه اليه المبرد في الكامل وصاحب جمهرة الاشعار وغيرهم والثانى حضرمى بن عامر الأسدى وهو القائل

ألا عجبت عميرة أمس لما رأت شيب الذؤابة قد علانى
تقول أرى أبي قد شاب بعدى وأقصر عن مطالبة الغوانى

الى أن قال

وذي فجع عزفت النفس عنه حذار الشامتين وقد شجانى
أخي ثقة اذا ما الليل أفنى الى بمؤيد تجلى كمانى
فعلمت قرينتى عنه فأغنى غناه فلن تراه ولن يرانى
وكل قرينة قرنت بأخرى ولو ضنت بها ستفرقان
وكل أخ مفارقه أخوه لعمر أبيك الا الفرقدان
فكان احابق اياه أني عطفت عليه خوار العنان

وهذا البيت الاخير يروى لعنترة بن شداد العبسى

٠٠قلنا يحمل الثاني على استثناء المكث في المحاسبة والموقف أو غير ذلك مما تقدم ذكره ٠٠والوجه الخامس أن يكون الاستثناء غير مؤثر في النقصان من الخلود وانما الغرض فيه أنه لو شاء أن يخرجهم وأن لا يخلدهم في أن التخليد انما يكون بمشيئته وارادته كما يقول القائل لغيره والله لاضربنك الا أن أرى غير ذلك وهو لا ينوى الا ضربه ومعنا الاستثناء ههنا اني لو شئت أن لا أضربك لفعلت وتمكنت غير أني مجمع على ضربك ٠٠والوجه السادس أن يكون تعليق ذلك بالمشيئة على سبيل التأكيد للخلود والتبعيد للخروج لان الله تعالى لا يشاء الا تخليدهم علي ما حكم به ودل عليه ويجري ذلك مجري قول العرب والله لاهجرنك الا أن يشيب الغراب ويبيض القار ومعنى ذلك انى أهجرك أبداً من حيث علق بشرط معلوم أنه لا يحصل وكذلك معني الآيتين والمراد بهما انهم خالدون أبداً لان الله تعالى لا يشاء أن يقطع خلودهم٠٠ والوجه السابع أن يكون المراد بالذين شقوا من أدخل النار من أهل الايمان الذين ضموا الى ايمانهم وطاعتهم المعاصي فقال الله تعالي انهم معاقبون في النار الا ماشاء ربك من اخراجهم الى الجنة وايصال ثواب طاعاتهم اليهم ٠٠ ويجوز أيضاً أن يريد بأهل الشقاء ههنا جميع الداخلين الى جهنم ثم استثنى تعالى بقوله الا ما شاء ربك أهل الطاعات منهم ومن يستحق ثوابا لابد أنه يصل اليه فقال تعالي الا ما شاء ربك من اخراج بعضهم وهم أهل الثواب وأما الذين سعدوا فانما استثنى تعالي من خلودهم أيضاً لما ذكرناه لان من نقل من النار الى الجنة وخلد فيها لابد من الاخبار عنه بتأبيد خلوده من استثناء ما تقدم فكأنه تعالى قال انهم خالدون في الجنة مادامت السموات والأرض الا ماشاء ربك من الوقت الذى أدخلهم فيه النار قبل أن ينقلهم الى الجنة والذين شقوا على هذا الجواب هم الذين سعدوا وانما أجري عليهم كل لفظ في الحال التي تليق بهم اذا أدخلوا النار وعوقبوا فيها من أهل الشقاء واذا نقلوا الى الجنة من أهل الجنة والسعادة وقد ذهب الى هذا الوجه جماعة من المفسرين كابن عباس وقتادة والضحاك وغيرهم وروى بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس قال الذين شقوا ليس فيهم كافر وانما هم قوم من أهل التوحيد يدخلون النار بذنوبهم ثم يتفضل الله تعالى عليهم فيخرجهم من النار الى الجنة فيكونون أشقياء في حال

سعداء في حال أخرى وأما تعليق الخلود بدوام السموات والأرض فقد قيل فيه إن ذلك لم يجعل شرطاً في الدوام وانما علق به على سبيل التبعيد وتأكيد الدوام لان العرب في مثل هذا عادة معروفة خاطبهم الله تعالي عليها لانهم يقولون لا أفعل كذا ما لاح كوكب وما أضاء الفجر وما اختلف الليل والنهار وما بل بحر صوفة وما غنت حمامة ونحو ذلك ومرادهم التأبيد والدوام ويجرى كل ما ذكرناه مجرى قولهم لا أفعل كذا أبداً لانهم يعتقدون في جميع ما ذكرناه انه لا يزول ولا يتغير وعباراتهم انما يخرجونها بحسب اعتقاداتهم لا بحسب ما عليه الشيء في نفسه ألا ترى أن بعضهم لما اعتقدوا في الاصنام أن العبادة تحق لها سموها آلهة بحسب اعتقاداتهم وان لم تكن في الحقيقة كذلك ومما يشهد لمذهبهم الذى حكيناه قول أبي الجويرية العبدى

ذَهَبَ الجُودُ وَالجُنَيْدُ جَمِيعاً ... فَعَلَي الجُودِ وَالجُنَيْدِ السَّلَامُ
أَصبَحَا ثَاوِيَيْنِ فِي قَعْرِ مَرْتٍ ... مَا تَغَنَّتْ عَلَى الغُصُونِ الحَمَامُ

وقال الأعشى

أَلسْتَ مُنْتَهِيَاً عَنْ نَحْتِ أَثْلَتِنَا ... وَلسْتَ ضَائِرَهَا مَا أَطَّتِ الإِبِلُ[1]

وقال الآخر

لاَ أَفْتأُ الدَّهْرَ أَبْكِيهِمْ بأَرْبَعَةٍ ... مَا اجْتَرَّتِ النِّيبُ أَوْحَنَّتْ الى بَلَدِ

وقال زهير مبيناً عن اعتقاده دوام الجبال وانها لا تفنى ولا تتغير

أَلاَ لاَ أَرَى عَلَي الحَوَادِثِ بَاقِيَا ... وَلاَ خَالِدَا إِلاَّ الجِبَالَ الرَّوَاسِيَا

(١) — النحت — البرى — والأثل — بالفتح شجر معروف قيل هو الطرفاء وقيل السمر وأحدته أثلة وجمعه أثلات محركة وأثول بالضم — وأطت — من أطيط الابل وهو نقيض جلودها عند الحكة والنقيض بفتح النون وكسر القاف وفي آخره ضاد معجمة وهو صوت المسع والرحل والمفاصل والاضلاع

فهذا وجه وقيل أيضاً في ذلك أنه أراد تعالى به الشرط وعنى بالآية دوام السموات والارض للمبدلتين لأنه تعالى قال (يوم تبدل الارض غير الارض والسموات) فأعلمنا تعالى انهما تبدلان وقد يجوز أن يديمهما بعد التغيير أبداً بلا انقطاع وانما المنقطع هو دوام السموات والارض قبل التبديل والفناء ويمكن أيضاً أن يكون المراد انهم خالدون بمقدار مدة السموات والارض التي يعلم الله تعالى انقطاعها ثم يزيدها الله تعالى على ذلك ويخلدهم ويؤبد مقامهم وهذا الوجه يليق بالاجوبة التى تتضمن أن الاستثناء أريد به الزيادة على المقدار المقدم لا النقصان ** [قال الشريف المرتضي] رضي الله عنه وجدت أبا القاسم الآمدى قد ظلم البحتري في تفسير بيت له مضاف اليه مع ظلمه له في أشياء كثيرة تأولها على خلاف مراد البحترى وحكى قوله

كالبَدْرِ إلاَّ أنَّها لاَ تَجْتَلي ... وَالشَّمْسِ إلاَّ أنَّها لاَتَغْرُبُ

ثم قال وهذا فيه سؤال لانه لما قال كالبدر الا أنها لا تجتلى فالمعنى أن عيون الناس كلهم ترى البدر وتجتليه وهي لا تراها العيون ولا تجتلي ثم قال والشمس الا أنها لاتغرب وانما قال لاتجتلي لأنها محجوبة فاذا كانت في حجاب فهي في غروب لان الشمس اذا غربت إنما تدخل تحت حجاب فظاهر المعنى كالبدر الا أن العيون لاتراها والشمس الا أن العيون لا تفقدها قال وهذا القول متناقض كما ترى قال وأظنه أراد انها وان كانت في حجاب فانه لا يقال لها غربت تغرب كما يقال للشمس وانما يقال لها اذا سافرت بعدت وغربت اذا توجهت نحو الغرب وقد يقال للرجل أغرب عنا أى ابعد ولو استعار لها اسم الغروب للغروب عن الارض التي تكون فيها اذا ظعنت عنها الي أرض أخري كان ذلك حسناً جداً لا سيما وقد جعلها شمساً كما قال ابراهيم بن العباس الصولى

وَزالت زَوَالَ الشَّمْسِ عَنْ مُسْتَقَرِّها ... فَمَنْ مُخْبِري في أيّ أرْضٍ غُرُوبُها

قال وقد يجوز أن يقول قائل انه أراد لا تغرب تحت الأرض كما تغرب الشمس وهذه معاذير ضيقة لابي عبادة فان لم يكن قد أخطأ فقد أساء ** [قال الشريف المرتضي] رضى الله عنه وما المخطيء غير الآمدي ومراد البحتري بقوله أوضح من أن يذهب على متأمل

لانه أراد بقوله ــ والشمس الا أنها لا تغرب ــ أي انها لا تصير حيث يتعذر رؤيتها ويمتنع كما يتعذر رؤية الشمس على من غربت عن أفق بلده والمرأة وان احتجبت باختيارها فان ذلك ليس بغروب كغروب الشمس لانها اذا شاءت ظهرت وبرزت للعيون والشمس اذا غربت فرؤيتها غير ممكنة ولهذا لا يصح أن يقال فيمن استظل بدار أو جدار عن الشمس انها غربت عنه وان كان غير راء لها لان رؤيتها ممكنة بزوال ذلك المانع وكذلك القول في احتجاب المرأة فلا تناقض في بيت البحتري على ماظنه الآمدي ٠٠ ولبعضهم في هذا المعنى

قد قلتُ للبدرِ واستعبرتُ حين بَدَا ... ما فيكَ يا بدرُ لي من وجهِها خلَفُ

تُبدِي لنا كلما شئنا محاسنَها ... وأنتَ تنقُصُ أحيانا وتنكَسِفُ

فمعنى قوله ــ فأنت تنقص وتنكسف ــ جار مجرى غروب الشمس لأنه فضلها على البدر من حيث كان بروزها لمبصرها موقوفا على اختيارها والبدر ينقص وينكسف على وجه لا تمكن رؤيته كما فضلها البحتري بأنها لا تغرب حتى تصير رؤيتها مستحيلة والشمس كذلك ٠٠ وقد ظلم الآمدي البحتري في قوله

لاَ العذْلُ يرْدَعهُ ولاَ التّ ... منيفُ عنْ كَرَمٍ يَصدُّهْ

قال الآمدي وهذا عندى من أهجى ما مدح به خليفة وأقبحه ومن ذا يعنف الخليفة على الكرم أو يصده ان هذا بالهجو أولى منه بالمدح ٠٠ [قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه وللبحترى في هذا عذر من وجهين ٠٠ أحدهما أن يكون الكلام خرج مخرج التقدير فكأنه قال لو عنف وعذل لما صده ذلك عن الكرم وان كان من حق العذل والتعنيف أن يصد أو يحجز عن الشئ وهذا له نظائر فى القرآن وفى كلام العرب كثير مشهور وقد مضى فيما أمليناه شئ من ذلك ٠٠ والوجه الآخر أن العذل والتعنيف وان لم يتوجها اليه في نفسه فهما موجودان فى الجملة على الاسراف فى البذل والجود بنفائس الاموال ولم يقل البحتري إن عذله يردعه أو تعنيفه يصده وانما قال لا العذل يردعه ولا التعنيف يصده فكأنه أحسب أن ما يوجه به العذال الى الاكثار

وتسنيفهم على الجود وان كان متوجهاً إلى غيره فهو غير صادله لقوة عزيمته وشدة بصيرته

• • ومما خطأ الآمدي البحتري فيه وان كان له فيه عذر صحيح لم يهتد اليه قوله

ذَنَبٌ كما سُحِبَ الرِّداءُ يذبُّ من   عُرْفٍ وعُرْفٌ كالقِناعِ المُسْبَلِ

قال الآمدي وهذا خطأ من الوصف لان ذنب الفرس اذامس الأرض كان عيباً فكيف اذا سحبه وانما الممدوح من الأذناب ما قرب من الأرض ولم يمسها كما قال امرؤ القيس

بِضافٍ فُوَيْقَ الأَرْضِ لَيسَ بأَعزَلِ (١)

قال وقد عيب امرؤ القيس بقوله

لها ذَنَبٌ مِثلُ ذَيْلِ العَرُوسِ   تَسُدُّ بِهِ فَرْجَها مِنْ دُبُرْ

قال وما أرى العيب يلحق امرأ القيس لان العروس وان كانت تسحب أذيالها وكان ذنب الفرس اذا مس الأرض عيباً فليس بمنكر أن يشبه به الذنب وان لم يبلغ الى أن يمس الارض لان الشيء انما يشبه الشيء اذا قاربه أو دنا من معناه فاذا أشبهه في أكثر أحواله فقد صح التشبيه ولاق به وامرؤ القيس لم يقصد أن يشبه طول الذنب بطول ذيل العروس فقط وانما أراد السبوغ والكثرة والكثافة ألا ترى أنه قال ـ تسد به فرجها من دبر ـ وقد يكون الذنب طويلا يكاد يمس الأرض ولا يكون كثيفاً ولا يسد فرج الفرس فلما قال تسد به فرجها علمنا أنه أراد الكثافة والسبوغ مع الطول فاذا أشبه الذنب الذيل من هذه الجهة كان في الطول قريباً منه فالتشبيه صحيح وليس ذلك بموجب للعيب وانما العيب في قول البحتري • ذنب كما سحب الرداء • فأفصح بأن الفرس يسحب ذنبه • • ومثل قول امرىء القيس قول خداش بن زهير

لها ذَنَبٌ مِثلُ ذَيْلِ الهَدِيِّ   الي جُؤْجُؤٍ أَيِّدِ الزَّافِرِ

ـ والهدي ـ العروس التي تهدى الى زوجها ـ والايد ـ الشديد ـ والزافر ـ الصدر لانها تزفر منه

---

(١) وصدره • كميت إذا استقبلته سد فرجه • الخ ـ والاعزل ـ من الخيل الذي يقع ذنبه في جانب وهو عادة لاخلقة وهو عيب

قال الشبه الذنب الطويل السابغ بذيل الهدي وان لم يبلغ في الطول الى أن يمس الارض ..

[قال الشريف] رضي الله عنه وللبحتري وجه في العذر يقرب من عذر امرئ القيس في قوله مثل ذيل العروس غير أن الآمدي لم يفطن له وأول ما أقوله ان الشاعر لا يجب أن يؤخذ عليه في كلامه التحقيق والتحديد فان ذلك متي اعتبر في الشعر بطل جميعه وكلام القوم مبني على التجوز والتوسع والاشارات الخفية والايماء على المعاني تارة من بعد وتارة من قرب لانهم لم يخاطبوا بشعرهم الفلاسفة وأصحاب المنطق وانما خاطبوا من يعرف أوضاعهم ويفهم اغراضهم وانما أراد البحتري بقوله ـ ذنب كما سحب الرداء ـ المبالغة في وصفه بالطول والسبوغ وأنه قد قارب أن ينسحب وكاد يمس الأرض ومن شأن العرب أن تجري على الشئ الوصف الذي كان قد يستحقه وقد قرب منه القرب الشديد فيقولون قتل فلاناً هوي فلانة وولِه عقله وزال تمييزه وأخرج نفسه وكل ذلك لم يقع وانما أرادوا المبالغة وافادة المقاربة والمشارفة ونظائر ذلك أكثر من أن تحصى ومن شأنهم أيضاً اذا أرادوا المبالغة التامة أن يستعملوا مثل هذا فيشبهون الكفل بالكثيب وبالدعص وبالتل ويشبهون الخصر بوسط الزنبور وبمقدار حلقة الخاتم ويمدون هذا غاية المدح وأحسن الوصف ونحن نعلم أنا لو رأينا مَن خصره مقدار وسط الزنبور وكفله كالكثيب العظيم لاستبعدناه واستهجنا صورته لنكارتها وقبحها وانما أتوا بألفاظ المبالغة صنعة وتأنقاً لا لتحمل على ظواهرها تحديداً وتحقيقاً بل ليفهم منها الغاية المحمودة والنهاية المستحسنة ويترك ماوراء ذلك فانا نفهم من قولهم خصرها كخصر الزنبور انه في غاية الدقة المستحسنة في البشر ومن قولهم كفلها كالكثيب انه في نهاية الوثارة المحمودة المطلوبة لا أنه كالتل على التحقيق فهكذا لا ننكر أن يريد البحتري بقوله كما سحب الرداء أنه في غاية الطول الممدوح المحمود لانه يجر في الارض على الحقيقة وكلامنا في تخليص معناه وتفصيله الى العادة الجارية لنظرائه من الشعراء في استعمال مثل اللفظ الذي استعمله .. قال بعضهم في ثقل العجيزه

تَمْشِي فَتُثْقِلُهَا رَوَادِفُهَا ... فَكأَنَّهَا تَمْشِي إلَى خَلْفِ

وقال المؤمل

من رأى مثل حبتي تشبه البدر إذ بدا
تدخل اليوم ثم تد خل أردافها غدا

وقال ذو الرمة

ورمل كأوراك العذارى قطعته وقد جللته المظلمات الحنادس (١)

وكل هذا الكلام لو حمل على ظاهره وحقيقته لكان الموصوف به في نهاية القبح لان من يمشي الى خلف ومن يدخل كفله بعده لا يكون مستحسناً .. وقال بكر بن النطاح

فرعاء تسحب من قيام فرعها وتغيب فيه وهو جثل أسحم
فكأنها فيه نهار ساطع وكأنه ليل عليها مظلم

فوصف شعرها بأنه ينسحب مع قيامها ونحن نعلم أن طول الشعر وان كان مستحسناً فليس الى هذا الحد وانما أراد بقوله تسحب شعرها ما أراده البحتري بقوله كما سحب

(١) هذا البيت أورده ابن جني في الخصائص في باب غلبة الفروع للاصول فقال هذا فصل من العربية طريف تجده في معاني العرب كما تجده في معاني الاعراب ولا تكاد تجد شيئاً من ذلك إلا والغرض فيه المبالغة فما جاء فيه ذلك للعرب قول ذي الرمة

ورمل كأوراك العذارى قطعته إذا ألبسته المظلمات الحنادس

أفلا ترى ذا الرمة كيف جعل الاصل فرعا والفرع أصلا وذلك ان العادة والعرف في نحو هذا ان تشبه أعجاز النساء بكثبان الانقاء الى أن قال فقلب ذو الرمة العادة والعرف في هذا فشبه كثبان الانقاء بأعجاز النساء وهذا كأنه يخرج مخرج المبالغة أي قد ثبت هذا الموضع وهذا المعنى لاعجاز النساء فصار كأنه الاصل فيه حتى شبه به كثبان الانقاء الى أن قال وآخر ماجاء به شاعرنا يعني المتنبي

نحن ركب ملجن في زي ناس فوق طير على شخوص الجمال

فجعل كونهم جنا أصلا وجعل كونهم ناساً فرعا وجعل كون مطاياه طيراً أصلا وكونها جمالا فرعا فشبه الحقيقة بالمجاز في المعنى الذي منه أفاد المجاز من الحقيقة ما أفاد

الرداء من المبالغة في الوصف بالطول المحمود دون المذموم

مجلس آخر ٥٨

[تأويل الآية]٠٠ان سأل سائل عن قوله تعالى (أسمع بهم وأبصر[1] يوم يأتوننا) الآية٠٠ فقال ما تأويل هذه الآية فان كان المراد التعجب من قوة أسماعهم ونفاذ أبصارهم فكيف يطابق ما خبر به عنهم في مواضع كثيرة من الكتاب بأنهم لا يبصرون ولا يسمعون وان على أسماعهم وأبصارهم غشاوة وما معنى قوله تعالى (لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين) أي يوم هو اليوم المشار اليه وما المراد بالضلال المذكور ٠٠ الجواب قلنا أما قوله تعالى (أسمع بهم وأبصر) فهو على مذهب العرب في التعجب ويجري مجري قولهم ما أسمعهم وما أبصرهم والمراد بذلك الإخبار عن قوة علومهم بالله تعالى في تلك الحال وانهم عارفون به على وجه الاعتراض للشبهة عليه وهذا يدل على أن أهل الآخرة عارفون بالله تعالى ضرورة ولا تنافي بين هذه الآية وبين الآيات التي أخبر تعالى

(١) قوله اسمع بهم وأبصر أي بهم وحذف المتعجب منه هنا لدلالة بهم السابقة مع كونه فاعلا لان لزومه الجر كساه صورة الفضلة خلافا للفارسي وجماعة فانهم ذهبوا الى أنه لم يحذف ولكنه استتر في الفعل حين حذفت الباء كما في قولك زيد كفى به كاتباً ورده ابن مالك بوجهين٠أحدهما لزوم ابرازه حينئذ في التثنية والجمع٠والثاني أن من الضمائر مالا يقبل الاستتار كنا من أكرم بنا فان لم يدل عليه دليل لم يجز حذفه أما في ما أفعله فلعروه إذ ذاك عن الفائدة فانك لو قلت ما أحسن أو ما أجمل لم يكن كلاما لأن معناه ان شيئاً صير الحسن واقعا على مجهول وهذا مما لا ينكر وجوده ولا يفيد التحدث به وأما نحو افعل به فلا يحذف منه المتعجب لغير دليل لانه فاعل وأما قول عروة بن الورد

فذلك ان يلق المنية يلقها حميداً وان يستغن يوماً فاجدر

فحذف المتعجب منه ولم يكن معطوفا على مثله فشاذ

عنهم فيها بأنهم لا يسمعون ولا يبصرون وبأن على أبصارهم غشاوة لأن تلك الآيات تناولت أحوال التكليف وهي الأحوال التي كان الكفار فيها ضلالا عن الدين جاهلين بالله تعالى وصفاته وهذه الآية تتناول يوم القيامة وهو المعنى بقوله تعالى يوم يأتوننا وأحوال القيامة لابد فيها من المعرفة الضرورية وتجري هذه الآية مجرى قوله تعالى (لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد) .. فأما قوله تعالى (لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين) فيحتمل أن يريد تعالى بقوله اليوم الدنيا وأحوال التكليف ويكون الضلال المذكور انما هو الذهاب عن الدين والعدول عن الطريق فاراد تعالى أنهم في الدنيا جاهلون وفي الآخرة عارفون بحيث لا تنفعهم المعرفة ويحتمل أن يريد تعالى باليوم يوم القيامة ويعني تعالى بالضلال العدول عن طريق الجنة ودار الثواب الى دار العقاب فكأنه قال أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا غير انهم مع معرفتهم هذه وعلمهم يصيرون في هذا اليوم الي العقاب ويعدل بهم عن طريق الثواب وقد روي معنى هذا التأويل عن جماعة من المفسرين فروي عن الحسن في قوله تعالى[أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا]قال يقول تعالى هم يوم القيامة سمعاء بصراء لكن الظالمون في الدنيا سمعاء وبصراء ولكنهم في ضلال عن الدين مبين .. وقال قتادة وابن زيد ذلك والله يوم القيامة سمعوا حين لم ينفعهم السمع وأبصروا حين لم ينفعهم البصر .. وقال أبو مسلم بن بحر في تأويل هذه الآية كلاما جيداً فقال معنى أسمع بهم وأبصر ما أسمعهم وأبصرهم وهذا على طريق المبالغة في الوصف يقول فهم يوم يأتوننا يوم القيامة سمعاء بصراء أي عالمون وهم اليوم في دار الدنيا في ضلال مبين أي جهل واضح قال وهذه الآية تدل على أن قوله (صم بكم عمي فهم لا يعقلون) ليس معناه الآفة في الأذن والعين والجوارح بل هو انهم لا يسمعون عن قدرة ولا يتدبرون ما يسمعون ولا يعتبرون بما يرون بل هم عن ذلك غافلون فقد نري أن الله تعالى جعل قوله تعالى (لكن الظالمون اليوم في ضلال) مقابلا لقوله تعالى أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا أي ما أسمعهم وما أبصرهم فأقام تعالي السمع والبصر مقام الهدى اذ جعله بازاء الضلال المبين .. فأما أبو علي بن عبد الوهاب فانه اختار في تأويل هذه الآية غير هذا الوجه

ونحن نحكي كلامه على وجهه قال وعنى بقوله اسمع بهم وابصر أى اسمعهم وابصرهم وبين لهم انهم اذا أتوا مع الناس الى موضع الجزاء سيكونون في ضلال عن الجنة وعن الثواب الذي يناله المؤمنون •• والظالمون الذين ذكرهم الله تعالى هم هؤلاء توعدهم بالعذاب في ذلك اليوم•• ويجوز ايضاً ان يكون عنى بقوله اسمع بهم وابصر اي اسمع الناس بهؤلاء الانبياء وابصرهم بهم ليعرفوهم ويعرفوا خبرهم فيؤمنوا بهم ويقتدوا باعمالهم واراد بقوله تعالى لكن الظالمون لكن من كفر بهم من الظالمين اليوم وهو يعني يوم القيمة فى ضلالٍ عن الجنة وعن نيل الثواب مبين وهذا الموضع من جملة المواضع التى استدركت على ابى على وينسب فيها الى الزلل لأن الكلام وان كان محتملا لما ذكره بعض الاحتمال من بُعد فان الاولى والاظهر فى معنى ما تقدم ذكره من المبالغة في وصفهم وقوله تعالى (لكن الظالمون اليوم فى ضلال مبين) بعد ما تقدم لا يليق الا بالمعنى الذي ذكرناه لا سيما اذا حمل اليوم على ان المراد به يوم القيمة على ان ابا على جعل قوله تعالى لكن الظالمون اليوم فى ضلالٍ مبين من صلة قوله تعالي اسمعهم وابصرهم وتأوله على ان المعنّى به اعلمهم وابصرهم بأنهم يوم القيمة فى ضلال عن الجنة والكلام يشهد بان ذلك لا يكون من صلة الاول وان قوله تعالى لكن استئناف لكلام ثان وما يحتاج ابو على الى هــذا بل لو قال على ما اختاره من التأويل انه اراد تعــالى اسمعهم وابصرهم يوم يأتوننا اى ذكرهم باحواله واعلمهم بما فيه ثم قال مستأنفا لــكن الظالمون اليوم في ضلال مبين لم يحتج الى ما ذكره وكان هــذا اشبه بالصواب••فاما الوجه الثاني الذى ذكره فباطل لان قوله تعالى اسمع بهم وابصر اذا تعلق بالانبياء الذين ذكرهم الله تعالي بقى قوله عز وجل يوم يأتوننا بلا عامل ومحال ان يكون ظرف لا عامل له فالاقرب والاولي ان يكون على الوجه الاول مفعولا •• ووجدت بعض من اعترض على ابى على يقول راداً عليه لو كان الامر على ما ذهب اليه ابو على لوجب ان يقول تعالى اسمعهم وابصرهم بغير باء وهذا الرد غير صحيح لأن الباء في مثل هذا الموضع غير منكر زيادتها وذلك موجود كثير فى القرآن والشعر وغــيره قال الله تعالى (اقرأ باسم ربك الاعلي الذي • وعينا يشرب بها عباد الله • وهزى اليك بجذع النخلة •

وتلقون اليهم بالمودة) •• وقال الاعشى

ضَمِنَتْ بِرِزْقِ عِيالِنا أرماحُنا

وقال امرؤ القيس

هَصَرْتُ بِغُصْنٍ ذي شَمارِيخَ مَيَّالِ (١)

واظن ابا على انما شبهته بهـذا الجواب لأنه وجـد تاليا للآية لفظ امر وهو قوله تعالى (وانذرهم يوم الحسرة) فحمل الاول على الثاني والـكلام لاتشتبه معانيه من حيث المجاورة بل الواجب ان يوضع كل منه حيث يقتضيه معناه •• [قال المرتضي] رضى الله عنه وجدت جماعة من اهل الادب يستبعدون ان يرتج على انسان فى خطبة وكلام قصد له فينبعث منه فى تلك الحال كلام هـو احسن مما قصد اليه وابلغ مما ارتج عليه دونه ويقولون ان اللسيان لا يكون الا عن حيرة وضلالة فكيف تجتمع معهما البراعة الثاقبة والبلاغة المأثورة مع حاجتهما الي اجتماع الفكرة وحضور الذكر وينسبون جميع ما يحكى من كلام مستحسن ولفظ مستعذب عمن حصر فى خطبة أو فى منطق الى أنه موضوع مصنوع وليس الذى اسـتبعدوه وانكروه ببعيد ولا منكر لان اللسيان قد يخص شيئاً دون شئ ويتعلق بجهة دون جهة وهذا امر متعارف فلا ينكر ان ينسي الانسان شيئا قصده وعزم على الـكلام فيه ويكون مع ذلك ذاكراً لغيره متكلما فيه بابلغ الـكلام واحسنه بل ربما كان الحصر والذهاب عن القصد يحميان القريحة ويوقدان الفكرة فيبعثان على احسن الـكلام وابرعه ليكون ذلك هرباً من العى وانتفاء من السكتة •• ومن احسن ما روى من الـكلام وابرعه في حال الحصر والانقطاع عن المقصود من الـكلام ما أخبرنا به ابو عبيد الله محمد المرزباني قال حدثنـا ابن دريد قال حدثنا ابو حاتم قال المرزباني واخبرنا ابن دريد مرة اخرى وقال حدثنا السكن ابن سعيد عن محمد بن عبادٍ عن ابن الـكلبي قالا صـعد خالد بن عبد الله القسري

---

(١) وصدره * فلما تنازعنا الحديث واسمحت * فمعنى ـ اسمحت ـ سهلت ولانت ـ وهصرت بغصن ـ ثنيت غصنا والباء زائدة

يوماً المنبر بالبصرة فارتج عليه فقال أيها الناس ان الـكلام وقال ابو حاتم ان هذا القول يجيء احيانا ويذهب احياناً فيتسبب عنـد مجيئه سـببه ويعز عنـد عزوبه طلبه وربما كوبر فابي وعولج فابطى وقال ابن الـكلبي ربما طلب فابي وعولج فقسا والتأني لمجيئه أصوب من التعاطي لأبيه ثم نزل فاروي حصر ابلغ منه وقال ابو حاتم والترك لأبيه أفضل من التعاطي لمجيئه وتجاوزه عند تعذره اولى من طلبه عند تنكره وقد يختلج من الجريء جنانه ويرتج على البليغ لسانه ثم نزل ٠٠ واخبرنا بهذا الخبر ابو عبيد الله المرزباني على وجه آخر قال اخبرنا ابراهيم بن محمد بن عرفة الواسطي قال كان خالد بن عبد الله القسري حين ولاه هشام بن عبد الملك يكثر الخطب والتباليغ فقدم واسط فصعد المنبر فحاول الخطبة فارتج عليه فقـال ايها الناس ان هذا الـكلام يجيء احياناً ويعزب احياناً فيعز عنـد عزوبه طلبـه ويتسبب عند مجيئه سببه وربما كوبر فابى وعوسر فقسا والتأني لمجيئه اسهل من التعاطى لأبيه وتركه عنـد تعذره احمد من طلبه عند تنكره وقد يرتج على الالسن لسانه ولا ينظره القول اذا اتسع ولا يتيسر اذا امتنع ومن لم تمكن له الخطوة نخليق ان تعن له النبوة ٠ [(١)] واخبرنا المرزباني قال اخـبرنا ابو عبد الله ابراهيم بن محمد بن عرفة قال حدثني ابو العبـاس المنصوري قال صعد ابو العباس السفاح المنبر فارتج عليه فقال ايها الناس ان اللسان بضعة من الانسان يكل اذا كل وينفسح بانفساحه اذا فسح ونحن امراء الـكلام منا تفرعت فروعه وعلينا تهدلت غصونه الا وانا لا نتكلم هذراً ولا نسكت الا معتبرين ثم نزل فبلغ ذلك ابا جعفر فقال لله هو لو خطب بمثل ما اعتذر لـكان من اخطب الناس وهذا الـكلام يروي لداود ابن على ٠٠ وبهذا الاسناد عن محمد بن الصباح عن قثم بن جعفر بن سليمان عن أبيه قال اراد ابو العباس السفاح يوما ان يتكلم بامر من الامور بعد ما افضت الخلافة اليه

---

(١) وروي ابو على القـالى قال حدثنا ابو بكر رحمه الله قال اخبرنا السكن بن سعيد عن العباس بن هشام الـكلبي قال صعد خالد بن عبد الله القسرى يوما المنبر بالبصرة ليخطب فارتج عليه فقال ايهـا الناس ان الـكلام ليجيء احيانا فيتسبب سـ... ويعزب احيانا فيعز مطلبه فربما طولب فابى وكوبر فعصي فالتأني لمجيئه أصوب من التعاطي لأبيه

وكان فيه حياء مفرط فارتج عليه فقال داود بن علي بعد ان حمد الله واثنى عليه ايها الناس ان امير المؤمنين الذى قلده الله سياسة رعيته عقل من لسانه عند ما يعهد من بيانه ولكل مرتق بهر حتى تنفسه العادات فابشروا بنعمة الله في صلاح دينكم ورغد عيشكم ٠٠ واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال اخبرنا ابراهيم بن محمد بن عرفة قال حدثني عبد الله بن اسحق بن سلام قال صعد عثمان بن عفان رضي الله عنه المنبر فارتج عليه فقال ايها الناس سيجعل الله بعد عسر يسراً وبعد عي نطقا وانكم الى امام فعال احوج منكم الى امام قوال ٠٠ وروى محمد بن يزيد النحوى هذا الكلام بعينه عن يزيد بن ابي سفيان وقد خطب على بعض منابر الشام وان عمرو بن العاص لما بلغه كلامه قال هن مخرجاتي من الشام استحسانا لكلامه ٠٠ وروي محمد بن يزيد النحوى قال بلغني ان رجلا صعد المنبر ايام يزيد وكان واليا على قوم فقال لهم ايها الناس انى ان لم اكن فارساً طباً بهذا القرآن فان معي من اشعار العرب ما ارجو ان يكون خلفا منه وما اساء القائل اخو البراجم حيث قال

وماعاجِلاتُ الطَّيْرِ يُدْنِينَ لِلفَتَى ... رَشادًا ولاَ مِنْ رَيْثِهِنَّ يَخِيبُ [1]
وَرُبَّ أُمُورٍ لاَ تَضِيرُكَ ضَيْرَةً ... ولِلْقَلْبِ مِنْ مَخْشاتِهِنَّ وجِيبُ
ولاَ خيْرَ فِيمَنْ لاَ يُوَطِّنُ نفْسَهُ ... على نائِباتِ الدَّهْرِ حِينَ تَنُوبُ

(١) يقول اذا لم تعجل له طير سانحة فليس ذلك بمبعد خيراً له عنه ولا اذا ابطأت خاب فعاجلها لا يأتيه بخير وآجلها لا يدفع عنه انما له ما قدر له ٠٠ والعرب تزجر على السانح وتتبرك به وتكره البارح وتتشاءم به وبعضهم يعكس والسانح ماولاك مياسره فامكنك رميه والبارح ماولاك ميامنه فلا يمكنك رميه الا ان تحرف له ٠٠ وعاجلات الطير هي ان يخرج الانسان من منزله اذا اراد ان يزجر الطير فما مربه في اول مايبصر فهو عاجلات الطير وان ابطأت عنه وانتظرها فقد راثت اى ابطأت والاول عندهم محمود والثاني مذموم يقول ليس النجح بان يعجل الطائر الطيران كما يقول الذين يزجرون الطير ولا الخيبة في ابطائها وهذا رد علي مذهب الاعراب والابيات لضابيء بن الحارث

وفي الشكّ تفريطٌ وفي الحزمِ قوّةٌ ويخطي الفتيُ في حدْسه ويُصيبُ

فقال رجل من كلب ان هذا المنبر لم ينصب للشعر بل ليحمد الله تعالى ويصلى على النبي وآله عليهم الصلاة والسلام وللقرآن فقال أمالو أنشدتكم شعر رجل من كلب لسركم فكتب الي يزيد بذلك فعزله وقال قد كنت أراك جاهلا أحمق ولم أحسب ان الحمق بلغ بك الي هذا المبلغ فقال له أحمق منى من ولانى .. وكان يزيد بن المهلب ولي ثابت قطنة بعض قرى خراسان فلما صعد المنبر حصر فنزل وهو يقول

فإلاّ أكن فيكم خطيبا فإنّني بسيفي اذا جدّ الوغي لخطيبُ

فقيل له لو قلت هذا على المنبر لكنت أخطب الناس فبلغ ذلك حاجب الفيل فقال

أبا العلاء لقد لاقيتَ معضلةً يومَ العروبةِ من كربٍ وتخنيقِ

أما القرآنُ فلا تهدى لمحكمهِ ولم تُسدّدْ منَ الدُّنيا بتوفيقِ

لمّا رمتكَ عيونُ الناسِ هِبتهمْ وكدتَ تشرقُ لمّا قمتَ بالرّيقِ

تلوي اللّسانَ إذا رُمتَ الكلامَ بهِ كما هوَى زلِقٌ من جانبِ النّيقِ (١)

(١) ـ وكان سبب هجو حاجب الفيل والفيل لقب لقبه به ثابت قطنة واسم أبيه ذبيان المازنى وقيل معدان وقيل أنه الملقب الفيل لأنه كان يروض فيلا للحجاج .. ان حاجباً دخل على يزيد بن المهلب فلما مثل بين يديه أنشده

اليك امتطيت العيس تسعين ليلة أرجي ندا كفيك يابن المهلب

وأنت امرؤ جادت سماء يمينه على كل حي بين شرق ومغرب

فجد لى بطرف أعوجى مشهر سليم الشظي عبل القوائم سلهب

سبوح طموح الطرف يستن مرجم أمر كأمرار الرشاء المشذب

طوي الضمر منه البطن حتى كأنه عقاب تدلت من شماريخ كبكب

تبادر جنح الليل فرخين أقويا من الزاد من قفر من الأرض مجدب

فلما رأت صيداً تدلت كأنها دلاء تهاوي مرقباً بعد مرقب

•• وروى ان بعض خلفاء بني العباس وأظنه الرشيد صعد المنبر ليخطب فسقطت على وجهه ذبابة فطردها فرجعت فحصر وارتج عليه فقال أعوذ بالله السميع العليم ياأيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له الآية الى قوله ضعف الطالب والمطلوب ثم نزل فاستحسن ذلك منه •• ومما يشا كل هـذه الحكاية ما حكاه عمر وبن بحر الجاحظ قال كان لنا بالبصرة قاض يقال له عبـد الله بن سوار لم ير الناس حاكما قط ولا زميناً ولا ركيناً ولا وقوراً ضبط من نفسه وملك من حركته مثل الذى ضبط وملك وكان يصلى الغـداة في منزله وهو قريب الدار من مسجده فيأتي مجلسه فيحتبي ولا يزال منتصباً لا يتحرك له عضو ولا يلتفت ولا يحل حبوته ولا يحرك رجلا عن رجل ولا يعتمد على على أحد شقيه حتى كأنه بناءمبنى أو صخرة منصوبة فلا يزال كذلك حتى يقوم لصلاة الظهر ثم يعود الى مجلسه فلا يزال كذلك حتى يقوم لصلاةالعصر ثم يرجع الي مجاسه فـلا يزال كذلك حتى يقوم الى المغرب ثم ربما عاد الى مجلسه بل كثيراً ما يكون ذلك اذا بقي عليـه من قراءة العهد والشروط والوثائق ثم يصلى العشاء وينصرف لم يقم في

فشكت سواد القلب من ذئب قفرة | طويل القري عاري العظام معصب
وسابغة قد أتقن القين صنعها | وأسمر خطي طويل مجرب
وأبيض من ماء الحديد كأنه | شهاب متى يلق الضريبة يقضب
وقل لي اذا ماشئت في حومة الوغى | تقدم أو اركب حومة الموت اركب
فانى امرؤ من عصبة مازنيـة | نماني أب ضخم كريم المركب

فأمر له يزيد بدرع وسيف ورمح وفرس وقال له قد عرفت ماشرطت لنا علي نفسك فقال اصلح الله الامير حجتى بينة وهي قول الله عز وجل (والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون) فقال ثابت قطنة ما أعجب ما وفدت به من بلدك فى تسعين ليلة مدحت الامير ببيتين وسألته حوائجك فى عشرة أبيات وختمت شعرك فى بيت تفخر عليه فيه حتى اذا أعطاك ما أردت حدت عما شرطت له على نفسك فأ كذبتها حتي كأنك كنت تخدعه فقال له يزيد مه ياثابت فانا لانخدع ولكن نخادع وسوغه ما اعطاه وأمر له بألفي درهم ولج حاجب يهجو ثابتاً

طول تلك الولاية مرة واحدة الى الوضوء ولا احتاج اليه ولا شرب ماء ولا غيره من الشراب وكذلك كان شأنه فى طوال الايام وفى قصارها وفي صيفها وشتائها وكان مع ذلك لا يحرك يداً ولا يشير برأسه وليس الا أن يتكلم ثم يوجز ويبلغ بالكلام اليسير المعانى الكثيرة فبينما هو كذلك ذات يوم وأصحابه حواليه وفى السماطين بين يديه اذ سقط على أنفه ذباب فأطال السكوت والمكث ثم تحول الى موق عينه فرام الصبر فى سقوطه على الموق وعلى عضته ونفاذ خرطومه كما رام الصبر على سقوطه على أنفه من غير أن يحرك أرنبته أو يغضي وجهه أو يذب بأصبعه فلما طال ذلك من الذباب وأوجعه وأحرقه وقصد الي مكان لا يحتمل التغافل عنه أطبق جفنه الاعلي على جفنه الاسفل فلم ينهض فدعاه ذلك الى أن والي بين الاطباق والفتح فتنحى ريثما سكن ثم عاد الى موقه ثانياً أشد من مرته الاولى فغمس خرطومه في مكان قد كان أوهاه قبل ذلك وكان احتماله أضعف وعجزه عن الصبر فى الثانية أقوي فحرك أجفانه وزاد فى شدة الحركة في تتابع الفتح والاطباق فتنحى عنه بقدر ما سكنت حركته ثم عاد الي موضعه فما زال ملحاً عليه حتى استفرغ صبره وبلغ مجهوده فلم يجد بداً من أن يذب عن عينه بيده ففعل وعيون القوم اليه يرمقونه كأنهم لا يرونه فتنحى عنه بمقدار ما رد يده وسكنت حركته ثم عاد الى موضعه فألجاه الى أن ذب عن وجهه بطرف كمه ثم ألجاه الي أن تابع بين ذلك وعلم أن ذلك كله بعين من حضر من أمنائه وجلسائه فلما نظروا اليه قال أشهد ان الذباب ألج من الخنفساء وأزهى من الغراب وأستغفر الله فما أكثر من أعجبته نفسه فأراد الله تعالى أن يعرفه من ضعفه ما كان عنه مستوراً وقد علمت انى كنت عند الناس من أرصن الناس وقد غلبنى وفضحنى أضعف خلق الله ثم تلا قول الله تعالى (ضعف الطالب والمطلوب)

مجلس آخر ٥٩

[تأويل آية] .. ان سأل سائل عن قوله تعالى (واذ نجيناكم من آل فرعون

يسومونكم سوء العذاب - الى قوله تعالى - بلاء من ربكم عظيم) فقال ما تنكرون أن يكون في هذه الآية دلالة على اضافة الافعال التي تظهر من العباد الي الله تعالى من وجهين ٠٠ أحدهما انه قال تعالى بعدما تقدم ذكره من أفعالهم ومعاصيهم وفي ذلك بلاء من ربكم عظيم فاضافها الى نفسه ٠٠ والثاني انه أضاف نجاتهم من آل فرعون اليه فقال تعالى واذ أنجيناكم ومعلوم انهم هم الذين ساروا حتى نجوا فيجب ان يكون ذلك السير من فعله على الحقيقة حتى تصح الاضافة حينئذ ٠٠ الجواب قلنا أما قوله تعالى وفي ذلكم فهو اشارة الي ما تقدم ذكره من انجائه لهم من المكروه والعذاب وقد قال قوم انه معطوف على ما تقدم من قوله تعالى (يابنى اسرائيل اذكروا نعمتي التي) الآية والبلاء ههنا الاحسان والنعمة ولا شك في ان تخليصه لهم من ضروب المكاره التي عددها الله نعمة عليهم واحسان اليهم ٠٠ والبلاء عند العرب قد يكون حسنا وقد يكون سيئاً قال الله تعالى (وليبلي المؤمنين منه بلاء حسناً) ويقول الناس في الرجل اذا أحسن القتال والثبات في الحرب قد أبلى فلان ولفلان بلاء والبلوى أيضاً قد يستعمل في الخير والشر الا ان أكثر ما يستعملون البلاء الممدود في الجميل والخير والبلوى المقصورة في السوء والشر فقال قوم أصل البلاء في كلام العرب الاختبار والامتحان ثم يستعمل في الخير والشر لان الاختبار والامتحان قد يكون في الخير والشر جميعاً كما قال تعالى (وبلوناهم بالحسنات والسيئات) يعني اختبرناهم وكما قال تعالى (ونبلوكم بالخير والشر فتنة) فالخير يسمى بلاء والشر يسمى بلاء غير ان الاكثر في الشر أن يقال بلوته أبلوه بلاً وفي الخير أبلوته أبليه إبلاء وبلاء ٠٠ وقال زهير في البلاء الذى هو الخير

جَزَي اللهُ بالإحْسانِ ما فعلا بكُمْ وأبلاهُما خيرَ البَلاَءِ الذِي يَبلُو

فجمع بين اللغتين لانه أراد أنعم الله عليهما خير النعمة التي يختبر بها عباده وكيف يجوز أن يضيف تعالي ما ذكره عن آل فرعون من ذبح الابناء وغيره الي نفسه وهو قد ذمهم عليه ووبخهم وكيف يكون ذلك من فعله وهو قد عدّ تخليصهم منه نعمة عليهم وكان يجب على هذا أن يكون انما نجاهم من فعله تعالى بفعله وهذا مستحيل لا يعقل

ولا يحصل على انه يمكن ان يرد قوله ذلكم الى ما حكاه عن آل فرعون من الافعال القبيحة ويكون المعنى ان فى تخليته بين هؤلاء وبينكم وتركه منعهم من ايقاع هذه الافعال بكم بلاء من ربكم عظيم أي محنة واختبار لكم والوجه الاول أقوى وأولى وعليه جماعة من المفسرين ٠٠ وروى أبو بكر الهذلي عن الحسن فى قوله تعالى (وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم) قال نعمة عظيمة اذ أنجاكم من ذلك وقد روى مثل ذلك عن ابن عباس والسدى ومجاهد وغيرهم ٠٠ فأما إضافة النجاة اليه وان كانت واقعة بسيرهم وفعلهم فلو دل على ماظنوه لوجب اذا قلنا إن الرسول عليه الصلاة والسلام أنقذنا من الشرك وأخرجنا من الضلالة الي الهدى ونجانا من الكفر أن يكون فاعلا لأفعالنا وكذلك قد يقول أحدنا لغيره أنا نجيتك من كذا وكذا واستنقذتك وخلصتك ولا يريد انه فعل بنفسه فعله والمعني في ذلك ظاهر لأن ماوقع بتوفيق الله تعالي ودلالته وهدايته ومعونته وألطافه قد يصح اضافته اليه فعلي هذا صحت اضافة النجاة اليه تعالى ٠٠ ويمكن أيضاً أن يكون مضيفاً لها اليه تعالى من حيث ثبط عنهم الاعداء وشغلهم عن طلبهم وكل هذا يرجع الى المعونة فتارة تكون بأمر يرجع اليهم وتارة بأمر يرجع الى أعدائهم ٠٠ فان قيل كيف يصح أن يقول (واذ أنجيناكم من آل فرعون) فيخاطب بذلك من لم يدرك فرعون ولانجا من شره ٠٠ قلنا ذلك معروف مشهور في كلام العرب وله نظائر لأن العربي قد يقول مفتخراً علي غيره قتلناكم يوم عكاظ وهزمناكم وانما يريد أن قومي فعلوا ذلك بقومك ٠٠ وقال الاخطل يهجو جرير بن عطية

وَلَقَدْ سَما لَكُمُ الهُذَيْلُ فَنالَكُمْ ... بِإِرَابَ حيثُ نُقَسِّمُ الأَنْفالاَ

فِي فَيْلَقٍ يَدْعُو الأَرَاقِمَ لم تَكُنْ ... فُرْسانُهُ عُزْلاً ولاَ أَكْفالاَ

ولم يلحق جرير الهذيل ولا أدرك اليوم الذى ذكره غير انه لما كان يوم من أيام قوم الأخطل على قوم جرير أضاف الخطاب اليه والي قومه فكذلك خطاب الله تعالى بالآية انما توجهت الى أبناء من نجي من آل فرعون وأحلافهم والمعنى واذ نجينا آباءكم وأسلافكم والنعمة على السلف نعمة على الخلف ٠٠ [قال الشريف المرتضى] رضى الله

عنه ومن أحسن الشعر فى تعود الضيافة والانس بها والاستمرار عليها قول حاتم بن عبد الله الطائي

إذَا مابَخِيلُ النَّاسِ هَرَّتْ كِلاَبُهُ ... وشَقَّ على الضَّيْفِ الغَرِيبِ عَقُورُها

فإنِّي جَبَانُ الكَلْبِ بَيْتِي مُوَطَّأٌ ... جَوَادٌ إذَا ما النَّفْسُ شَحَّ ضَمِيرُها

وإنَّ كِلاَبِي مُذْ أُقِرَّتْ وَعُوِّدَتْ ... قَلِيلٌ علي مَنْ يَعْتَرِينا هَرِيرُها

أراد بقوله — على من يعترينا هريرها — انها لاتهر جملة ولذلك نظائر كثيرة [1] ومثله قوله تعالى (فقليلا مايؤمنون) ومثل قوله فاني جبان الكلب معناً ولفظا قول الشاعر

وما يَكُ فِيَّ من عيبٍ فإنِّي ... جَبَانُ الكَلْبِ مَهْزُولُ الفَصِيلِ

وانما أراد انى أوثر الضيف بالالبان ففصالى مهازيل .. ومثل اللفظ والمعنى قول أبى وجرة

---

(١) قوله ولذلك نظائر .. يريد ان قليلا وقليلة يردان للنفى وهما فى ذلك تابعان لقل وأقل يقال قل رجل يقول ذلك الا زيد بالضم وأقل رجل يقول ذلك الا زيد معناها مارجل يقوله الاهو فالقلة فيه للنفى المحض .. وقال ابن جنى لما ضارع المبتدأ حرف النفى بقوا المبتدا بلا خبر .. وقد عقد ابن مالك فصلا في التسهيل لهذه الكلمات ونصه فصل قد يقوم مايفعل أحد أقل ملازما للابتداء والاضافة الى نكرة موصوفة بصفة مغنية عن الخبر لازم كونها فعلا أو ظرفا وقد تجعل خبراً ولا بد من مطابقة فاعلها للنكرة المضاف اليها ويساوى أقل المذكور قل رافعاً مثل المجرور ويتصل بقل ما كافة عن طلب الفاعل فيلزم فى غير ضرورة مباشرتها الافعال وقد يراد بها حينئذ التقليل حقيقة وقد يدل على النفى بقليل وقليلة فقوله ملازما للابتداء أي فلا تقول كان أقل رجل يقول ذلك لأنه لما ناب مناب النفى كان له الصدر كالنفى وشمل قوله نكرة مايقبل أل كرجل وما لايقبلها نحو أقل من يقول ذلك والجملة الواقعة بعد هذه النكرة صفة لها فى موضع جر والخبر محذوف أي كائن وليست خبر لمطابقتها النكرة نحو أقل امرأة تقول ذلك

وآلُ الزُّبيرِ بنُو حرَّةٍ ... مرَوْا بالسيُوفِ الصدُورَ الجنافا
يَموتُونَ والقتلُ من دَأْبِهِمْ ... ويَغشَونَ يومَ السيُوفِ السِّيافا
وأَجبنُ من صافرٍ كلبهُمْ ... وإنْ قذَفتهُ حصاةٌ أضافا

يقول ادركوا بسيوفهم ثاراتهم فكأنهم شفوا وغر قلوبهم وأزالوا ما كان فيها من الاحقاد ومعنى ـ مروا ـ استخرجوا كما تمري الناقة اذا أردت أن تحلبها التدر ـ والجانف ـ المائل .. ثم قال وان مات بعضهم على فراشه فان أكثرهم يموت مقتولا لشجاعتهم واقدامهم فلذلك قال والقتل من دأبهم و جعل كلبهم جبانا لكثرة من يغشاهم ويطرقهم من النزال والاضياف فقد ألفهم كلابهم وألست بهم فهي لاتنبحهم وقيل أيضاً انها لاتهر عليهم لانها تصيب مما ينحر لهم وتشاركهم فيه .. ومعني ـ وان قذفته حصاة اضافا ـ أى أشفق وهذا تأكيد لجبنه ويقال أضاف الرجل من الامر اذا أشفق منه .. ومعني ـ أجبن من صافر كلبهم ـ قدتقدم ذكره فى الامالي .. ومثله فى المعني

يُغشَونَ حتّي ماتَهِرُّ كِلابُهُمْ ... لايَسأَلونَ عنِ السَّوادِ المقبِلِ (١)

---

[١] هذا البيت من قصيدة لحسان بن ثابت رضى الله عنه يمدح بها جبلة بن الايهم الغسانى وقيل عمرو بن الحارث الاعرج ولكل من الروايتين قصة وعلى أنه عمرو قيل ان حسان لما قدم عليه اعتاص وصوله اليه ثم دخل عليه فوجد عنده النابغة الذبيانى وعلقمة الفحل فقال له عمرو يابن الفريعة قد عرفت عيصك ونسبك فى غسان فارجع فاني باعث اليك بصلة سنية ولا أحتاج الي الشعر فانى أخاف عليك هذين السبعين أن يفضحاك وفضيحتك فضيحتى وأنت والله لاتحسن أن تقول .

دقاق النعال طيب حجزاتهم ... يحيون بالريحان يوم السباسب

فلما أنشده حسان لم يزل يزحل عن موضعه سروراً وهو يقول هذا وأبيك الشعر لا ما يعللاني به منذ اليوم هذه والله البتارة التى بترت المدائح هات له ياغلام ألف دينار مرجوحة وهي التى في كل دينار منها عشرة دنانير ثم قال لك على في كل سنة مثلها .. ومطلع القصيدة

وقال المرار بن المنقذ العدوي

أَعْرِفُ الحَقَّ ولاَ أُنكِرُهُ ... وكِلاَبِي أُنُسٌ غيرُ عُقُرْ

لاَ تَرَى كَلْبِيَ إلاَّ آنِساً ... إنْ أَتَى خابِطُ ليلٍ لم يَهِرْ

كَثُرَ النَّاسُ فما يُنكِرُهُمْ ... مِنْ أَسِيفٍ يَبْتَغِي الخَيْرَ وحُرْ

ـ الاسيف ـ العبد ههنا .. وقال آخر

إلى ماجِدٍ لاَ يَنْبَحُ الكَلْبُ ضَيْفَهُ ... وَلاَ يَتَأَدَّاهُ احتِمالُ المَغارِمِ

معنى ـ يتأداه ـ يثقله وأراد أن يقول يتأوّده فقلب .. وقال ابن هرمة

وإذَا أَتَانا طارِقٌ مُتَنَوِّرٌ ... نَبَحَتْ فَدَلَّتْهُ عَلَى كِلاَبِي

وفَرِحْنَ إذْ أَبْصَرْنَهُ فَلَقِينَهُ ... يَضْرِبْنَهُ بِشَرَاشِرِ الأَذْنابِ(١)

وانما تفرح به لأنها قد تعودت اذا نزلت الضيوف أن ينحر لهم فتصيب من قراهم ومثله له

ومُسْتَنْبِحٍ تَسْتَكْشِطُ الرِّيحُ ثَوْبَهُ ... لِيَسْقُطَ عَنْهُ وهُوَ بالثَّوْبِ مُعْصِمُ

عَوَى في سَوَادِ اللَّيْلِ بَعدَ اعتِسافِهِ ... لِيَنْبَحَ كَلْبٌ أَوْ لِيَفْزَعَ نُوَّمُ

فَجاوَبَهُ مُسْتَسْمِعُ الصَّوْتِ لِلْقِرَى ... لَهُ مَعَ إتْيانِ المُهِبِّينَ مَطْعَمُ

يَكادُ إذَا ما أَبْصَرَ الضَّيْفَ مُقْبِلاً ... يُكَلِّمُهُ مِنْ حُبِّهِ وَهُوَ أَعْجَمُ

أراد بقوله ـ فجاوبه مستسمع الصوت ـ انه جاوبه كلب ـ والمهبون ـ الموقظون له ولأهله وهم الاضياف وانما كان له معهم مطعم لأنه ينحر لهم ما يصيب منه .. وأراد بقوله ـ

أسألت رسم الدار أم لم تسأل ... بين الجوابي فالبضيع فحومل

ومنها

لله در عصابة نادمتهم ... دهراً بجلق في الزمان الاول

بيض الوجوه كريمة أحسابهم ... شم الانوف من الطراز الاول

(١) شر شر الكلب اذا ضرب بذنبه وحركه للاناس

يكلمه من خبه وهو أعجم ـ ببصبصته وتحريكه ذنبه •• وأما قوله ـ ليفزع نوم ـ فانما أراد ليغيث نوم يقال فزعت لفلان اذا أغثته •• ومعنى ـ عوي في سواد الليل ـ ان العرب تزعم ان سائر الليل اذا أظلم عليه وآدلهم فلم يستبن محجة ولم يدر أين الحي وضع وجهه على الارض وعوي عواء الكلب ليسمع ذلك الصوت الكلاب ان كان الحي قريباً منه فتجيبه فيقصد الابيات وهذا معنى قوله أيضاً ومستنبح أى ينبح نبح الكلاب ••

وقال الفرزدق

وَدَاعٍ بِلَحْنِ الكَلْبِ يَدْعُو وَدُونَهُ ... مِنَ اللَّيْلِ سَجفاً ظُلْمَةٌ وغُيُومُها

دَعا وَهُوَ يَرْجُو أَنْ يُنَبِّهَ إذْ دَعا ... فَتًى كابْنِ لَيْلى حِينَ غارَتْ نُجُومُها

ـ ابن ليلى ـ يعنى أباه غالباً

بَعَثْتُ لهُ دَهْماءَ لَيْسَتْ بِلِقْحَةٍ ... تَدُرُّ إذَا ماهَبَّ نَحْساً عَقِيمُها

معنى ـ بعثت له دهماء ـ أى رفعتها على أثافيها ويعنى بالدهماء القدر ـ واللقحة ـ الناقة وأراد أن قدره تدر اذا هبت الريح عقيها لامطر فيها

كأَنَّ المِحالَ الغُرَّ في حَجَراتِها ... عَذَارَي بَدَتْ لمَّا أُصِيبَ حَمِيمُها

أراد أن قطع اللحم فيها لاتستتر بشيء منها كالاتستتر العذارى اللواتى أصيب حميمهن وظهرن حواسر

غَضُوبا كحَيْزُومِ النَّعامَةِ احمَشَتْ ... بأَجْوَازِ خُشْبٍ زَالَ عنها هَشِيمُها

ـ الاجواز ـ الاوساط وأوسط الخشب أصلبه وأبقى ناراً

مُحَضَّرَةً لاَيُجعلُ السِّتْرُ دُونَها ... إِذَا المرْضِعُ العَوْجاءُ جالَ بَرِيمُها

ـ البريم ـ الحقاب وانما يجول من الهزال والجهد والطوي ـ والعوجاء ـ التى قد اعوجت من الطوى ••وقال الأخطل فى الضيف

دَعانِي بِصَوْتٍ واحِدٍ فأَجابَهُ ... مُنادٍ بَلاَ صَوْتٍ وآخَرُ صَيِّتُ

ذكر ضيفا عوى بالليل والصدى من الجبل يجيبه فذلك معنى قوله ـ بصوت واحد ـ

وقوله ـ فأجابه متادٌ ـ يعني ناراً رفعها له فرأى سناها فقصدها ـ والآخر الصيت ـ الكلب لأنه أجاب دعواه .. ومثله

وَسارِي ظَلَامٍ مُقْفَعِلٍّ وهبْوَةٍ ... دَعَوْتُ بِضَوْءٍ ساطِعٍ فاهْتَدَى لِيا

يعني ناراً رفعها ليقصده طراق الليل ـ والمقفعل ـ المنقبض من شدة البرد .. وأنشد محمد ابن يزيد

ومُسْتَنْبِحٍ تَهْوِي مَسَاقِطُ رَأْسِهِ ... إلي كلِّ شَخْصٍ فهْوَ لِلصَّوْتِ أَصْوَرُ

حَبِيبٌ إلي كَلْبِ الكِرَامِ مَنَاخُهُ ... بَغِيضٌ إلي الكَوْماءِ والكَلْبُ أَبْصَرُ

دَعَتْهُ بِغَيْرِ اسْمٍ هَلُمَّ إلي القِرَى ... فأَسْرَى يَبُوعُ الأَرْضَ شَقْراءُ تَزْهَرُ(١)

معنى ـ أصور ـ أي مائل أراد أنه يميل رأسه الي كل شخص يخيل له يظنه انسانا ..

---

(١) الابيات من قطعة في غاية الحسن أردنا الاتيان بها مرتبة وهي

ومستنبح تهوي مساقط رأسه ... الى كل شخص فهو للسمع أصور

يصفقه أنف من الريح بارد ... ونكباء ليل من جمادي وصرصر

حبيب الى كلب الكريم مناخه ... بغيض الى الكوماء والكلب أبصر

حضأت له ناري فابصر ضوءها ... وما كان لولا حضأة النار يبصر

دعته بغير اسم هلم الي القرى ... فأسرى يبوع الارض والنار تزهر

فلما أضاءت شخصه قلت مرحباً ... هلم وللصالين بالنار أبشروا

فجاء ومحمود القري يستفزه ... اليها وداعي الليل بالصبح يصفر

تأخرت حتى كدت لم تصطلي القرى ... على أهله والحق لايتأخر

وقمت بنصل السيف والبرك هاجد ... بهازره والموت بالسيف ينظر

فأعضضته الطولي سناما وخيرها ... بلاء وخير الخير مايتخير

فأوفضن عنها وهي ترغو حشاشة ... بذي نفسها والسيف عريان أحمر

فبات رحاب جونة من لحامها ... وفوها بما في جوفها يتغرغر

ومعنى ـ خبيب الى كاب الكرام ـ المعنى الذي تقدم •• ومعنى ـ بغيض الي الكوماء ـ الى الناقة لأنها تُنحر له •• وقوله ـ دعته شقراء ـ بغير اسم يعنى ناراً رأى ضوءها فقصدها فكأنها دعته •• وقال ابن هرمة وقد نزل به ضيف

فقلتُ لِقَيْنَيَّ ارفعاها وحرِّقا ... لعلَّ سَنا نارِي بآخرَ تهتِفُ

وفي معنى قوله بغيض الى الكوماء •• قول بعض الشعراء يمدح رسول الله صلي الله عليه وآله وسلم

وابيكَ خيرًا إنَّ إبلَ محمَّدٍ ... عُزْلٌ تَناوحُ أنْ تَهُبَّ شَمالُ

واذَا رَأَيْنَ لدَى الفناء غَرِيبَةً ... ذَرَفَتْ لهُنَّ منَ الدُّمُوعِ سِجالُ

وتَرَى لها زمَنَ الشِّتاءِ علي الثَّرَي ... رَخَمًا وما بِحِيالِهِنَّ فِصالُ

أراد وأبيك الخيّر فلما طرح الالف واللام نصب ـ والعزل ـ التي لاسلاح معها وسلاح الابل سمنها وأولادها وانما جعلوا ذلك كالسلاح لها من حيث كان صاحبها اذا رأى سمنها وحسن حسانها ورأي أولادها تتبعها نفس بها على الاضياف فامتنع من نحرها فلما كان ذلك صاداً عن الذبح ومانعاً منه جرى مجرى السلاح لها فكأنه يقول هذه الابل وان كانت ذوات سلاح من حيث كانت سخيمة سمينة فهي كالعزل اذ كان سلاحها لايغني عنها شيئاً ولا يمنع من عقرها •• ومعنى ـ تناوح ـ تقابل بعضها بعضاً أى هن مدققات باسنمتها وأوبارها لاتبالي بهبوب الشمال ولايدخل بعضها في بعض من البرد •• وقوله ـ واذا رأين لدى الفناء غريبة ـ أي اذا نزل ضيف فعقل ناقته التي جاء عليها وهي الغريبة علمن انه سينحر بعضهن لا محالة فلذلك تذرف دموعهن •• وقوله ـ وترى لها زمن الشتاء على الثرى رخماً ـ فقد قيل فيه انه أراد به أن يهب فصالهن فتبقى ألبانهن على الارض كهيئة الرخم •• وحكي عن ابن عباس انه قال الرخم قطع العلق من الدم وعندي ان المعنى غير هذين جميعاً وانما أراد انهـا تنحر وتعقر فتسقط الرخم على موضع عقرها وبقايا دمائها واسلائها فهذا معنى قوله لا ما تقدم •• وقال آخر في معنى سلاح الابل يمدح بني عوف بن غالب بن عبس

جَزَى اللهُ عَنِّي غَالِباً خَيْرَ مَا جَزَى ... إِذَا حَدَثَانُ الدَّهْرِ نَابَتْ نَوَائِبُهُ[1]
إِذَا أَخَذَتْ بُزْلُ المَخَاضِ سِلَاحَهَا ... تَجَرَّدَ فِيهَا مُتْلِفُ المَالِ كَاسِبُهْ

أراد أن سمنها وحسنها وتمامها لا يمنعه من عقرها للاضياف ٠٠ ومثله

إِذَا البَقْلُ فِي أَصْلَابِ شَوْلِ ابْنِ مُسْهِرٍ ... نَمَى لَمْ يَزِدْهُ البَقْلُ إِلَّا تَكَرُّمَا
إِذَا أَخَذَتْ شَوْلُ البَخِيلِ رِمَاحَهَا ... وَحَى بِرِمَاحِ الشَّوْلِ حَتَّى تَحَطَّمَا

وقوله — أخذت رماحها — من المعنى المتقدم ٠٠ وقال ابن مسكين الدارمي

فَقُمْتُ وَلَمْ تَأْخُذْ إِلَيَّ رِمَاحَهَا ... عِشَارِي وَلَمْ أُرْجِبْ عَرَاقِبَهَا عَقْرَا

— أرجب — أكبر ذلك ولم يعظم على وسمي رجب رجباً من ذلك لأنه شهر معظم ٠٠ وقالت ليلى الاخيلية

وَلَا تَأْخُذُ الكُومُ الجِلَادُ سِلَاحَهَا ... لِتَوْبَةَ فِي قُرِّ الشِّتَاءِ الصَّنَابِرِ

ومثله

لَا أَخُونُ الصَّدِيقَ مَا حَفِظَ العَهْـ ... ـدَ وَلَا تَأْخُذُ السِّلَاحَ لِقَاحِي

وقال النمر بن تولب

أَزْمَانَ لَمْ تَأْخُذْ إِلَيَّ سِلَاحَهَا ... إِبِلِي بِجُلَّتِهَا وَلَا أَبْكَارِهَا
أَبْتَزُّهَا أَلْبَانَهَا وَلُحُومَهَا ... فَأُهِينُ ذَاكَ لِضَيْفِهَا وَلِجَارِهَا

وقال المضرس بن ربعي الاسدي

وَمَا تَلْعَنُ الأَضْيَافُ إِنْ نَزَلُوا بِنَا ... وَلَا يَمْنَعُ الكَوْمَاءَ مِنَّا نَصِيرُهَا

---

[1] ٠٠ ويروى * جزي الله خيراً غالباً من عشيرة الخ وبين البيتين بيتان وهما

فكم دافعوا من كربة قد تلاحمت ... على وموج قد علتني غواربه
اذا قلت عودوا عاد كل شمردل ... أشم من الفتيان جزل مواهبه

ومعنى ــ لانلمهم ــ أي لا نبعدهم والعين البعيد ــ ونصيرها ــ ههنا مايمتنع من عقرها من حسن وتمام وولد وما جرى ذلك المجرى والنصير والسلاح في المعنى واحد

مجلس آخر ٦٠

[تأويل آية] .. ان سأل سائل عن قوله تعالى (ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله) .. فقال ماتنكرون أن يكون ظاهر هذه الآية يقتضى أن يكون جميع مايفعله يشاؤه ويريده لأنه تعالى لم يخص شيئاً من شيء وهذا بخلاف مذهبكم وليس لكم أن تقولوا انه خطاب للرسول عليه الصلاة والسلام خاصة وهو لا يفعل الا مايشاء الله تعالى لانه قد يفعل المباح بلا خلاف ويفعل الصغائر عند أكثركم فلا بد من أن يكون في أفعاله تعالى مالا يشاؤه عندكم ولأنه أيضاً تأديب لنا كما أنه تعليم له عليه الصلاة والسلام ولذلك يحسن منا أن نقول ذلك فيما نفعله .. الجواب قلنا تأويل هذه الآية مبنى على وجهين .. أحدهما أن يجعل حرف الشرط الذى هو إن متعلقاً بما يليه وبما هو متعلق به في الظاهر من غير تقدير محذوف ويكون التقدير ولا تقولن انك تفعل الا مايريد الله تعالى وهذا الجواب ذكره الفراء وما رأيته الاله ومن العجب تغلغله الى مثل هذا مع انه لم يكن متظاهراً بالقول بالعدل وعلى هذا الجواب لاشبهة فى الآية ولا سؤال للقوم عليه وفى هذا الوجه ترجيح على غيره من حيث اتبعنا فيه الظاهر ولم نقدر محذوفا وعلى كل جواب مطابق الظاهر ولم يبن على محذوف كان أولى .. والجواب الآخر أن نجعل أن متعلقة بمحذوف ويكون التقدير ولا تقولن لشيء إنى فاعل ذلك غداً إلا أن تقول أن يشاء الله لأن من عاداتهم اضمار القول فى مثل هذا الموضع واختصار الكلام اذا طال وكان في الموجود منه دلالة على المفقود وعلى هذا الجواب يحتاج الى الجواب عما سئلنا عنه فنقول هذا تأديب من الله تعالى لعباده وتعليم لهم أن يعلقوا مايخبرون به بهذه اللفظة حتى يخرج من حد القطع ولا شبهة في أن ذلك مختص بالطاعات وان الافعال

القبيحة خارجة عنه لأن أحداً من المسلمين لايستحسن أن يقول اني أزني غداً ان شاء الله أوأقتل مؤمناً وكلهم يمتنع من ذلك أشد المنع فعلم سقوط شبهة من ظن ان الآية عامة فى جميع الأفعال •• وأما أبو على محمد بن عبد الوهاب فإنه ذكر في تأويل هذه الآية ماتحن ذاكروه بعينه قال انما عنى بذلك ان من كان لايعلم انه يبقى الى غد حياً فلا يجوز أن يقول انى سأفعل غداً كذا وكذا فيطلق الخبر بذلك وهو لايدري لعله سيموت ولايفعل ماأخبر به لأن هذا الخبر اذا لم يوجد مخبره على ماأخبر به المخبر فهو كذب واذا كان المخبر لايأمن أن لايوجد مخبره لحدوث أمر من فعل الله تعالى نحو الموت أوالعجز أو بعض الامراض أولا يوجد ذلك بأن يبدو له في ذلك فلا يأمن من أن يكون خبره كذبا في معلوم الله عز وجل واذا لم يأمن ذلك لم يجز أن يخبر به ولا يسلم خبره هذا من الكذب الا بالاستثناء الذي ذكره الله تعالي فاذا قال اني صائر غداً الي المسجد إن شاء الله فاستثنى في مصيره بمشيئة الله تعالى أمن أن يكون خبره في هذا كذبا لأن الله تعالى إن شاء أن يلجئه الى المصير الى المسجد غداً ألجأه الي ذلك وكان المصير منه لامحالة واذا كان ذلك على ماوصفنا لم يكن خبره هذا كذبا وان لم يوجد منه المصير الى المسجد لأنه لم يوجد ماالستثناه فى ذلك من مشيئة الله تعالى •• قال وينبغي أن لايستثنى مشيئة دون مشيئة لأنه ان استثنى فى ذلك مشيئة الله بمصيره الي المسجد على وجه التعبد فهو أيضاً لايأمن أن يكون خبره كذبا لأن الانسان قد يترك كثيراً مما يشاؤه الله تعالى منه ويتعبده به ولو كان استثناء مشيئة الله لأن يبقيه ويقدره ويرفع عنه الموانع كان أيضاً لايأمن أن يكون خبره كذبا لأنه قد يجوز أن لايصير الى المسجد مع تبقية الله تعالى له قادراً مختاراً فلا يأمن من الكذب فى هذا الخبر دون أن يستثني المشيئة العامة التى ذكرناها فاذا دخلت هذه المشيئة فى الاستثناء فقد أمن من أن يكون خبره كذبا اذا كانت هذه المشيئة متى وجدت وجب أن يدخل المسجد لامحالة قال وبمثل هذا الاستثناء يزول الحنث عمن حلف فقال والله لأصيرن غداً الى المسجد ان شاء الله تعالى لأنه ان استثنى على سبيل ماينا لم يجز أن يحنث فى يمينه ولوخص استثناءه بمشيئة بعينها ثم كانت ولم يدخل معها الى المسجد حنث فى يمينه •• وقال غير أبى على ان المشيئة المستثناة ههنا هي مشيئة المنع والحيلولة

فكأنه قال ان شاء الله يخليني ولا يمنعني وفي الناس من قال القصد بذلك أن يقف الكلام على جهة القطع وان لم يلزم به ماكان يلزم لولا الاستثناء ولا ينوي في ذلك الجاه ولا غيره وهذا الوجه يحكى عن الحسن البصري .. واعلم ان للاستثناء الداخل على الكلام وجوهاً مختلفة فقد يدخل على الايمان والطلاق والعتاق وسائر العقود وما يجري مجراها من الاخبار فاذا دخل ذلك اقتضى التوقيف عن امضاء الكلام والمنع من لزوم مايلزم به وازالته عن الوجه الذي وضع له ولذلك يصير ماتكلم به كأنه لاحكم له ولذلك يصح على هذا الوجه أن يستثني في الماضي فيقول قد دخلت الدار ان شاء الله ليخرج بهذا الاستثناء من أن يكون كلامه خبراً قاطعاً أو يلزمه حكم وانما لم يصح دخوله في المعاصي على هذا الوجه لأن فيه اظهاراً للانقطاع الى الله تعالي والمعاصي لايصح ذلك فيها وهذا الوجه أحد مايحتمله تأويل الآية وقد يدخل الاستثناء في الكلام فيراد به اللطف والتسهيل .. وهذا الوجه يختص بالطاعات ولهذا الوجه جرى قول القائل لاقضين غداً ماعلي من الدين ولأصلين غداً ان شاء الله مجرى أن يقول اني أفعل ذلك ان لطف الله تعالى فيه وسهله فعلم ان المقصد واحد وانه متى قصد الحالف فيه هذا الوجه لم يجب اذا لم يقع منه هذا الفعل أن يكون حانثاً وكاذبا لأنه إن لم يقع علمنا انه لم يلطف له فيه لأنه لا لطف له وليس لأحد أن يعترض هذا بأن يقول الطاعات لابد فيها من لطف وذلك لان فيها مالا لطف فيه جملة فارتفاع ماهذه سبيله يكشف عنه انه لا لطف فيه وهذا الوجه لايصح أن يقال في الآية انه لايخص الطاعات والآية تتناول كل مالم يكن قبيحاً بدلالة اجماع المسلمين على حسن الاستثناء ماتضمنه في كل فعل لم يكن قبيحاً وقد يدخل الاستثناء في الكلام فيراد به التسهيل والاقدار والتخلية والبقاء على ما هي عليه من الاحوال وهذا هو المراد به اذا دخل في المباحات وهذا الوجه يمكن في الآية الا أنه يعترضه ماذكره أبو علي مما حكيناه من كلامه وقد يذكر استثناء المشيئة أيضاً في الكلام وان لم يرد به في شئ مما تقدم بل يكون الغرض اظهار الانقطاع الى الله تعالى من غير أن يقصد الى شئ من الوجوه المتقدمة وقد يكون هذا الاستثناء غير معتد به في كونه كاذبا أو صادقا لأنه في الحكم كأنه قال لأفعلن كذا ان وصلت الى مرادي مع انقطاعي الى الله تعالى واظهاري

الحاجة اليه وهذا الوجه أيضاً مما يمكن فى تأويل الآية •• ومتى تؤمل جملة ماذكرناه من الكلام عرف منه الجواب عن المسألة التى لايزال يسأل عنها المخالفون من قولهم لو كان الله تعالى انما يريد العبادات من الافعال دون المعاصى لوجب اذا قال من لغيره عليه دين طالبه به والله لأعطينك حقك غداً ان شاء الله أن يكون كاذبا أو حانثا اذالم يفعل لأن الله تعالى قد شاءذلك منه عندكم وان كان لم يقع فكان يجب أن تلزمه الكفارة وأن لايؤثر هذا الاستثناءفي يمينه ولا يخرجه عن كونه حانثا كما انه لوقال والله لأعطينك حقك غداً ان قدم زيد فقدم ولم يعطه يكون حانثا وفي إلزام هذا الحنث خروج من إجماع المسلمين فصار ماأوردناه جامعاً لبيان تأويل الآية والجواب عن هذه المسئلة ولنظائرها من المسائل والحمد لله وحده •• [قال الشريف المرتضي] رضى الله عنه تأملت مااشتملت عليه تشبيهات الشعراء فوجدت أكثر ماشبهوا فيه الشيء بالشيء الواحد أو الشيئين بالشيئين وقد تجاوزوا ذلك الى تشبيه ثلاثة بثلاثة وأربعة بأربعة وهو قليل ولم أجد من تجاوز هذا القدر الا قطعة مرت بى لابن المعتز فانها تضمنت تشبيه ستة أشياء بستة أشياء •• فأما تشبيه الواحد بالواحد قول عنترة في وصف الذباب

هَزِجاً يَحُكُّ ذِرَاعَهُ بِذِرَاعِهِ ... قَدحَ المُكِبِّ علي الزِّنادِ الأَجذَمِ [1]

(١) ـ الهزج ـ تراكب الصوت ومعني ـ يحك ذراعه بذراعه ـ يمر احداهما على الاخرى ـ والاجذم ـ بالمعجمتين صفة المكب وهو المقطوع اليد شبه الذباب اذا سن احدي ذراعيه بالاخري بأجذم يقدح ناراً بذراعيه وهذا من عجيب التشبيه يقال انه لم يقل احد فى معناه مثله وقد عده أرباب الادب من التشبيهات العقم وهي التى لم يسبق اليها ولا يقدر أحد عليها مشتق من الريح العقيم وهي التى لاتلقح شجرة ولاتنتج ثمرة وقد شبه بعضهم من يفرك يديه ندامة بفعل الذباب وزاد اللطم فقال

فعل الأديب اذا خلا بهمومه ... فعل الذباب يرن عند فراغه
فتراه يفرك راحتيه ندامة ... منها ويتبعها بلطم دماغه

وتعرض حازم في مقصورته لتشبيه عنترة بقوله

أي الاسرع •• ومثله قول عدى بن الرقاع

تُزْجِي أغَنَّ كأنَّ إبْرَةَ رَوْقِهِ قَلَمٌ أصابَ مِنَ الدَّوَاةِ مِدَادَها

ومثله قول امرئ القيس

كأنَّ عُيُونَ الوَحْشِ حَوْلَ قِبابِنا وأرْحُلِنا الجَزْعُ الذي لم يُثَقَّبِ (١)

وقوله

إذَا ما الثُّرَيَّا في السَّماءِ تَعَرَّضَتْ تَعَرُّضَ أثْناءِ الوِشاحِ المُفَصَّلِ

ولذى الرمة

ألقى ذراعا فوق أخرى وحكى تكلف الاجذم في قطع السنا

كأنما النور الذي يفرعه مقتدحا لزنده سقط ورى

فقصر عنه التقصير البين وأخل بذكر الاكباب والحك

(١) الرواية المعلومة خبائنا بدل قبابنا والمعنى متقارب •• قال الاصمعي الظبي والبقرة اذا كانا حيين فعيونهما كلها سود فاذا ماتا بدا بياضهما وانما شبهها بالجزع وفيه سواد وبياض بعدما موتت والمراد كثرة الصيد يعني مما أكلناه كثرت العيون عندنا وبه يتبين بطلان ما قيل ان المراد انها قد أطالت مسايرتهم حتي ألفت الوحوش رحالهم وأخبيتهم •• وقوله الجزع هو بفتح الجيم وتكسر الخرز اليمانى الصينى فيه سواد وبياض تشبه به عيون الوحش لكنه اتى بقوله لم يثقب ايغالا وتحقيقاً للتشبيه لأن الجزع اذا كان غير مثقوب كان أشبه بالعيون •• والبيت من قصيدته المشهورة التى قالها فى معارضته لقصيدة علقمة الفحل ومطلعها

خليلى مرابي على أم جندب نقضى لبانات الفؤاد المعذب

ومطلع قصيدة علقمة

ذهبتُ من الهجران فى غير مذهب ولم يك حقا كل هذا التجنب

وتحكيمهما لام جندب امرأة امرئ القيس وحكمها لعلقمة وطلاق امرئ القيس اياها وتزويج علقمة لها كله مشهور فلا نطيل به

وَرَدْتُ اعتِسافًا والثُّرَيَّا كأَنَّها ... على قِمَّةِ الرَّأْسِ ابنُ ماءٍ مُحَلِّقِ

وهذا الباب أكثر من أن يحصى •• فاما تشبيه شيئين بشيئين فمثل قول امرئ القيس يصف عقابا

كأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطبًا ويابسًا ... لَدَى وكْرِها العُنَّابُ والحَشَفُ البالي (١)

وقوله

وكَشْحٍ لطيفٍ كالجَدِيلِ مُخَصَّرٍ ... وساقٍ كأُنبُوبِ السَّقِيِّ المُذَلَّلِ

ولبشار

كأَنَّ مثارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُؤُسِنا ... وأسيافنا ليلٌ تَهَاوَي كَوَاكِبُهْ (٢)

---

(١) البيت من شواهد التلخيص والشاهد فيه التشبيه الملفوف وهو أن يؤتي على طريق العطف أوغيره بالمشبهات أولا ثم بالمشبه بها فهنا شبه الرطب الطري من قلوب الطير بالعناب واليابس العتيق منها بالحشف البالي إذ ليس لاجتماعهما هيئة مخصوصة يعتد بها ويقصد تشبيها ولذا قال الشيخ عبد القاهر انه انما يتضمن الفضيلة من حيث اختصار اللفظ وحسن الترتيب فيه لا إن الجمع فائدة في عين التشبيه •• والبيت من قصيدته المشهورة التي مطلعها

ألا عم صباحا أيها الطلل البالي ... وهل يعمن من كان في العصر الخالي

(٢) ـ النقع ـ الغبار •• ومعنى ـ تهاوى كواكبه ـ يتساقط بعضها في أثر بعض والاصل تتهاوى فحذفت احدي التاءين والبيت من شواهد البيان والشاهد فيه المركب الحسي في التشبيه الذي طرفاه مركبان الحاصل من الهيئة الحاصلة من هوى أجرام مشرقة مستطيلة متناسبة المقدار متفرقة في جوانب شئ مظلم فوجه التشبيه مركب كما تري وكذا طرفاه كما في أسرار البلاغة يروي انه قيل لبشار وقد أنشد هذا البيت ماقيل أحسن من هذا التشبيه فمن أين لك هذا ولم تر الدنيا قط ولا شيء منها فقال ان عدم النظر يقوي ذكاء القلب ويقطع عنه الشغل بما ينظر اليه من الاشياء فيتوفر حسه وتذكو قريحته وأنشدهم قوله

ولآخر

كأنّ سُمُوّ النّقع والبيض حوْلَهُ ... سماوةُ ليلٍ أسفرتْ عن كَوَاكبِ

وقول أبي نواس

كأنّ صغرَي وكُبرَي من فقاقِعِها ... حصباءُ دُرٍّ على أرضٍ من الذّهبِ (١)

ولآخر

بت جنيناً والذكاء من العمى ... فجئت عجيب الظن للعلم موئلا

وغاض ضياء العين للعلم رافداً ... لقلب اذا ماضيع الناس حصلا

وشعر كنور الروض لاءمت بينه ... بقول اذا ما أحزن الشعر أسهلا

ويحكى أنه قال لم أزل منذ سمعت قول امرىء القيس في تشبيه شيئين بشيئين في بيت واجد حيث يقول

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً ... لدى وكرها العناب والحشف البالى

أعمل نفسي في تشبيه شيئين بشيئين حتى قلت كأن مثار النقع البيت وهو من قصيدة يمدح بها ابن هبيرة وأولها

جفاوده فازوراً ومل صاحبه ... وأزري به أن لايزال يعاتبه

ومنها اذا كنت في كل الامور معاتباً ... صديقك لم تلق الذى لاتعاتبه

فعش واحداً أوصل أخاك فانه ... مقارب ذنب مرة ومجانبه

وهي طويلة فوصله ابن هبيرة بعشرة آلاف درهم وكانت أول عطية سلية أعطيها بشار بالشعر ورفعت من ذكره

(١) قوله كأن صغري وكبرى الخ .. قد قيل انه لحن لأن اسم التفضيل اذا كان مجرداً من أل والاضافة يجب أن يكون مفرداً مذكراً دائماً فتأنيثه لحن كما في البيت المذكور وقد اعتذروا لحن هذا بأن أفعل العارى اذا كان مجرداً عن معنى التفضيل جاز جمعه فاذا جاز جمعه جاز تأنيثه .. والفقاقيع هي النفاخات التى تعلوا الماء أو الخمر وقال يس المحفوظ في البيت من فواقعها بالواو قلت وفي ديوانه فواقعها

إنَّ الشَّمُولَ هيَ التي ... جَمَعَتْ لأهلِ الوُدِّ شَمْلا
شَبَّهتُها وحَبابَها ... بشقائِقٍ يحملنَ طلّا

ولآخر

أبصَرتُهُ والكأسُ بينَ فمٍ ... منهُ وبينَ أناملٍ خمسِ
فكأنَّها وكأنَّ شاربَها ... قمرٌ يُقبِّلُ عارضَ الشَّمسِ

ولآخر

حتى اذَا خُلِيَتْ في الكأسِ خِلتُ بها ... عقيقةً جُليَتْ في قِشرِ بلُّورِ
تُعلي إذَا مُزِجَتْ في كاسِها حبَباً ... كأنَّهُ عرَقٌ في خدِّ مخمُورِ

وقال البحتري

شقائقُ يحملنَ النّدَى فكأنّهُ ... دُمُوعُ التّصابِي في خُدُودِ الخرائدِ

وقال آخر

فكأنَّ الرَّبيعَ يجلُو عرُوساً ... وكأنا من قَطْرِهِ في نِثارِ

ولابي العباس الناشيء

كأنَّ الدُّمُوعَ على خدِّها ... بقيَّةُ طلٍّ على جلّنارِ

وقال ابن الرومي وأحسن

لو كنتَ يومَ الفِراقِ حاضِرَنا ... وهُنَّ يُطفِئنَ غلّةَ الوَجدِ
لم ترَ الا الدُّمُوعَ سافِحةً ... تَسفَحُ مِن مُقلَةٍ على خَدِّ
كأنَّ تِلكَ الدُّمُوعَ قَطرُ نَدىً ... يَقطُرُ مِن نَرجِسٍ على وَردِ

وقال جران العود

أبيت كأنَّ اللّيلَ أفنانُ سِدرَةٍ ... عليها سقيطٌ مِن ندَي الطَّلِّ ينطِفُ

أُرَاقِبُ لمحاً مِنْ سُهَيْلٍ كأَنَّهُ ... إِذَا مَا بَدَا في آخِرِ اللَّيْلِ يَطْرِفُ

ولابن المعتز

سَقَتْنِيَ في لَيْلٍ شَبِيهٍ بِشَعْرِها ... شَبِيهَةَ خَدَّيْها بغَيْرِ رَقِيبِ
فأَمسَيْتُ في لَيْلَيْنِ بالشَّعْرِ والدُّجى ... وشَمْسَيْنِ مِنْ خَمْرٍ ووَجْهِ حَبِيبِ

وقال المتنبي

نَشَرَتْ ثلاثَ ذَوَائِبٍ مِنْ شَعْرِها ... في لَيْلَةٍ فأَرَتْ لَيالِيَ أَرْبَعا
وَاسْتَقْبَلَتْ قَمَرَ السَّماءِ بِوَجْهِها ... فأَرَتْنِيَ القَمَرَيْنِ في وَقْتٍ مَعا

فاما تشبيه ثلاثة أشياء بثلاثة أشياء .. فمثل قول ماني الموسوس

نَشَرَتْ غَدَائِرَ شَعْرِها لِتُظِلَّنِي ... خَوْفَ العُيُونِ مِنَ الوُشاةِ الرُّمَّقِ
فَكَأَنَّهُ وكأَنَّها وَكأَنَّنِي ... صُبْحانِ باتا تحتَ لَيْلٍ مُطْبِقِ

ولبعضهم

رَوْضُ وَرْدٍ خِلالَهُ نَرْجِسٌ ... غَضٌّ يحُفَّانِ أُقْحُوَانًا نَضِيرا
ذَا يُباهِي لَنا خُدُودًا وَذَا يَحْكِي عُيُونًا وذَا يُضاهِي ثُغُورا

ولآخر في النرجس

مَدَاهِنُ تِبْرٍ بَيْنَ أَوْرَاقِ فِضَّةٍ ... لها عُمُدٌ مَخْرُوطَةٌ مِنْ زَبَرْجَدِ

وللبحتري في وصف ضمر المطايا ونحولها

كالقِسِيِّ المُعَطَّفاتِ بَلِ الأَسْهُمِ مَبْرِيَّةً بَلِ الأَوْتارِ (١)

---

(١) البيت من شواهد التلخيص والشاهد فيه مراعاة النظير وسمى التناسب والتوافق والائتلاف والمؤاخاة وهو جمع أمر وما يناسبه من الغاء التضاد لتخرج المطابقة فهوهنا قصد المناسبة بالاسهم والاوتار لما تقدم من ذكر القسى وهذه المناسبة هنا معنوية لا لفظية

ولبعض الطالبيين

وَأَنا ابنُ مُعتلجِ البِطاحِ إِذا غدا غيري وَراحَ على متونِ ظواهرِ (١)
يَفتَرُّ عَنّي رُكنُها وَحَطيمُها كالجفنِ يُفتَحُ عن سَوادِ الناظرِ
كَجِبالِها شَرَفي وَمِثلُ سُهولِها خُلقي وَمِثلُ ظِبائِهِنَّ مُجاوِري

وأما تشبيه أربعة بأربعة . . فمثل قول امرىء القيس

لهُ أيطلا ظبيٍ وَساقا نَعامةٍ وإرخاء سِرحانٍ وتقريبُ تَتفُلِ

ولآخر

كفٌّ تناوِلُ راحها بزجاجةٍ خضراء تقذفُ بالحبابِ وتُزبدُ
فالكفُّ عاجٌ والحبابُ لآلئٌ وَالراحُ تِبرٌ والإناء زَبَرجَدُ

ولبعضهم وقد أهدي اليه نرجس وأقحوان وشقائق وآس فكتب الى المهدى

للهِ ما أظرفَ أخـ لاقكَ يا بدرَ الكرمْ
أهديتَ ما نابتَها حُسناً وظرفاً وشيَمْ
فما رأينا مُهدِياً قبلَكَ في كلِّ الأُمَمْ
أهدَى العيونَ والثغو رَ والخدودَ واللِّمَمْ

ولآخر

---

(١) ــ معتلج البطاح ــ بطن مكة يقول أنا من قريش البطاح اذا غدا غيري وراح على متون ظواهرها . . وقريش ثلاثة أقسام قسم ينزل بطاح مكة وهم أشرفهم منهم بنو هاشم وبنو أمية وغيرهم من سادات قريش وهم صميم قريش والقسم الثاني قريش الظواهر وهم الذين لم تسعهم الاباطح وقسم ثالث ليسوا من أهل الظواهر ولا الاباطح والكل قبائل

أفْدِي حَبِيباً لهُ بَدائعُ أوْ صافٍ تعالتْ عنْ كلِّ ماأصِفُ
كالبَدْرِ يَعْلُو وَالشَّمْسِ تُشْرِقُ وَالـغَزَالِ يَعْطُوا وَالغُصْنِ يَنْعَطِفُ

المتنبي

بَدَتْ قَمَرًا وَمالَتْ خُوطَ بانٍ وفاحَتْ عَنْبَرًا وَرَنَتْ غَزالاَ

ولآخر

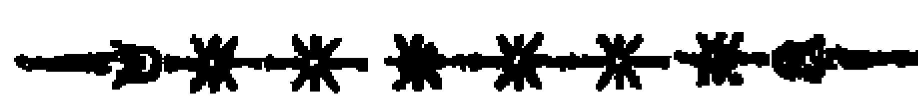
سَفَرْنَ بُدُورًا وانْتَقبْنَ أَهِلَّةَ وَمِسْنَ غُصُوناوالتَفَتْنَ جآذِرَا (١)

وأما تشبيه خمسة بخمسة .. فقول الواوا الدمشقي وهو أبو الفرج

وأسبَلَتْ لؤلوءً مِنْ نرْجسٍ وَسقَتْ وَرْدًا وَعَضَّتْ علي العُنَّابِ بالبَرَدِ

وأما تشبيه ستة بستة فلم أجده الا لابن المعتز في قوله

بدرٌ وليلٌ وغُصنٌ وجهٌ وشعرٌ وقَدُّ
خمرٌ ودُرٌ وورْدٌ رِيقٌ وثغرٌ وخدُّ



مجلس آخر ٦١

[تأويل آية] .. إن سأل سائل عن قوله تعالى (ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا) .. فقال كيف يجوز أن يأمرنا على سبيل العبادة بالدعاء بذلك وعندكم ان النسيان من فعله تعالى فلا تكليف على الناسي في حال نسيانه وهذا يقتضي أحد أمرين إما أن يكون النسيان من فعل العباد على مايقوله كثير من الناس أو نكون متعبدين بمسئلته تعالي ما نعلم انه واقع حاصل لأن مؤاخذة الناسي مأمونة منه تعالى والقول في الخطأ اذا أريد به ماوقع سهواً أوعن غير عمد يجري هذا المجرى .. الجواب قلنا قد قيل في هذه الآية المراد

(١) وقبله

وملتفتات في النقاب كأنما هززن سيوفا وانتضين خناجرا

نسياننا تركنا قال أبو علي قطرب بن المستنير معنى النسيان هنا الترك كما قال تعالى (ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي) أي ترك ولولا ذلك لم يكن فعله معصية وكقوله تعالى (نسوا الله فنسيهم) أي تركوا طاعته فتركهم من ثوابه ورحمته وقد يقول الرجل لصاحبه لا تنسني من عطيتك أي لا تتركني منها وأنشد ابن عرفة

وَلَم أَكُ عِندَ الجُودِ لِلجُودِ قالِياً ولاَ كُنتُ يَومَ الرَّوعِ لِلطَّعنِ ناسِيا

أي تاركا .. ومما يمكن أن يكون على ذلك شاهداً قوله تعالى (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم) أي تتركون أنفسكم .. ويمكن في الآية وجه آخر على أن يحمل النسيان على السهو وفقد المعلوم ويكون وجه الدعاء بذلك ماقد بيناه فيما تقدم من الامالي من أنه على سبيل الانقطاع الى الله تعالى واظهار الفقر الى مسئلته والاستعانة به وان كان مأمونا منه المؤاخذة بمثله ويجري مجرى قوله تعالى في تعليمنا وتأديبنا (لا تحملنا مالاطاقة لنا به) ويجري قوله تعالى) قل رب احكم بالحق . ولا تخزني يوم يبعثون) وقوله تعالى حاكياً عن الملائكة (فاغفر للذين تابوا) الآية وهذا الوجه يمكن أيضاً في قوله تعالى أو أخطأنا اذا كان الخطأ ماوقع سهواً أو غير عمد فأما على مايطابق الوجه الاول فقد يجوز أن يريد تعالى بالخطأ مايفعل من المعاصي بالتأويل السيء وعن الجهل بانها معاص لأن من قصد شيئاً على اعتقاد انه بصفة فوقع ماهو بخلاف معتقده يقال قد أخطأ فكأنه أمرهم بأن يستغفروا مما تركوه متعمدين من غير سهو ولا تأويل ومما أقدموا عليه مخطئين متأولين .. ويمكن أيضاً أن يريد بأخطأنا هنا أذنبنا أو فعلنا قبيحاً وان كنا له متعمدين وبه عالمين لأن جميع معاصينا لله تعالى قد توصف بانها خطأ من حيث فارقت الصواب وان كان فاعلها متعمداً فكأنه تعالى أمرهم بأن يستغفروا مما تركوه من الواجبات ومما فعلوه من المقبحات ليشتمل الكلام على جهتي الذنوب والله أعلم بمراده .. أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرنا محمد بن العباس قال قال رجل يوما لأبي العباس محمد ابن يزيد النحوي ما أعرف صادية أحسن من صادية أبي الشيص فقال له كم صادية حسنة لا تعرفها ثم أنشده لبشار

غَمَضَ الحَدِيدُ بِصاحِبَيْكَ فَغَمَّضا ... وَبَقِيتَ تَطْلُبُ فِي الحِبالَةِ مَنْهَضا

وَكَأَنَّ قَلْبِي عِنْدَ كُلِّ مُصِيبَةٍ ... عَظْمٌ تَكَرَّرَ صَدْعُهُ فَتَهَيَّضا

وَأَخٍ سَلَوْتُ لَهُ فَاذْكُرْهُ أَخًا ... فَمَضَى وَتَذْكُرُكَ الحَوادِثُ ما مَضَى

فَاشْرَبْ عَلَى تَلَفِ الأَحِبَّةِ إِنَّنا ... جَزَرُ المَنِيَّةِ ظاعِنِينَ وَخُفَّضا

وَلَقَدْ جَرَيْتُ مَعَ الصِّبا طَلْقَ الصِّبا ... ثُمَّ ارْعَوَيْتُ فَلَمْ أَجِدْ لِيَ مَرْكَضا

وَعَلِمْتُ ما عَلِمَ امْرُؤٌ فِي دَهْرِهِ ... فَأَطَعْتُ عَذَّالِي وَأَعْطَيْتُ الرِّضا

وَصَحَوْتُ مِنْ سُكْرٍ وَكُنْتُ مُوَكَّلاً ... أَرْعَى الحَمامَةَ وَالغُرابَ الأَبْيَضا

ـ الحمامة ـ المرآة ـ والغراب الابيض ـ الشعر الشائب •• فيقول كنت كثيراً أتعهد نفسي بالنظر في المرآة وترجيل الشعر •• وقوله ـ والغراب الابيض ـ لأن الشعر كان غربيباً أسود من حيث كان شاباً ثم ابيض بالشيب

ما كُلُّ بارِقَةٍ تَجُودُ بِمائِها ... وَلَرُبَّما صَدَقَ الرَّبِيعُ فَرَوَّضا

هكذا أنشده المبرد ويحيى بن علي وأنشده ابن الاعرابي

ما كُلُّ بارِقَةٍ تَجُودُ بِمائِها ... وَكَذاكَ لَوْ صَدَقَ الرَّبِيعُ لَرَوَّضا

قَدْ ذُقْتُ إِلْفَتَهُ وَذُقْتُ فِراقَهُ ... فَوَجَدْتُ ذا عَسَلاً وَذا جَمْرَ الغَضا

يا لَيْتَ شِعْرِي فِيمَ كانَ صُدُودُهُ ... أَساءَتْ أَمْ رَعَدَ السَّحابُ وَأَوْمَضا

وغير من ذكرنا يرويه ـ أم أجم الخلال فاحمضا ـ

وَيْلِي عَلَيْهِ وَوَيْلَتِي مِنْ بَيْنِهِ ... ما كانَ إِلاَّ كَالخِضابِ فَقَدْ نَضا

سُبْحانَ مَنْ كَتَبَ الشَّقاءَ لِذِي الهَوَى ... كانَ الَّذِي قَدْ كانَ حُكْماً فَانْقَضَى

قال المبرد وهي طويلة •• وذكر يوسف بن علي بن يحيى عن أبيه ان أبا نواس أخذ قوله

جَرَيْتُ مَعَ الصِّبا طَلْقَ الجَمُوحِ (١)

من قول بشار

ولقَدْ جرَيْتُ مَعَ الصِّبا طلْقَ الصبا

[قال الشريف المرتضى] .. رضى الله عنه ولابي تمام والبحترى على هذا الوزن والقافية وحركة القافية قصيدتان ان لم يزيدا على ضادية بشار التى استحسنها للبرد لم يقصرا عنها وأول قصيدة أبي تمام

أَهلوكَ أَضْحَوا شاخصاً ومقوِّضا ... ومُزَمَّماً يَصِفُ النَّوي ومُعَرِّضا

إنْ يُدْجِ لَيْلَكَ أنَّهم أَمُّوا اللِّوَى ... فبما إضاؤُهُمُ على ذاتِ الإضا

بُدِّلْتَ مِنْ بَرْقِ الثُّغورِ وبَرْدِها ... بَرْقاً إذا ظَعَنَ الأَحِبةُ أوْمَضا

يقول فيها

ما أَنْصفَ الشَّرْخُ الذي بعثَ الهَوي ... فقضى عليكَ بِلَوْعةٍ ثمَّ انْقضي

عِنْدِي مِنَ الأَيَّامِ مالَوْ أنَّهُ ... أَضْحى بِشارِبِ مُرْقدٍ ماغمَّضا

---

(١) هو أول أبيات وتمامه ... * وهان على مأثور القبيح *

وبعده

وجدت الدَّعارية الليالى ... قران النغم بالوتر الفصيح

ومسمعة اذا ما شئت غنت ... متى كان الخيام بذي طلوح

تمتع من شباب ليس يبقى ... وصل بعري الغبوق عرى الصبوح

وخذها من معتقة كميت ... تنزل درة الرجل الشحيح

تخيرها لكسرى رائدوه ... لها حظان من طعم وريح

ألم ترنى أبحت الراح عرضى ... وعض مراشف الظبي المليح

واني عالم أن سوف نناى ... مسافة بين جثماني وروحي

وقال أبو العتاهية لقد جمع بين هذين البيتين يعنى قوله جريت مع الصبا الخ وقوله واني عالم الخ خلاعة ومجونا واحسانا وعظة وكان أبو العتاهية أنشدهما دون غيرهما

لاَ تَطلُبن الرِّزقَ بعدَ شَماسِهِ ... فتَرُومَهُ سَبُعاً إذا ماغِيضَا
ماعُوِّضَ الصبرَ امرُؤٌ إلاَّ رأى ... مافاتَهُ دُونَ الذي قدْ عُوِّضَا
ياأحمدَ بنَ أبي دُؤادٍ دَعوَةً ... ذَلَّتْ بذِكرِكَ لي وكانتْ رَيِّضا
لمَّا انتَضيتُكَ للخُطُوبِ كفيتَها ... والسيفُ لاَ يُرضيكَ حتي يُنتَضى
قدْ كانَ صوَّحَ نبتُ كلِّ قرارَةٍ ... حتي تَرَوَّحَ في نَداكَ فرَوَّضا
أوَرَدتَني العِدَّ الخَسيفَ وقدْ أرَى ... أتبرَّضُ الثَّمَدَ البَكِيَّ تبرُّضا

وأما قصيدة البحترى فأولها

تَرَكَ السَّوادَ للاَبسيهِ وبيَّضا ... وَنَضا مِنَ السِّتينَ عنهُ مانَضا
وسباهُ أغيَدُ في تصرُّفِ لحظِهِ ... مَرَضٌ أعلَّ بهِ القُلُوبَ وأمرَضا
وكأنَّهُ وَجَدَ الصِّبا وَجَديدَهُ ... دَيناً دَنا مِيقاتُهُ أنْ يُقتَضي
سيَّانِ أثرَى مِنْ جَويً وصبابَةٍ ... واسافَ منْ وصلِ الحِسانِ وأنفَضا(١)
كَلِفٌ يُكَفكِفُ عَبرَةً مُهرَاقَةً ... أسَفاً علي عَهدِ الشَّبابِ وماانقَضي
عَددٌ تَكامَلَ لِلشَّبابِ مَجيئُهُ ... وإذامُضِيُّ الشَّيءِ حانَ فقدمَضي

يقول فيها

نَعقَتْ لِلبُخَلاَءِ أذعَرُ جأشَهُمْ ... وَنَذيرهُ مِنْ فاضِلٍ ان يُنتَضي

(١) ـ الجوى ـ الحزن والصبابة والشوق ـ وأساف ـ ذهب غرامه مأخوذ من قولهم أساف الرجل ذهب ماله والاسم السواف بالضم وقال أبو عمرو انه بالفتح ولم يقع ذلك لغيره والصواب الاول لأن فعال بالضم مطرد فيما يدل على الداء كالرعاف والزكام ـ وانفض ـ خلا وهذا من عطف الشيء على مرادفه .. المعنى يستوى ان كثر غرامه وأخلا منه

وكفاكَ من حَنَشِ الصَّرِيمِ تهدُّدًا ... أنْ مَدَّ فضلَ لِسانِهِ أو نَضْنَضْ

وفيها

لاَ تُنكِرَنْ مِن جارِ بيتِكَ إنْ طوَي ... أطْنابَ جانِبِ بيتِهِ أو قوَّضا

فالأرضُ وَاسِعةٌ لِنقْلةِ رَاغِبٍ ... عمَّنْ تنقَّلَ وُدُّهُ وَتنقَّضا

لاَ تبتَهِلْ إغضايَ إما كنتُ قدْ ... أغضيتُ مُشتمِلاً على جمْرِ الغضا

لستُ الذِي إنْ عارَضتهُ مُلِمَّةٌ ... أصغى الى حُكمِ الزَّمانِ وفوَّضا

لاَ يَستفِزُّ بِي الطَّفيفُ ولاَ أُري ... تبعاً لِبارِقِ خُلَّبٍ إنْ أومَضا

أنا منْ أحَبَّ تجارِباً وكأنَّني ... فِيما أُعايِنُ مِنكَ مِمَّنْ أبغضا

أغمَدْتُ سيفَكَ كي يجِمَّ وإنَّما ... غُمِدَ الحُسامُ المَشرَفِي لِيُنتَضِي

وسكتُّ إلاَّ أنْ أعرِّضَ قائِلاً ... نزرًا وَصرَّحَ جهدُهُ مَنْ عرَّضا

٠٠ وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني يوسف بن يحيى بن علي عن أبيه قال من مختار شعر بشار قوله في وصف الزمان

عتبتُ على الزَّمانِ وأيُّ حيٍّ ... مِنَ الأحياء اعتَبَهُ الزَّمانُ

وآمنةٍ مِنَ الحدَثانِ تُزرِي ... عليَّ وَليسَ مِنْ حدَثٍ أمانُ

وَليسَ بِنائِلٍ يَرمِي وَيُرمِي ... مُعانٌ مرَّةً أوْ مستَعانُ

متي تأبَ الكرامةَ من كريمٍ ... فمالكَ عِندَهُ إلاَّ الهوانُ

وله في نحوه

ياخليلَيَّ أصِيبا أوْ ذرَا ... ليسَ كلُّ البرقِ يهْدِي المطَرَا

لاَ تكُونا كامْرِيءٍ صاحِبتُهُ ... يترُكُ العينَ ويبغِي الأثرَا

ذَهَبَ المعرُوفُ إلاَّ ذِكْرَهُ ... رُبَّما أَبْكَي الفتَى ماذَكَرَا
وَبَقِينا في زَمانٍ معضلٍ ... يَشْرَبُ الصفْوَ ويُبقِي الكَدَرَا

قال وله

قد أُدرِكُ الحاجةَ مَمنُوعةً ... وَتُولَعُ النَّفْسُ بما لاَ تُنالْ
وأَلهمُّ ماامسَكْتَهُ في الحَشا ... داءٌ وبَعضُ الدَّاء لاَ يُستَقالْ
فاحتَمِلِ الهمَّ علي عاتِقٍ ... إنْ لمْ تُساعِفكَ العَلَنْدَى الجُلاَلْ

قال يحيى قوله ــ عاتق ــ يعنى الخمر وهذا مثل قوله

لمَّا رَأَيتُ الحَظَّ حَظَّ الجاهلِ ... وَلَمْ أَرَ المَغْبُونَ غيرَ العاقِلِ
رَحَلْتُ عنساً مِنْ شَرَابٍ بابلِ ... فَبِتُّ مِنْ عقلي علي مَرَاحِلِ

[قال الشريف المرتضي] رضي الله عنه هذا الذي ذكره يحتمله البيت على استكراه ويحتمل أيضاً أن يريد بالعاتق العضو ويكون المعنى ان لم تجد من يحمل عنك همومك ويقوم بأثقالك ويخفف عنك فتحمل ذلك أنت بنفسك واصبر عليه فكأنه يأمر نفسه بالتجلد والتصبر على البأس وهذا البيت له نظائر كثيرة فى الشعر ٠٠ وأخبرنا المرزبانى قال حدثنا على بن هارون قال حدثني أبي قال من بارع شعر بشار قوله يصف جارية مغنية قال على وما فى الدنيا شيء لقديم ولا محدث من منثور ولا منظوم في صفة الغناء واستحسانه مثل هذه الابيات

وَرائِحَةٍ لِلعَينِ فِيها مَخِيلَةٌ ... إذَا بَرَقَتْ لم تَسقِ بَطْنَ صعيدِ
مِنَ المُستَهِلاَّتِ الهُمُومِ علي الفتَى ... خَفا بَرقُها في عُصفُرٍ وَعقُودِ
حَسَدْتُ عليها كلَّ شيءٍ يَمَسُّها ... وما كُنتُ لولاَ حبُّها بحَسُودِ
وأصفرَ مِثْلِ الزَّعفَرانِ شَرِبتُهُ ... على صَوتِ صفراءِ التَّرائِبِ رُود
كأَنَّ أَمِيرًا جالِساً في ثِيابِها ... تُؤَمِّلُ رُؤياهُ عيُونُ وُفودِ

مِنَ البِيضِ لم تَسرَحْ على أهلِ ثَلّةٍ … سَوَاماً ولم ترْفعْ حِداجَ قعُودِ
تُميتُ بهِ ألبابَنا وقلوبَنا … مِرَاراً وتُحيِيهِنّ بعدَ همُودِ (١)
إذا نطقَتْ صحْنا وصاحَ لنا الصَّدَى … صِياحَ جنُودٍ وُجِّهتْ لِجنُودِ
ظلِلْنا بذاكَ الدَيْدَنِ اليومَ كلَّهُ … كأنّا مِنَ الفِردَوسِ تحتَ خلُودِ
ولا باسَ إلاّ أنّنا عِندَ أهلِنا … شُهُودٌ وما ألبابُنا بشُهُودِ

قال وأنشدني أبي له في وصف مغنية

لعمرُ أبي زُوّارُها الصِّيدُ إنّهمْ … لفي منظرٍ منها وحُسنِ سَماعِ
تُصلِّي لها آذانُنا وعيونُنا … إذا ما التقينا والقلوبُ دواعي
وصفراءَ مثلِ الخيزُرانةِ لم تعِشْ … ببؤسٍ ولم تركبْ مطيّةَ راعي
إذا قلّدَتْ أطرافُها العودَ زلزلَتْ … قلوباً دعاها للوساوسِ داعي
كأنّهمُ في جنّةٍ قد تلاحقَتْ … محاسنُها من روضةٍ وبِقاعِ
يروحونَ من تغريدِها وحديثِها … نشاوَى وما تسقيهمُ بصُواعِ
لعوبٌ بألبابِ الرجالِ وإنْ دنَتْ … أطيعُ التقَى والغيُّ غيرُ مُطاعِ

قال على بن هارون — الصواع — المكيال يقول اذا غنت شربوا جزافا بلا كيل ولا وزن من حسن مايسمعون ٠٠ [قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه هذا خطأ منه وانما أراد انما غناؤها لفرط حسنه وشدة اطرابه ينسيان شرة الخمر وان لم يكن هناك شرب

(١) قوله — تميت به ألبابنا وقلوبنا — الى آخره ظاهر القاموس ان مضارع مات مثلث وليس كذلك والضم انما هو فى الواوي كقال يقول والكسر انما هو فى اليائي كبيع فى باع وهي لغة مرجوحة آثرها جماعة والفتح انما هو فى المكسور الماضى كعلم يعلم ونظيره من المعتل خاف يخاف خوفا

بصواع وهذا يجرى مجري قول الشاعر

وَيَومٍ ظَلِلْنا عِنـدَ أُمِّ مُحَلِّمٍ نَشاوَي ولم نَشْرَبْ طِلاءً ولاَ خَمْرَا

وما كان عندى أن أحداً يتوهم في معنى هذا البيت ماظننه هذا الرجل .. وأما قوله فى القطعة الاولى

وأصفَرَ مِثلِ الزَّعفَرَانِ شَرِبتُهُ

البيت فيحتمل وجوهاً ثلاثة أولها أن يكون أراد بصفرة ترائبها الكناية عن كثرة تطيبها وتضمخها وان ترائبها صفر لذلك كما قال الاعشى

بَيْضاء ضَحوَتَها وصَفْ رَاء العَشيَّةِ كالعَرَارِ

ـ والعرار ـ بهار البر وانما أراد انها تتضمخ بالعشى بالطيب فيصفرها ومثله لذى الرمة

بَيْضاءُ في دَعَجٍ كحلاَءُ في بَرَجٍ كأنَّها فِضَّةٌ قد مَسَّها ذَهبُ

وقيل فى بيت قيس بن الخطيم

فرَأَيتُ مِثلَ الشَّمسِ عِندَ طُلُوعِها في الحُسْنِ أوْ كدُنُوِّها لِغُرُوبِ

صَفْرَاءَ أعجَلَها الشَّبابُ لِدَاتِها مَوْسُومَةً بالحُسْنِ غيرَ قَطُوبِ

أي انها سبقت أقرانها .. ومثله قول ابن الرقيات

لم تَلْتَفِتْ لِلِدَاتِهـا فمَضَتْ علي غُلَوائِها (١)

(١) ـ البيت من جملة أبيات يقولها في أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان زوج الوليد بن عبد الملك وهي

أصحـوت عن أم البنـــين وذكرها وعنائها

وهجرتها هجـر امرئ لم يقل صفو صـفائها

من خيفة الاعداء أن يوهوا أديم صفائها

قرشية كالشـمس أشـ رق نورهـا ببهائهـا

وجهان ٠٠ أحدهما انه أراد انها تتطيب بالعنبر فتصفر لأن الشمس تغيب صفراء الوجه ٠٠ والآخر أراد المبالغة فى الحسن لأن الشمس أحسن ما تكون في وقتيها هذين ومن ذلك قول قيس بن الخطيم

صَفْرَاءُ أَعْجَلَها الشَّبابُ لِدَاتِها

ومثله للاعشى

إِذَاجُرِّدَتْ يَوْماً حَسِبْتَ خَمِيصَةً عليْها وَجِرْيالَ النَّضِيرِ الدُّلاَمِصا

ـ الخميصة ـ ثوب ناعم لين ناعم شبه به نعومة جسمها ـ والنضير ـ الذهب ـ والجريال ـ كل صبغ أحمر وانما يعنى لون الطيب عليها ـ والدلامص ـ البراق فهذا وجه ٠٠ والوجه الثانى أن يكون أراد بوصفها بالصفرة رقة لونها فعندهم ان المرأة اذا كانت صافية اللون رقيقة ضرب لونها بالعشي الى الصفرة ٠٠ قال على بن مهدى الاصفهانى قال لى أبي قال لي الجاحظ زعموا ان المرأة اذا كانت صافية اللون رقيقة يضرب لونها بالغداة الى البياض وبالعشى الي الصفرة واحتج فى ذلك بقول الراجز

قدْ علِمَتْ بَيْضاءُ صفرَاءُ الاصُلْ

زادت على البيض الحسا ن بحسنها ونقائها

لما أبكرت للشبا ب وقنعت بردائها

لم تلتفت للداتها ومضت على غلوائها

لولا هوي أم البنـ ين وحاجتي للقائها

قد قربت لى بغلة محبوسة لنجائها

ومعنى ـ مضت على غلوائها ـ أى مضت على أول شبابها يقال فعل ذلك في غلواء شبابه أي في أوله ٠٠ قال الاعشى

إلا كنا شرة الذي ضيعتم كالغصن فى غلوائه المتلبت

وقيل العلواء سرعة الشباب وحقيقته من الغلو وهو الارتفاع والتحدد ويقال مضي الرجل على غلوائه اذا ركب أمره وبلغ فيه غايته

وزعم ان بيت ذي الرمة الذي أنشدناه من هذا المعنى وكذلك بيت الاعشى الذي أنشدناه والابيات محتملة للأمرين فأما البيت الذي لايحتمل الا وجهاً واحداً فهو قول الشاعر

وقدْ خَنَقَتْها عَبْرَةٌ فَدُمُوعُها ... على خَدِّها حُمْرٌ وفي نَحْرِها صُفْرُ

فانها لاتكون صفراً في نحرها الا لأجل الطيب .. فأما قوله ــ على خدها حمر ــ فانما أراد انها تصبغ بلون خدها .. والوجه الثلث أن تكون المرأة كانت صفراء على الحقيقة فان بشاراً كثيراً مايشبب بامرأة صفراء كقوله

أصَفْراءُ لاأنسى هَواكِ ولاَ وُدِّي ... ولاَ مامَضى بيني وبَينَكِ مِنْ عَهْدِ

لقَدْ كانَ مابَيْني زَماناً وبَينَها ... كما كانَ بينَ المِسْكِ والعَنْبَرِ الوَرْدِ

أي كما كان بين طيب المسك والعنبر وكقوله

أصفْراءُ كانَ الوُدُّ مِنْكِ مُباحا ... ليالِيَ كانَ الهَجْرُ مِنكِ مِزاحا

وكانَ جَوارِي الحَيِّ إذْ كُنْتِ فيهمُ ... قِباحاً فلَمَّا غِبْتِ صِرْنَ مِلاحا

وقد روي ــ ملاحا فلما غبت صرن قباحا ــ وقوله قباحا فلما غبت يشبه قول السيد بن محمد الحميرى

وإذا حَضَرْنَ مَعَ المِلاحِ بمَجْلِسٍ ... أبْصَرْتَهُنَّ وَما قَبُحْنَ قِباحا

فأما قوله ــ من البيض لم تسرح سواما ــ فانه لايكون مناقضاً لقوله صفراء وان أراد بالصفرة لونها لأن البياض ههنا ليس بعبارة عن اللون وانما هو عبارة عن نقاء العرض وسلامته من الادناس والعرب لاتكاد تستعمل البياض الا في هذا المعنى دون اللون لأن البياض عندهم البرص ويقولون في الابيض الاحمر ومنه قول الشاعر

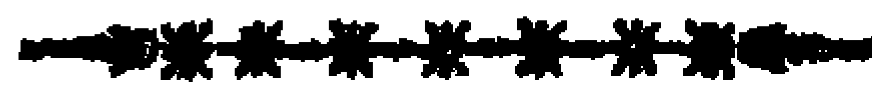
جاءتْ بهِ بَيْضاءُ تَحْمِلُهُ ... مِنْ عبدِ شَمْسٍ صَلْتَةُ الخَدِّ

ومثله بيض الوجوه .. فاما قول بشار في القطعة الثانية ــ وصفراء مثل الخيزرانة ــ فانه يحتمل ماتقدم من الوجوه وان كان اللون الحقيقي خص بقوله كالخيزرانة لأن الخيزران يضرب الى الصفرة ويحتمل أيضاً أن يريد بصفراء غير اللون الثابت ويكون قوله كالخيزرانة

انها مثلها في التثنى والتعطف •• ولقد أحسن جران العود في قوله فى المعنى الذى تقدم

كأنّ سبيكةً صفراء صيغت ... عليها ثمّ ليث بها الإزارُ

برُودُ العارضين كأنّ فاها ... بُعيدَ النوم مِسكٌ مستثارُ



مجلس آخر ٦٢

[تأويل آية] •• ان سأل سائل عن قوله تعالى (الله يستهزئُ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون) •• فقال كيف أضاف الاستهزاء اليه تعالى وهو مما لايجوز فى الحقيقة عليه وكيف خبر بأنه يمدهم فى الطغيان والعمه وذلك بخلاف مذهبكم •• الجواب قلنا فى قوله تعالى (الله يستهزئُ بهم) وجوه •• أولها أن يكون معنى الاستهزاء الذي أضافه تعالى الى نفسه تجهيله لهم وتخطئته اياهم في إقامتهم على الكفر واصرارهم على الضلال وسمى الله تعالى ذلك استهزاء مجازاً واتساعا كما يقول القائل ان فلانا ليستهزأ به منذ اليوم اذا فعل فعلا عابه الناس به وخطؤوه فأقيم عيب الناس على ذلك الفعل وازراؤهم على فاعله مقام الاستهزاء به وانما أقيم مقامه لتقارب مابينهما فى المعنى لأن الاستهزاء الحقيقي هو مايقصد به الي عيب المستهزأ به والازراء عليه واذا تضمنت التخطئة والتجهيل والتبكيت هذا المعنى جاز أن يجرى اسم الاستهزاء عليه ويشهد بذلك قوله تعالى (وقد نزل عليكم فى الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها) ونحن نعلم ان الآيات لايصح عليها الاستهزاء ولا السخرية فى الحقيقة وانما المعنى اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويزرى عليها والعرب قد تقيم الشيءُ مقام مقاربه فى معناه فتجري عليه اسمه •• قال الشاعر

كَمْ من أُناسٍ في نَعِيمٍ عُمِّرُوا ... في ذُرَى مُلْكٍ تَعالى فَبَسَقْ

سَكَتَ الدَّهرُ زماناً عنهمُ ... ثمَّ أبكاهُمْ دَماً حِينَ نَطَقْ

والسكوت والنطق على الحقيقة لايجوز ان على الدهر وانما شبه تركه الحال على ماهي عليه بالسكوت وشبه تغييره لها بالنطق وأنشد الفراء

إنَّ دَهرًا يَلُفُّ شَملي بِجُملٍ ... لَزَمانٌ يَهُمُّ بِالإِحسانِ

ومثل ذلك قوله في الاستعارة لتقارب المعنى

سأَلَتني عَن أُناسٍ هَلَكوا ... شَرِبَ الدَهرُ عَلَيهِم وَأَكَل

وانما أراد بالاكل والشرب الافساد لهم والتغيير لأحوالهم ٠٠ ومثله

يَقَرُّ بِعَينِي أَن أَرى بابَ دارِها ... وإن كانَ بابُ الدارِ يَحسِبُني جَلَدا

٠٠ والجواب الثاني أن يكون معنى الاستهزاء المضاف اليه تعالى أن يستدرجهم ويهلكهم من حيث لايعلمون ولايشعرون ٠٠ ويروى عن ابن عباس أنه قال في معنى استدراجه إياهم أنهم كانوا كلما أحدثوا خطيئة جدد لهم نعمة وانما سمى هذا الفعل استهزاء من حيث غيب تعالى عنهم من الاستدراج الى الهلاك غير ما أظهر لهم من النعم كما ان المستهزئ منا المخادع لغيره يضمر أمراً ويظهر غيره ٠٠ فان قيل على هذا الجواب فالمسئلة قائمة وأي وجه لأن يستدرجهم بالنعمة الى الهلاك ٠٠ قلنا ليس الهلاك ههنا هو الكفر وما أشبهه من المعاصي التي يستحق بها العقاب وانما استدرجهم الى الضرر والعقاب الذي استحقوه بما تقدم من كفرهم ولله تعالى أن يعاقب المستحق بما شاء أي وقت شاء فكأنه تعالى قال كفروا وبدلوا نعمة الله وعاندوا رسله لم يغير نعمه عليهم فى الدنيا بل أبقاها لتكون متى نزعها عنهم وأبدلهم بها نقما تكون الحسرة منهم أعظم والضرر عليهم أكثر ٠٠ فان قيل فهذا يؤدي الى تجويز أن يكون بعض ما ظاهرها ظاهر النعمة على الكفار مما لايستحق الله به الشكر عليهم ٠٠ قلنا ليس يمتنع هذا فيمن استحق العقاب وانما المنكر أن تكون النعم المبتدأة بهذه الصفة على ما يلزم مخالفينا ألا ترى أن الحياة وما جرى مجراها من حفظ التركيب والصحة لايعد على أهل النار نعمة وان كان على أهل الجنة نعمة من حيث كان الغرض فيه ايصال العقاب اليهم ٠٠ والجواب الثالث أن يكون معنى استهزائه تعالى بهم ان جعل لهم بما أظهروا من موافقة أهل الايمان ظاهر أحكامهم من نظره ومناكحه وموارثه وموافقه وغير ذلك من الاحكام وان كان تعالى معداً لهم في الآخرة أليم العقاب لما أبطنوه من النفاق واستهزؤا به من الكفر فكأنه تعالى قال ان كنتم أيها

المنافقون بما تظهرونه للمؤمنين من المتابعة والموافقة وتبطلونه من النفاق وتطلعون عليه شياطينكم اذا خلوتم بهم تظنون انكم مستهزؤن فالله تعالى هو المستهزئ بكم من حيث جعل لكم أحكام المؤمنين ظاهراً حتى ظننتم ان لكم ما لهم ثم ميز تعالى بينكم فى الآخرة ودار الجزاء من حيث أثاب المخلصين الذين يوافق ظواهرهم بواطنهم وعاقب المنافقين وهذا الجواب يقرب معناه من الجواب الثانى وان كان بينهما خلاف من بعض الوجوه .. والجواب الرابع أن يكون معنى ذلك ان الله هو الذي يرد استهزاءكم ومكركم عليكم وان ضرر مافعلتموه لم يتعدكم ولم يحط بسواكم ونظير ذلك قول القائل ان فلانا أراد أن يخدعنى فخدعته وقصد الى أن يمكر بى فمكرت به والمعنى ان ضرر خداعه ومكره عائد اليه ولم يضرني به .. والجواب الخامس أن يكون المعنى أن يجازيهم على استهزائهم فسمى الجزاء على الذنب باسم الذنب والعرب تسمى الجزاء على الفعل باسمه قال الله تعالى (وجزاء سيئة سيئة مثلها) وقال (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه) الآية وقال (وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به) والمبتدأ ليس بعقوبة .. وقال الشاعر

أَلاَ لاَ يَجْهَلَنْ أَحَدٌ عَلَيْنا فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الجاهِلِينا[1]

ومن شأن العرب أن تسمي الشيء باسم مايقاربه ويصاحبه ويشتد اختصاصه به وتعلقه به واذا انكشف المعنى وأمن الابهام وربما غلبوا أيضاً اسم أحد الشيئين على الآخر لقوة التعلق بينهما وشدة الاختصاص فيهم فمثال الاول قولهم للبعير الذى يحمل المزادة راوية وللمزادة المحمولة على البعير رواية فسموا البعير باسم ما يحمل عليه .. قال الشاعر

مَشْيَ الرَّوَايا بِالمَزَادِ الأَثْقَلِ

أراد الروايا الابل ومن ذلك قولهم صرعته الكأس فاستلبت عقله .. قال الشاعر

وَما زَالَتِ الكاسُ تَغْتالُنا وَتَذْهَبُ بِالأَوَّلِ فالأَوَّلِ

والكأس هي ظرف الشراب والفعل الذى أضافوه اليها انما هو مضاف الى الشراب الذي يحل فيها لأن العرب لاتقول الكأس الا بما فيه من الشراب فكان الاناء الفارغ لايسمى

(١) ـ البيت من معلقة عمرو بن كلثوم

كأساً وعلى هذا القول يكون اضافة اختلاس العقل والتصريح وما جري مجرى ذلك الى الكأس على وجه الحقيقة لأن الكأس على هذا القول اسم للاناء وماحل فيه من الشراب ٠٠ ومثال الوجه الثاني الذي ذكرناه عنهم من التغاليب تغليبهم اسم القمر على الشمس قال الشاعر

أخذنا بآفاقِ السَّماء عليكمُ لنا قمراها وَالنُّجومُ الطوالِعُ

أراد لنا شمسها وقمرها فغلب ٠٠ ومنه قول الآخر

فقُولاَ لأَهلِ المَكَّتَينِ تحاشَدُوا وَسيرُوا الى آطام يَثرِبَ والنَّخلِ

أراد ــ بمكتين ــ مكة والمدينة (١) وقال الآخر

فبَصْرَةُ الأَزْدِ مِنَّا والعِرَاقُ لَنا وَالمَوْصِلاَنِ ومِنا مِصْرُ والحَرَمُ

أراد ــ بالموصلين ــ الموصل والجزيرة ٠٠ وقال الآخر

نحنُ سَبَينا أُمَّكُمْ مقرَبا يَومَ صبحَنا الحيرَتَينِ المَنُونْ

أراد ــ الحيرة والكوفة ــ وقال آخر

إذا اجتمعَ العمْرَانِ عمْرُو بنُ عامِرٍ وَبَدرُ بنُ عمْرٍو خلتَ ذُبيانَ جوَّعا (٢)

---

(١) ويقال القريتان لمكة والطائف وفسر به قوله تعالى ﴿ لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ﴾ ويقال أيضاً الحرمان لمكة والمدينة والحيرتان للبصرة والكوفة

(٢) قوله ــ اذا اجتمع العمران ــ الخ هما عمرو بن جابر بن هلال بن عقيل بن سمي ابن مازن بن فزارة وبدر بن عمرو بن جؤية بن لوذان بن ثعلبة بن عدي بن فزارة وهما روقا فزارة ٠٠ والبيتان لقراد بن حنش الصاردى من بني الصارد بن مرة ٠٠ قلت ومن هذا النوع قولهم سيرة العمرين لابى بكر وعمر رضى الله عنهما وقيل هما عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنهما وهذا غلط قال معاذ الهراء لقد قيل سيرة العمرين قبل خلافة عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى قال سيبويه أما قولهم أعطيكم سنة العمرين فانما أدخلوا الالف واللام عليهما وهما نكرة وكأنهما جعلا من أمة كل

وَالقَوْا مَقَالِيدَ الامُورِ إِلَيهِمَا جَمِيعاً وكَانُوا كَارِهِينَ وَطُوَّعا

أراد بالعمرين رجلين يقال لأحدهما عمرو وللآخر بدر وقد فسره الشاعر في البيت ۰۰ ومثله

جَزَانِي الزَّهْدَمانِ جَزَاءَ سُوءٍ وكُنْتُ المَرْءَ يُجْزَى بالكَرَامَة (١)

أراد بالزهدمين رجلين يقال لاحدهما زهدم وللآخر كردم فغلب وكل الذي ذكرناه يقوى هذا الجواب من جواز تسمية الجزاء على الذنب باسمه وتغليبه عليه للمقاربة والاختصاص التام بين الذنب والجزاء عليه ۰۰ والجواب السادس ماروي عن ابن عباس أنه قال يفتح لهم وهم في النار باب من الجنة فيقبلون اليه مسرعين حتى اذا انتهوا اليه سد عليهم فيضحك المؤمنون منهم اذا رأوا الابواب قد أغلقت عليهم ولذلك قال تعالى (فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الارائك ينظرون) ۰۰ فان قيل فأي فائدة في هذا الوجه وما وجه الحكمة فيه ۰۰ قلنا وجه الحكمة فيه ظاهر لأن ذلك أغلظ في نفوسهم وأعظم في مكروههم وهو ضرب من العقاب الذي يستحقونه بافعالهم القبيحة

واحد منهما عمر واختصا كما اختص النجم بهذا الاسم فصار بمنزلة النسرين اذا كنت تعني النجمين وبمنزلة الغريين المشهورين بالكوفة اه

(١) وبعده

وقد دافعت قد علمت معد بني قرظ وعمهما قدامه

ركبت بهم طريق الحق حتى أتيتهم بها مائة ظلامه

والابيات لقيس بن زهير والزهدمان هما زهدم وكردم أبنا حزن العبسيان ۰۰ ومعنى جزائهما لقيس بن زهير انهما يوم شعب جبلة لما انهزم حاجب بن زرارة تبعاه فجعلا يطردانه ويقولان له استأسر فيقول من أنتما فيقولان الزهدمان فيقول لاأستأسر لموليين فاستأسر لمالك ذي الرقيبة فاستغاثا بقيس بن زهير فنازع ذا الرقيبة فحكموا حاجباً فقال أمامن ردني عن قصدي فالزهدمان وأما الذي استأسرت له فمالك فحكموني في نفسي فحكموه فقال أما مالك فله ألف ناقة وللزهدمين مائه ثم وقعت بين قيس والزهدمين مغاضبة فقال الابيات

لان من طمع فى النجاة والخلاص من المكروه واشتد حرصه علي ذلك ثم حيل بينه وبين الفرج ورد الى المكروه يكون عذابه أصعب وأغلظ من عذاب مالاطريق للطمع عليه ٠٠ فان قيل فعلى هذا الجواب ماالفعل الذى هو الاستهزاء ٠ قلنا فى ترداده لهم من باب الى آخر على سبيل التعذيب معنى الاستهزاء من حيث كان اظهاراً لما المراد خلافه وان لم يكن من معنى الاستهزاء مايقتضي قبحه من اللهو واللعب وما جري مجري ذلك ٠٠ والجواب السابع أن يكون ماوقع منه تعالى ليس باستهزاء علي الحقيقة لكنه سماه بذلك ليزدوج اللفظ ويخف على اللسان وللعرب فى ذلك عادة معروفة فى كلامها والشواهد عليه مذكورة ومشهورة وهذه الوجوه التى ذكرناها فى الآية يمكن أن تذكر فى قوله تعالي (ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) وفى قوله (ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم) فليتأمل ذلك ٠٠ وأما قوله تعالى (ويمدهم في طغيانهم يعمهون) فيحتمل وجهين ٠٠ أحدهما أن يريد انى املى لهم فى العمر وأمهلهم ليؤمنوا ويطيعوا وهم مع ذلك مستمسكون بطغيانهم وعمههم ٠٠ والوجه الآخر أن يريد بيمدهم أن يتركهم من فوائده ومنحه التي يؤتيها المؤمنين ثوابالهم ويمنعهامن الكافرين عقابا كشرحه لصدورهم وتنويره لقلوبهم وكل هذا واضح بحمد الله ٠٠ [قال الشريف المرتضي] رضى الله عنه واني لأستحسن لبعض الاعراب قوله

خَلِيلَيَّ هلْ يَشفِي منَ الشَّوْقِ والجَوَى ... يَدٌ وَذُرَى الأَوْطانِ لاَ بلْ يَشوقُها
وَيَزْدَادُ في قُرْبٍ إِلَيْها صَبابَةً ... وَيَبعُدُ من فَرطِ اشْتياقٍ طَرِيقُها
وَماينفعُ الحرَّانَ ذَا اللَّوْحِ أَنْ يرَى ... حِياضَ القِرَي مَمْلُوَّةً لاَ يَذُوقُها

ولآخر في تذكر الأوطان والحنين اليها

أَلاَ قُلْ لِدارٍ بينَ أَكْثبَةِ الحِمَى ... وَذاتِ الغضاجادَتْ عليكِ الهَوَاضِبُ
أَجِدَّكِ لاَ آتيكِ إِلاَّ تقلَّبتْ ... دُمُوعٌ أَضاعتْ ماحفظتْ سَوَاكِبُ
دِيارٌ تَنَاسَمَتْ الهواءَ بِجَوِّها ... وَطاوَعَني فِيها الهوَى والحبائِبُ

لَيالِيَ لاَ الهِجْرانُ مُحْتَكِمٌ بِها ... على وصلِ مَن أهوى ولاَ الظنُّ كاذِبُ

وأنشد أبو نصر صاحب الأصمعي لاعرابي

ألاَ لَيتَ شِعْرِي هل أبيتَنَّ ليلَةً ... باكنافِ نَجْدٍ وَهي خُضرٌ مُتُونُها

وهل اشرَبَنَّ الدهرَ من ماءِ مُزْنَةٍ ... بجَرَّةِ ليلى حيثُ فاضَ مَعينُها

بلادٌ بها كُنَّا نحُلُّ فأصبحتْ ... خَلاءً وَتَرْعاها مع الأُدْمِ عِينُها

تفيأتُ فِيها بالشَّبابِ وبالصِّبيَ ... تَمِيلُ بِما أهْوَى عليَّ غُصُونُها

وأنشد الاصمعي لصدقة بن نافع الغنوى

ألاَ ليتَ شِعْرِي هل تَحِنَّنَّ ناقتي ... بِبَيْضاءِ نَجْدٍ حيثُ كانَ مَسِيرُها

فَتِلْكَ بِلاَدٌ حَبَّبَ اللهُ أهلَها ... إليَّ وإنْ لم يُعْطِ نَصفاً أَمِيرُها

بِلاَدٌ بِها أنصبَتْ رَاحِلَةَ الصِّبَى ... وَلاَنَتْ لَنا أيَّامُها وَشُهُورُها

فقَدْنا بِها الهَمَّ المُكَدِّرَ شُرْبُهُ ... وَدَارَ علينا بالنَّعِيمِ سُرُورُها

وأنشد أبو محلم لسوار بن المضرب

سَقَى اللهُ اليَمامَةَ مِنْ بِلاَدٍ ... نَوافِحُها كأَرْوَاحِ الغَوَانِي

وجوٍّ زَاهِرٍ للرِّيحِ فِيهِ ... نَسِيمٌ لاَ يَرُوعُ التُّرْبَ وَانِي

بِها سقَتِ الشَّبابَ إلى مَشيبٍ ... يُقَبِّحُ عِنْدَنا حُسْنَ الزَّمانِ

وأنشد ابراهيم بن اسحق الموصلى

ألاَ يا حَبَّذَا جَنَّاتُ سَلْمَى ... وَجادَ رِياضَها جَوْنُ السَّحابِ

خَلَعْتُ بِها العِذارَ ونِلْتُ فِيها ... مُنايَ بِطاعَةٍ أوْ بِاغْتِصابِ

أسُومُ بِها طِلَّي طَلَباتِ لَهْوِي ... وَيَعْذُرُنِي بِها عَصْرُ الشَّبابِ

فكل هؤلاء على ماترى قد أفصحوا بأنّ سبب حنينهم الى الأوطان مالبسوه فيها من ثياب الشباب واستظلوه من ظله وأنضوه من رواحله وانه كان يعذرهم ويحسن قبائحهم فعلى أي شيء يغلو الناس في قول ابن الرومي

وَحَبَّبَ أَوطانَ الرِّجالِ إِلَيهِمُ ... مآرِبُ قَضّاها الشَّبابُ هُنالِكا
إِذا ذَكَرُوا أَوطانَهُمْ ذَكَّرَتْهُمُ ... عُهُودَ الصِّبا فِيها فَحَنُّوا لِذالِكا

ويزعمون انه سبق الى مالم يسبق اليه وكشف عن هذا المعنى مستوراً ووسم غُفْلاً وقوله وان كان جيد المعنى سليم اللفظ فلم يزد فيه على من تقدم ولا أبدع بل اتبع ولكن الجيد اذا ورد بمن يعهد منه الرديء كثر استحسانه وزاد استطرافه .. ولقد أحسن البحتري في قوله في هذا المعنى

فَسَقَى الغَضى وَالنّازِلِيهِ وَإِنْ هُمُ ... شَبُّوهُ بَيْنَ جَوانِحٍ وَقُلُوبِ (١)
وَقِصارِ أَيّامٍ بِهِ سُرِقَتْ لَنا ... حَسَناتُها مِنْ كاشِحٍ وَرَقِيبِ
خُضْرٌ تُساقِطُها الصِّبا فَكَأَنَّها ... وَرَقٌ يُساقِطُهُ اهْتِزازُ قَضِيبِ
كانَتْ فُنُونَ بَطالَةٍ فَتَقَطَّعَتْ ... عَنْ هَجْرِ غايَتِهِ وَوَصْلِ مَشِيبِ

وأحسن في قوله

سَقَى اللهُ أَخلافاً مِنَ الدَّهْرِ رَطْبَةً ... سَقَتْنا الجَوَى إِذْ أَبْرَقُ الحَزْنِ أَبْرَقُ
لَيالٍ سَرَقْناها مِنَ الدَّهْرِ بَعْدَ ما ... أَضاءَ بِإِصْباحٍ مِنَ الشَّيْبِ مَفْرِقُ

(١) الغضا شجر معروف واحدته غضاة وأرض غضيانة كثيرته .. وفي البيت استخدام فانه أراد بأحد الضميرين الراجعين الى الغضا وهو المجرور في الساكنيه المكان وهو أرض لبني كلاب وواد بنجد وبالآخر وهو المنصوب في شبوه النار أي أوقدوا في جوانحه نار الغضا يعني نار الهوى التي تشبه نار الغضا وخص الغضا دون غيره لأن جمره بطيء الانطفاء وفي بعض الروايات وضلوعي بدل وقلوب وهي غلط

تداويتُ من ليلى بليلى فما اشتفى ... بماء الرُّبي من بات بالرِّيق يشرقُ

ولأبي تمام في هذا المعني مالايقصر عن احسان وهو

سلامٌ ترجفُ الأحشاءِ منهُ ... على الحسن ابن وهبٍ والعراقِ

على البلدِ الحبيبِ إليَّ غورًا ... ونجدًا والأخِ العذبِ المذاقِ

ليالي نحنُ في وَسناتِ عيشٍ ... كأنَّ الدهرَ عنَّا في وثاقِ

وأيامٍ لهُ ولنا لدانٌ ... عفينا من حواشيها الرِّقاقِ (١)

كأنَّ العهدَ عن عفرٍ لدينا ... وإن كانَ التلاقي عن تلاقِ



مجلس آخر ٦٣

[تأويل آية]٠٠ان سأل سائل عن قوله تعالى (وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو) الآية ٠٠فقال كيف خاطب آدم وحواء عليهما السلام بخطاب الجمع وهما اثنان وكيف نسب بينهما العداوة وأي عداوة كانت بينهما ٠٠ الجواب قلنا قد ذكر في هذه الآية وجوه ٠٠ أولها أن يكون الخطاب متوجهاً الى آدم وحواء وذريتهما لأن الوالدين يدلان على الذرية ويتعلق بهما ويقوى ذلك قوله تعالى حاكياً عن ابراهيم واسمعيل عليهما السلام (ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك)٠٠وثانيها أن يكون الخطاب لآدم وحواء عليهما السلام ولإبليس اللعين وأن يكون الجميع مشتركين في الامر بالهبوط وليس لأحد أن يستبعد هذا الجواب من حيث لم يتقدم لابليس ذكر في قوله تعالى (ياآدم اسكن أنت وزوجك الجنة) لأنه وان لم يخاطب بذلك فقدجري ذكره في قوله تعالى (فازلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه) فجائز أن يعود

(١) وفي نسخة غنينا في حواشيها الرقاق وفي ديوانه عربنا من حواشيها الرقاق

الخطاب على الجميع •• وثالثها أن يكون الخطاب متوجهاً الى آدم وحواء عليهما السلام والحية التي كانت معهما على ماروى عن كثير من المفسرين ففي هذا الوجه بعد من قبل ان خطاب من لا يفهم الخطاب لايحسن فلا بد من أن يكون قبيحاً اللهم الا أن يقال انه لم يكن هناك قول في الحقيقة ولا خطاب وانما كنى تعالى عن إحباطه لهم بالقول كما يقول أحدنا قلت فلقيت الامير وقلت فضربت زيداً وانما يخبر عن الفعل دون القول وهذا خلاف الظاهر وان كان مستعملا وفي هذا الوجه بعد من وجه آخر وهو ان لم يتقدم للحية ذكر في نص القرآن والكناية عن غير مذكور لاتحسن إلا بحيث لايقع لبس ولايسبق وهم الى تعلق الكناية بغير مكنى عنه حتى يكون ذكره كتركه ذكره في البيان عن المعنى المقصود مثل قوله تعالى (حتى توارت بالحجاب •• وكل من عليها فان) ومثل قول الشاعر

أَماوِيُّ مايُغْنِي الثَّراءُ عنِ الفَتى ... إذَاحَشْرَجتْ يَوْماوَضاقَ بِهاالصَّدْرُ(١)

فاما بحيث لا يكون الحال على هذه الكناية عن غير مذكور فقبيحة •• ورابعها أن يكون الخطاب يخص آدم وحواء عليهما السلام وخاطب الاثنين بالجمع على عادة العرب في ذلك

---

(١) ـ قوله ـ اذا حشرجت ـ الخ فاعل حشرجت ضمير يعود على النفس ولم يتقدم ذكرها وذلك جائز لعلم المعنى من السياق ومثله قوله تعالى (كلا اذا بلغت التراقي) فان النفس لم يتقدم لها ذكر ولكن المعنى واضح •• والبيت من قصيدة لحاتم الطائي يخاطب إمرأته ماوية ومطلعها

أماوي قد طال التجنب والهجر ... وقد عذرتني في طلابكم الهجر

أماوي ان المال غاد ورائح ... ويبقى من المال الاحاديث والذكر

ومنها

أماوي إن يصبح صداي بقفرة ... من الارض لاماء لدي ولا خمر

ترى ان ماأنفقت لم يك ضائري ... وان يدي مما بخلت به صفر

أماوي اني رُبَّ واحد أمه ... أخذت فلا قتل عليه ولا أسر

وقد علم الأقوام لو أن حاتماً ... أراد ثراء المال كان له وفر

لأن التثنية أول الجمع قال الله تعالي (اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين) أراد تعالى وكنا لحكم داود وسليمان عليهما السلام وكان بعض أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم يتأول قوله تعالى (فان كان له إخوة) على معني فان كان له أخوان •• قال الراعي

أخُلَيْدُ إنَّ أباكِ ضافَ وِسادَهُ همَّانِ باتا جَنْبَةً وَدَخِيلاَ

أي داخلا في القلب

طَرَقا فَتِلكَ هَمَاهِمي أقرِيهِما قُلُصاً لَوَاقِحَ كالقِسِيِّ وَحُولاَ

فعبر بالهماهم وهي بمعنى الهموم وهما اثنان •• فان قيل فما معني الهبوط الذي أمروا به •• قلنا أكثر المفسرين على أن الهبوط هو النزول من السماء الى الارض وليس في ظاهر القرآن مايوجب ذلك لأن الهبوط كما يكون النزول من علو الي سفل فقد يراد به الحلول في المكان والنزول به قال الله تعالى (اهبطوا مصر فان لكم ماسألتم) ويقول القائل من العرب هبطنا بلد كذا وكذا يريد حللنا •• قال زهير

مازِلتُ أرْمُقُهُمْ حتَّي إذَا هَبَطتْ أيدِي الركاب بِهِمْ مِنْ رَاكِسٍ فَلَقَا

فقد يجوز على هذا أن يريد تعالى بالهبوط الخروج من المكان وحلول غيره ويحتمل أيضاً أن يريد بالهبوط غير معنى المسافة بل الانحطاط من منزلة الي دونها كما يقولون قد هبط عن منزلته ونزل عن مكانه اذا كان على رتبة فانحط الي دونها •• فان قيل فما معنى قوله (بعضكم لبعض عدو) •• قلنا أما عداوة إبليس لآدم وذريته فمعروفة مشهورة وأما عداوة آدم عليه السلام والمؤمنين من ذريته لابليس فهي واجبة لما يجب على المؤمنين من معاداة الكفار أى المارقين عن طاعة الله تعالى المستحقين لمقته وعداوته وعداوة الحية على الوجه الذي تضمن ادخالها في الخطاب لبني آدم معروفة ولذلك يحذرهم منها ويجنبهم فاما على الوجه الذي يتضمن ان الخطاب اختص آدم وحواء دون غيرهما فيجب أن يحمل قوله تعالى (بعضكم لبعض عدو) على أن المراد به الذرية كأنه قال تعالي اهبطوا وقد علمت من حال ذريتكم ان بعضكم يعادي بعضاً وعلق الخطاب بهما

للاختصاص بين الذرية وبين أصلها .. فان قيل أليس ظاهر القرآن إهبطوا يقتضي الأمر بالمعاداة كما انه أمر بالهبوط وهذا يوجب أن يكون تعالى أمر بالقبيح على وجه لأن معاداة ابليس لآدم عليه السلام قبيحة ومعادات الكفار من ذريته للمؤمنين منهم كذلك .. قلنا ليس يقتضي الظاهر ماظننتموه وانما يقتضى انه أمرهم بالهبوط فى حال عداوة بعضهم بعضاً فالأمر مختص بالهبوط والعداوة تجرى مجرى الحال وهذا له نظائر كثيرة فى كلام العرب ويجري مجرى هذه الآية فى أن المراد بها الحال قوله (انما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهو كافرون) وليس معنى ذلك انه أراد كفرهم كما أراد تعذيبهم وازهاق نفوسهم بل أراد أن تزهق أنفسهم فى حال كفرهم وكذلك القول فى الأمر بالهبوط وهذا بين .. [قال الشريف] المرتضى رضي الله عنه ومن مستحسن تمدح السادات الكرام قول الشاعر

وَيلُ اُمِّ قَوْمٍ غَدَوْاعنكُمْ لِطيَّتِهِمْ لاَ يَكْتَنُونَ غَدَاةَ العَلِّ والنَّهلِ
صُدُاُ السَّرَا بِيلِ لاَ تُوكِي مَقا نِبُهُمْ عُجُرُ البُطُونِ وَلاَ تُطوَى علي الفُضُلِ

قوله ـ ويل آم قوم ـ من الزجر المحمود الذي لايقصد به الشر مثل قولهم قاتل الله فلانا ما أشجعه وأبرحه ماأسمحه .. وقد قيل فى قول جميل

رَمى اللهُ في عَيني بُثَينَةَ بالقذَى وفي الغُرِّ من أنيا بها بالقوَادحِ [1]

(١) قوله ـ رمى الله في عيني بثينة بالقذى ـ الخ .. قيل معناه سبحان الله ماأحسن عينيها ومن ذلك قولهم قاتل الله فلانا ما أشجعه ـ وأنياب القوم ـ ساداتهم أي رمي الله الفساد والهلاك في سادات قومها لأنهم حالوا بينها وبين زيارتي واستحسن بعضهم أن يقال أراد بالعينين رقيبيها وبالغر من أنيابها كرام ذويها وعشيرتها والمعنى أفناهم الله وأراهم المنكرات فهو فى الظاهر يشتمها وفي النية يشتم من يتأذى به فيها ويقال هم أنياب الخلافة للمدافعين عنها .. وقيل أراد بلغها الله أقصى غايات العمر حتى تبطل عواملها وحواسها فالدعاء على هذا لها لاعليها .. وقوله ـ بالقذى ـ الباء زائدة والقذي كل ماوقع في العينين من

انه أراد هذا المعنى بعينه وقيل انه دعا لها بالهرم وعلو السن لأن الكبير يكثر قذى عينيه وتهتم أسنانه ٠٠ وقيل انه أراد بعينيها رقيبيها وبغر أنيابها سادات قومها ووجوههم والاول أشبه بطريقة القوم وان كان القول محتملا للكل ٠٠ فاما قوله ـ لا يكتنون غداة العل والنهل ـ فاراد انهم ليسوا برعاة يسقون الابل بل لهم من يخدمهم ويكفيهم ويرعي إبلهم وانما يكتني ويرتجز على الدلو السقاة والرعاة وفيه وجه آخر قيل انهم يسامحون شريبهم ويؤثرونه بالسقي قبل أموالهم ولا يضنون عليه ولا يكتنون وهذا من الكرم والتفضل لامن الضعف ٠٠ وقيل أيضاً بل يعني انهم أعزاء ذوو منعة اذا وردت إبلهم ماء أفرج الناس لها عنه لأنها قد عرفت فليس يحتاج أربابها الى الاكتناء والتعريف وقال قوم في قوله يكتنون انه أراد كنت يده تكنن اذا خشلت من العمل فيقول ليسوا أهل مهنة فتكنن أيديهم فتخشن من العمل بل لهم عبيد يكفونهم ذلك ٠٠ وقوله ـ صدأ

شيء يؤذيها كالتراب والعود ونحوها ٠٠ وقوله ـ وفي الغر ـ الخ معطوف على قوله في عيني وهو جمع أغر وغراء أراد رمي الله في أنيابها الحسان النقية البياض القوادح فالباء زائدة أيضا والانياب جمع ناب وهي السن ـ والقوادح ـ جمع قادح وهو السواد الذي يظهر في الاسنان فالاسنان تتأ كل منه ٠٠ ويدفع في صدر ما تقدم ماروى ان جميلا لقي بثينة بعد تهاجر بينهما طالت مدته فتعاتبا طويلا فقالت له ويحك ياجميل أتزعم انك تهواني وأنت الذي تقول رمي الله في عيني بثينة بالقذى البيت فأطرق طويلا يبكي ثم قال

ألا ليتني أعمى أصم تقودني ... بثينة لايخفى علي كلامها

وروى أيضاً ان كثيراً قال وقفت على جماعة يفيضون في وفي جميل أينا أصدق عشقاً ولم يكونوا يعرفونني ففضلوا جميلا فقلت لهم ظلمتم كثيراً كيف يكون جميل أصدق منه وحين أتاه من بثينة ما يكره قال رمي الله في عيني بثينة بالقذى البيت وكثير حين أتاه من عزة مايكره قال

هنيئاً مريئاً غير داء مخامر ... لعزة من أعراضنا ما استحلت

فما انصرفوا الا على تفضيلي وهذا يدل على أن جميلا دعا عليها حقيقة اهـ

السرابيل — فانما أراد بهم طول حملهم للسلاح ولبسهم له — والمقانب — هي الأوعية التي يكون فيها الزاد فكأنه يقول اذا سافروا لم يشدوا الاوعية على مافيها وأطعموا أهل الرفقة وهذه كناية عن الاطعام وبذل الزاد مليحة — وعجر البطون — من صفات المناقب أراد انها لاتوكي عجر البطون ولا تطوى على فضل الزاد ٠٠ ولبعض شعراء بني أسد وأحسن غاية الاحسان

رَأَتْ صُرْمَةً لِابْنَيْ عُبَيْدٍ تَمَنَّعَتْ ... مِنَ الحَقِّ لَمْ تُوزَلْ بِحَقٍّ إِفالُها

فَقالَتْ أَلاَ تَغْذُو فِصالَكَ هٰكَذا ... فَقُلْتُ أَبَتْ ضِيفانُها وَعِيالُها

فَما حُلِبَتْ إِلاَّ الثَّلاَثَةَ وَالثِّنيْ ... وَلاَ قُيِّلَتْ إِلاَّ قَرِيبًا مَقالُها

حَدَابِيرُ مِنْ كُلِّ العِيالِ كَأَنَّها ... أَناضِيُّ شُقْرٍ حُلَّ عَنْها جِلاَلُها

شكى هذا الشاعر من امرأته وحكى عنها أنها رأت إبلا لجيرانها لم تعط فى حمالة ولم تعقر فى حق ولم تحلب لضيف ولا جار فهي سمان ٠٠ وقوله — لم توزل إفالها — فالإفال الصغار وتوزل من الازل وهو الضيق فى العيش والشدة فيقول فصال هؤلاء سمان لم تلق بؤساً لأن ألبان أمهاتها موفورة عليها ٠٠ وحكى عن امرأته أنها تقول أغذانت فصالك هكذا فقال لها تأبي ذلك الحقوق وعيالها وهم الجيران والضيفان ثم أخبر انه لم يلتفت الى لومها وان الابل ماحلبت بعد مقالتها الا مرتين أو ثلاث ولا قيلت من القائلة الا بقرب البيوت حتى نحرها ووهبها — والحدابير — المهازيل وانما يعنى فصاله وهزالها من أجل انها لاتسقى الالبان وتعقر أمهاتها — وأناضى — جمع نضو فشبه فصاله من هزالها بانضاء خيل شقر ٠٠ وقوله — حدابير من كل العيال — فيه معنى حسن لأنه أراد انها من بين جميع العيال مهازيل وهذا تأكيد لأن سبب هزالها هو الايثار بألبانها واختصت بالهزال من بين كل العيال والعيال ههنا هم الجيران والضيفان وانما جعلهم عيالا لأن كرمه وجوده قد ألزمه مودتهم فصاروا كأخص عياله ٠٠ ومثل ذلك قول الشاعر

تُعَيِّرُنِي الحُظْلاَنَ أُمُّ مُحَلِّمٍ ... فَقُلْتُ لَهَا لم تَقْذِفِينى بِدَائِيا

فإنّي رأيتُ الصامِرِينَ متاعهمْ — يذمّ ويفنى فارضخي من وعائيا[1]

فلمْ تجديني في المَعيشةِ عاجزًا — ولا حصرِماً خباشديدًا وكائيا

ـ الحظلان ـ المسكون البخلاء والحظل الامساك ـ وأم محلم ـ امرأته •• ومعنى قوله تعيرني الحظلان أي بالحظلان تقول مالك لاتكون مثل هؤلاء الذين يحفظون أموالهم ـ والصامرون ـ أيضاً البخلاء فقال لها رأيت البخلاء يضنون بما عندهم وهو يفنى ويبقى الذم فارضخي من وعائي وهذا مثل أي أعطي الناس مما عندي وهو من قولك رضخ له بشيء من عطيته ـ والحصرم ـ المسك تقول العرب حصرم قوسك أي شدد وترها •• وقوله ـ فلم تجديني في المعيشة عاجزاً ـ أي أنا صاحب غارات أفيد وأستفيد وأتلف وأخلف فلا تخافي الفقر •• وقال مسكين الدارمي

أصبحتْ عاذِلَتي معتلّةً — قرِماً أمْ هيَ وَحمى للصخبْ

أصبحتْ تتفلُ في شحمِ الذرَى — وتظنُّ اللّومَ دُرًّا ينتهبْ

لاَ تلُمْها إنّها منْ نسوةٍ — ملحُها موضوعةٌ فوقَ الرُّكَبْ

يقول انها تكثر لومي وكأنها قرمة الى اللوم كقرم الانسان الى اللحم وهي وحمى تشتهي الصخب ـ والوحم ـ شدة شهوة الطعام عند الحمل ـ وشحم الذرى ـ الاسنمة وأراد تتفل فيها أنها تعوذ ابلي لتزينها في عيني ولتعظم قدرها فلا أهب منها ولا أنحر ثم أخبر ان أصلها من الزنج ـ والملح ـ الشحم وشحم الزنج[2] يكون على أوراكهم •• وأكفالهم وأنشد أبو العباس محمد بن يزيد

---

(١) قوله ـ فاني رأيت الصامرين ـ الخ الصامرون الباخلون أراد الصامرين بمتاعهم •• وروي يموت بدل يذم أي يموتون وعدا من اعادة ضمير المفرد على الجمع •• وقال يعقوب الحظلان مشي الغضبان

(٢) قوله ـ وشحم الزنج ـ الخ هذا تفسير الأصمعي •• وقال أبو عمرو الشيباني

أيا ابنةَ عبدِ اللهِ وابنةَ مالكٍ ... ويا ابنةَ ذي البُردَينِ والفرسِ النَّهْدِ (١)

إذا ما صنعتِ الزادَ فالتمسي لهُ ... أكيلاً فإني لستُ آكلُهُ وحدي

قصيًّا كريمًا أو قريبًا فإنني ... أخافُ مذمّاتِ الأحاديثِ من بعدي (٢)

ملحها موضوعة فوق الركب * أي انها بخيلة تضع ملحها فوق ركبتها فهي تأمرني بذلك .. وقال غيرها من اللغويين .. قوله ملحها موضوعة فوق الركب أي انها سريعة الغضب يقال للسريع الغضب ملحه فوق ركبتيه وكذا غضبه على طرف أنفه

(١) — عنى بذي البردين عامر بن أحيمر بن بهدلة وانما لقب ذا البردين لأن وفود العرب اجتمعت عند المنذر بن ماء السماء فاخرج بردي محرق وقال ليقم أعز العرب قبيلة فليلبسهما فقام عامر المذكور فأتزر بأحدهما وتردى بالآخر فقال له النعمان أنت أعز العرب قبيلة قال العز والعدد في معد ثم في نزار ثم في مضر ثم في خندف ثم في تميم ثم في سعد ثم في كعب ثم في عوف ثم في بهدلة فمن أنكر هذا في العرب فلينافرني فسكت الناس فقال النعمان هذه عشيرتك فكيف أنت كما تزعم في نفسك وأهل بيتك فقال أنا أبو عشرة وعم عشرة وخال عشرة وأما أنا في نفسي فهذا شاهدي ثم وضع قدمه في الارض وقال من أزالها عن مكانها فله مائة من الابل .. وقوله — والفرس — النهد ويروي الورد والورد هو بين الكميت والاشقر .. والمراد بابنة عبد الله نفوسة بنت زيد الفوارس الضبي وكان قيس بن عاصم المنقري رضى الله عنه تزوجها فأتته في الليلة الثانية من بنائه بها بطعام فقال أين أكيلي فلم تعلم مايقول حتي قال الابيات فارسلت جارية لها تطلب له أكيلا — الاكيل — المؤاكل كالنديم المنادم والشريب المشارب والجليس المجالس ولا يطلق الا على من تكرر منه ذلك لامن وقع ذلك منه مرة وانما نكره ولم يقل أكيلي لأنه عرف بمؤاكلته عدة فأراد واحداً منهم قاله التبريزي والمرزوقي

(٢) قوله — قصياً كريماً — الخ روى بدلهما .. أخاً طارقا أو جار بيت فاني .. الخ .. وقوله أخا بدل من أكيلا — والمذمة — بالفتح الذم وروى بعد

وإنّي لعبدُ الضيفِ مادامَ نازلاً ... وما في صفاتي غيرَها شيمُ العبدِ

قال أبو العباس استثنى الكرم من القصي البعيد ولم يستثنه من القريب لأن أهله جميعاً عنده كرام وأراد بقوله — عبد الضيف — أن يخدم الضيف هو بنفسه لايرضى له بخدمة عبده .. [قال الشريف المرتضى] رضي الله عنه ويشبه ذلك قول المقنع الكندى

وإنّي لعبدُ الضيفِ مادامَ نازلاً ... وما لِي سِواها خلّةٌ تُشبهُ العبدَا (١)

هذا البيت بيتان وهما

وكيف يسيغ للمرء زاداً وجاره ... خفيف المعا بادي الخصاصة والجهد

وللموت خير من زيارة باخل ... يلاحظ أطراف الاكيل على عمد

.. وقيل ان هذه الابيات لحاتم الطائي والصحيح انها لقيس بن عاصم كما تقدم

[١] — أول القطعة التي منها هذا البيت .

يعاتبنى في الدين قومى وانما ... ديوني في أشياء تكسبهم حمدا

ألم ير قومي كيف أوسر مرة ... وأعسر حتى تبلغ العسرة الجهدا

فما زادنى إلا سناء ورفعة ... ومازادني فضل الغنى منهم بعدا

أسد به ماقد أخلوا وضيعوا ... ثغور حقوق ماأطاقوا لها سدا

وفى جفنة ما يغلق الباب دونها ... مكللة لحما مدفقة ثردا

وفى فرس نهد عتيق جعلته ... حجابا لبيتى ثم أخدمته عبدا

وان الذي بينى وبين بني أبي ... وبين بني عمى لمختلف جدا

أراهم الى نصرى بطاء وإنهم ... دعوني الى نصر أتيتهم شدا

اذا أكلوا لحمى وفرت لحومهم ... وإن يهدموا مجدى بنيت لهم مجدا

وان ضيعوا غيبي حفظت غيوبهم ... وان هم هووا غيبي هويت لهم رشدا

وان زجروا طيراً بنحس تمر بي ... زجرت لهم طيراً تمر بهم سعدا

ولا أحمل الحقد القديم عليهم ... وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا

لهم جل مالى ان تتابع لي غنى ... وان قل مالي لا أكلفهم رفدا

وانما اشترط فى كونه عبداً للضيف فى البيت الاول والثانى ثواءه ونزوله مؤثراً له ليعلم أن الخدمة لم تكن لضعة وصغر قدر بل انما يوجبه الكرم من حق الاضياف وانه يخرج عن أن يكون مخدوما بخروجه من أن يكون ضيفاً ولو قال وانى لعبد الضيف ولم يشترط لم يحصل هذا المعنى الجليل



مجلس آخر ٦٤

[تأويل آية].. إن سأل سائل فقال بم تدفعون من خالفكم فى الاستطاعة وزعم أن المكلف يؤمر بمالايقدر عليه ولا يستطيعه اذا تعلق بقوله تعالى (أنظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا) وان الظاهر من هذه الآية يوجب انهم غير مستطيعين للأمر الذى هم غير فاعلين لهوان القدرة مع الفعلواذا تعلق بقوله تعالى فى قصةموسىعليه السلام (انك لن تستطيعمنى صبراً) وانهنفى كونه قادراً على الصبر فى حال هو فيها غير صابر وهذا يوجب ان القدرة مع الفعل وبقوله تعالى (ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون).. الجواب يقال لهأول مانقوله ان المخالف لنا فى هذا الباب فى الاستطاعة لايصحلهفيه التعلق بالسمعلأن مذهبه لايسلممعه صحة السمعولا يتمكن مع المقام عليهمن معرفة السمع بأدلته وانما قلنا ذلكلأن من جوز تكليف الله تعالى الكافر الايمان وهو لايقدر عليه لايمكنه العلم نفى القبائح عن الله عز وجل واذا لم يمكنه ذلك فلا بد من أن يلزمه تجويز القبائح فى أفعاله تعالى وأخباره ولا يأمن أن يرسل كذابا وأن يخبر هو بالكذب تعالى عن ذلك فالسمع ان كان كلامه قدح فى حجته تجويز الكذب عليه وان كان كلام رسوله عليه السلام قدح فيه مايلزمه من تجويز تصديق الكذاب وانما طرق ذلك تجويز بعض القبائح عليه وليس لهم أن يقولوا ان أمره تعالى الكافر بالايمان وان لم يقدر عليه يحسن من حيث أتي الكافر

وانى لعبد الضيف مادام نازلا   وما شيمة لي غيرها تشبه العبدا

فيه من قبل نفسه لأنه تشاغل بالكفر وترك الايمان وانما كان يبطل تعلقنا بالسمع لو أضفنا ذلك اليه لكان على وجه يقبح وذلك لأنا قالوه اذا لم يؤثر في كون ماذكرناه تكليفاً لمالا يطاق لم يؤثر في نفي ما ألزمناه عنهم ولأنه يلزم على ذلك أن يفعل الكذب وسائر القبائح وتكون حسنة منه بأن يفعلها من وجه لايقبح منه وليس قولهم انا لم نضفه اليه من وجه يقبح بشيء يعتمد بل يجري مجري قول من جوز عليه تعالى الكذب ويكون الكذب منه تعالى حسناً ويدعى مع ذلك صحة معرفة السمع بأن يقول انني لم أضف اليه تعالى قبيحاً فيلزمه في إفساد طريقة السمع فلما كان من ذكرناه لاعذر له في هذا الكلام لم يكن للمخالف في الاستطاعة عذر بمثله .. ونعود الى تأويل الآي أما قوله تعالى (أنظر كيف ضربوا) الآية فليس فيه ذكر للشيء الذي لايقدرون عليه وبيانه وانما كان يصح ماقالوه لو بين تعالى انهم لايستطيعون سبيلا الى أمر معين فاما اذا لم يكن ذلك كذلك فلا متعلق لهم .. فان قيل فقد ذكر تعالى من قبل ضلالهم فيجب أن يكون المراد بقوله (فلايستطيعون سبيلا) الي مفارقة الضلال .. قلنا انه تعالى كما ذكر الضلال فقد ذكر ضرب المثل منهم فيجوز أن يريد انهم لايستطيعون سبيلا الي تحقيق ماضربوه من الامثال اذ ذلك غير مقدور على الحقيقة ولامستطاع والظاهر أن هذا الوجه أولي لأنه عز وجل حكي انهم ضربوا له الامثال وجعل ضلالهم وانهم لايستطيعون السبيل متعلقاً بما تقدم ذكره وظاهر ذلك يوجب رجوع الأمرين جميعاً اليه وانهم ضلوا بضرب المثل وانهم لايستطيعون سبيلا الي تحقيق ماضربوه من المثل على انه تعالي أخبرنا بأنهم ضلوا وظاهر ذلك الاخبار عن ماضي فعلهم فان كان قوله تعالى (فلا يستطيعون سبيلا) يرجع اليه فيجب أن يدل على أنهم لايقدرون على ترك الماضي وهذا مما لانخالف فيه وليس فيه مانأباه من أنهم لايقدرون في المستقبل أو في الحال على مفارقة الضلال والخروج عنه ولعذر تركه بعد مضيه فاذا لم يكن للآية ظاهر فلم صاروا بان يحملوا نفي الاستطاعة على أمر كلفوه باولي منا اذا حملنا ذلك على أمر لم يكلفوه أو على انه أراد الاستثقال والخبر عن عظم المشقة عليهم ولو جرت عادة أهل اللغة بان يقولوا لمن يستثقل شيئاً انه لايستطيعه ولا يقدر عليه ولا يتمكن منه ألاترى

انهم يقولون ان فلاناً لايستطيع أن يكلم فلانا ولا ينظر اليه وما أشبه ذلك وانما غرضهم الاستثقال وشدة الكلفة والمشقة •• فان قيل فاذا كان لاظاهر للآية يشهد بمذهب المخالف فما المراد بها عندكم •• قلنا قد ذكر أبو علي ان المراد انهم لايستطيعون الي بيان تكذيبه سبيلا لأنهم ضربوا الامثال ظناً منهم بأن ذلك يبين كذبه فاخبر تعالى أن ذلك غير مستطاع لأنه تكذيب صادق وابطال حق ممالايتعلق به قدرة ولا يتناوله استطاعة وقد ذكر أبو هاشم ان المراد بالآية انهم لأجل ضلالهم بضرب الأمثال وكفرهم لايستطيعون سبيلا الى الخير الذي هو النجاة من العقاب والوصول الى الثواب •• وليس يمكن على هذا أن يقال كيف لايستطيعون سبيلا الي الخير والهدى وهم عندكم قادرون على الايمان والتوبة ومتى فعلوا ذلك استحقوا الثواب لأن المراد انهم مع التمسك بالضلال والمقام على الكفر لاسبيل لهم الى خير وهدى وانما يكون لهم سبيل الى ذلك بان يفارقوا ماهم عليه •• وقد يمكن أيضاً في معنى الآية ماتقدم ذكره من أن المراد بنفي الاستطاعة عنهم انهم مستثقلون للايمان وقد يخبر عمن استثقل شيئاً بأنه لايستطيعه على ماتقدم ذكره •• فاما قوله تعالى في قصة موسى عليه السلام (انك لن تستطيع معي صبرا) فظاهره يقتضي انك لاتستطيع ذلك في المستقبل ولا يدل على أنه غير مستطيع للصبر فى الحال وأن يفعله في الثاني وقد يجوز أن يخرج في المستقبل من أن يستطيع ماهو فى الحال مستطيع له غير أن الآية تقتضي خلاف ذلك لأنه قد صبر على المسئلة أوقاتا ولم يصبر عنها في جميع الاحوال فلم ينف الاستطاعة للصبر عنه في جميع الاوقات المستقبلة على أن المراد بذلك واضح وانه خبر عن استثقال الصبر عن المسئلة عمالا يعرف ولا يقف عليه لأن مثل ذلك يصعب على النفس ولهذا يجد أحدنا اذا وجد بين يديه ماينكره ويستبعده تنازعه نفسه الى المسئلة عنه والبحث عن حقيقته ويثقل عليه الكف عن الفحص عن أمره فلما حدث من صاحب موسى عليه السلام مايستنكر ظاهره استثقل الصبر عن المسئلة عن ذلك ويشهد بهذا الوجه قوله تعالي (وكيف تصبر على مالم تحط به خبرا) فبين تعالى ان العلة فى قلة صبره ماذكرناه دون غيره ولو كان على ماظنوه لوجب أن يقول وكيف تصبر وأنت غير مطيق للصبر •• فاما قوله

تعالى (ما كانوا يستطيعون السمع) فلا تعلق لهم بظاهره لأن السمع ليس بمعني فيكون مقدوراً لأن الإدراك على المذهب الصحيح ليس بمعني ولو ثبت أنه معنى على مايقوله أبو علي لكان أيضاً غير مقدور للعبد من حيث اختص تعالى بالقدرة عليه هذا ان أريد بالسمع الادراك وان أريد به نفس الحاسة فهي أيضاً غير مقدورة للعباد لأن الجواهر وما تختص به الحواس من البلية والمعاني لايصح بها الادراك فانه مما ينفرد به القديم تعالى في القدرة عليه فالظاهر لاحجة لهم فيه •• فان قالوا فلعل المراد بالسمع كونهم سامعين كأنه تعالى نفى عنهم استطاعة أن يسمعوا ••قلنا هذا خلاف الظاهر ولو ثبت ان المراد ذلك لحملنا نفى الاستطاعة على ماتقدم ذكره من الاستثقال وشدة المشقة كما يقول القائل فلان لايستطيع أن يراني ولا يقدر على أن يكلمني وما أشبه ذلك وهذا بين لمن تأمله

[تأويل خبر] •• ان سأل سائل فقال ماتأويل مارواه بشار عن معاوية بن الحكم قال قلت يارسول الله كانت لي جارية ترعي غنما لي قبل أحد فذهب الذئب بشاة من غنمها وأنا رجل من بني آدم آسف كما يأسفون لكني غضبتُ فصككتها صكة قال فعظم ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم قال قلت يارسول الله أفلا أعتقها قال إئتني بها فأتيته بها فقال عليه الصلاة والسلام أين الله قالت في السماء قال من أنا قالت أنت رسول الله فقال عليه الصلاة والسلام أعتقها فانها مؤمنة •• الجواب أما قوله ـ أنا رجل من بني آدم آسف كما يأسفون ـ فعناه أغضب كما يغضبون •• قال محمد بن الحبيب وأنشد للراعي

فَما لحِقَتْني العِيسُ حتَّى وَجَدْتَنِي أَسِيفا على حادِيهِمُ المُتجرِّدِ

والاسف أيضاً الحزن •• قال ابن الاعرابي الاسف الحزن والغضب قال كعب

في كلِّ يومٍ أرَى فِيهِ منيّتهُ يَكادُ يَسقُطُ منّي مِنةً أَسفا

وقوله ـ ولكني غضبت فصككتها ـ أراد لطمتها يقال صك جبهته اذا لطمها بيده قال الله تعالى (فأقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها) •• وقال بشر بن أبي خازم يصف حمار وحش وأتانا

فَيَصُكُّ مَحْجِرَهُ إذَا ماسافَها وَجَبِينَهُ بِحَوافِرٍ لم تُنْكَبِ

ــ ساقها ــ اذا شمها ٠٠ وقولهاــ في السماء ــ فالسماء هي الارتفاع والعلو فمعنى ذلك أنه تعالى عال في قدرته وعزيز في سلطانه لايبلغ ولا يدرك ويقال سما فلان يسمو سموا اذا ارتفع شأنه وعلا أمره وقال تعالى (أءمنتم من في السماء أن يخسف بكم الارض) الآية فاخبر تعالى بقدرته وسلطانه وعلو شأنه ونفاذ أمره ٠٠ وقد قيل في قوله تعالى (أءمنتم من في السماء)غير هذا وان المراد أءمنتم من في السماء أى أمره وآياته وقدرته ورزقه وما جرى مجرى ذلك ٠٠ وقال أمية بن أبي الصلت شاهداً لما تقدم

وأشهدُ أنَّ اللهَ لاَ شيءَ فوْقَهُ عَلِيًّا وأمْسَي ذِكْرُهُ مُتعالِيا

وقال سليمان بن يزيد العدوى

لكَ الحَمْدُ ياذَا الطَّوْلِ والمُلْكِ والغِنى تَعاليتَ مَحْمُودًا كَرِيمًا وَجازِيا

عَلَوْتَ على قُرْبٍ بِعِزٍّ وَقُدْرَةٍ وكنتَ قَرِيباً في دُنُوِّكَ عالِيا

والسماء أيضاً سقف البيت ومنه قوله تعالى (من كان يظن أن لن ينصره الله) الآية وقال ابن الاعرابي يقال لأعلى البيت سماء البيت وسماواته وسراته وصهوته والسماء أيضاً للمطر قال الله تعالى (وأرسلنا السماء عليهم مدراراً) ومنه الحديث الذى رواه أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم مر على صبرة طعام فادخل عليه الصلاة والسلام يده فيها فنالت أصابعه بللا فقال ماهذا ياصاحب البر قال أصابته السماء يارسول الله قال صلى الله عليه وسلم أولاجعلته فوق الطعام يراه الناس من غش فليس منا ٠٠ وقال مثقب العبدى

فلَمَّا أتانِى وَالسَّماءُ تَبُلُّهُ فقلتُ لهُ أهلاً وَسَهلاً وَمَرْحبا

ويقال أيضاً لظهر الفرس سماء كما يقال لحوافره أرض ٠٠ ولبعضهم في فرس

وأَحْمَرَ كالدِّينارِ أما سَماؤُهُ فَخِصبٌ وأما أرضُهُ فمَحُولُ(١)

وانما أراد انه سمين الاعلى عريان القوائم ممشوقها وكل معاني السماء التى تتصرف وتتنوع

(١) ــ البيت لطفيل الغنوي ٠٠ وقال الراغب كل سماء بالاضافة الى مادونها فسماء وبالاضافة الى مافوقها فارض الا السماء الدنيا فانها سماء بلا أرض

ترجع الى معنى الارتفاع والعلو والسمو وان اختلفت المواضع التي أجريت هذه اللفظة فيها وأولى المعاني بالخبر الذى سئلنا عنه ماتقدم من معنى العزة وعلو الشأن والسلطان وما عدا ذلك من المعاني لايليق به تعالى وان العلو بالمسافة لايجوز على القديم تعالى الذى ليس بجسم ولا جوهر ولا حال فيهما ولأن الخبر والآية التي تضمنت أيضاً ذكر السماء خرجت مخرج المدح ولامدح في العلو بالمسافة وانما التمدح بالعلو فى الشأن والسلطان ونفاذ الامر ولهذا لاتجد أحداً من العرب مدح غيره فى شعر أو نثر بمثل هذه اللفظة وأراد بها علو المسافة بل لايريد الاماذكرناه من معنى العلو فى الشأن وانما يظن في هذه المواضع خلاف هذا من لافطنة عنده ولا بصيرة له



مجلس آخر ٦٥

[تأويل آية] ٠٠ان سأل سائل عن قوله تعالى (حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور) الآية ٠٠ الجواب قلنا اما التنور فقد ذكر في معناه وجوه ٠٠ أولها أنه تعالى أراد بالتنور وجه الارض وان الماء نبع وظهر على وجه الارض وفار هذا قول عكرمة وقال بن عباس رضي الله عنهما مثله والعرب تسمي وجه الارض تنوراً ٠٠ وثانيها أن يكون المراد ان الماء نبع من أعالي الارض وفار من الاماكن المرتفعة منها وهذا قول قتادة روي عنه في قوله تعالى (وفار التنور) قال ذكر لنا أنه أرفع الارض وأشرفها ٠٠ وثالثها أن يكون المراد بفار التنور أى برز النور وظهر الضوء وتكاثف حرارة دخول النهار وتقضى الليل وهذا القول يروى عن أمير المؤمنين علي رضى الله عنه ٠٠ ورابعها أن يكون المراد بالتنور الذى يختبز فيه على الحقيقة وانه تنور كان لآدم عليه السلام أبي البشر وقال قوم ان التنور كان فى دار نوح عليه السلام بعين وردة من أرض الشام ٠٠وقال آخرون بل كان التنور فى ناحية الكوفة والذي روي عنه ان التنور هو تنور الخبز الحقيقي ابن عباس والحسن ومجاهد وغيرهم ٠٠ وخامسها أن يكون معنى ذلك اشتد غضب الله تعالى عليهم وحل وقوع نقمته بهم وذكر تعالى التنور مثلا لحضور

العذاب كما تقول العرب قد فارت قدر القوم اذا اشتد الحرب وعظم الخطب والوطيس هو التنور وتقول العرب أيضاً قد حمي الوطيس اذا اشتد بالقوم حربهم ٠٠ قال الشاعر

تَفُورُ علينا قِدرُهُمْ فَنُدِيمُها ... وَنَفثَؤُها عنّا إِذاحَمْيُها غلا(١)

أراد بقدرهم — حربهم ومعنى — نديمها — نسكنها ومن ذلك الحديث المروى عنه عليه الصلاة والسلام انه نهى عن البول فى الماء الدائم يعنى الساكن ويقال قد دوّم الطائر فى الهوى اذا بسط جناحيه وسكنهما ولم يخفق بهما — ونفثؤها — معناه نسكنها يقال فثأت غضبه عنى وفثأت الحار بالبارد اذا كسرته به ٠٠ وسادسها أن يكون التنور الباب الذى يجتمع فيه ماء السفينة فجعل فوران الماء منه والسفينة على الارض علماً على ما أنذر به من اهلاك قومه وهذا القول يروي عن الحسن وأولى الأقوال بالصواب قول من حمل الكلام على التنور الحقيقى لانه الحقيقة وما سواه مجاز ولأن الروايات الظاهرة تشهدله وأضعفها وأبعدها من شهادة الاثر قول من حمل ذلك على شدة الغضب واحتداد الأمر تمثيلا وتشبيهاً لأن حمل الكلام على الحقيقة التى تعضدها الرواية أولى من حمله على المجاز والتوسع مع فقد الرواية وأى المعانى أريد بالتنور فان الله تعالى جعل فوران الماء علماً لنبيه عليه السلام وانه يدل على نزول العذاب بقومه لينجو بنفسه والمؤمنين ٠٠ فاما قوله تعالى (من كل زوجين اثنين) فقد قيل ان المراد به إحمل من كل ذكر وأنثي اثنين وانه يقال لكل واحد من الذكر والانثي زوج ٠٠ وقال آخرون الزوجان ههنا الضربان وقال آخرون الزوج اللون وان كل ضرب يسمى زوجا واستشهدوا ببيت الاعشي

فِي كلِّ زَوْجٍ منَ الدِّيباجِ يَلْبَسُهُ ... أبو قُدامةَ مَحبُورًا بِذاكَ مَعا

ومعنى (من سبق عليه القول) أي من أخبر الله تعالى بعذابه وحلول الهلاك به والله أعلم بمراده

[تأويل خبر] ٠٠ إن سأل سائل عن الخبر الذي يرويه شريك عن عمار الذهبي عن أبي صالح الحنفى عن أمير المؤمنين على رضى الله عنه قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) البيت للنابغة الجعدي أبي ليلى رضى الله عنه وبعده

بطعن كتشهاق الجحاش شهيقه ... وضرب له ما كان من ساعد خلا

فى المنام وأنا أشكو اليه ما لقيت من الاود واللدد٠٠ الجواب فقال له أما ـ الاود ـ فهو الميل تقول العرب لأقيمن ميلك وحنفك وأودك وذراك وضلعك وصعرك وصدغك وظلعك بالظاء وصعوك وصدعك كل هذا المعنى واحد ٠٠ وقال ثعلب الاود اذا كان من الانسان فى كلامه ورأيه فهو عِوج واذا كان فى الشئ المنتصب مثل عصا وما أشبهها فهو عَوج وهذا قول الناس كلهم الا أبا عمرو الشيبانى فانه قال العوج بالكسر الاسم والعوج بالفتح المصدر وقال ثعلب كأنه مصدر عوج يعوج عوجا ويقال عصاً معوجة وعود معوج وليس في كلامهم معوج٠٠ وأما ـ اللدد ـ فقيل هو الخصومات وقال ثعلب يقال رجل ألدّ وقومٌ لدٌّ اذا كانوا شديدي الخصومة ومنه قول الله تعالي (وهو ألد الخصام) ٠٠ وقال الاموى اللدَد الاعوجاج والالد في الخصومة الذي ليس بمستقيم أي هو أعوج الخصومة يميل فلا يقوي عليه ولا يتمكن منه ومن ذلك قولهم لد الصبي وانما يلد فى شق فيه وليس يلد مستقيما فهو يرجع الى معنى الميل والاعوجاج وقال فسر لنا الحكم بن ظهير فقال ألدّ الخصام أى اعوج الخصام٠٠ وأنشد أبو السمح لابن مقبل

لقد طالَ عن دَهْماءَ لَدِّي وَعُذْرَتِي ... وَكِتمانُها أُكْنِي بأُمِّ فلانِ

جعَلْتُ لِجُهَّالِ الرّجالِ مَخاضةً ... ولوْ شِئْتُ قدْ بَيَّنْتُها بِلسانِي

ـ اللدد ـ الجدال والخصومة٠٠ وقال أبو عمرو الألد الذى لا يقبل الحق ويطلب الظلم وقوله ـ مخاضة ـ يقول انهم يخوضون في شعري ويطلبون معانيه ولا يقفون عليها ٠٠ وأنشد أبو السمح

لاَ تَفْتَرِ الكَذِبَ القَبِيحَ فإنَّهُ ... لِلمَرْءِ مَعْتَبَةٌ وَبابُ مَلاَمِ

واصدُقْ بقَوْلِكَ حينَ تَنطِقُ إنَّهُ ... لِلصِّدْقِ فَضْلٌ فوْقَ كلِّ كَلاَمِ

وإذَا صدَقْتَ على الرِّجالِ خَصمتَهمْ ... والصِّدْقُ مَقْطعَةٌ على الظُّلاَّمِ

وإذَا رَماكَ غَشُومُ قَوْمٍ فازْمِهِ ... باللدِّ مُشْتغِرِ المدى غَشَّامِ

لاَ تَعرِضَنَّ على العَدُوِّ وَسِيلَةً | واحذَرْ عَدُوَّكَ عِندَ كلِّ مَقامِ
واعلَم بأَنْ قد لَيسَ يَوْماً نافِعاً | عِندَ اللَّئِيمِ وسائِلُ الأَرحامِ
مالَم يَخَفْكَ وَيَلقَ عِندَكَ جانِباً | خَشِناً وتُصبِحُهُ بِكأْسِ سِمامِ
وإذا حَلَلتَ بِمأْزِقٍ فاكرِمْ بِهِ | حتَّى تُفرِّجَ حَلبَةَ الظُّلاَّمِ
فاصبِرْ على كُرَبِ البلاءِ فإِنَّهُ | لَيسَ البَلاءُ على الفتى بِلِزامِ
واعلَم بأَنَّكَ مَيِّتٌ وَمُحَدَّثٌ | عمَّا فعلتَ مَعاشِرُ الأَقوامِ

معنى قوله ـ مشتغر المدى ـ أي بعيد المدى ** ومعنى قوله ـ لا تعرضن على العدو وسيلة ـ أي لا تقاربه ولا تصالحه ولا يكن بينك وبينه الا صدق العداوة ** وأنشد أيضاً شاهداً لما تقدم

ياوَهبُ أشبهِ باطِلِي وجِدِّي | أشبَهتَ أخلاَقِي فأشبهْ مَجْدِي
وَجَدَ لِي عِندَ الخُصُومِ اللُّدِّ

** [قال الشريف المرتضي] رضي الله عنه ومن أحسن ماوصف به الثغر قول فضالة ابن وكيع البكرى

تَبَسَّمُ عن حُمِّ اللِّثاتِ كأنَّها | حَصى بَرَدٍ أو أُقحُوانُ كَثِيبِ
إذا رَتَعَت عن مَرقَدٍ عُلِّمَتْ بِهِ | مِنَ اليانِعِ القَوْرِيِّ فرعَ قَضِيبِ
قَضِيبٍ نَجاهُ الرَّكبُ أيامَ عَرَّفُوا | لَها من ذُرَى مالِ النَّباتِ خَضِيبِ

يعني من يانع الاراك ** ومعنى ـ نجاه أي قطعه ومثله استنجاه أيضاً ومـا لنبات ـ أي ناعمه وحسنه يقال عشب مال وماد سواء أي مياد ناعم ** ومعنى ـ أيام عرفوا ـ أي اجتنوه من عرفات وذكر انه خضيب بالطيب الذى بيديها لادمانها لاستعماله ** وقال الاخطل يصف ثغراً

شَتِيتاً يَرْتَوِي الظمآنُ مِنْهُ ... إذا الجوزاء اجحبت الضبابا[1]

ـ الشتيت ـ هو المتفرق المفلج الذي ليس بمتراكب .. ومعنى قوله ـ إذا الجوزاء أجحبت الضبابا ـ فيه وجهان .. أحدهما انه أراد سقوط الجوزاء وذلك فى شدة البرد وطول الليل اذا انجحرت الضباب من البرد وتغيرت الافواه لطول ليل الشتاء يقول فثغرها حينئذ عذب غير متغير .. والوجه الثانى انه أراد عند طلوع الجوزاء فى شدة الحر اذا انجحرت الضباب من شدة الحر والقيظ فالظمآن حينئذ أشد عطشاً وأحر غلة فريقها يرويه ويبرد غلته .. وقال آخر

فَوَيْلٌ بِهَا لِمَنْ تَكُونُ ضَجِيعَهُ ... إذا ما الثُّرَيَّا ذَبْذَبَتْ كُلَّ كَوْكَبِ

قوله ـ فويل بها ـ من الزجر المحمود مثل قولهم ويل أمه ما أشجعه فكأنه يقول نعم الضجيع هي عند السحر اذا تحادرت النجوم للمغيب كما قال ذو الرمة

(١) ـ وفي رواية شليباً بدل شايباً والروايتان متقاربتا المعنى فان الشليب كثير الشاب وهو ماء ورقة وبرد وعذوبة في الاسنان وقيل حد فيها أو هو نقط بيض فيها أوحدة الانياب كالغرب تراها كالمنشار .. والشتيت المفلج والبيت من قصيدة يمدح بها عبد الله بن سعيد بن العاص ومطلعها

ألم تعرض فتسأل آل لهو ... وأروى والمدلة والربابا
بأيام خوال صالحات ... ولذات تذكرني الشبابا
نزلت بهن فاستذكيت ناراً ... قليلا ثم أسرعن الذهابا
وكن إذا يدون بقبلى صيف ... ضربن بجانب الجفر القبابا
نواعم لم يغفن بجاء دقل ... ولم يقذفن عن حفض غرابا

ـ الجد ـ البئر ـ ودقل ـ أرض ـ والحفض ـ البعير يحمل متاع القوم اذا انتقلوا .. وقوله لم يقذفن عن حفض غرابا أي لم يعالجن أنفسهن بكأنه وصفهن بالخفر والستر ومنها

ونفس المرء ترصدها المنايا ... وتحدر صولة حتي يصابا
اذا مرت به ألقت عليه ... أحد سلاحها ظفراً ونابا

وأيدِي الثُّريّا جُنَّحٌ في المَغارِبِ

وقال الآخر

نِعمَ شعارُ الفتى إذا بَرَدَ اللَّيــــلُ سُحَيْرًا وقَفقَفَ الصُّرَدُ (١)

وانما يعنى انها في ذلك الوقت الذي تتغير فيه الافواه طيبة الريق عذبته .. وأنشد أبو العباس ثعلب لأم الهيثم

وَعارِضٍ كَجانِبِ العِرَاقِ أنبَتَ بَرّاقا مِنَ البَرّاقِ
يذَاقُ مِثلَ العَسَلِ المُذَاقِ

قال أبو العباس في هذا قولان .. أحدهما انها وصفت ثغراً ـ وعارضاه ـ جانباه ـ والعراق ـ ما يثنى ثم يخرز كعراق القربة فاخبرت انه ليس فيه اعوجاج ولا تراكب ولا نقص .. وقولها ـ أنبت براقا من البراق ـ أى ما تنبته الارض اذا مطرت من النَّوْر .. قال المبرد والقول الاول عندنا أصح لذكرها العسل .. وأنشد أحمد بن يحيي لتأبط شراً

وشِعبٍ كشَكِّ الثَّوبِ شَكْسٍ طَرِيقُهُ مَجامِعُ ضُوجَيْـهِ نِطافٌ مَخاصِرُ
تَعَسَّفْتُهُ باللَّيـلِ لم يَهدِنِي لهُ دَلِيلٌ ولم يُحسِن لهُ النَّعتَ خابِرُ (٢)

قال يعنى ـ بالشعب ـ فم جارية ـ كشك الثوب ـ يعنى كف الثوب اذا خاطه الخياط ـ والشكس ـ الضيق يصفها بصغر الفم وحسنه ورقة الشفتين ـ وضوجاه ـ جانباه وضوج الوادي جانبه ـ والمخاصر ـ الباردة من الخصر ويعنى ـ بالنطاف ـ الريق .. وقوله ـ لم يهدني له دليل ـ أى لم يصل اليه غيري كما قال جرير

ألا رُبَّ يومٍ قد شَرِبتُ بمَشرَبٍ شَفا الغَيمَ لم يَشرَبْ بهِ أحَدٌ قَبلي

(١) ـ وبعده .. زينها الله فى الفؤاد كما زُين في عين والد ولد

(٢) وفسر ابن سيدة هذين البيتين بما نصه .. قال فانه عنى بالشعب هنا الفم وجعله كشك الثوب لاصطفاف نبته وتناسق بعضه فى اثر بعض كالخياطة فى الثوب وجعل جانبي الفم ضوجين

ـ الفم ـ والغين العطش وانما يعني بريق جارية •• قال أبو العباس وقال آخرون بل يعني شعباً من الشعاب مخنوقاً ضيقاً سلكه وحده قال أبو العباس انما كني بالشعب عن فم جارية ثم أخذ في وصف الشعب ليكون الامر أشد التباساً •• [قال الشريف المرتضى] رضي الله عنه والاشبه أراد أن يكون شعباً حقيقياً لأن تأبط شراً لصاً وصاًفاً للاهوال التي يمضي بها ويعانيها في تلصصه وكان كثيراً مايصف تدليه من الجبال وتخلصه من المضايق وقطعه للمفاوز وأشباه ذلك والقطعة التي فيها البيتان كأنها تشهد بأن الوصف لشعب لا لفم جارية لأنه يقول بعد قوله كشك الثوب

لَدُنْ مَطْلَعِ الشِّعْرَى قَلِيلٍ أَنِيسُهُ ... كَأَنَّ الطَّخَا في جَانِبَيْهِ مَعَاجِرُ

بِهِ مِنْ نَجَاءِ الدَّلْوِ بِيضٌ أَقَرَّهَا ... جُبَارٌ لِصُمِّ الصَّخْرِ فِيهِ قَرَاقِرُ

وَقَرَّزْنَ حَتَّى كُنَّ لِلْمَاءِ مُنْتَهى ... وَغَادَرَهُنَّ السَّيْلُ فِيمَا يُغَادِرُ

بِهِ نُطُفٌ زُرْقٌ قَلِيلٌ تُرَابُهَا ... جَلَا الْمَاءُ عَنْ أَرْجَائِهَا فَهْوَ حَائِرُ

•• وهذه الاوصاف كلها لاتليق الا بالشعب دون غيره وتأول ذلك على الفم تأول بعيد وقد أحسن كثير في قوله يصف ثغراً

وَيَوْمَ الْخَيْلِ قَدْ سَفَرَتْ وَكَفَّتْ ... رِدَاءَ الْعَصْبِ عَنْ رَتِلٍ بُرَادِ

وَعَنْ نَجْلَاءَ تَدْمَعُ في بَيَاضٍ ... إِذَا دَمَعَتْ وَتَنْظُرُ في سَوَادِ

وَعَنْ مُتَكَاوِسٍ في الْعَقْصِ جَثْلٍ ... أَثِيثِ النَّبْتِ ذِي غُدُرٍ جِعَادِ (١)

(١) ـ العصب ـ ضرب من البرود اليمنية ـ والرتل ـ بالفتح حسن التنضيد مستو النبات وقيل مفلج وربما قالوا رجل رتل الاسنان مثل تعب اذا كان مفاجها ـ وبراد ـ كغراب بارد •• وقوله ـ عن متكاوس ـ المتكاوس هنا شعر رأسها أي كثيف مأخوذ من تكاوس النبت وهو التفافه وسقوط بعضه على بعض ـ وجثل ـ كثير ملتف أيضاً •• والبيت من

وقال أبو تمام في هذا المعنى

وَعلى العِيسِ خُرَّدٌ يتبسمـــن عنِ الأَشنبِ الشتيتِ البُرَادِ

قصيدة مشهورة له يتغزل بهـا في غاضرة جارية أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان ثم رثى فيها صاحبه خنـدق الاسدي وخندق هذا هو الذي أدخل كثيراً في مـذهب الخشبية وأول القصيدة

شجا أظعان غاضرة الغوادي ... بغير مثيبة غرضاً فؤادى
أغاضر لو شـهدت غداة بنتم ... حنو المرضعات على وسادى
أويت لعاشق لم تشكـيه ... نوافذه تلذع بالزناد *

ويوم الخيل .. الابيات الثلاثة

وغاضرة الغداة وان نأتنـا ... وأصبح دونها قطر البـلاد
أحب ظعينة وبنات نفسى ... اليها لو بللن بهـا صوادى
ومن دون الذى أملت وداً ... ولو طالبتهـا خرط القتـاد
وقال الناصحون تحل منهـا ... ببذل قبـل شيمتها الجماد
وقد وعدتك لو أقبلت وداً ... فلج بك التـدلل في تعادى
فأسررت الندامة يوم نادي ... برد جمـال غاضرة المنادى
تمادى البعد دونهم فامست ... دموع العـين لج بها التمادي
لقـد منع الرقاد فبت ليلى ... تجافيني الهـموم عن الوساد
عداني أن أزورك غير بغض ... مقامك إبين مصفحة شداد
واني قائـل ان لم أزره ... سقت ديم السواري والغوادى
محل أخي بني أسـد قنونا ... فـا والى الى برك الغـماد
مقيم بالمجـازة من قنونا ... وأهلك بالاجيفر والثمـاد
فلا تبعد فكل فتى سيأتي ... عليه الموت يطرق أو يغادى
وكل ذخـيرة لابد يوما ... ولو بقيت تصـير الي نفـاد
فلو فوديت من حدث المنايا ... وقيتك بالطريف وبالتـلاد

كأنَّ شوكَ السيالِ حُسْناً فأضحى   دُونَهُ لِلفِرَاقِ شَوْكُ القَتادِ (١)

وقال البحتري

(١) ــ البيتان من قصيدة يمدح بها أبا عبد الله أحمد بن أبي دؤاد ومطلعها

سعدت غربة النوى بسعاد   فهي طوع الاتهام والانجاد

* فارقتنا فللمدامع أنوا   ءسوارٍ على الخدود غوادى

كل يوم يسفحن دمعاً طريفاً   يمترى مزنه بشوق تلاد

واقع بالخدود والحر منه   واقع بالقلوب والاكباد

وعلى العيس البيتين .. وخمسة أبيات تقدمت ثم قال

ياأبا عبد الله أوريت زنداً   في يدى كان دائم الاصلاد

أنت جبت الظلام عن سنن الآمال اذ ضل كل هاد وحادى

فكأن المغذ فيها مقيم   وكأن السارى عليهن غادى

وضياء الآمال أفسح فى الطرف وفي القلب من ضياء البلاد

ومنها   بعد ما أصلت الوشاة سيوفا   قطعت فىَّ وهي غير حداد

من أحاديث حين دوخنها بالـرأي كانت ضعيفة الاسناد

فنفى عنك زخرف القول سمع   لم يكن فرصة لغير السداد

ضرب الحلم والوقار عليه   دون عور الكلام بالاسداد

وحوان أبت عليها المعالى   ان تسمى مطية الاحقاد

ولعمرى ان لو أصخت لاقدمـت بحتفى صيلية الحساد *

حمل العبء كاهل لك أمسى   لخطوب الزمان بالمرصاد

عاتق معتق من الهون الا   من مقاساة مغرم أو نجاد

للعمالات والحمائل فيه   كلحوب للموارد الاعداد

ملَّيْنَكَ الاحساب أى حياة   وحيا أزمة وحيّة وادى *

لو تراخت يداك عنها فواقا   أكلتها الايام أكل الجراد

وارتنا خداً يُراحُ لهُ الورْ دُ ويَشتمهُ جنيُ التفاحِ
وَشَنيباً يَغُضُّ مِنْ لؤلوءِ النظـم ويُزرِي على شتيتِ الأقاحي
فأضاءتْ تحتَ الدُّجُنَّةِ للشرْ بِ وكادتْ تُضِيءُ لِلمِصْباحِ (١)

أنت ناضلت دونها بعطايا عائدات على العفاة بوادى
* فاذا هلهل النوال أتتنا ذات نيرين مطبقات الايادى
كل شئ غث اذا عاد والمعروف غث ما كان غير معاد
كادت المكرمات تنهد لولا انها أيدت بحي إياد *
عندهم فرجة اللهيف وتصديق ظنون الرواد والوراد
باحاظي الجدود لا بل بوشك الجد لا بل بسؤدد الاجداد
وكأن الاعناق يوم الوغى أو لى باسيافهم من الاغماد
فاذا ضلت السيوف غداة الرو ع كانت هواديا للهوادى
قد بذلتم غرس المودة والشحناء في قلب كل قار وبادى
أبغضوا عزكم وودوا نداكم فقراكم من بغضة ووداد
لاعدمتم غريب مجد ربقتم فى عراه نوافر الاضداد

(١) والابيات من قصيدة يقولها فى أبي مسلم البصري ومطلعها
حين مايقول فيك اللاحى بعد اطفاء غلتي والتياحى
كنت أشكو شكوى المصرخ فالآن ألاقي النوي بدمع صراح
هل الى ذى تجنب من سبيل أم على ذي صبابة من جناح
فسقى جانب المناظر فالقصر هزيم المجلجل السحاح
حين جاءت فوت الرياح فقلنا أى شمس تجيء فوت الرياح
هز منا شرخ الشباب فجالت فوق خصر كثير جول الوشاح
وأرتنا خداً يراح له الور دويشتمه جنى التفاح *
وشتيتاً يغض من لؤلؤ النظم ويزرى على شتيت الاقاحى

وقال أيضاً

سَفَرَتْ كما سَفَرَ الرَّبيعُ الطَّلْقُ عن ... وَرْدٍ يُرَقْرِقُهُ الضُّحى مَصْقُولِ
وَتَبَسَّمَتْ عن لُؤلوءٍ في رَصْفِهِ ... بَرَدٌ يَرُدُّ حُشاشَةَ المَتْبُولِ

وقد جمع كما وصف به الثغر فى قوله

كأنما تبسم عن لؤلؤ ... منضد أو برد أواقاح

فأضاءت تحت الدجنة للشر ... ب وكادت تضيء للمصباح
وأشارت على الغناء بالحا ... ظ مراض من التصابي صحاح
فطربنا لهن قبل المثاني ... وسكرنا منهن قبل الراح
قد تدير الجفون من عدم الا ... لباب مالا يدور فى الاقداح
يا أبا مسلم تلفت الي الشر ... ق وأشرف للبارق اللماح
مستطيراً يقوم فى جانب الليـ ... ـل على عرضه مقام الصباح
ومنيفاً يريك منبج لصاً ... وهي خضراء من جميع النواحي
ورياضاً بين العبيدى فالقصـ ... ـر فاعلى سمعان فالمستراح
عرصات قد أبرحت حرق الشـ ... ـوق اليهن أيما ابراح
فاذا شئت فارفع العيس يختـ ... ـن بحر الوجيف تحت القداح
لتعين السحاب ثم على إسقـ ... ـاء أرض غرب الفرات براح
لاتم السقيا بساحة قوم ... لم يبيتوا في نائل وسماح
ولعمري لئن دعيتك للجو ... د لقدماً لبيتنى بالنجاح
خلق كالغمام ليس له بر ... ق سوي بشر وجهك الوضاح
ارتياحا للطالبين وبذ ... لا للمعالي للباذل المرتاح
أى جديك لم يفت وهو ثان ... من مساعيه السن المداح
وكلا جانبيك سبط الخوافى ... حين تسمو أنبت ريش الجناح
شرف بين مسلم مسلم الجو ... د وعبد العزيز والصباح

مجلس آخر ٦٦

[تأويل آية] .. ان سأل سائل عن قوله تعالى (قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله) الى آخر الآية .. فقال ما أنكرتم أن تكون هذه الآية دالة على أنه جعل الكافر كافراً لأنه أخبر بانه جعل منهم من عبد الطاغوت كما جعل القردة والخنازير وليس يجعله كافراً الا بأن يخلق كفره .. الجواب يقال له قبل أن يتكلم في تأويل الآية بما تحتمله من المعاني كيف يجوز أن يخبرنا تعالى بانه يجعلهم كفاراً وخلق كفرهم والكلام خرج مخرج الذم لهم والتوبيخ على كفرهم والمبالغة في الازراء عليهم وأي مدخل لكونه خالقاً لكفرهم في باب ذمهم وأى نسبة بينه وبينهم وبين ذلك بل لاشئ أبلغ في عذرهم وبراءتهم من أن يكون خالقاً لما ذمهم من أجله وهذا يقتضى أن يكون الكلام متناقضاً مستحيل المعنى ونحن نعلم ان أحداً اذا أراد ذم غيره وتوبيخه وتهجينه بمثل هذا الضرب من الكلام انما يقول ألا أخبركم بشر الناس وأحقهم بالذم واللوم من فعل كذا وصنع كذا وكان على كذا وكذا فيعدد من الاحوال والافعال قبائحها ولا يجوز أن يدخل فى جملتها ماليس بقبيح ولا ماهو من فعل الذام أو من جهته حتى يقول في جملة ذلك ومن شاغل بالصنعة الفلانية التى أسلمها اليه وحمله عليها وان عقلا يقبل هذه الشبهة لعقل ضعيف سخيف .. فان قيل أليس قد ذمهم فى الكلام بان جعل منهم القردة والخنازير ولا صنع لهم فى ذلك فكذلك يجوز أن يذمهم ويجعلهم عابدين للطاغوت وان كان من فعله .. قلنا انما جعلهم قردة وخنازير عقوبة لهم على أفعالهم وباستحقاقهم فجرى ذلك مجري أفعالهم كما ذمهم بان لعنهم وغضب عليهم من حيث استحقوا ذلك منه تعالى بافعالهم وعبادتهم للطاغوت فان كان هو خلقها فلا وجه لذمهم بها لأن ذلك مما لايستحقونه بفعل متقدم كاللعن والمسخ .. ثم نعود الى تأويل الآية فنقول لاظاهر للآية يقتضي ماظنوه وأكثر ماتضمنته الاخبار بانه جعل وخلق من يعبد الطاغوت كما جعل منهم القردة والخنازير ولا شبهة فى أنه تعالي هو خالق الكافر وانه لاخالق له سواه غير ان ذلك لايوجب انه خالق كفره وجعله كافراً وليس لهم أن يقولوا كما نستفيد من قوله

تعالى جعل منهم القردة والخنازير انه جعل مابه كانوا كذلك هكذا نستفيد من قوله جعل منهم من عبد الطاغوت انه خلق مابه كان عابداً للطاغوت وذلك انما استفدنا ماذكروه من الأول لأن الدليل قد دل علي أنما به يكون القرد قرداً والخنزير خنزيراً لايكون الا من فعله تعالى وليس مابه يكون الكافر كافراً مقصوراً علي فعله تعالى بل قد دل الدليل على أنه يتعالي عن فعل ذلك وخلقه فافترق الامران •• وفي الآية وجه آخر وهو أن لايكون قوله تعالى وعبد الطاغوت معطوفا على القردة والخنازير بل معطوفا على من لعنه الله ومن غضب عليه وتقدير الكلام من لعنه الله ومن غضب عليه ومن عبد الطاغوت ومن جعل الله منهم القردة والخنازير وهذا هو الواجب لان عبد فعل والفعل لايعطف على الاسم فلو عطفنا على القردة والخنازير لكنا قد عطفنا فعلا على اسم فالاولى عطفه علي ماتقدم من الافعال •• وقال قوم يجوز أن يعطف عبد الطاغوت على الهاء والميم فى منهم فكأنه تعالى جعل منهم ومن عبد الطاغوت القردة والخنازير وقد يحذف من فى الكلام قال الشاعر

أَمَنْ يَهجو رَسُولَ اللهِ مِنْكُمْ ... وَيَمْدَحهُ وَيَنْصُرُهُ سوَاءُ (١)

أراد ومن يمدحه وينصره •• فان قيل فهبوا هذا التأويل ساغ فى قراءة من قرأ بالفتح أين أنتم عن قراءة من قرأ وعبد بفتح العين وضم الباء وكسر التاء من الطاغوت ومن قرأ عبد الطاغوت بضم العين والباء ومن قرأ وعبد الطاغوت بضم العين والتشديد

---

(١) قوله — فمن يهجو رسول الله منكم — الخ قيل ان فيه ثلاثة عشر مرفوعاً • فمنها قوله فمن يهجو فيها ثلاث مرفوعات المبتدأ والفعل المضارع والضمير المستكن •• ومنها المبتدأ المقدر فى قوله ويمدحه والمعنى ومن يمدحه فيكون هنا على حسب المثال الاول ثلاث مرفوعات أيضاً •• ومنها المرفوعان فى قوله وينصره أحدهما الفعل المضارع والثانى الضمير المستكن فيه ومنها المرفوعات الاربعة فى قوله سواء اثنان من حيث انه فى مقام الخبرين للمبتدأين واثنان آخران من حيث ان فى كل واحد ضميراً راجعاً الى المبتد والباقي المبتدأ المحذوف المعطوف على قوله من فى الاول في قوله فمن يهجو أى ومن يمدحه ومن ينصره

ومن قرأ وعباد الطاغوت •• قلنا المختار من هذه القراءة عند أهل العربية كلهم القراءة بالفتح وعليها جميع القراء السبعة الا حمزة فانه قرأ عبد بفتح العين وضم الباء وباقي القراآت شاذة غير مأخوذ بها ••قال أبو اسحاق الزجاج فى كتابه فى معاني القرآن عبد الطاغوت نسق على من لعنه الله قال وقد قرئت عبد الطاغوت والذي اختاره وعبدَ الطاغوت •• وروي عن ابن مسعود رحمه الله وعبدوا الطاغوت فهذا يقوي وعبد الطاغوت قال ومن قرأ وعبدُ الطاغوت بضم الباء وخفض الطاغوت فانه عند بعض أهل العربية ليس بالوجه من جهتين أحدهما ان عبد على وزن فعل وليس هذا من أمثلة الجمع لأنهم فسروه بخدم الطاغوت والثاني أن يكون محمولا على وجعل منهم عبد الطاغوت ثم خرّج الى من قرأ عبد وجهاً فقال ان الاسم بني على فعل كما يقال رجل حذر أى مبالغ في الحذر فتأويل عبد انه بلغ الغاية فى طاعة الشيطان وهذا كلام الزجاج •• وقال أبو على الحسن بن عبد الغفار الفارسى محتجاً لقراءة حمزة ليس عبد لفظ جمع ألا ترى انه ليس فى أبنية الجموع شئ على هذا البناء ولكنه واحد يراد به الكثرة ألا ترى ان فى الاسماء المفردة المضافة الى المعارف مالفظه لفظ الافراد ومعناه الجمع كقوله تعالى (وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها) وكذلك قوله وعبد الطاغوت جاء على فعل فان هذا البناء يراد به الكثرة والمبالغة وذلك نحو يقظ وندس فهذا كله تقديره انه قد ذهب في عبادة الشيطان والتذلل له كل مذهب قال وجاء على هذا لأن عبد فى الاصل صفة وان كان قد استعمل استعمال الاسماء واستعمالهم اياه استعمالها لايزيل عنه كونه صفة ألا ترى ان الابرق والابطح وان كانا قد استعملا استعمال الاسماء حتى كسر أهل النحو عندهم من التكسير فى قولهم فى أبارق وأباطح فلم يزل عنه حكم الصفة يدلك على ذلك تركهم صرفه كتركهم صرف أحمر ولم يجعلوا ذلك كافكل وأيدع فكذلك عبد فان كان قد استعمل استعمال الاسماء فلم يخرجه ذلك عن أن يكون صفة واذا لم يخرج عن أن يكون صفة لم يمتنع أن يبنى بناء الصفات على فعل وهذا كلام مفيد في الاحتجاج لحمزة فاذا صحت قراءة حمزة وعادلت قراءة الباقين المختارة وصح أيضاً سائر ماروي من القراآت التي حكاها السائل كان الوجه الاول الذى ذكرناه فى الآية يزيل الشبهة فيها •• ويمكن

في الآية وجه آخر على جميع القراآت المختلفة في عبد الطاغوت وهو أن يكون المراد أن يجعل منهم عبد الطاغوت أي نسبه اليهم وشهد عليه بكونه من جملتهم ويجعل في مواضع قد تكون بمعنى الخلق والفعل كقوله (وجعل الظلمات والنور) وكقوله تعالى (وجعل لكم من الجبال أكناناً) وهي ههنا تتعدى الى مفعول واحد وقد تكون أيضاً بمعنى التسمية والشهادة كقوله تعالى (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا) وكقول القائل جعلت البصرة بغداد وجعلتني كافراً وجعلت حسني قبيحاً وما أشبه ذلك فهي ههنا تتعدى الى مفعولين وللجعل مواضع أخر لاحاجة بنا الى ذكرها فكأنه تعالى نسب عبد الطاغوت اليهم وشهد انهم من جملتهم •• فان قيل لو كانت جعل ههنا على ماذكرتم لوجب أن يكون متعدية الى مفعولين لانها اذا لم تتعد الا الى مفعول واحد فلا معنى لها الا الخلق •• قلنا هذا غلط من متوهمه لأن جعل ههنا متعدية الى مفعولين وقوله تعالى منهم يقوم مقام المفعول الثاني عند جميع أهل العربية لأن كل جملة تقع في موضع خبر المبتدا فهي تحسن ان تقع في موضع المفعول الثاني كجعلت وظننت وما أشبههما •• وقال الشاعر

أَبا لأَرَاجِيزِ يابْنَ اللُّؤْمِ تُوعِدُني وفي الأَرَاجِيزِ خِلْتُ اللُّؤْمُ والخَوَرُ(١)

(١) ـ الاراجيز ـ جمع أرجوزة بمعنى الرجز وهو اسم بحر من بحور الشعر ولكن أراد بها القصائد المرجزة الجارية على هذا البحر •• وقوله ـ توعدني ـ من الايعاد لامن الوعد ـ واللؤم ـ بضم اللام وسكون الهمزة وهو أن يجتمع في الانسان الشح ومهانة النفس ودناءة الآباء فهو من أذم مايهجى به وقد بالغ بجعل المهجو ابناً له اشارة الى أن ذلك غريزة فيه •• وأما اللوم بفتح اللام وسكون الواو فهو العذل يقال لامه على كذا لوماو لومة فهو ملوم •• وقوله ـ الخور ـ بفتح الخاء المعجمة وفتح الواو أيضاً وفي آخره راء وهو الضعف يقال رجل خوار ورمح خوار وأرض خوّارة يقول انك راجز لاتحسن القصائد والتصرف في أنواع الشعر فجعل ذلك دلالة على لؤم طبعه وضعفه •• فقوله ابا الاراجيز الهمزة للتوبيخ والانكار والباء تتعلق بقوله توعدني وقوله يابن اللؤم منادى مضاف

وقد فسر هذا على وجهين أحدهما على الغاء خلت من حيث توسطت الكلام فيكون في الاراجيز على هذا في موضع رفع بانه خبر المبتدا • والوجه الثاني[1] على إعمال خلت منصوب معترض بينهما وقوله اللؤم مرفوع بالابتداء والخور عطف عليه وخبره قوله في الاراجيز وقوله خلت بينهم اعتراض ولو نصبهما على المفعولية لجاز وكان الظرف حينئذ في محل النصب مفعولا ثانياً وخلت بمعنى علمت •• والبيت للعين المنقري واسمه منازل بن زمعة من بني منقر بن عبيد بن الحارث بن تميم يهجو به رؤبة بن العجاج كذا قال بعضهم •• وقال النحاس يهجو العجاج وقال أبو الحجاج وبيت اللعين من كلة رويها لام وقبله

انى أنا ابن جلا ان كنت تعرفني يارؤب والحية الصماء في الجبل

مافي الدواوين في رجلي من عقل عند الرهان ولا أكوى من العقل

أبا لاراجيز يابن اللؤم توعدني وفي الاراجيز خلت اللؤم والفشل

هكذا رواه الجاحظ في كتاب الحيوان على أن الاقواء في البيت الثالث وأنشد الابيات الثلاثة في كتاب الوحشي وليس فيها إقواء لأنه روي فيها وفي الاراجيز رأس القول والفشل

(١) قوله والوجه الثاني على أعمال خلت فيكون في الاراجيز في موضع نصب الخ لم نر هذا التوجيه لغيره ونص سيبويه في كتابه ومن قال عبد الله ضربته نصب فقال عبد الله أظنه ذاهباً وتقول أظن عمراً منطلقا وبكراً أظنه خارجا كما قلت ضربت زيداً وعمراً كلمته وان شئت رفعت على الرفع في هذا فان ألغيت قلت عبد الله أظن ذاهب وهذا إخال أخوك وفيها أرى أبوك وكلما أردت الالغاء فالتأخير أقوى وكل عربي جيد قال الشاعر وهو اللعين * أبا لاراجيز يابن اللؤم الخ * أنشده يونس مرفوعا وانما كان التأخير أقوي لأنه انما يجيء بالشك بعد مايمضي كلامه على اليقين أو بعد مايبتدئ وهو يريد اليقين ثم يدركه الشك •• وقال في التوضيح فصل لهذه الأفعال ثلاثة أحكام أحدها الإعمال وهو الاصل وهو واقع في الجميع والثاني الالغاء وهو ابطال العمل لفظاً ومحلا لضعف العامل بتوسطه أو تأخره كزيد ظننت قائم وزيد قائم ظننت •• قال منازل بن ربيعة •• أبا لاراجيز الخ •• قال يس قوله خلت اللؤم والخور قال المصنف في الحواشي قال

فيكون فى الاراجيز فى موضع نصب من حيث وقع موقع المفعول الثانى وهذا بين لمن تدبره ... [قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه .. أنشد ثعلب ابن الاعرابى

أماوأبي للصبرُ في كلِّ موطنٍ ... أقرُّ لعيني من غِنى رَهنِ ذِلّتي

ويروى - من غنىً رهن ذلتى

وإنى لأختارُ الظَّما في مواطنٍ ... على باردٍ عَذبٍ وأعيا بغُلّتى

وأستُرُ ذَنبَ الدّهرِ حتّى كأنّهُ ... صديقٌ ولا أعتابُهُ عندَ زلّتى

ولستُ كمن كانَ ابنَ أُمّي مقتِرًا ... فلما أفادَ المالَ عادَ ابنَ عِلّةِ

فدابرتُهُ حتّى انقضى الودُّ بيننا ... ولم أتمطّقْ من نَداهُ ببِلّةِ

وكُنتُ لهُ عندَ الملمّاتِ عُدّةً ... أسُدُّ بمالي عندَهُ كلَّ خَلّةِ

[قال الشريف المرتضى] رضي الله عنه الاولى فى هذه القطعة اطلاقها - الخلة - الحاجة والخلة أيضاً الخصلة والخلة بالضم المودة والخلة أيضاً بالضم من كان خلواً من المرعي والخلة بالكسر مايخرج من الاسنان بالخلال والخليل الحبيب من المودة والمحبة والخليل أيضاً الفقير وكلا الوجهين قد ذكر في قوله تعالى (واتخذ الله ابراهيم خليلا) ومنه حديث ابن مسعود تعلموا القرآن فانه لايدري أحدكم متى يختل اليه .. قال أبو العباس ثعلب يكون من شيئين أحدهما من الخلة التى هي الحاجة أي متى يحتاج اليه ويكون من الخلة وهي الثبات والخلود ويكون معناه متى تشتهى ماعنده يشبهه بالابل لانها ترعي الخلة فاذا ملتها عدلوا بها الى الحمض فاذا ملت الحمض اشتهت الخلة ومن أمثالهم جاؤا مخلين فلاقوا حمضاً أى جاؤا مشتهين لقتالنا فلاقوا ما كرهوا والخلة أيضاً بنت المخاض والذكر الخل ويقال جسم خل اذا كان مهزولا .. قال الشاعر

أبو الفتح فيما نقل عنه عبد المنعم الوجه الرفع لأن الواو ليست للعطف لاختلاف الجملتين طلباً وخبراً والعطف نظير التثنية وواو الحال تطلب الابتداء فالظرف خبر واللوم مبتدا ولا يمنع النصب على أن يقدر مبتدأ

فأسقنيها ياسوادَ ابنَ عمرٍو　　إنَّ جسمي بعدَ خالي لخلٌّ (١)

(١) — فاسقنيها — الخ البيت من قصيدة مشهورة من مختار أشعار القبائل لأبي تمام قيل إنها للشنفري يرثي خاله تأبط شراً وذلك غلط لأن تأبط شراً ليس خالاله ولأن الشنفري مات قبله وقيل انها لابن أخت تأبط شراً يرثيه وقيل انها من أوضاع خلف الاحمر وأولها

ان بالشعب الذى دون سلع　　لقتيلا دمه ما يطل *

* قذف العبء على وولي　　أنا بالعبء له مستقل *

ووراء الثار منه ابن أخت　　مصعٌ عقدته ماتحل *

مطرق يرشح سماً كما　　أطرق أفعي ينفث السم صل

خبر ماتابنا مصمئل　　جل حتي دق فيه الأجل

بزني الدهر وكان غشوما　　بأبيٍّ جاره مايذل *

شامس في القر حتى اذا ما　　ذكت الشعرى فبرد وظل

يابس الجنبين من غير بؤس　　وندى الكفين شهم مدل

ظاعن بالحزم حتى اذا ما　　حل حل الحزم حيث يحل

غيث مزن غامر حيث يجدي　　واذا يسطو فليث أبل

مسبل في الحي أحوى رفلٌ　　واذا يغزو فسمعٌ أزل

وله طعمان أريٌ وشري　　وكلا الطعمين قد زاق كل

يركب الهول وحيداً ولا يصحبه الا اليماني الأفل

وفتوٍّ هجّروا ثم أسروا　　ليلهم حتى اذا أنجاب حلوا

كل ماض قد تردي بماض　　كسنا البرق اذا ما يسلُّ

فادّركنا الثأر منهم ولما　　ينج ملحيين الا الاقل

فاحتسوا أنفاس نوم فلما　　هوموا رعتهم فاشمعلوا

فلئن فلت هذيل شباه　　لبما كان هذيلا يفل

ويقال فصيل مخلول اذا شد لسانه حتى لايرضع ويقال خللته فهو خليل ومخلول ومثله أجررته .. قال الشاعر

فلوْ أنَّ قوْمِي أنطقتني رِماحهُمْ نَطقتُ ولـكِنَّ الرِّماحَ أجرَّتِ(١)

ويما أبركها في مناخ جعجع ينقب فيه الاظل

ويما صبحها في ذراها منه بعد القتل نهب وشل

صليت مني هذيل بخرق لايمل الشر حتى يملوا

ينهل الصعدة حتي اذاما نهلت كان لها منه عل

حلت الخمر وكانت حراما وبلأيٍ ماألمت تحل *

فاسقنيها ياسواد بن عمرو ان جسمي بعد خالي لخل

تضحك الضبع لقتلى هذيل وتري الذئب لها يستهل

وعتاق الطير تغدو بطاناً تتخطاهم فما تستقل *

(١) قوله ــ فلو أن قومي ــ الخ يقول لوصبروا وطعنوا برماحهم أعداءهم لأمكنني مدحهم ولكن فرارهم صيرني كالمشقوق اللسان لاني ان مدحتهم بما لم يفعلوا كذبت وورد على يقال أجررت الفصيل اذا شققت لسانه لئلا يرضع أمه .. قال أبو القاسم الزجاجي في أماليه الوسطي أخبرنا ابن شقير قال حضرت المبرد وقد سأله رجل عن معنى قول الشاعر ــ فلو أن قومي أنطقتني رماحهم ــ البيت فقال هذا كقول الآخر

وقافية قيلت فلم أستطع لها دفاعا اذا لم تضربوا بالمناصل

فادفع عن حق بحق ولم يكن ليدفع عنكم قالة الحق باطل

قال أبو القاسم معنى هذا ان الفصيل إذا لهج بالرضاع جعلوا فى أنفه خلالة محدودة فاذا جاء يرضع أمه نخسته تلك الخلالة فمنعته من الرضاع فان كف والا أجروه والاجرار أن يشق لسان الفصيل أو يقطع طرفه فيمتنع حينئذ من الرضاع ضرورة فقال قائل البيت الاول ان قومي لم يقاتلوا فانا مُجَرٌّ عن مدحهم كما يجر الفصيل عن الرضاع ففسره أبو العباس بالبيتين اللذين مضيا وللاجرار موضع آخر وهو أن يطعن الفارس الفارس

أى لم يعملوا فى الحرب شيئاً فكنت أفتخر بهم وقوله

أَقَرُّ لِعيني مِنْ غِنًي رَهْنَ ذِلَّتي

يقول اختار الصيانة مع الفقر أحبّ اليّ من الغنى مع الذل ومثله

إِذَا كَانَ بابُ الذُّلِّ مِنْ جانبِ الغنا ... سَمَوْتُ إِلي العَلْياءِ مِنْ جانبِ الفقرِ

صَبَرْتُ وكانَ الصبْرُ مِنّي سَجِيَّةً ... وَحَسبُكَ أَنَّ اللهَ أَثنيٰ على الصبْرِ

•• وقوله ـ واستر ذنب الدهر حتى كأنه صديق ـ أراد اني لاأشكو مايمسني به الدهر

فيمكن الرمح فيه ثم يتركه منهزما يجر الرمح فذلك قاتل لامحالة ومنه قول الشاعر

وآخر منهم أجررت رمحى ... وفي البجلى معبلة وقيع

وقوله ولتى بأفضل مالنا أحسابنا ... ونجر فى الهيجا الرماح وندعى

قوله ـ وندعى ـ أى ننتسب في الحرب كما ينتسب الشجاع فى الحرب فيقول أنا فلان بن فلان •• والبيت من أبيات لعمرو بن معدى كرب الزبيدى رضي الله عنه وأولها

ولما رأيت الخيل زوراً كأنها ... جداول زرع أرسلت فاسبطرت

فجاشت الى النفس أول مرة ... فردت على مكروهها فاستقرت

علام تقول الرمح يثقل عاتقى ... اذا أنا لم أطعن اذا الخيل كرت

لحا الله جرما كلما ذر شارق ... وجوه كلاب هارشت فازبأرت

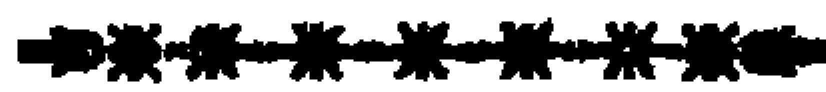
فلم تغن جرم نهدها اذ تلاقيا ... ولكن جرما فى اللقاء ابذعرت

ظللت كأني للرماح دريئة ... أقاتل عن أبناء جرم وفرت

فلو أن قومي أنطقتنى رماحهم ... نطقت ولكن الرماح أجرت

وسبب هذه الابيات ان جرما ونهداً وهما قبيلتان من قضاعة كانتا من بني الحارث بن كعب فقتلت جرم رجلا من أشراف بني الحارث فارتحلت عنهم وتحولت فى بني زبيد فخرجت بنو الحارث يطلبون بدم أخيهم فالتقوا فعبى عمرو جرما لنهد وتعبى هو وقومه لبني الحارث ففرت جرم واعتلت بانها كرهت دماء نهد فهزمت يومئذ بنو زبيد فقال عمرو هذه الابيات يلومها ثم غزاهم بعد فانتصف منهم

من خصاصة بل أستر ذلك وأظهر التجمل حتى لاأسوء الصديق وأسر العدو" وهذا المعنى أراد بقوله ــ ولا أغتابه عند زلتى ــ وقوله ــ فلما أفاد المال عاد ابن علة ــ والعرب تقول هم بنو أعيان اذا كان أبوهم واحداً وأمهم واحدة فاذا كان أبوهم واحداً وأمهاتهم شتى قيل أولاد علات ومنه الحديث المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الانبياء أولاد علات أي أمهاتهم شتى وأبوهم واحد وكنى الشاعر بذلك عن التباعد والتقاطع والتقالى لأن الاكثر من بني العلات ماذكرناه •• وقوله ــ ودابرته ــ أى قاطعته •• وقوله ــ ولم أتمطق من نداه ببلة ــ فالتمطق يكون بالشفتين والتلمظ يكون باللسان وكنى بذلك عن انه لم يصب من خيره شيئاً فصان نفسه عنه



مجلس آخر ٦٧

[تأويل آية] •• ان سأل سائل عن قوله تعالى (الذى جعل لكم الارض فراشاً) الى قوله (فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون) •• فقال ما الذى أثبت لهم العلم به وكيف يطابق وصفهم بالعلم ههنا لوصفهم بالجهل فى قوله تعالى (قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون) •• الجواب قلنا هذه الآية معناها متعلق بما قبلها لأنه تعالى أمرهم بعبادته والاعتراف بنعمته ثم عدد عليهم صنوف النعم التي ليست الا من جهته ليستدلوا بذلك على وجوب عبادته وان العبادة انما تجب لأجل النعم المخصوصة فقال جل من قائل (ياأيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم) الي آخر الآية ونبه فى آخرها على وجوب توحيده والاخلاص له وان لايشرك به شيئاً بقوله تعالي (فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون) ومعنى قوله تعالى (جعل لكم الارض فراشاً) أي يمكن أن تستقروا عليها وتفرشوها وتتصرفوا فيها وذلك لايمكن الا بأن تكون مبسوطة ساكنة دائمة السكون وقد استدل أبو على بذلك وبقوله تعالى (وجعل لكم الارض بساطا) على بطلان ماتقوله المنجمون من أن الارض كرية الشكل وهذا القدر لايدرك لانه يكفى فى النعمة علينا أن يكون فيها بسائط ومواضع مسطوحة يمكن التصرف عليها وليس يجب أن يكون

جميعها كذلك ومعلوم ضرورة ان جميع الارض ليس مسطوحا مبسوطا وان كان مواضع التصرف منها بهذه الصفة والمنجمون لايدفعون أن يكون في الارض بسائط وسطوح يتصرف عليها ويستقر فيها وانما يذهبون الي أن يجعلها شكل الكرة وليس له أن يقول قوله تعالي (وجعل لكم الارض فراشاً) يقتضي الاشارة الى جميع الارض وجلتها لاالي مواضع منها لأن ذلك تدفعه الضرورة من حيث أنا نعلم بالمشاهدة ان فيها ماليس بساط ولا فراش ولا شبهة في أن جعله تعالى السماء على ماهى عليه من الصفة مما له تعلق بنا فعنا ومصالحنا وكذلك انزاله تعالي منها الماء الذى هو المطر الذي تظهر به الثمرات فننتفع بنيلها والاغتذاء بها .. فاماقوله تعالي (فلاتجعلوا لله أنداداً) فان الند هو المثل[1] والعدل .. قال حسان بن ثابت

أَتَهْجُوهُ وَلَسْتَ لَهُ بِنِدٍّ فَشَرُّكُمَا لِخَيْرِكُمَا الفِدَاءُ[2]

---

(١) قوله ـ فان الند هو المثل والعدل ـ قلت يكون الند الضد أيضاً وفسر الناس قول الله عز وجل (فلاتجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون) علي جهتين .. قال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس معناه فلا تجعلوا لله أعدالا فالاعدال جمع عدل والعدل المثل وقال أبو العباس عن الاثرم عن أبي عبيدة (فلا تجعلوا لله أنداداً) أضدادا ويقال فلان ندي ونديدي ونديدتي فالثلاث اللغات بمعنى واحد وانما دخلت الهاء في نديدة للمبالغة كما قالوا رجل علامة ونسابة وجاءني كريمة القوم يراد به البالغ في الكرم المشبه بالداهية ويقال في تثنية الند ندان وفي جمعه أنداد ومن العرب من لايثنيه ولا يجمعه ولا يؤنثه فيقول الرجلان ندى والرجال ندي والمرأة ندي والنساء ندى

(٢) البيت من قصيدته المشهورة التى يقال انه قال بعضها فى الجاهلية وبعضها فى الاسلام .. ومطلعها

عفت ذات الاصابع فالجواء الى عذراء منزلها خلاء
ديار من بنى الحسحاس قفر تعفيها الروامس والسماء
وكانت لايزال بها أنيس خلال مروجها نعم وشاء

وأما قوله تعالى (وأنتم تعلمون) فيحتمل وجوهاً ٠٠ أولها أن يريد أنكم تعلمون ان الانداد التي هي الاصنام وما جرى مجراها التي تعبدونها من دون الله تعالي لم تنعم عليكم بهذه النعم التي عددها ولا بامثالها وانها لاتضر ولاتنفع ولا تبصر ولا تعتقدون ان الاصنام خلقت السماء والارض من دون الله تعالى ولامعه تعالى فالوصف لهم ههنا بالعلم انما هولتأكد الحجة عليهم ويصح لزومها لهم لانهم من العلم بما ذكرناه ويكونون أضيق عذراً ٠٠ والوجه الثاني أن يكون المراد بقوله تعالى (وأنتم تعلمون) أي تعقلون وتميزون وتعلمون ماتقولون وتفعلون وتأتون وتذرون لأن من كان بهذه الصفة فقد استوفي شروط التكليف ولزمته الحجة وضاق عذره في التخلف عن النظر واصابة الحق ونظير ذلك قوله تعالى (انما يتذكر أولو الالباب ٠٠ وانما يخشى الله من عباده العلماء) ٠٠ والوجه الثالث ما قاله بعض المفسرين كمجاهد وغيره ان المراد بذلك أهل الكتابين

---

* لشعثاء التي قد تيمته ... فليس لقلبه منها شفاء
كأن سبيئة من بيت رأس ... يكون مزاجها عسل وماء
* نوليها الملامة إن ألمنا ... اذا ما كان مغث أو لحاء
ونشربها فتتركنا ملوكا ... وأسداً ماينهنهنا اللقاء *
عدمنا خيلنا ان لم تروها ... تثير النقع موعدها كداء
ينازعن الاعنة مصغيات ... على أكتافها الاسل الظماء
فاما تعرضوا عنا اعتمرنا ... وكان الفتح وانكشف الغطاء
والا فاصبروا لجلاد يوم ... يعز الله فيه من يشاء
وجبريل رسول الله فينا ... وروح القدس ليس له كفاء
وقال الله قد يسرت جنداً ... هم الانصار عرضتها اللقاء
لنا في كل يوم من معد ... سباء أو قتال أو هجاء *
ونحكم بالقوافي من هجانا ... ونضرب حين تختلط الدماء
ألا أبلغ أبا سفيان عني ... مغلغلة فقد برح الخفاء
بأن سيوفنا تركتك عبداً ... وعبد الدار سادتها الاماء

التوراة والانجيل خاصة ومعنى تعلمون أي أنكم تعلمون أنه إله واحد في التوراة والانجيل فعلى الوجهين الاولين لاتنافي بين هذه الآية وبين قوله تعالى (قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون) لأن علمهم تعلق بشئ وجهلهم تعلق بغيره وعلى الوجه الثالث اذا جعلت الآية التي سألنا عنها مختصة بأهل الكتاب أمكن أن نجعل الآية التي وصفوا فيها بالجهل تتناول غير هؤلاء ممن لم يكن ذا كتاب يجد فيه التوحيد وكل هذا واضح بحمد الله ٠٠ [قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه ومما يفسر من الشعر تفاسير مختلفة والقول محتمل للكل قول امرئ القيس

وَقدْ أَغتَدِي وَمَعِي القانِصانِ ... وكلٌّ بِمَرْبأةٍ مُقْتَفِرْ

فَيُدرِكُنا فَغِمٌ دَاجِنٌ ... سَمِيعٌ بَصِيرٌ طَلُوبٌ نَكِرْ

أَلصُّ الضُّرُوسِ حَنِيُّ الضُّلُوعِ ... تَبُوعٌ أَرِيبٌ نَشِيطٌ أَشِرْ

فأَنْشَبَ أَظفارَهُ في النَّسا ... فقلتُ هُبِلْتَ أَلاَ تَنْتَصِرْ

فَكَرَّ إليهِ بِمِبْرَاتِهِ ... كما خَلَّ ظَهْرَ اللِّسانِ المُجِرْ

فَظَلَّ يُرَنِّحُ فِي غَيطَلٍ ... كما يَسْتَدِيرُ الحِمارُ النَّعِرْ (١)

٠٠ قال ابن السكيت ـ القانصان ـ الصائدان ـ والمربأة ـ الموضع المرتفع يربأ فيه ـ والمقتفر ـ

(١) وروى سميع بصير ـ في البيت ـ الثالث بدل تبوع أريب وتمام الابيات

وأركب في الروع خيفانة ... كسا وجهها سعف منتشر

لها حافر مثل قعب الوليـ ... ـد ركب فيه وظيف عجر

وساقان كعباهما أصمعا ... ن لحم حماتيهما منبتر

لها عجز كصفاة المسيـ ... ـل أبرز عنها حجاف مضر

لها متنتان خظاتا كما ... أكب على ساعديه النمر

وسالفة كسحوق اللبا ... ن أضرم فيها الغوي السعر

لها عذر كقرون النسا ... ء ركبن في يوم ريح وصر

الذي يقتفر آثار الوحش ويتبعها ٠٠وقال غيره ـ القانصان ـ البازي والصقر ـ والنغم ـ الكلب الحريص على الصيد يقال ماأشد نغمه أي ما أشد حرصه ٠٠ قال الاعشى

يأمُّ دِيارَ بَنِي عامِرٍ   وأنتَ بآلِ عقَيلٍ فَغِمْ

أي مولع ـ والداجن ـ الذى يألف الصيد ـ والسميع ـ الذى اذا سمع حساً لم يفته ـ والبصير ـ الذي اذا رأي شيئاً من بعد لم يكذبه بصره ـ والتبوع ـ الذى اذا تبع الصيد أدركه ولم يعجز عن لحوقه ـ والنكر ـ المنكر الحاذق بالصيد ويروى نكر بالضم ٠٠ وقال ابن السكيت وغيره فى قوله ـ فانشب اظفاره في النسا ـ أي أنشب الكلب اظفاره في نسا الثور والنسا عرق في الفخذ معروف ـ فقلت هبلت ـ أي فقلت للثور هبلت ـ الا تنتصر ـ من الكلب قالوا وهذا تهكم منه بالثور واستهزاء به والاصل فى التهكم الوقوع على الشئ يقال تهكم البيت اذا وقع بعضه على بعض ٠٠ ومعني ـ فكر اليه بعبراته ـ ٠٠ قال ابن السكيت وغيره معناه فكر الثور الى الكلب بعبراته أى بقرنه ٠٠ ومعنى ـ كما خل ظهر اللسان المجر ـ أي طعنه كما يجر الرجل لسان الفصيل وهو أن يقطع طرف لسانه أو يشقه حتي لا يقدر على الشرب من خلف أمه وذلك اذا كبر

لها جبهة كسراة المجن   حذّقه الصانع المقتدر
لها منخر كوجار الضباع   فمنه تريح اذا تنبهر *
لها ثنن كخوافى العقاب   سود يفين اذا تزبئر *
وعين لها حدرة بدرة   شقت مآقيهما من أخر
اذا أقبلت قلت دباءة   من الخضر مغموسة فى الغدر
وان أدبرت قلت أثفية   ململمة ليس فيها أثر *
وان أعرضت قلت سرعوفة   لها ذنب خلفها مسبطر
وللسوط فيها مجال كما   تنزل ذو برد منهمر *
وتعدو كعدو نجاة الظباء   أخطأها الحاذف المقتدر
لها وثبات كصوب السحاب   فواد خطاء وواد مطر

واستغنى عن الشرب ٠٠ ومعنى ـ فظل يرنح فى غيطل ـ أى ظل الكلب يرنح أي يميل ويميد كالسكران ـ والغيطل ـ الشجر الملتف ويكون أيضاً الجلبة والصياح ٠٠ وقوله ـ كما يستدير الحمار النعر ـ والنعر الذى يدخل فى رأسه ذباب أزرق أو أخضر [١] فيطمح برأسه وينزو فشبه الكلب في اضطرابه ونزوه بالحمار النعر ٠٠ قال ابن مقبل

تَرَى النَّعَرَاتِ الزُّرْقَ تَحْتَ لَبَانِهِ أُحَادَ وَمَثْنَى أَصْعَقَتْهَا صَوَاهِلُهْ

وقال أحمد بن عبيد ـ القانصان ـ الفرس وصاحبه والحجة أن الفرس تسمى قانصاً ٠٠ قول عدى بن زيد

يَقْنِصُكَ الخَيْلَ وَيَصْطَادُكَ الـــطَّيْرَ وَلَا يَبْلُغُ لَهْوَ القَنِيصِ

أى لا يمتنع منه قال وقوله ـ فانشب أظفاره فى النسا ـ معناه فانشب الكلب أظفار فى نساه الثور فقلت لصاحب الفرس أو لغلامى الممسك للفرس هبلت الا تدنو الى الثور فتطعنه فقد أمسكه عليك الكلب قال ومحال أن يكون امرؤ القيس أغرى الثور بقتل كلابه لأن امرأ القيس يفخر بالصيد ويصفه فى أكثر شعره بأنه مرزوق منه مظفر كقوله

إِذَا مَا خَرَجْنَا قَالَ وِلْدَانُ أَهْلِنَا تَعَالَوْا إِلَى أَنْ يَأْتِنَا الصَّيْدُ نَحْطِبِ

وكقوله

---

(١) قوله ـ ذباب أخضر وأزرق ـ الخ قال ابن سيدة النعرة ذبابة تسقط على الدواب فتؤذيها حمار نعر وحكى سيبويه نِعِرٌ الى اخواته من اللغات التى تطرد فيما كان ثانيه حرفا من حروف الحلق تقدمت له نظائر قال أبو حنيفة هو ذباب أزرق ومنه أخضر والجمع نعر قال ولا يضير هذا النعر الا الحمير فانه يأتى الحمار فيدخل فى منخره فيربض ويملك بجحفاته الارض وان سمعت الحمير بطنينه ربضت ودسسن أنوفهن فى الارض حذاره واذا اعتري الحمار قيل حمار نعر ٠٠ وقال مرة قد تعرض النعر للخيل وأنشد أبو على فى تصديق ذلك لابن مقبل يصف فرساً

تري النعرات الخضر تحت لبانه أحاد ومثنى أصعقتها صواهله

مُطْعِمٌ لِلصَّيْدِ لَيسَ لهُ غَيْرُهُ كَسبٌ على كِبَرِ

فعال على هذا أن يغرى الثور بقتل كلابه •• قال وتأويل ـ ألا تنتصر ـ ألا تدنو من الثور والدليل على أن تنتصر بمعنى تدنو قول الراعى

وأُفرِعْنَ في وادِي جلاَ ميدَ بَعْدَما علا البيدَ سا في القَيْظَةِ المُتَناصِرُ

أى المتدانى •• وقال مضرس بن ربعي بن أبي الفقعسي

فإنَّكَ لاَ تُعْطي امْرَأً حَظَّ غيْرِهِ ولاَتَمْلكُ الشِّقَّ الذِي الغَيْثُ نَاصِرُهْ

أي دان منه •• ومعنى ـ ألص الضروس ـ أى بعض أسنانه تلتصق ببعض ـ وحبي الضلوع ـ أى مشرف الضلوع عاليها ويروي حني الضلوع بالنون أي منحنيها ويقال أن الضلوع اذا تقوست كان أوسع لجوفه وأقوي له ويروى أيضاً خفى الضلوع أى ضلوعه خفية داخلة فى جنبه •• ومعنى ـ فظل يرنح في غيطل ـ فظل الثور يرنح فى غيطل لماطعنه صاحب الفرس وقد يجوز أيضاً أن يكون ترنح الثور لظفر الكلب به ولأنه أنشب أظفاره فيه وكل ذلك محتمل •• ومما يحتمل أيضاً على وجوه مختلفة قول امرئ القيس

فَتُوضِحَ فالمِقْراةِ لم يَعْفُ رَسْمُها لِمانَسَجَتْها مِنْ جَنُوبٍ وشَمْأَلِ(١)

(١) ـ توضح ـ كثيب أبيض من كثبان حمر بالدهناء قرب اليمامة عن نصر •• وقيل توضح من قرى قرقرى باليمامة وهي زروع ليس لها نخل •• وقال السكرى سئل شيخ قديم عن مياه العرب فقيل له هل وجدت توضح التى ذكرها امرؤ القيس فقال أما والله لقد جئت في ليلة مظلمة فوقفت على فم طويها فلم توجد الى اليوم ـ والمقراة ـ بالكسر ثم السكون وهو فى اللغة شبه حوض ضخم يقرأ فيه من البئر أي يجبى اليه وجمعها المقاري والمقارى أيضاً الجفان التي تقرى فيها الاضياف •• قال ياقوت والمقراة وتوضح فى قول امرئ القيس قريتان من نواحي اليمامة •• وقال السكري في شرحه لبيت امرئ القيس الدخول وحومل وتوضح والمقراة مواضع بين امرّة وأسود العين والبيت من معلقته المشهورة ومطلعها

قفا نبك من ذكري حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

قال قوم معناه لم يدرس رسمها للنسج هاتين الريحين فقط بل لتتابع الرياح والامطار والدليل على ذلك قوله فى البيت الاخير

فَهَلْ عِندَ رَسْمٍ دَارِسٍ مِنْ مُعَوَّلِ (١)

وقال آخرون ومعنى لم يعف رسمها لم يدرس فالرسم على هذا القول باق غير دارس ٠٠ ومعنى قوله فى البيت الاخير — رسم دارس — أي فهل عند رسم يندرس في المستقبل وان كان الساعة موجوداً غير دارس ٠٠ وقال آخرون فى معنى قوله لم يعف مثل الوجه الثاني أي انه لم يدرس أثرها لما نسجتها بل هى بواق ثوابت فنحن نحزن لها ونجزع عند رؤيتها ولو عفت وأمّحت لاسترحنا وهذا مثل قول ابن أحمر

أَلاَ لَيْتَ المَنَازِلَ قَدْ بَلِينا ... فَلاَ يَبْكِينَ ذَاحَزَنٍ شَجِينا

ومثل قول الآخر

لَيْتَ الدِّيَارَالتي تَبْقَي لِتُحْزِنَنَا ... كَانَتْ تَبِينُ إِذَا مَاأَهْلُهَا بَانُوا

وليس قوله فهل عند رسم دارس من معول نقضاً لهذا انما هو كقولك درس كتابك

(١) قوله — فهل عند رسم دارس — الخ صدره ٠٠ وإن شفائى عبرة مُهَرَاقة ٠٠ ومعنى — من معول — من مبكي وقيل من مستغاث وقيل من محمل ومعتمد وقيل فى قوله *فهل عند رسم دارس من معول* مذهبان أحدها انه مصدر عولت عليه أى اتكلت فلما قال ان شفائي عبرة مهراقة صار كأنه قال انما راحتى فى البكاء فما معنى اتكالي في شفاء غليلي في رسم دارس لاغناء عنده عنى فسبيلى أن أقبل على بكائى ولا أعول فى برد غليلى على مالاغناء عنده وأدخل الفاء فى قوله فهل عند لتربط آخر الكلام بأوله فكأنه قال اذا كان شفائى انما هو في فيض دمعي فسبيلى أن لاأعول على رسم دارس في دفع حزني وينبغي أن آخذ في البكاء الذي هو سبب الشفاء والمذهب الآخر أن يكون معول مصدر عولت بمعنى أعولت أي بكيت فيكون معناه فهل عند رسم دارس من إعوال وبكاء وعلى أي الأمرين حملت المعول فدخول الفاء على هل حسن جميل

أي ذهب بعضه وبقي بعض ‎..‏ وقال أبو بكر العبدي معناه لم يعف رسمها من قلبي وهو دارس من الموضع فلم يتناول قوله ولم يعف رسمها ما تناوله قوله فهل عند رسم دارس من جميع وجوهه فيتناقض الكلام ‎..‏ وقال آخرون أراد بقوله لم يعف أي لم يدرس ثم أكذب نفسه بقوله فهل عند رسم دارس من معول كما قال زهير

قِفْ بالدِّيارِ التي لم يَعْفُها القِدَمُ ‏ ‏ ‏ بلى وغيَّرَها الأَرْوَاحُ والدِّيَمُ (١)

وكما قال آخر

فلا تَبعَدَنْ ياخيرَ عَمرِو بنِ مالِكٍ ‏ ‏ ‏ بَلي إنَّ مَنْ زَارَ القُبُورَ لِيَبعَدَا

أراد ليبعدن فابدل الالف من النون الخفيفة وهذا وجه ضعيف وبيت زهير لا يجب فيه ما توهم من المناقضة والتكذيب لأنه يمكن أن يحمل على ما ذكرناه من أحد الوجوه المتقدمة من أنه أراد أن رسمها لم يعف ويبطل كله وان كان قد غيرته الديم والارواح

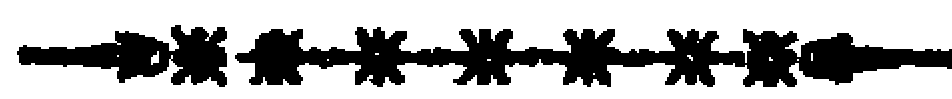
(١) البيت مطلع قصيدة يمدح بها هرم بن سنان وهي احدى حولياته وبعده

لا الدار غيرها بعدي الانيس وما ‏ ‏ ‏ بالدار لو كلمت ذا حاجة صمم
دار لاسماء بالغمرين ماثلة ‏ ‏ ‏ كالوحي ليس بها من أهلها أرم
وقد أراها حديثاً غير مقوية ‏ ‏ ‏ السر منها فوادي الجفر فالهدم
فلا لكان إلي وادي الغمار فلا ‏ ‏ ‏ شرقي سلمى فلا فيد فلا رهم
شطت بهم قرقرى برك بايمنهم ‏ ‏ ‏ والعاريات وعن أيسارهم خيم
عوم السفين فلما حال دونهم ‏ ‏ ‏ فند القريات فلعتكان فالكرم
كأن عيني وقد سال السايل بهم ‏ ‏ ‏ وعبرة ماهمُ لو انهم أمم *
غرب على بكرة أو لؤلؤ قلق ‏ ‏ ‏ في السلك خان به ربانه النظم
عهدي بهم يوم باب القريتين وقد ‏ ‏ ‏ زال الهماليج بالفرسان فاللجم
فاستبدلت بعدنا داراً يمانية ‏ ‏ ‏ ترعي الخريف فادنى دارها ظلم
ان البخيل ملوم حيث كان ولـ ‏ ‏ ‏ كن الجواد على علاته هرم
القائد الخيل منكوبا دوابرها ‏ ‏ ‏ منها الشنون ومنها الزاهق الزهم

بعضه وأثرت في بعض فاما البيت الثاني فلا حجة في حمله لأنه لم يتضمن أثباتا ونفياً وانما دعاله بان لايبعد ثم رجع الى قوله بلى انه ليبعد من زار القبور وما يدعى به غير واجب عليه ولا ثابت فكيف به فى البيت الثاني •• وقد يمكن في البيت وجه آخر وهو أن يكون معنى لم يعف رسمها أي لم يزد فيكثر فيظهر حتى يعرفه المترسم وينتبه للتأمل بل هو خاف غير لائح ولا ظاهر ثم قال من بعد فهل عند رسم دارس من معول فلم يناقض الاول لأنه قد أثبت الدروس له فى كلا الموضعين ولاشبهة في أن عفا من حروف الاضداد التي تستعمل تارة فى الدروس وتارة فى الزيادة والكثرة قال الله تعالى (حتى عفوا) أي كثروا ويقال قد عفا الشعر أى كثر وقال الشاعر

ولكنّا نُعِضُّ السَّيفَ مِنْها بأسْؤُقِ عافياتِ اللَّحْمِ كُومِ

أراد كثيرات اللحم يقال قد عفا وبر البعير اذا زاد ويقال أعفيت الشعر وعفوته اذا كثرته وزدت فيه وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان تحفى الشوارب وتعفى اللحي أي توفر وهذا الوجه عندي أشبه مما تقدم



مجلس آخر ٦٨

[تأويل آية] •• ان سأل سائل عن قوله تعالى (ياأخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغياً) الآية فقال من هارون الذى نسبت مريم عليها السلام الى أنها أخته •• ومعلوم انها لم تكن أختاً لهارون أخي موسى عليهما السلام وما معنى (من كان في المهد صبياً) ولفظة كان تدل على مامضي من الزمان وعيسي عليه السلام فى حال قولهم ذلك كان في المهد •• الجواب قلنا أما هارون الذى نسبت اليه مريم عليها السلام فقد قيل فيه أقوال منها ان هارون المذكور فى الآية كان رجلا فاسقاً مشهوراً بالعهر والشر وفساد الطريقة فلما أنكروا ما جاءت به من الولد وظنوا بها ما هي مبرأة منه نسبوها الى هذا الرجل تشبيهاً وتمثيلا وكان تقدير الكلام ياشبيهة هارون في فسقه وقبح فعله وهذا القول يروى عن سعيد بن جبير •• ومنها ان هارون هذا كان أخاها لأبيها دون أمها

وقيل انه كان أخاها لأبيها وأمها وكان رجلا معروفا بالصلاح وحسن الطريقة والعبادة والتأله .. وقيل انه لم يكن أخاها على الحقيقة بل كان رجلا صالحاً من قومها وانه لما مات شيع جنازته أربعون ألف رجل كلهم يسمون هارون من بني إسرائيل فلما أنكروا ماظهر من أمرها قالوا لها ياأخت هارون أي بالشبهة بالصلاح ماكان هذا معروفا منك ولا كان والدك ممن يفعل القبيح ولا يتطرق عليه الريب .. وعلى قول من قال انه كان أخاها يكون معنى قولهم انك من أهل بيت الصلاح والسداد لأن أباك لم يكن امرأ سوء ولا كانت أمك بغياً وأنت مع ذلك أخت هارون المعروف بالصلاح والسداد والعفة فكيف أتيت بما لا يشبه لسبك ولا يعرف من مثلك .. ويقوى هذا القول ماروا المغيرة بن شعبة .. قال لما أرسلني رسول الله صلي الله عليه وسلم الي أهل نجران قال لى أهلها أليس نبيكم يزعم ان هارون أخو موسى وقد علم الله تعالى ما كان بين موسى وعيسى من النبيين فلم أدر ماأورد عليهم حتى رجعت الى النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك فقال لى فهلا قلت انهم كانوا يدعون بانبيائهم والصالحين قبلهم .. ومنها أن يكون معنى ياأخت هارون يامن هي من نسل هارون أخي موسى كما يقال للرجل يا أخا تميم وياأخا بني فلان .. وذكر مقاتل بن سليمان في قوله تعالى ياأخت هارون قال روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال هارون الذى ذكروه هو هارون أخو موسى عليهما السلام .. قال مقاتل تأويل يا أخت هارون يامن هي من نسل هارون كما قال تعالى (والى عاد أخاهم هوداً .. والي ثمود أخاهم صالحا) يعنى بأخيهم انه من نسلهم وجنسهم وكل قول من هذه الاقوال قد اختاره قوم من المفسرين .. فاما قوله تعالى (من كان في المهد صبياً) فهو كلام مبنى على الشرط والجزاء مقصود به الابهام والمعنى من يكن فى المهد صبياً فكيف نكلمه ووضع في ظاهر اللفظ الماضي موضع المستقبل لأن الشارط لايشرط الا فيما يستقبل فيقول القائل ان زرتني زرتك يريد أن تزرني أزرك قال الله تعالي (ان شاء جعل لك خيراً) يعنى ان يشأ يجعل وقال قطرب معني كان ههنا معنى صار فكان المعنى وكيف نكلم من صار فى المهد صبيا ويشهد بذلك قول زهير

أَجَزْتُ إِلَيْـهِ حُرَّةً أَرْحَبِيَّةً ... وَقَدْ كَانَ لَوْنُ اللَّيْلِ مِثْلَ الأَرَنْدَجِ

وقال غيره كان ههنا بمعنى خلق ووجد كما قالت العرب كان الحرّ وكان البرد أي وجدا وحدثا •• وقال قوم لفظة كان وان أريد بها الماضى فقد يراد بها الحال والاستقبال كقوله تعالي (كنتم خير أمة أخرجت للناس) أى أنتم كذلك وكذلك قوله تعالى (هل كنت الا بشراً رسولا) وقول الله تعالى (وكان الله عليما حكيما) وان كان قد قيل فى هذه الآية الاخيرة غير هذا • قيل ان القوم شاهدوا من آثار علمه وحكمته تعالى ماشاهدوا فاخبرهم تعالى انه لم يزل عليما حكيما أى فلا تظنوا انه استفاد علماً وحكمة لم يكن عليهما •• ومما يقوى مذهب من وضع لفظة الماضي فى موضع الحال والاستقبال قوله تعالى (واذ قل الله ياعيسى بن مريم) وقوله تعالي (ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار) وقولهم فى الدعاء غفر الله لك وأطال بقاك وما جرى مجرى ذلك ومعنى الكل يفعل الله ذلك بك الا أنه لما أمن اللبس وضع لفظ الماضى فى موضع المستقبل •• قال الشاعر

فأدركتُ من قدْ كانَ قبْلي ولم أدَعْ ... لِمنْ كانَ بَعْدِي في الفضائل مقْعَدَا

أراد لمن يكون بعدى •• ومما جعلوا فيه المستقبل فى موضع الماضى قول الصلتان العبدى يرثي المغيرة بن المهلب

قُلْ لِلقوَافِلِ وَالغُزَاةِ إِذَا غزَوْا ... والبَاكِرِينَ ولِلمُجِدِّ الرَّائحِ (١)

إنَّ الشَّجاعَةَ وَالسَّماحَةَ ضُمِّنا ... قبرًا بِمَرْوَ على الطَّرِيقِ الوَاضِحِ (٢)

---

(١) قوله — قل للقوافل — الخ القوافل جمع قافلة وهي الرفقة الراجعة من سفرها الى وطنها — والغزاة — جمع غاز — والباكرين — جمع باكر يقال بكر بكوراً من باب قعد أسرع فى الذهاب من أول النهار — وأجدّ — فى الامر اجتهد — والرائح — الراجع

(٢) قوله — ان الشجاعة والسماحة — الخ هذا مقول القول •• وروى أيضاً ان السماحة والمروءة — والسماحة — الجود والعطاء — والمروءة — آداب نفسانية تحمل مراعاتها الانسان على الوقوف عند محاسن الاخلاق وجميل العادات يقال مرؤ الانسان وهو مرئ كقرب فهو قريب أى ذو مروءة •• قال الجوهري وقد تشدد فيقال مروّة — وضمنا —

فإذا مررت بقبره فاعقر به ... كوم المطي وكل طرف سابح (١)
وانضح جوانب قبره بدمائها ... فلقد يكون أخا دم وذبائح (٢)

بالبناء للمفعول متعد لمفعولين .. أحدهما نائب الفاعل وهو ضمير التثنية .. والثاني قبراً وهو مقلوب لأنه يقال ضمنت الشئ كذا أى جعلته محتويا عليه وفي القلب هنا نكتة كأنهما لكثرتهما لا يسعهما القبر فهما اشتملا على القبر وأحاطا بجوانبه — ومرو — هنا مرو الشاهجان لا مرو الروذ وكلاهما فى إقليم خراسان .. قال ابن خلكان ومن سراة أولاد المهلب أبو فراس المغيرة وكان أبوه يقدمه فى قتال الخوارج وله معهم وقائع مشهورة أبان فيها عن نجدة وصرامة وكان مع أبيه في خراسان واستنابه بمرو الشاهجان وتوفى في حياة أبيه سنة اثنين وثمانين في رجب وهذا البيت استشهد به النحويون على أنه أعاد الضمير الى المؤنثين بضمير المذكرين وكان القياس أن يقول ضمنتا وعده ابن عصفور من قبيل الضرورة

(١) قوله — فاذا مررت بقبره — الخ — عقر البعير بالسيف من باب ضرب اذا ضرب قوائمه به لا يطلق العقر فى غير القوائم وربما قيل عقره اذا نحره كذا فى المصباح — والكوم — بالضم جمع كوماء بالفتح والمد وهي الناقة السمينة المطي — ويروى — بدله الجلاد بكسر الجيم جمع جلدة بفتحها وهي أدسم الابل لبنا — والطرف — بالكسر الاصيل من الخيل — والسابح — بالموحدة من سبح الفرس اذا جرى يقال فرس سابح اذا جري بقوة

[٢] قوله — وانضح جوانب قبره — النضح بالحاء المهملة الرش القليل وبالخاء المعجمة البل يقال نضخ ثوبه اذا بله فهو أبلغ من الاول .. واختلف فى سبب عقرهم الابل على القبور فقال قوم انما كانوا يفعلون ذلك مكافأة للميت على ما كان يعقره من الابل فى حياته وينحره للاضياف واحتجوا بقول الشاعر وانضح جوانب قبره الخ .. وقال قوم انما كانوا يفعلون ذلك إعظاما للميت كما كانوا يذبحون للاصنام وقيل انما كانوا يفعلونه لأن الابل كانت تأكل عظام الموتى اذا بليت فكأنهم كانوا يثأرون لهم فيها وقيل إن الابل أنفس أموالهم فكانوا يريدون بذلك أنها قد هانت عليهم لعظم المصيبة .. والبيت

معناه فلقد كان

يستشهد به النحويون على أن المضارع وهو يكون مؤوّل بالماضي أي ولقد كان لأنه فى مرثية ميت وهو إخبار عن شئ وقع ومضى لا إخبار عما سيقع لأنه غير ممكن •• قال ابن الشجرى فى أماليه قال أبو الفتح عثمان بن جنى قال لى أبو على سألت يوما أبا بكر بن السراج عن الافعال فقال يقع بعضها موقع بعض فقال كان ينبغي للافعال كلها أن تكون مثالا واحداً لأنها لمعنى واحد ولكن خولف بين صيغها لاختلاف أحوال الزمان فاذا اقترن بالفعل مايدل عليه من لفظ أو حال جاز وقوع بعضها موقع بعض •• قال أبو الفتح وهذا الكلام من أبي بكر عال سديد •• وهذه الابيات الصحيح انها لزياد الاعجم يرثي بها المغيرة بن المهلب وقيل المغيرة بن أبي صفرة أخا المهلب وهي من قصيدة أولها قل للقوافل الخ الابيات الاربعة وبعدها

واظهر بزته وعقد لوائه ... واهتف بدعوة مصلتين شرامح
آب الجنود معقلا أو قافلا ... وأقام رهن حفيرة وضرائح
وأري المكارم يوم زيل بنعشه ... زالت بفضل فواضل ومدائح
وجفت لمصرعه البلاد وأصبحت ... منا القلوب لذاك غير صحائح
ألآن لما كنت أكمل من مشى ... وافتر نابك عن شباة القارح
وتكاملت فيك المروءة كلها ... وأعنت ذلك بالفعال الصالح
فكفي لنا حزنا ببيت حله ... إحدي المنون فليس عنه ببارح
فعفت منابره وحط سروجه ... عن كل طامحة وطرف طامح
واذا يناح على امرئ فتعلمى ... ان المغيرة فوق نوح النائح
تبكي المغيرة خيلنا ورماحنا ... والباكيات برنة وتصايح
مات المغيرة بعد طول تعرض ... للموت بين أسنة وصفائح
والقتل ليس الي القتال ولا أرى ... سبباً يؤخر للشفيق الناصح
* لله در منية فاتت به ... فلقد أراه يرد غرب الجامح

[تأويل خبر] .. إن سأل سائل فقال كيف يطابق ماروى عن النبي صلى عليه وسلم أنه قال لاعدوى ولا طيرة ولا هامة وأنه قيل له عليه الصلاة والسلام ان النقبة تقع بمشفر البعير فتجرب لذلك الابل فقال عليه الصلاة والسلام فمن أعدى الاول لما روي عنه عليه الصلاة والسلام من قوله لايوردنّ ذو عاهة على مصح وقوله

ولقد أراه مجنبا أفراسه يغشي الاسنة فوق نهد قارح
في جحفل لجب ترى أبطاله منه تمضل بالفضاء الفاسح
يقص الحزونة والسهولة اذغدى بزهاء أرعن مثل ليل جانح
ولقد أراه مقدما أفراسه يدني مراجح في الوغي لمراجح
فتيان عادية لدي مرسى الوغى سنوا بسنة معلمين جحاجح
لبسوا السوابغ في الحروب كانها غدر تحيز في بطون أباطح
واذا الضراب عن الطعان بدالهم ضربوا بمرهفة الصدور جوارح
لوعند ذاك قارعته منية قرع الحواء وضم سرح السارح
كنت الغياث لأرضنا فتركتنا فاليوم نصبر للزمان الكالح
فالع للمغيرة للمغيرة اذ غدت شعواء مشعرة لنبح النابح
صفان مختلفان حين تلاقيا آبوا بوجه مطلق أو نا كح
ومدجج كره الكماة نزاله شاكى السلاح مسايف أورامح
قد زار كبش كتيبة بكتيبة يؤدي لكوكبها برأس طامح
غيرن دون نداته وبنانه حامي الحقيقة للحروب مكاوح
سبقت يداك له بعاجل طعنة شهقت لمنفذها أصول جوانح
والخيل تضبح بالكماة وقد جرت فوق النحور دماؤها بسرائح
يالهفتا يالهفتا لك كلما خيف المغير على المدر الماسح
تشفى بحلمك لابن عمك جهله وتذب عنه كفاح كل مكافح
واذا يصول بك ابن عمك لم يصل بعوا كل وكل غداة تجالح
صلٍّ يموت سليمه قبل الرقى ومخاتل لعدوه بتصافح

فرّ من الاجذم فرارك من الاســد ٠٠ وان رجلا مجذوما أتاه ليبايعه بيعة الاســلام فارسل اليه بالبيعة وأمره بالانصراف ولم يأذن له عليه الصلاة والسلام ٠٠ وروي عنه عليه الصلاة والســلام أنه قال الشؤم في المرأة والدار والدابة وظواهر هــذه الاخبار متناقضة متنافية فبينوا وجه الجمع بينها ٠٠ الجواب قلنا ان ابن قتيبــة قد سأل نفسه عن اختلاف هذه الاخبار وأجاب عن ذلك بما نذكره على وجهه ونذكر ما عندنا فيه فانه خلط وأتى بما ليس بمرضي ٠٠ قال ان لكل من هذه الاخبار معنى وموضعاً فاذا وضع موضعه زال الاختلاف قال وللعدوى معنيان ٠٠ أحدهما عدوي الجذام فان المجذوم تشتد رائحته حتى يسقم في الحال مجالسيه ومواكليه وكذلك المرأة تكون تحت المجذوم فتضاجعه في شعار واحد فيوصل اليها الأذى وربما جــذمت وكذلك ولده ينزعون في الكثير اليــه وكذلك من كان به ســل ودِقّ والاطباء تأمر بأن لايجالس المسلول والمجذوم لايريدون بذلك معنى العدوي وانما يريدون بذلك تغير الرائحة وانها قد يسقم في الحال اشتمامها والاطباء أبعد الناس من الايمان بيمن أو شؤم ٠٠ وكذلك

وإذا الامور على الرجال تشابهت ... وتنــوزعت بمغالق ومفــاتح
فتل الســحيل بمبرم ذي مرة ... دون الرجال بفضل عقل راجح
وأرى الصعالك للمغيرة أصبحت ... تبكي على طاق اليدين مسامح
كان الربيع لهم اذا انتجعوا الندى ... وخبت لوامــع كل برق لائح
كان المهلب بالمغيرة كالذي ... ألــقى الدلاء الى قليب الماتح
فاصاب جمة ما استقى فسقى له ... في حوضــه بنوازع ومــواتح
أيام لو يحتــل وسط مفــازة ... فاضت معاطشــها بشرب سائح
إن المهلب لن يزال لها فتى ... يمري قوادم كل حرب لاقح
* بالمقربات لواحقاً آطالها ... تجتاب سهل سباسب وصحاصح
متلبباً تهفو الكتائب حــوله ... ملح المتون من النضيح الراشح
ملك أغر متــوّج يســمو له ... طرف الصديق بغض طرف الكاشح
رفاع ألوية الحروب الى العدى ... بســعود طير ســانح وبوارح

النقبة تكون بالبعير وهو جرب رطب فاذا خالط الابل وحاكها وصل اليها بالماء الذي يسيل منه وتجرب بمائه فهذا هو المعنى الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لايوردن ذوعاهة على مصح قال وقد ذهب قوم الي أنه أراد عليه الصلاة والسلام بذلك أن لا يظن أن الذي نال ابله من ذوات العاهة فيأثم قال وليس هذا عندي وجه لانا نجد الذى خبرتك به عيانا •• قال وأما الجنس الآخر من العدوي فهو الطاعون ينزل ببلد فيخرج منه خوفا من الطاعون •• وحكى عن الاصمعي عن بعض البصريين أنه هرب من الطاعون فركب حماراً ومضي بأهله نحو سفوان فسمع حاديا يحدو خلفه فيقول

لن يُسبَقَ اللهُ على حِمارِ ولاَ على ذِي مَيْعَةٍ مُطارِ

أوْ يأتِيَ الحَتفُ على مِقدَارِ قدْ يُصْبِحُ اللهُ أمامَ السَّارِي

•• وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان بالبلد الذى أنتم فيه فلا تخرجوا منه وقال عليه الصلاة والسلام أيضاً اذا كان ببلد فلا تدخلوه يريد بقوله عليه الصلاة والسلام لاتخرجوا من البلد اذا كان فيه كأنكم تظنون ان الفرار من قدر الله تعالى ينجيكم ويريد بقوله عليه الصلاة والسلام اذا كان ببلد فلا تدخلوه ان مقامكم بالموضع الذى لاطاعون فيه أسكن لأنفسكم وأطيب لعيشكم قال ومن ذلك المرأة تعرف بالشؤم والدار فينال الرجل مكروهاً أو جائحة فيقول أعدتني بشؤمها قال فهذا هو الذي قال فيه عليه الصلاة والسلام لاعدوي •• فاما الحديث الذى رواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الشؤم فى المرأة والدار والدابة فان هذا يتوهم فيه الغلط على أبي هريرة وانه سمع من النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً فلم يعه •• وروى ابن قتيبة خبراً ورفعه الي أبي حسان الاعرج أن رجلين دخلا على عائشة فقالا ان أبا هريرة يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال انما الطيرة فى المرأة والدار والدابة فطارت شفقاً فقالت كذب والذي أنزل القرآن على أبي القاسم من حدث بهذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما قال عليه الصلاة والسلام كان أهل الجاهلية يقولون ان الطيرة فى المرأة والدار والدابة ثم قرأت (ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم) الآية ••وروي خبراً يرفعه الي أنس بن مالك قال جاء

رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله انا نزلنا داراً فكثر فيها عددنا وكثر بها أموالنا ثم تحولنا منها الى أخرى فقلت فيها أموالنا وقل عـددنا فقال عليه الصلاة والسلام ذروها فهي ذميمة قال ابن قتيبة وهذا ليس ينقض الحديث الاول وانما أمرهم بالتحول منها لأنهم كانوا مقيمين فيها على استثقال ظلها واستيحاش لما نالهم فيها وأمرهم عليه الصلاة والسـلام بالتحول منهـا وقد جعل الله في غرائز الناس وتركيبهم استثقال ماينالهم السوء فيه وان كان لاسبب له فى ذلك وحب من جرى على يده الخير لهم وان لم يردهـم به وبغض من جرى على يده الشر لهـم وان لم يردهم به ٠٠ [قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه ماوجـدنا ابن قتيبة عمل شيئاً أكثر من أنه لما أعجزه تأويل الاخبار التى سأل نفسه عنها والمطابقة بينها وبين قوله عليه الصلاة والسـلام لاعدوى ولا طيرة ادعى الخصوص فيما ظاهره العموم وخص العـدوى بشئ دون آخر وكلاهما سواء فيه وأورد تأويلا يدفعه نص قوله عليه الصلاة والسلام لأنه عليه الصلاة والسلام لمـا سـئل عن النقبة تقع بمشفر البعير فتجرب لذلك الابل قال عليه الصلاة والسلام فما أعدي الاول تكذيباً بعدوى هذه النقبة وتأثيرها فاطرح ابن قتيبة ذلك وزعم ان الجرب يعدى ويؤثر في المخالط والمؤاكل وعول فى ذلك على قول الاطباء وترك قول الرسول عليه الصلاة والسـلام ٠٠ ومن ظريف أمره أنه قال إن الاطباء ينهون عن مجالسة المسلول والمجذوم ولا يريدون بذلك معنى العدوى وانما يريدون تغـير الرائحة وانها تسقم من أدمن اشتمامها وهذا غلط منه لأن الاطباء انما تنهى عن ذلك خوفاً من العدوى وسبب العدوي عندهم هو اشتمام الرائحة وانفصال أجزاء من السقيم الى الصحيح وليس اذا كان غير هذا عدوي عند قوم ما يوجب أن لا يكون هذا أيضاً عدوى ٠٠ ولما حكى عن غيره تأويلا صحيحاً فى قوله عليه الصلاة والسلام لايوردن ذو عاهة على مصح ادعي ان العيان يدفع وأي عيان معه ونحن نجد كثيراً ممن يخالط الجربي فلا يجرب ونجد أبلا صحاحا تخالط ذوات العاهات فـلا يصيبها شئ من أدوائها فكأنه انمـا يدعي ان العيان يدفع قول النبي صلى الله عليه وسلم فما أعدي الاول ٠٠ والوجه عنـدنا فى قول النبي عليه الصلاة والسلام لايوردن ذو عاهة على مصح أنه عليه الصلاة والسلام انما نهي

عن ذلك وان لم يكن مؤثراً على الحقيقة لأن فاعله كالمدخل الضرر على غيره لأن من اعتقد ان ذلك يعدي ويؤثر فأورد على ابله فلا بد من أن يلحقه لما تقدم من اعتقاده ضرر وغم ولا بد من أن يذم من عامله بذلك فكأنه عليه الصلاة والسلام نهى عن أذى الناس والتعرض لذمهم وقد يجوز أيضاً فيه ماحكاه ابن قتيبة عن غيره مما لم يرتضه من أنهم متى ظنوا ذلك أثموا فنهي عليه الصلاة والسلام عن التعرض لمايؤثم •• ولو نقل ابن قتيبة ماقاله عليه الصلاة والسلام في الطاعون اذا كان ببلد فلا تدخلوه وأمره لمن شكى اليه بالتحول عنها الى ههنا لكان قد أصاب لأنه حمل ذلك على أن تجنب البلد أسكن للنفس وأطيب للعيش وكذلك الدار فهذا يمكن في قوله عليه الصلاة والسلام لايوردنّ ذوعاهة على مصح بعينه •• فأما قوله عليه الصلاة والسلام فرّ من المجذوم فرارك من الاسد فليس فيه ان ذلك لأجل العدوى وقد يمكن أن يكون لأجل نتن ريحه واستقذاره ونفور النفس منه وان ذلك ربما دعى الي تعييره والازراء عليه وامتناعه عليه الصلاة والسلام من ادخال المجذوم عليه ليبايعه يجوز أيضاً أن يكون الغرض فيه غير العدوي بل بعض الاسباب المانعة التي ذكرنا بعضها •• وأما حديث الطاعون والقول فيه على ماقاله وقد كان سبيله لما عوّل في عدوى الجذام والجرب على قول الاطباء أن يرجع أيضاً الى أقوالهم في الطاعون لأنهم يزعمون ان الطاعون الذي يعرض من تغير الأهوية وما جرى مجراها يعدي كعدوى الجرب والجذام والعيان الذي ادعاه ليس هو أكثر من وجوده من يجرب أو يجذم لمخالطة من كان بهذه الصفة وهذا العيان موجود في الطاعون فانا نرى عمومه لمن يسكن البلد الذي يكون فيه ويطرأ اليه •• فاما الخبر الذي يتضمن ان الشؤم فى المرأة والدار والدابة فالذي ذكره من الرواية فى معناه يزيل الشبهة به على أنه لولم يكن ههنا رواية فى تأويله جاز أن يحمل على أن الذي يتطير به المتطيرون ويدّعون الشؤم فيه هو المرأة والدار والدابة ولا يكون ذلك اثباتاً للطيرة والشؤم فى هذه الاشياء بل على طريق الاخبار بان الطيرة الثابتة انما هي فيها لقوّة أمرها عند أصحاب الطيرة •• وماذكره بعد ذلك فى الدار وأمره عليه الصلاة والسلام بانتقاله عنها تأويل قريب وقد كان يجب أن يهتدي اليه مما تقدم

وما التوفيق الا من عند الله العزيز الحكيم

مجلس آخر ٦٩

[تأويل آية] •• ان سأل سائل عن تأويل قوله تعالى (ما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحياً أومن وراء حجاب) الآية •• فقال أوليس ظاهر هذا الكلام يقتضي جواز الحجاب عليه تعالى وأنتم تمنعون من ذلك •• الجواب قلنا ليس في الآية أكثر من ذكر الحجاب وليس فيها أنه حجاب له تعالى ولمحل كلامه أولمن يكن يكلمه واذا لم يكن في الظاهر شئ من ذلك جاز صرف الحجاب الى غيره عز وجل مما يجوز أن يكون محجوبا فقد يجوز أن يريد تعالى بقوله أو من وراء حجاب أنه يفعل كلاما في جسم محتجب عن المتكلم غير معلوم له على سبيل التفصيل فيسمع المخاطب الكلام ولا يعرف محله على طريق التفصيل فيقال على هذا هو متكلم من وراء حجاب •• وروى عن مجاهد في قوله تعالى (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحياً) قال هو داود عليه السلام أوحي في صدره فزبر الزبور أو من وراء حجاب وهو موسى عليه السلام أو ترسل رسولا وهو جبريل عليه السلام الى محمد صلى الله عليه وسلم •• فاماأبو على الجبائي فانه ذكر ان المراد بالآية (وما كان لبشر أن يكلمه الله) الا مثل مايكلم به عباده من الأمر بطاعته والنهى لهم عن معاصيه وتنبيهه اياهم على ذلك من جهة الخاطر أوالمنام أوما أشبه ذلك على سبيل الوحي •• قال وانما سمي الله ذلك وحياً لأنه خاطر وتنبيه وليس هو كلاما لهم على سبيل الافصاح كما يفصح الرجل منا لصاحبه اذا خاطبه والوحى فى اللغة انما هو ماجرى مجرى الايماء والتنبيه على شئ من غير أن يفصح به فهذا هو معنى ماذكره الله تعالى فى الآية •• قال وعنى بقوله (أو من وراء حجاب) أى يحجب ذلك الكلام عن جميع خلقه الا من يريد أن يكلمه به نحو كلامه لموسى عليه السلام لأنه حجب ذلك عن جميع الخلق الاموسي وحده في كلامه اياه أولا فاما كلامه اياه في المرة الثانية فانه انما أسمع ذلك موسى عليه السلام والسبعين الذين كانوا معه

وحجبه عن جميع الخلق سواهم فهذا هو معنى قوله عز وجل (أو من وراء حجاب) لأن الكلا هو الذى كان محجوبا عن الناس ٠٠ وقد يقال انه تعالى حجب عنهم موضع الكلامّ الذى أقام الكلام فيه فلم يكونوا يدرون من أين يسمعونه لأن الكلام عرض لايقوم الا فى جسم ولا يجوز أن يكون أراد تعالى بقوله (أو من وراء حجاب) ان الله تعالي كان (من وراء حجاب) يكلم عباده لأن الحجاب لايجوز الأعلى الاجسام المحدودة ٠٠ قال وعني بقوله (أو يرسل رسولا فيوحي باذنه مايشاء) ارساله ملائكة بكتبه وكلامه الي أنبيائه عليهم الصلاة والسلام ليبلغوا عنه ذلك عباده على سبيل انزاله القرآن علي محمد صلى الله عليه وسلم وانزاله سائر الكتب على أنبيائه عليهم الصلاة والسلام فهذا ضرب من الكلام الذي يكلم الله تعالى عباده ويأمرهم فيه بطاعته وينهاهم عن معاصيه من غير أن يكلمهم على سبيل ماكلم به موسى عليه السلام وهذا الكلام هو خلاف الوحي الذى ذكره الله تعالي في أول الآية لأنه قد أفصح تعالى لهم في هذا الكلام بما أمرهم به ونهاهم عنه والوحى الذى ذكره تعالى فى أول الآية انما هو تنبيه وخاطر وليس افصاح وهذا الذى ذكره أبو على أيضاً سديد والكلام محتمل لما ذكره ٠٠ ويمكن فى الآية وجه آخر وهو أن يكون المراد بالحجاب البعد والخفاء ونفى الظهور وقد تستعمل العرب لفظ الحجاب فيما ذكرناه فيقول أحدهم لغيره اذا استبعد فهمه واستبطأ فطنته بيني وبينك حجاب وتقول للأمر الذى تستبعده وتستصعب طريقه بيني وبين هذا الامر حجاب وموانع وسواتر وماجري مجرى ذلك فيكون معنى الآية انه تعالى لم يكلم البشر الا وحياً بان يخطر في قلوبهم أو بان ينصب لهم أدلة تدلهم على مايريده أو يكرهه منهم فيكون من حيث نصبه للدلالة على ذلك والارشاد اليه مخاطباً ومكلما للعباد بما يدل عليه وجعل تعالي هذا الخطاب من وراء حجاب من حيث لم يكن مسموعا كما يسمع الخاطر وقول الرسول ولا ظاهراً معلوما لكل من أدركه كما أن أقوال الرسل المؤدّين عنه تعالى من الملائكة بهذه الصفة فصار الحجاب هناك كناية عن الخفاء وغيره مما يدل عليه الدلالة وليس لأحد أن يقول ان الذى يدل عليه الاجسام هو من صفاته تعالي وأحواله ومراده ولا يقال انه تعالى متكلم لذاته وذلك انه غير ممتنع

على سبيل التجوّز أن يقال انه تعالى فيما يدل عليه الدليل الذي نصبه الله تعالى ليدل على مراده ويرشد اليه انه مكلم لنا ومخاطب ولهذا لايمتنع المسلمون من أن يقولوا انه تعالى خاطبنا بما دلت عليه الأدلة العقلية وأمرنا بعبادته واجتناب ما كرهه منا وفعل ما أراده وهكذا يقولون فيمن فعل فعلا يدل على أمر من الامور قد خاطبنا فلان بما فعل كذا بكذا وكذا وقال لنا وأمرنا وزجرنا وما أشبه ذلك من الالفاظ التي يجرونها على الكلام الحقيقي وهذا الاستعمال أكثر وأظهر من أن نورد أمثاله ونظائره

[قال الشريف المرتضي] رضي الله عنه ومن مستحسن ماقيل فى الذئب قول أسماء بن خارجة بن حصن الفزارى

وَلَقَدْ أَلَمَّ بِنا لِنَقْرِيَهُ ... بادِي الشَّقاء مُحارِفُ الكَسْبِ
يَدْعُو الغِنا أَنْ نالَ عُلْقَتَهُ ... مِنْ مَطْعَمٍ غِبًّا إلى غِبِّ
وَطَوَى ثَمِيلَتَهُ وَالحقها ... بالصُّلْبِ بَعْدَ لُدُونَةِ الصُّلْبِ
يا ضَلَّ سَعْيُكَ ما صَنَعْتَ بِها ... جَمَّعْتَ مِنْ شَبٍّ إلى دَبِّ
لَوْ كُنْتَ ذالُبٍّ تَعِيشُ بِهِ ... لَفَعَلْتَ فِعْلَ المَرْءِ ذِي اللُّبِّ
وَجَمَعْتَ صالِحَ ما اَحْتَرَفْتَ وما ... جَمَّعْتَ مِنْ نَهْبٍ إلى نَهْبِ
وَأَظُنُّهُ شَغْبًا تَدِلُّ بِهِ ... فَلَقَدْ مُنِيتَ بِغايَةِ الشَّغْبِ
إِذْ كانَ غَيْرَ مَنَاصِلٍ تُعْصَى بِها ... مَشْحُوذَةٍ وَرَكائِبِ الرَّكْبِ
فاعْمِدْ إلي أَهْلِ الوَقِيرِ فَما ... يَخْشاكَ غَيْرُ مُقَرْمَصِ الذَّرْبِ
أَحَسِبْتَنا مِمَّنْ تَطِيفُ بِهِ ... فاخْتَرْتَها لِلأَمْنِ والخِصْبِ
وَبِغَيْرِ مَعْرِفَةٍ وَلاَ سَبَبٍ ... أَنِّي وَشِعْبُكَ لَيْسَ مِنْ شِعْبِي
لَمَّا رَأى أَنْ لَيْسَ نافِعَهُ ... جِدٌّ تَهاوَنَ صادِقَ الأَرَبِ

والحّ إلحاحاً لحاجته شكوى الضرير ومزجرَ الكلب
بادي التكلح يشتكي سغباً وأنا ابن قاتل شدة السغب
فرأيتُ أن قد نلته بأذىً من بعد مثلبةٍ ومن سب
ورأيت حقاً أن أضيفه إذ أم سلمي واتقي حربي
فوقفت معتاماً أزاولها بمهند ذي رونق عضب
فعرضته في ساق أسمنها فاجتاز بين الحاذ والكعب
فتركتها لعياله جزراً عمداً وعلق رحلها صحبي

ذكر ذئباً طرقه ليلا ٠٠ وقوله ـ محارف الكسب ـ مثل ضربه أى لايبقى له نشب الا شئ يكتسبه ٠٠ وقوله ـ يدعو الغنا ان نال علقته ـ أي ان وجد مايتعلق به من مطعم ـ غباً الى غب ـ أى من يومين فذلك عنده الغنا ـ والثميلة ـ مايبقى في البطن من طعام أو علف ٠٠ ومعنى طوي ثميلته ذهب بها وأراد انه لم يبق في بطنه مما يمسكه ـ واللدونة ـ اللين فاراد انه ألحق بقية طعامه بصابه بعد أن لان ماصاب منها ثم أقبل على الذئب كالعاذل له فقال ماصنعت بما جمعت من شب الي دب وهذان إسمان للشباب والهرم لايفردان ولا يلفظ بهما الا هكذا ٠٠ والمعنى فيهما هو مذ كنت شابا الي أن دببت على العصا ثم قال له لو كنت ذا لب لجمعت ماتصيبه ٠٠ ومعنى ـ احترفت ـ اكتسبت ٠٠ ومعنى ـ من نهب الى نهب ـ أي من عدوتك على الغنم الى العدوة الاخرى ٠٠ ثم قال ان كان تعرضك شغباً علينا فقد منيت بغاية الشغب أى اننا نافرك ونقاتلك وليس ههنا مانغير عليه وإنما معنا ـ مناصل ـ أى سيوف مشحوذة وركائبنا التى نمتطيها فاعمد الى أهل الوقير ـ والوقير ـ القطيع من الغنم ولا يسمى وقيراً الا اذا كان فيه حمار يقول فعليك بمواضع الغنم فانما يخشاك الراعى ـ المقرمص ـ الذى يتخذ القرموصة واصله المكان المضيق وهو ههنا حفيرة يحتفرها الراعي في الرمل من شدة الحر للشاة الكريمة الصفية حتي اذا بركت كان ضرعها فى القرموصة ٠٠ ومعنى ـ شعبك ليس من شعبي ـ أى لست من جاسى ولا

شكلي ـ والأوب ـ الخديعة عند الحاجة ـ وشكوى ـ الضرير الذى قد مسه الضر ـ ومزجر الكلب ـ أى هو منا قريب للمكان بقدر مزجر الكلب اذا زجرته أي اذا خسأته لدى جناية ـ والسغب ـ الجوع •• وأراد بقوله ـ وأنا ابن قاتل شدة السغب ـ أى أنا ابن من كان يقري ويطعم •• ثم رجع فقال رأيت بعد ماسببته وغضضته بالأذى والعدم ان أضيفه وأقريه لأنه ضيف وان كان دنيئاً فوقفت أنظر في ركائبي وأختار أسمنها والاعتيام الاختيار وأزاولها ألابسها ـ والحاذان ـ أحد الفخذين اللذين يليان الذنب وخبر أن رحل المطية الذى عقرها علقه بعض أصحابه على مطية أخري •• وقال النجاشي يذكر ذئباً

وَماءٍ كلَوْنِ الغِسْلِ قدْ عادَ آجِنا ... قَليلٌ بهِ الأصْوَاتُ في بلَدٍ مَحْلِ (١)

وَجَدْتُ عليْهِ الذِّئْبَ يَعْوِي كأَنَّهُ ... خَليعٌ خَلا مِنْ كلِّ مالٍ ومِنْ أهْلِ (٢)

فَقُلْتُ لهُ ياذِئْبُ هلْ لكَ في فتًي ... يُوَاسِي بلا مَنٍّ عليْكَ ولاَ بُخْلِ (٣)

فَقالَ هَدَاكَ اللهُ لِلرُّشْدِ إنَّما ... دَعَوْتَ لِما لمْ يأْتِهِ سبُعٌ قَبْلي (٤)

(١) قوله ـ وماء كلون الغسل ـ الخ الواو في وماء واورب والغسل بكسر الغين المعجمة مايغسل به الرأس من سدر وخطمى ونحوذلك •• يريد أن ذلك الماء كان متغير اللون من طول المكث مخضراً ومصفراً أونحوهما ـ والآجن ـ بالمد وكسر الجيم الماء المتغير الطعم واللون •• وقوله ـ قليل به الاصوات ـ يريد انه قفر لاحيوان فيه ـ والبلد ـ الارض والمكان ـ والمحل ـ الجدب وهوا انقطاع المطر ويبس الارض من الكلأ

(٢) قوله ـ كأنه خليع ـ الخليع الذى خلعه أهله لجناياته وتبرؤا منه

[٣] قوله ـ فقلت له ياذئب هل لك ـ الخ يقول هل لك فى أخ يعنى نفسه يواسيك من طعامه بغير من ولا بخل

[٤] قوله ـ فقال هداك الله ـ أي فقال له الذئب قد دعوتني الى شئ لم يفعله السباع قبلى من مؤاكلة بني آدم وهذا لايمكننى فعله ولست بآتيه ولا أستطيعه ولكن ان كان في مائك الذى معك فضل عما تحتاج اليه فاسقنى منه وهذا الكلام وضعه النجاشي على

فلستُ بآتيهِ ولا أستطيعهُ   ولاكِ اسقني إنْ كانَ ماؤكَ ذا فضلِ [١]
فقلتُ عليكَ الحوضَ إني تركتهُ   وفي صفوهِ فضلُ القلوصِ من السَّجلِ [٢]
فطرّبَ يستعوي ذِئاباً كثيرةً   وعُدتُ وكلٌّ من هواهُ على شغلِ

وروى أن الفرزدق نزل بالغريين فعراه بأعلى ناره ذئب فابصره مقعياً يصيء ومع الفرزدق مسلوخة فرمي اليه بيده فأكلها فرمي اليه بما بقي فأكله فلما شبع ولىّ عنه فقال

وليلةَ بتنا بالغريّينِ ضافنا   على الزّادِ موشيُّ الذّراعينِ أطلسُ
تلمّسنا حتي أتانا ولم يزلْ   لدُنْ فطمتهُ أمُّهُ يتلمّسُ
فلوْ أنّهُ إذْ جاءنا كانَ دانياً   لألبستُهُ لوْ أنهُ كانَ يلبسُ
ولكنْ تنحاً جنبةً بعدَ مادنا   فكانَ كقابِ القوسِ أوهوَ أنفسُ

لسان الذئب كأنه اعتقد فيه انه لوكان ممن يعقل أو يتكلم لقال هذا القول وأشار بهذا الى تعسفه للفلوات التى لاماء فيها فيهتدى الذئب الى مظانه فيها لاعتياده لها

[١] قوله ــ فلست بآتيه ــ الخ البيت يستشهد به النحويون على أن حذف النون من لكن لالتقاء الساكنين ضرورة تشبيها بالتنوين أو بحرف المد واللين من حيث كانت ساكنة وفيها غنة وهي فضل صوت فى الحرف كما ان حرف المد واللين ساكن والمد فضل صوت وكذا أورده سيبويه فى باب ضرورة الشعر من أول كتابه قال الاعلم حذف النون لالتقاء الساكنين ضرورة لاقامة الوزن وكان وجه الكلام أن يكسر لالتقاء الساكنين شبهها فى الحذف بحرف المد واللين اذا سكنت وسكن مابعدها نحو يغزو العدوّ ويقضي الحق ويخشى الله

[٢] قوله ــ فقلت عليك الحوض ــ الخ عليك اسم فعل بمعنى الزم والحوض مفعوله ــ والصفو ــ بفتح الصاد المهملة وكسرها وسكون الغين المعجمة الجانب المائل ــ والسجل ــ بفتح السين المهملة وسكون الجيم الدلو العظيمة ــ وطرب ــ فى صوته بالتشديد رجعه ومده

فقاسمته نصفين بيني وبينه ... بقية زادي والركائب نعس
وكان ابن ليلى إذ قرى الذئب زاده ... على طارق الظلماء لا يتعبس

ولابن عنقاء الفزارى واسمه قيس بن نجره وقيل نجرة بالضم الابيات المشهورة فى الذئب وهي

واعوج من آل الصريح كأنه ... بذي الشبث سيد آخر الليل جائع
بغى كسبه أطراف ليل كأنه ... وليس به ضلع من الخمس ظالع
فلما أتاه الرزق من كل وجهة ... جنوب الملا وأيأسته المطامع
طوى نفسه طي الحرير كأنه ... حوي حية في ربوة فهو هاجع
فلما أصابت متنه الشمس حكه ... بأعصل في أنيابه السم ناقع
وفكك لحييه فلما تعاديا ... صأى ثم أقعى والبلاد بلاقع
وهم بأمر ثم أزمع غيره ... وإن ضاق رزق مرة فهو واسع
وعارض أطراف الصبا فكأنه ... رجاع غدير هزه الريح رائع

ولآخر فى الذئب

فقلت تعلم أنني غير نائم ... إلى مستقل بالخيانة أنيبا
بعيد المطاف لا يفيد علي الغنا ... ولا يأتلي ما استطاع إلا تكسبا

معنى ـ أنيب ـ غليظ الناب ـ لاأنام اليه ـ أي لا أثق به من ذلك استنمت الى فلان اذا اطمأننت اليه •• ومعنى ـ لايفيد على الغنا ـ أي لايلتمس مطعما وهو شبعان •• ولحميد بن ثور فى الذئب

فظل يراعي الجيش حتي تغيبت ... خباش وحالت دونهن الأجارع
إذا ما غدا يوما رأيت غيابة ... من الطير ينظرن الذي هو صانع[1]

[١] قوله ـ رأيت غيابة ـ الخ •• الغيابة بفتح الغين المعجمة وبياءين آخر الحروف

خَفِيفُ المِعَا إلاَّ مَصِيرًا يَبُلُّهُ ... دَمُ الجَوْفِ أَوْسُؤْرٌ مِنَ الحَوْضِ نَاقِعُ
هُوَ البَعْلُ الدَّانِي مِنَ النَّاسِ كَالَّذِي ... لَهُ صُحْبَةٌ وَهْوَ العَدُوُّ المُنَازِعُ
يَنَامُ بِإِحْدَى مُقْلَتَيْهِ وَيَتَّقِي ... بِأُخْرَى المَنَايَا فَهْوَ يَقْظَانُ هَاجِعُ [1]

مخففتين وهي كل شيء أظل الانسان فوق رأسه مثل السحابة والغبرة والظلمة ونحو ذلك

[١] قوله ـ ينام باحدى مقلتيه ـ الخ ينام خبر مبتدأ محذوف أي هو ينام والباء في باحدى يتعلق به ٠٠ وقوله يتقي عطف على قوله ينام وباخرى يتعلق به والمنايا مفعول يتقي ويروى ويتقي باخرى الاعادي ٠٠ وقوله فهو مبتدأ وقوله يقظان خبره وهاجع خبر بعد خبر ويروي يقظان نائم لكنه يخالف أبيات القصيدة فالمعنى هو حذر أو هو هاجع بين اليقظة والهجوع ٠٠ والابيات من قصيدة أولها

إذا نال من بهم النخيلة غرة ... على غفلة فيما يري وهو طالع
تلوم ولو كان ابنها أفرحت به ... اذا هب أرواح الشتاء الزعازع
فقامت تعشى ساعة ما تطيقها ... من الدهر قامتها الكلاب الطوالع
رأته فشكت وهو أطحل مائل ... الى الارض مثنى اليه الاكارع
طوي البطن الا من مصير يبله ... دم الجوف أوسؤر من الحوض ناقع
ترى طرفيه يعسلان كلاهما ... كما اهتز عود الشيحة المتتابع
اذا خاف جوراً من عدو رمت به ... قصائبه والجانب المتواسع
وان بات وحشاً ليلة لم يضق بها ... ذراعا ولم يصبح بها وهو خاشع
ويسرى لساعات من الليل قرة ... يهاب السرى فيها المخاض النوازع
وان حدثت أرض عليه فانه ... بعزة أخرى طيب النفس قانع
ينام باحدى مقلتيه ويتقي ... باخرى المنايا فهو يقظان هاجع
اذا قام ألقى بوغه قدر طوله ... ومد منه صلبه وهو تابع
* وفكك لحيه فلما تماديا ... صأى ثم أقعي والبلاد بلاقع
اذا ما غدي يوما رأيت غيابة ... من الطير ينظرن الذي هو صانع

هكذا أورد بعض الرواة هذه القصيدة وبعضها مدرج في قصيدة ابن عنقاء الفزاوى وابن عنقاء متأخر عن حميد بن ثور رضى الله عنه

وصف ذئباً يتبع الجيش طمعاً في أن يتخلف رجـل يثب عليه لأنه من بين السـباع لايرغب في القتلى ولا يكاد يأكل الا مافرسه ـوخباش ـ اسم هضبة [١] ٠٠ وقال بعضهم وليس بمعروف ان خباش اسم من أسماء الشمس وأخبر ان الطير تتبعه لتصيب مما يقتل ـ والمصير ـ المعا [٢] ـ والبعل ـ الدهش



مجلس آخر ٠

[تأويل آية] ٠٠ ان سأل سائل عن قوله تعالى (ولـما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه) الي قوله (وأنا أول المؤمنين) ٠٠ وقال ماتنكرون من أن تكون هذه الآية دالة على جواز الرؤية عليـه جل وعلا لأنها لولم تجز لم يسألها موسي عليه السلام كمالايجوز أن يسأل اتخاذ الصاحبة والولد ولو كانت الرؤية أيضاً مسـتحيلة لم يعلقها بأمر يصح أن يقع وهو استقرار الجبل واذا علمنا صحة استقرار الجبل في موضـعه فوجب أن تكون الرؤية أيضاً صحيحة فيحكم ماعلقت به ٠٠ وقوله تعالى (فلما تجلى ربه للجبل) يقتضى جواز الحجاب عليـه تعالى لأن التجلي هو الظهور وهما لايكونان الا بعد الاحتجاب والاستتار ٠٠ الجواب قلنا أول مانقوله انه ليس في مسئلة الشيء دلالة على صحة وقوعه ولا جوازه لأن السائل قد يسأل عن الصحيح والمحال مع العلم وفقد العلم

---

[١] قوله ـ وخباش اسم هضبة وليس بمعروف ان خباش اسم من أسماء الشمس ٠٠ قلت لم نقف على أحد هذين التفسيرين لغيره وذكر ياقوت فى المعجم ان خباشة بالحاء المهملة سوق من أسواق العرب فى الجاهلية وفيه أيضاً فى باب الخاء المعجمة خباش نخل لبنى يشكر باليمامة

[٢] قوله ـ والمصير المعا ـ ووزنه فعيل والجمع مصران مثل رغيف ورغفان والمصارين جمع الجمع وميمه أصلية ٠٠ وقال بعضهم مصير انما هو مفعل من صاراليه الطعام وانما قالوا مصران كماقالوا فى مسيل الماء مسلان شبهوا مفعلا بفعيل ٠٠ وقوله ـ ناقع ـ بالنون من نقع الماء العطش نقوعا أى سكنه

والأغراض مختلفة فلا دلالة فى ظاهر مسألة الرؤية على جوازها ولأصحابنا عن هذه المسألة أجوبة .. منها وهو الأولى والأقوى أن يكون موسى عليه السلام لم يسأل الرؤية لنفسه وانما سألها لقومه فقد روى انهم طلبوا ذلك منه والتمسوه فاجابهم بانها لاتجوز عليه تعالى فلم يقنعوا بجوابه وآثروا أن يرد الجواب من قبل ربه تعالى فوعدهم ذلك وغلب في ظنه أن الجواب اذا ورد من جهته جل وعز كان أحسم للشبهة وأبلغ في دفعها عنهم فاختار السبعين الذين حضروا الميقات ليكون سؤاله بمحضر منهم فيعرفوا مايرد من الجواب فسأل وأجيب بما يدل على أن الرؤية لاتجوز عليه تعالى ويقوي هذا الجواب أشياء .. منها قوله تعالى (يسئلك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء) الآية .. ومنها قوله تعالي (واذ قلتم ياموسي لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) الآية .. ومنها قوله تعالي (فلما أخذتهم الرجفة قال رب) الآية لأن إضافة ذلك الى السفهاء تدل على أنه كان بسببهم ومن أجلهم ولأنهم سألوا مالايجوز عليه تعالى .. ومنها ذكر الجهرة فى الرؤية وهي لاتليق الا برؤية البصر دون العلم وهذا يقوي ان الطلب لم يكن للعلم الضروري على ماسنذكره فى الجواب الثانى .. ومنها قوله (انظر اليك) لأنا اذا حملنا الآية على طلب الرؤية لقومه أمكن أن يحمل قوله أنظر اليك على حقيقته واذا حملت الآية على طلب العلم الضروري احتيج الى حذف فى الكلام ويصير تقديره أرنى أنظر الي الآيات التي عندها أعرفك ضرورة .. ويمكن فى هذا الوجه الاخير خاصة أن يقال اذا كان المذهب الصحيح عندكم هو ان النظر على الحقيقة غير الرؤية فكيف يكون قوله تعالي أنظر اليك حقيقة في جواب من حمل الآية على طلب الرؤية لقومه .. فان قلتم لايمتنع أن يكونوا التمسوا الرؤية التي يكون معها النظر والتحديق الى الجهة فسأل عليه الصلاة والسلام على حسب ماطلبوا .. قيل لكم هذا ينقض فرقكم فى هذا الجواب بين سؤال الرؤية وبين سؤال جميع مايستحيل عليه من الصاحبة والولد وما يقتضى الجسمية بان تقولوا الشك فى الرؤية لايمنع من معرفة السمع والشك في جميع ما ذكر يمنع من ذلك لأن الشك الذى لايمنع من معرفة صحة السمع انما هو فى الرؤية التى لايكون معها نظر فلا يقتضي التشبيه .. فان قلتم الذي يمنع من معرفة السمع انما يحمل ذكر النظر

فيه على أن المراد به نفس الرؤية على سبيل المجاز لان من عادة العرب أن يسموا الشيء باسم الطريق اليه وما قاربه وداناه .. قلنا فكأنكم عدلتم من مجاز الى مجاز فـلا قوة في هذا الوجه والوجوه التي ذكرناها في تقوية هذا الجواب المتقدمة أولى وليس لاحدٍ أن يقول لو كان عليه الصلاة والسلام انما سأل الرؤية لقومه لم يضف السؤال الى نفسه فيقول أرني أنظر اليك ولا كان الجواب مختصاً به وهو قوله تعالى (لن تراني) وذلك لأنه غير ممتنع وقوع الاضافة على هذا الوجه مع ان المسـئلة كانت من أجل الغير إذ كانت هناك دلالة تؤمن من اللبس وتزيل الشبهة .. فلهذا يقول أحـدنا اذا شفع في حاجة غيره للمشفوع اليه أسئلك أن تفعل بي كذا وكذا وتجيبني الى كذا وكذا ويحسن أن يقول المشفوع اليه قد أجبتك وشفعتك وما جرى مجرى ذلك وانما حسن هذا لأن للسائل في المسئلة اغراضاً وان رجعت الى الغير فتحققه بها وتكلفه كتكلفه اذا اختصه ولم يبعده .. فان قيل كيف يجوز منه عليه الصلاة والسلام مع علمه باستحالة الرؤية عليه تعالى أن يسأل فيها لقومه ولئن جاز ذلك ليجوزنّ أن يسأل لقومه سائر مايستحيل عليه تعالى من كونه جسما وما أشبهه متى شكوا فيه .. قلنا انما صح ماذكرناه في الرؤية ولم يصح فيما سألت عنه لأن مع الشك في جواز الرؤية التي لايقتضي كونه جسما يمكن معرفة السمع وانه تعالى حكيم صادق في اخباره فيصح أن يعرفوا بالجواب الوارد من جهته تعالى استحالة ماشكوا في صحته وجوازه ومع الشك في كونه جسما لايصح معرفة السمع فلا يقع بجوابه انتفاع ولا علم .. وقد قال بعض من تكلم في هذه الآية قدكان جائزاً أن يسأل موسى عليه السلام لقومه مايعلم استحالته عليه وان كانت دلالة السمع لاتثبت قبل معرفته متى كان المعلوم ان في ذلك صلاحا للمكلفـين في الدين وان ورود الجواب يكون لطفا لهم في النظر في الادلة وإصابة الحق منها غـير أن من أجاب بذلك شرط أن يتبين في مسئلة علمه باستحالة ماسأل عنه وان غرضه في السؤال وورودالجواب ليكون لطفاً .. والجواب الثاني في الآية أن يكون موسى عليه السلام انما سأل ربه أن يعلمه نفســه ضرورة باظهار بعض أعلام الآخرة التي تضـطره الى المعرفة فتزول عنه الدواعي والشكوك والشبهات ويستغني عن الاستدلال فتخف المحنة عليه بذلك كما سأل

ابراهيم عليه السلام ربه تعالى أن يريه كيف يحيي الموتى طلباً للتخفيف عليه بذلك وان كان قد عرف ذلك قبل أن يراه والسؤال ان وقع بلفظ الرؤية فان الرؤية تفيد العلم كما يفيد الادراك بالبصر وذلك أظهر من أن يستدل عليه أو يستشهد به فقال له جل وعز (لن تراني) أي لن تعلمني على هذا الوجه الذي التمسته مني ثم أكد تعالى ذلك بان أظهر في الجبل من آياته وعجائبه مادل به على ان اظهار ماتقوم به المعرفة الضرورية في الدنيا مع التكليف وبيانه لايجوز وأن الحكمة تمنع منه .. والوجه الأول أولى لما ذكرناه من الوجوه ولأنه لايخلو موسى عليه السلام من أن يكون شاكا في أن المعرفة ضرورية لاتصح حصولها في الدنيا أو عالما بذلك فان كان شاكا فهذا مما لايجوز على النبي صلى الله عليه وسلم لأن الشك فيما يرجع الى اصول الديانات وقواعد التكليف لايجوز عليهم سلام الله عليهم لاسيما وقد يجوز أن يعلم ذلك على الحقيقة بعض أمتهم فيزيد عليهم في المعرفة وهذا أبلغ في التنفير عنهم من كل شئ يمنع منه فيهم وان كان عالما فلا وجه لسؤاله الا أن يقال انه سأل لقومه فيعود الي معنى الجواب الاول .. والجواب الثالث في الآية ماحكى عن بعض من تكلم في هذه الآية من أهل التوحيد وهو أن قال يجوز أن يكون موسى عليه السلام في وقت مسئلته ذلك كان شاكا في جواز الرؤية على الله تعالى فسأل ذلك ليعلم هل يجوز عليه أم لا قال وليس شكه في ذلك بمانع من أن يعرف الله تعالى بصفاته بل يجري مجرى شكه في جواز الرؤية على بعض مالا يرى من الاعراض في أنه غير مخل بما يحتاج اليه في معرفته تعالى .. قال ولا يمتنع أن يكون غلطه في ذلك ذنباً صغيراً وتكون التوبة الواقعة منه لأجل ذلك وهذا الجواب يبعد من قبل أن الشك في جواز الرؤية التي لاتقتضي تشبيها وان كان لايمنع من معرفته تعالى بصفاته فان الشك في ذلك لايجوز على الأنبياء عليهم السلام من حيث يجوز من بعض من بعثوا اليه أن يعرف ذلك على الحقيقة فيكون النبي صلى الله عليه وسلم شاكا فيه وغيره عارفا به مع رجوعه الى المعرفة بالله تعالى وما يجوز عليه ومالايجوز عليه وهذا أقوي في التنفير وأزيد على كل ماوجب أن يجنبه الأنبياء عليهم السلام .. فان قيل فمن أي شئ كانت توبة موسى عليه السلام على الجوابين المتقدمين .. قلنا أما من ذهب الى أن

المسئلة كانت لقومه فانه يقول انما تاب لأنه أقدم على أن سأل على لسان قومه مالم يؤذن له فيه وليس للأنبياء ذلك لأنه لايؤمن أن يكون الصلاح في المنع منه فيكون ترك اجابتهم اليه منفراً عنهم ومن ذهب الى أنه سأل المعرفة الضرورية يقول انه تاب من حيث سأل معرفة لايقتضيها التكليف وعلى جميع الاحوال تكون التوبة من ذنب صغير لايستحق عليه العقاب ولا الذم والأولى أن يقال في توبته عليه الصلاة والسلام انه ليس في الآية مايقتضي أن تكون التوبة وقعت من المسئلة أو من أمر يرجع اليها وقد يجوز أن يكون ذلك منه اما لذنب صغير تقدم تلك الحال أو تقدم النبوة فلا يرجع الى سؤال الله تعالى الرؤيا أوما أظهره من التوبة على سبيل الرجوع الي الله تعالى واظهار الانقطاع اليه والتقرب منه وان لم يكن هناك ذنب صغير وقد يجوز أيضاً أن يكون الغرض في ذلك مضافا الى الى ماقلناه تعليما وتوقيفاً على مانستعمله وندعو به عند الشدائد ونزول الاهوال وتنبيه القوم المخطئين خاصة علي التوبة مما التمسوه من الرؤية المستحيلة عليه تعالي فان الانبياء عليهم السلام وان لم يقع منهم القبيح عندنا فقد يقع من غيرهم ويحتاج في رفع ذلك عنه الى التوبة من الاستقالة ‥ فاما قوله تعالى (فلما تجلى ربه للجبل) فان التجلى ههنا هو التعريف والاعلام والاظهار لما يقتضى المعرفة كقولهم هذا كلام جلي أي واضح ظاهر وكقول الشاعر

تجلَّى لنا بالمشرَفيةِ والقنا ... وقدْ كانَ عَنْ وقْعِ الأَسِنَّةِ نائيا

أراد ان تدبيره دل عليه حتى علم انه المدبر له وان كان نائياً عن وقع الاسنة فاقام ما أظهره من دلالة فعله على مقام مشاهدته وعبر عنه بأنه تجلي منه ‥ وفي قوله تعالى للجبل وجهان ‥ أحدهما أن يكون المراد لأهل الجبل ومن كان عند الجبل فحذف كما قال تعالى (واسأل القرية ‥ وما بكت عليهم السماء والارض) وقد علمنا انه بما أظهره من الآيات انما دل من كان عند الجبل على أن رؤيته تعالي غير جائزة ‥ والوجه الآخر أن يكون المعنى للجبل أى بالجبل فأقام اللام مقام الباء كما قال تعالى (آمنتم له قبل أن آذن لكم) أي به وكما يقول أخذتك لجرمك أى بجرمك ولما كانت الآية الدالة على منع ماسئل فيه انما حلت الجبل وظهرت فيه جاز أن يضاف التجلي اليه وقد استدل

بهذه الآية كثير من العلماء الموحدين على أنه تعالى لايرى بالأبصار من حيث نفي الرؤية نفياً عاما بقوله تعالي (لن تراني) ثم أكد ذلك بأن علق الرؤية باستقرار الجبل الذي علمنا انه لم يستقر وهذه طريقة للعرب معروفة فى تبعيد الشيء لأنهم يعلقونه بما يعلم انه لايكون كقولهم لا كلمتك ماأضاء الفجر وطلعت الشمس وكقول الشاعر

إذَا شابَ الغُرابُ رَجوْتُ أهْلي وَصارَ القيرُ كاللَّبَنِ الحَليبِ

•• ومما يجري هذا المجرى قوله تعالى (ولا يدخلون الجنة حتي يلج الجمل فى سم الخياط) وليس لأحد أن يقول اذا علق الرؤية باستقرار الجبل وكان ذلك في مقدوره تعالى فيجب أن تكون الرؤية معلقة به أيضاً في مقدوره تعالى بانه لو كان الغرض بذلك التبعيد لعلقه بأمر يستحيل كما علق دخولهم الجنة بامر يستحيل من ولوج الجمل فى سم الخياط وذلك ان تشبيه الشيء بغيره لايجب أن يكون من جميع الوجوه ولما علق وقوع الرؤية باستقرار الجبل وقد علم أنه لايستقر علم نفى الرؤية وما عدا ذلك من كون الرؤية مستحيلة وغير مقدورة واستقرار الجبل بخلافها خارج عن ماهو الغرض فى التشبيه على انه انما علق تعالي جواز الرؤية باستقرار الجبل فى تلك الحال التى جعله فيها دكا وذلك محال لما فيه من اجتماع الضدين فجرى مجرى جواز الرؤية فى الاستحالة وليس يجب فى كل ماعلق بغيره أن يجرى مجراه فى سائر وجوهه حتى اذا كان أحدهما مع انتفائه مستحيلا كان الآخر بمثابته مستحيلا لأن تعليق دخول الكفار الجنة انما علق بولوج الجمل فى سم الخياط ودخول الكفار الجنة لم يكن مستحيلا بل معلوم ان الاول في المقدور وان كان لايحسن والثاني ليس فيه المقدور وهذه الجملة كافية فى تأويل هذه الآية وبيان مافيها والحمد لله وحده

[قال الشريف المرتضى] رضي الله عنه واني لاستجيد قول أبي العاص بن خزام ابن عبد الله بن قتادة المازني

وكمْ مِنْ صاحِبٍ قدْ بانَ عَنِّي رُميتُ بفَقْدِهِ وَهوَ الحَبيبُ

فلَمْ أُبدِ الذِي تحنُو ضلُوعِي عليْـهِ وإنَّني لأَنا الـكَـئيبُ

مَخافَةَ أَنْ يَرانِي مُسْتَكِينا عَدُوٌّ لاَ يُشابِهُهُ قَرِيبُ
فَيَشْمَتَ كاشِحٌ ويَظُنَّ أَنِّي جَزُوعٌ عِنْدَ نائِبَةٍ تَنُوبُ
فَبَعْدَكَ شَدَّتِ الأَعْداءُ طَرْفاً إِلَيَّ وَرابَنِي دَهْرٌ مُرِيبُ

معنى ــ شدت الاعداء طرفا ــ أى نظرت الى نظراً شديداً فظهر الغضب من عيونها

وأَنْكَرْتُ الزَّمانَ وكُلَّ أَهْلِي وَهَرَّتْنِي لِغَيْبَتِكَ الكَلِيبُ

يقال كلبٌ وكليب مثل عبد وعبيد

وكُنْتُ تَقَطَّعُ الأَبْصارُ دُونِي وإِنْ وَغِرَتْ مِنَ الغَيْظِ القُلُوبُ
وَيَمْنَعُنِي مِنَ الأَعْداءِ أَنِّي وإِنْ رَغِمُوا لَمَخْشِيٌّ مَهِيبُ
فَلَمْ أَرَ مِثْلَ يَوْمِكَ كانَ يَوْما بَدَتْ فِيهِ النُّجُومُ فَما تَغِيبُ
وَلَيْلٍ ما أَنامُ بِهِ طَوِيلٍ كأَنِّي لِلنُّجُومِ بِهِ رَقِيبُ
وَما يَكُ جائِياً لاَ بُدَّ مِنْهُ إِلَيْكَ فَسَوْفَ تَجْلِبُهُ الجَلُوبُ

****

مجلس اخر ٧١

[تأويل آية] .. ان سأل سائل عن قوله تعالى (واذ قتلتم نفساً فادّارأتم فيها) الى قوله (تعقلون) .. فقال كيف ذكر تعالى هذا بعد ذكر البقرة والأمر بذبحها وقد كان ينبغي أن يتقدمه لأنه انما أمر الله تعالي بذبح البقرة لينكشف أمر القاتل فكيف أخر تعالى ذكر السبب عن المسبب وبني الكلام بناء يقتضى انه كان بعده ولم قال تعالى (واذ قتلتم نفساً) والرواية وردت بأن القاتل كان واحداً فكيف يجوز أن يخاطب الجماعة بالقتل والقاتل بينها واحد والى أى شيء وقعت الاشارة بقوله تعالي (كذلك يحيي الله الموتي) .. الجواب قيل له أما قوله تعالى (واذ قتلتم نفساً) ففيه وجهان .. أولها أن تكون هذه الآية وان تأخرت فهي مقدمة في المعنى على الآية التى ذكرت فيها البقرة ويكون التأويل واذ قتلتم نفساً فادّارأتم فيها فسألتم موسى عليه السلام فقال لكم ان الله

يأمركم أن تذبحوا بقرة فأخر المقدم وقدم المؤخر •• ومثل هذا في القرآن وكلام العرب كثير •• ومثله (الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما) •• وقال الشاعر

إنَّ الفرزدقَ صخرةٌ عاديةٌ طالتْ فليسَ تنالُها الأوعالاَ (١)

أراد طالت الاوعال فليس تنالها •• ومثله

طافَ الخيالُ وأينَ منكَ لماما فارجعْ لزورِكَ بالسلامِ سلاما

أراد طاف الخيال لماما وأينه منك •• والوجه الثانى أن يكون وجه تأخير قوله تعالي (واذ قتلتم نفساً) انه معلق بما هو متأخر في الحقيقة وواقع بعد ذبح البقرة وهو قوله

(١) قوله ــ طالت فليس تنالها الاوعالا ــ أى طالت الاوعال بمعني فاقتها فى الطول يقال طال فلان فهو طويل وفعله على وزن فعل بضم العين لمجيء الوصف منه على فعيل وهو لازم •• وأما قولهم إن بشراً قد طلع اليمن ورحبكم الدخول فانهما ضمنا معنى بلغ اليمن ووسعكم الدخول وأما طاله ففعل بالفتح ولا يكون بالضم لأن فعل لا يتعدّي كما تقدم والبيت من هذا النوع قال سيبويه انما صحت الواو فى طويل لأنه لم يجيء على الفعل لأنك لو بنيته على الفعل قلت طائل وانما هو كفعيل يعنى به مفعول وقد جاء على الأصل فاعتل فعله نحو مخيوط فهذا أجدر •• قال وانما صحت الواو في طوال لصحتها فى الواحد فطوال من طويل كجوار من حاورت والبيت لسبيح بن رياح الزنجى ويقال رباح بن سبيح قاله حين غضب لما قال جرير فى الفرزدق

لاتطلبن خؤولة من تغلب فالزنج أكرم منهم أخوالا

فقال سبيح أو رباح

الزنج لو لاقيتهم في صفهم لاقيت ثم جحاجحاً أبطالا

مابال كلب بنى كليب سبنا أن لم يوازن حاجباً وعقالا

* ان الفرزدق صخرة عادية الخ * وبعض الرواة ينسبه للأخطل ويدخله في قصيدته التى يهجو بها جريراً ومطلعها

كذبتك عينك أم رأيت بواسط غلس الظلام من الرباب خيالا

وذلك غلط

البقرة انما هو بعد الذبح فكأنه تعالى قال (فذبحوها وما كادوا يفعلون) لانكم (قتلتم نفساً فادّارأتم فيها) فامرنا كم بأن تضربوه ببعضها لينكشف أمره فاما إخراج الخطاب تعالى (فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى) لأن الامر بضرب المقتول ببعض مخرج مايتوجه الى الجميع مع أن القاتل واحد فعلى عادة العرب في خطاب الأبناء بخطاب الآباء والاجداد وخطاب العشيرة بما يكون من أحدها فيقول أحدهم فعلت بنو تميم كذا وقتل بنو فلان فلاناً وان كان القاتل والفاعل واحداً من بين الجماعة ومنه قراءة من قرأ (يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون) بتقديم المفعولين على الفاعلين وهو اختيار الكسائى وأبي العباس ثعلب فيقتل بعضهم ويقتلون وهو أبلغ في وصفهم وأمدح لهم اذا قاتلوا وقتلوا بعد أن يقتل بعضهم كان ذلك أدلّ على شجاعتهم وقلة جزعهم وحسن صبرهم •• وقد قيل انه كان القاتلان اثنين قتلا ابن عم لهما فان الخطاب جرى عليهما بلفظ الجمع كما قال تعالى (وكنا لحكمهم شاهدين) يريد داود وسليمان عليهما السلام والوجه الاول أولي وأقوى بشهادة الاستعمال الظاهر له ولأن أكثر أهل العلم أجمعوا على أن القاتل كان واحداً • ومعنى (فادّارأتم) فتدارأتم أي تدافعتم وألقى بعضكم القتل على بعض يقال دارأت فلانا اذا دافعته وداريته اذا لاينته ودريته اذا ختلته • يقال أدرأ القوم اذا تدافعوا والهاء في قوله فادّارأتم فيها تعود الى النفس •• وقيل انها تعود على القتلة أي اختلفتم فى القتلة لأن قتلتم تدل على المصدر والقتلة من المصادر تدل عليها الافعال ورجوع الهاء الى النفس أولى وأشبه بالظاهر •• فاما قوله تعالى (كذلك يحيي الله الموتى) فالاشارة وقعت الى قيام المقتول عند ضربه ببعض أعضاء البقرة لأنه روى أنه قام حياً وأوداجه تشخب دما فقال قتلنى فلان ونبه الله تعالى بهذا الكلام ويذكر هذه القصة علي جواز ما أنكره مشركو قريش واستبعدوه من البعث وقيام الاموات لانهم قالوا اذا كنا عظاما ورفاتا الآية فاخبرهم الله تعالى بان الذى أنكروه واستبعدوه هيّن عليه غير متعذر فى إتساع قدرته وكان مما ضرب تعالى لهم من الامثال ونبههم عليه من الادلة ذكر المقتول الذي ضرب ببعض البقرة فقام حياً وأراد تعالى اني اذا كنت قد أحييت هذا المقتول بعد خروجه عن الحياة ويأس قومه من عوده وانطواء خبر كيفية قتله عنهم وردّته حياً مخاطباً

باسم قائله فكذلك فاعلموا ان إحياء جميع الاموات عند البعث لايعجزني ولا يتعذر علي وهذا بين لمن تأمله ٠٠[قال الشريف المرتضى] رضي الله عنه ومن الشعر المشهور بالجودة في ذم الدنيا والتذكير بمصائبها قول نهشل بن جري يرثي أخاه مالكا

ذَكَرْتُ أَخِي المُخَوَّلَ بعدَ يأسٍ ... فهاجَ عليَّ ذِكْرَاهُ اشْتِياقِي

فلا أَنسَى أَخِي ما دُمْتُ حَيًّا ... وإِخْوَانِي بأَقْرِبَةِ العِتَاقِ

يَجُرُّونَ الفِصالَ على النَّدَامَى ... بُرُوقَ الحُزْنِ مِنْ كَنَفَيْ إِبَاقِ

ويغلونَ السِّبَاءَ إِذَا أَتَوْهُ ... بِضُمْرِ الخَيْلِ والشَّوْلِ الخِفَاقِ

إِذَا اتَّصَلُوا وقالوا يا آلَ غَوْثٍ ... وَرَاحُوا في المُحَبَّرَةِ الرِّقَاقِ

أَجابَكَ كلُّ أَرْوَعَ شَمَّرِيٍّ ... رَخِيِّ البالِ مُنْطَلِقِ الخِنَاقِ

أُناسٌ صالِحُونَ نشأتُ فيهمْ ... فأَودوا بعدَ إِلْفٍ واتِّسَاقِ

مَضَوْا لِسَبِيلِهِمْ وَلَبِثْتُ عنهمْ ... وَلَكِنْ لا مَحَالَةَ مِنْ لَحَاقِ

كذا الإِلْفُ الذي أَدْلَجْنَ عنهُ ... فَحَنَّ وَلا يَتُوقُ إِلى مَتَاقِ

أَرَى الدُّنْيا ونحنُ نَعِيشُ فيها ... مُوَلِّيَةً تَهَيَّأُ لِانْطِلاقِ

أَعاذِلُ قدْ بَقِيتُ بَقَاءَ قَيْسٍ ... وَمَا حَيٌّ على الدُّنْيا بِبَاقِي

كأَنَّ الشَّيْبَ والأَحْداثَ تَجْرِي ... إِلى نَفْسِ الفَتَى فَرَسَا سِبَاقِ

فإِمَّا الشَّيْبُ يُدْرِكُهُ وإِمَّا ... يُلاقِي حَتْفَهُ فيما يُلاقِي

فإِنْ تَكُ لِمَّتِي بالشَّيْبِ أَمْسَتْ ... شَمِيطَ اللَّوْنِ وَاضِحَةَ المَسَاقِ

فقدْ أَغدُو بِدَاجِيَةٍ أَرَانِي ... بِهَا المُتَطَلِّعَاتُ مِنَ الرُّوَاقِ

إِليَّ كأَنَّهُنَّ ظِبَاءُ قَفْرٍ ... بِرُهْبَى أَوْ بِبَاعِجَتَي نِتَاقِ(١)

(١) ـرهبي ـ بفتح أوله وسكون ثانيه وبعد الهاء باء موحدة خبراء في الصمان في ديار بني تميم

يُرَامِقْنَ الحِبالَ بِغَيْرِ وصْلٍ ... وَلَيْسَ حِبالُ وَصلي بالرِّماقِ

وَعَهْدُ الغانياتِ كَعَهْدِ قَيْنٍ ... وَفَتْ عنهُ الجعائِلُ مُسْتَدَاقِ

كَجلْبِ السُّوءِ يُعْجِبُ مَنْ رآهُ ... ولاَ يَشفي الحَوائِمَ مِنْ لمَاقِ

فلاَ يَبعُدْ مُصابي في المَوَامِي ... وإِشرافُ المَلاَيَةِ وانصفاقِ

وَغَبْرَاء القَتَامِ جلَوتُ عَنّي ... بِمَجلى الطَّرْفِ سالِمَةِ المآقِ

وقد طوَّفتُ في الآفاقِ حتَّى ... سئمتُ النصَّ بالقُلُصِ العِتاقِ

وكم قاسيتُ مِنْ سنَةٍ جَمادٍ ... تَمَضُّ اللَّحْمَ مادُونَ العِرَاقِ

إِذَا أَفنيتُها بُدِّلتُ أُخرَى ... أُعُدُّ شُهُورَها عدَّ الأَوَاقِي

وأَفْنَتْنِي الشُّهورُ وليسَ تَفنَى ... وتَعْدَادُ الأَهِلَّةِ وَالمُحاقِ

وماسَبقَ الحَوادِثَ ليثُ غابٍ ... يَجُرُّ لِعِرسِهِ جُزُرَ الرِّفاقِ

ولاَ بَطلٌ تَعادَى الخَيْلُ مِنهُ ... فِرَارَ الطَّيْرِ مِنْ بَرَدٍ يُعاقِ

وأحسن حارثة بن بدر الغداني في قوله

يا بكرُ ماراحَ مِن قَومٍ ولاَ ابتكرُوا ... إلاّ وَلِلمَوتِ في آثارِهِمْ حادِي

يا كعبُ ماطلَعتْ شمسٌ ولاَ غَرُبَتْ ... إلاّ تُقرِّبُ آجالاً لِمِيعادِ

ولأبي العتاهية في هذا المعنى

إِذَا انقطَعتْ عَنّي منَ العَيْشِ مُدَّتِي ... فإِنَّ بُكاءَ الباكِياتِ قَليلُ

سيُعرَضُ عن ذِكري وتُنسَى مَوَدَّتي ... وَيَحدُثُ بعدِي لِلخَليلِ خليلُ

أَجَالَكَ قومٌ حِينَ صِرتَ إِلى الغِنا ... وكلُّ غنيٍّ في العُيونِ جَليلُ

وليسَ الغنـا إلا غنيّ زيّنَ الفتى عشيةَ يقري أوْ غـداةَ ينيلُ
ولم يفتقرْ يوماً وإنْ كانَ معدماً جوادٌ ولم يستغنِ قطُّ بخيلُ
إذا مالتِ الدُّنيا الي المرءِ رَغّبتْ إليـهِ وَمالَ النّاسُ حيثُ يميلُ
أرَى عللَ الدُّنيا على كثيرةً وَصاحبُها حتّى المماتِ عليلُ
وإنّي وإنْ أصبحتُ بالموتِ موقناً فلي أملٌ دُونَ اليقـينِ طويلُ

وقد أحسن البحترى في قوله في هذا المعنى

أخيَّ متى خاصمتَ نفسكَ فاحتشدْ لها ومَتى حدّثتَ نفسكَ فاصدُقِ
أرَى عللَ الأشياءِ شتّى ولاَ أرَى الـتجمّعَ الاّ علّةَ للتفرّقِ
أرَى العَيشَ ظلاً توشكُ الشمسُ نقلَهُ فكنْ في ابتغاءِ العَيْشِ كَيسكَ أوْمق
أرَى الدّهرَ غولاً للنفوسِ وإنّما يَقِي اللهُ في بعضِ المَواطنِ من يَتّقي
فلاَ تتبعِ الماضي سؤالكَ لِمَ مضي وعرّجْ على الباقي نسائلهُ لِمْ بقي
ولمْ أرَ كالدُّنيا خليلةَ صاحبٍ مُحبٍّ متى تحسُنْ بعينَيهِ تطلُقِ
تَرَاها عَنايا وَهيَ صَنعةُ واحدٍ فتَحسَبُها صُنعا لَطيفٍ وأخرَقِ

.. وقد قيل ان السبب فى خروج البحتري من بغداد في آخر أيامه كان هذه الابيات لأن بعض أعدائه شنّع عليه بأنه ثنوى من حيث قال — فتحسبها صنعا لطيف وأخرق — وكانت العامة حينئذ غالبة على البلد فخاف على نفسه فقال لابنه أبى الغوث قم يابني حتى نطفي عنا هذه الثائرة بخرجة نلم فيها ببلدنا ونعود فخرج ولم يعـد .. وأحسن أيضاً غاية الاحسان فى قوله

أغشَى الخُطُوبَ فإمّا جئنَ مأربَتي فيما أسيرُ أوْ أحكَمْنَ تأديبي

إنْ تَلْتَمِسْ تُمْرِ أَخْلَافَ الخُطُوبِ وإِنْ
تَلْبَثْ مَعَ الدَّهْرِ تَسْمَعْ بالأَعاجِيبِ (١)

(١) الابيات من قصيدة يمدح بها أحمد بن محمد الطائي ومطلعها

أتاركي أنت أم مغرى بتعذيبي ولائمي في الهوى إن كان يزري بي
عمر الغواني لقدبين من كثب هضيمة في محب غير محبوب
إذا مددنا الى أعراضه سبباً وقين من كرهه الشبان بالشيب
أمغلت بك من زهد المهارب من مرهق ببوادي الشيب مقروب
يحنو به من أعاليه على أود حنو الثقاف جرى فوق الانابيب
أم هل مع الحب حلم لا تسفهه صبابة أو عزاء غير مغلوب
قضيت من طلبي للغانيات وقد شأوتني حاجة في نفس يعقوب
لم أر كالنفر الاغفال سائمة من الحباق لم تحفظ منا لذيب
وأربد القطر يلقاك السراب به بعد التربض مبيض الجلابيب
أغشي الخطوب •• البيتان وبعدهما

ومنها الى أبي جعفر خاضت ركائبنا خطار كل مهول الخرق مرهوب
نَنوط آمالنا منه على ملك مردد في صريح المجد ملسوب
مُحتَضِر الباب اما آذن النقرى أو فائت لعيون الوفد محجوب
ومنها خلائق كسوار المزن موفية على البلاد بتصبيح وتأويب
ينهضن بالثقل لا تعطى النهوض به أعناق مجفرة الموج المراجيب
في كل أرض و قوم من سحائبه أسكوب عارفة من بعد أسكوب
كم بث في حاضر النهرين من نفل ملقى على حاضر النهرين مصبوب
يملأ أفواه مداحيه من حسب على السماكين واللسرين مسحوب
تاتي اليه المعالي قصد أوجهها كالبيت يقصد أماً بالمحاريب
معطي من المجد مزداداً برغبته يجري علي سنن منه وأ ت

وفي قوله

مَتي تَستَزِدْ فضلاً مِنَ العمرِ تَغترِفْ بِسَجليكَ من شَهدِ الخُطوبِ وَصابِها
تَشدُّ بِنا الدُّنيا بأَخفَضِ سَعيها وَغولُ الأَفاعِي لمهُ مِنْ لُعابِها
يُسَرُّ بِعمرانِ الدِّيارِ مُضَلَّلٌ وَعُمرانُها مُستأنَفٌ مِنْ خَرابِها
ولم أرْتَضِ الدُّنيا أوانَ مَجيئِها وكيفَ ارْتِضائِيها اوانَ ذَهابِها
أقولُ لِمَكذُوبٍ عنِ الدَّهرِ زاغَ عنْ تَخَيُّرِ آراءِ الحجى وَانتِخابِها
سَيُرْدِيكَ أوْ يُثْوِيكَ أنكَ مُخلِسٌ إلي شُقَّةٍ يُبكيكَ من بعدُ ما بِها
وَهلْ أنتَ مِنْ مَرْمُوسَةٍ طالَ أخذُها مِنَ الأَرْضِ الاّ حفنَةٌ مِنْ تُرابِها(١)

كالعين منهومة بالحسن تتبعه والأنف يتبع أعلى منتهى الطيب
ما آنفك منتضياً سيفي قرى ووغى على الكواهل تدمي والعراقيب
قد سرني برعجـل من عداوته بعد الذي اختبطت من سخطه الموب
ساروا مع الناس حيث الناس أزفلة في جوده بين مرؤوس ومربوب
ولو تناهت بنو شيبان عنه اذا لم يجشموا اوقع ذى حدين مذروب
مازادها النفر عنه غـير تعرية وبعدها من رضاه غير تتبيب

(١) الابيات من قصيدة يمدح بها صاعدا ومطلعها

معاد من الايام تعـذيبنا بهـا وابعادها بالالف بعد اقترابها
وما تملأ الآفاق من فيض عبرة وليس الهوى البادى لفيض انسكابها
غوى رأى نفس لا ترى أن وجدها بتلك الغواني شقة من عذابها
وحظك من ليلي ولا حظ عندها سوي صدها من غادة واجتنابها
يفاوت من تأليف شعبي وشعبها تناهى شبابي وابتداء شبابها
س الاان أن شمسا أتكشفت لبصرهـا وانهـا في ثيابهـا

•• وجدت الآمدي يروى هذا البيت انك محبس بالباء •• وتفسير ذلك ان المعنى انك موقوف الى أن تصير الى هذا من قولك أحبست فرساً فى سبيل الله وأحبست داري أي وقفتهـا والرواية المشهورة انك محلس باللام [1] ••والمعنى انك متهيء للرحيل ومتخذ حلساً يوضع تحت الرحل وهذا أشبه بالمعنى الذى قصده البحترى وأولى بأن يختاره مع دقة طبعه وسلامة ألفاظه

مجلس آخر ٧٢

[تأويل آية]•• ان سأل سائل عن قوله تعالى (هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها) الى قوله (تعالى الله عما يشركون)•• فقال أليس ظاهر هذه الآية يقتضي جواز الشرك بالله على الأنبياء عليهم السلام لأنه لم يتقـدم الا ذكر آدم وحواء عليهما السلام فيجب أن يكون قوله تعالى (جعلا له شركاء فيما آتاهما) يرجع اليهما •• الجواب قلنا كما ان ذكر آدم وحواء عليهما السلام قد تقدم فقد تقدم أيضاً ذكر غيرهما في قوله تعالي (هو الذى خلقكم) ومعلوم ان المراد بذلك جميع ولد آدم عليـه السـلام في قوله (فلما آتاهما صالحا) وأراد بالصـلاح الاستواء فى الاعضاء والمعـنى فلما آتاهما ولداً صالحـا والمراد بهذا الجنس دون الواحد وان كان اللفظ لفظ وحدة والمعنى فلما آتاهما جنساً من الاولاد صالحـين •• واذا كان الامر على ماذكرناه جاز أن يرجع قوله تعالى (جعـلا له شركاء) الى ولدهما وقد تقـدم ذكرهم •• فان قيل انما وجب رده الى آدم وحواء عليهما السـلام لأجل التثنية في الكلام ولم يتقدم ذكر اثنين الاذكرهما عليهما السلام •• قلنا ان جعل هذا ترجيحاً في رجوعه اليهما جاز أيضاً أن يحمل قوله تعالى في آخر الآية (تعالى الله عمايشركون)

[١] ــ قلت والبيت في ديوان شعره

سيرديك أو يثويك أنك مخلس ... الي شـتة يبليك بعـد مآبها

وجهاً مقربا لرجوع الكلام الى جملة الاولاد ويجوز أيضاً أن يكون أشار في التثلية الي الذكور والاناث من ولد آدم عليه السلام والي جلسين منهم فحسلت التثنية لذلك على أنه اذا تقدم فى الكلام أمران ثم تلاهما حكم من الاحكام وعلم بالدليل استحالة تعلقه باحد الامرين وجب رده الى الآخر •• واذا علمنا أن آدم عليه السلام لايجوز عليه الشرك لم يجزعود الكلام اليه فوجب عوده الي المذكورين من ولد آدم عليه السلام •• وذكر أبو على الجبائي فى هذا مانحن نورده على وجهه •• قال انما عنى بهذا ان الله تعالي خلق بني آدم من نفس واحدة لأن الاضمار فى قوله تعالى خلقكم انما عنى به بني آدم عليه السلام والنفس الواحدة التى خلقهم منها هي آدم لأنه خلق حواء من آدم ويقال انه تعالى خلقها من ضلع من أضلاعه ويقال من طينته فرجعوا جميعاً الى أنهم خلقوا من آدم عليه السلام •• وبين ذلك بقوله تعالي (وخلق منها زوجها) لأنه عنى به أنه خالق من هذا النفس زوجها وزوجها هي حواء عليهما السلام •• وعنى بقوله تعالي (فلما تغشاها حملت حملا خفيفا) وحملها هو حبلها منه فى ابتداء الحمل لأنه فى ذلك الوقت خفيف عليها •• ومعنى قوله تعالى (فمرّت به) ان مرورها بهذا الحمل فى ذلك الوقت وتصرفها به كان عليها سهلا لخفته فلما كبر الولد في بطنها ثقل ذلك عليها فهو معنى قوله تعالى (أثقلت دعوا الله) فثقل عليها عند ذلك المشي والحركة •• وعنى بقوله تعالي (دعوا الله ربهما) انهما دعوا عند كبر الولد فى بطنها فقالا لئن آتيتنا يارب نسلا صالحا لنكونن من الشاكرين لنعمتك علينا لأنهما أرادا أن يكون لهما أولاد تؤنسهما فى الموضع الذي كانا فيه لأنهما كانا فردين مستوحشين اذا غاب أحدهما بقى الآخر مستوحشاً بلا مؤنس فلما آتاهما نسلا صالحا معافي وهم الأولاد الذين كانوا يولدون لهما لأن حواء عليها السلام كانت تلد في كل بطن ذكر وأنثى فقال انها ولدت في خمسمائة بطن ألف ولد •• وعنى بقوله تعالي (فلما آتاهما صالحا جعلاله شركاء فيما آتاهما) أى إن هذا النسل الصالح الذى هم ذكر وأنثي جعلاله شركاء فيما آتاهما من نعمة وأضاف بعد تلك النعم الى الذين اتخذوهم آلهة مع الله تعالي من الأصنام والاوثان ولم يعن بقوله تعالى جعلا آدم وحواء عليهما السلام لأن آدم لايجوز عليه

الشرك لأنه نبيٌّ من أنبيائه ولو جاز الشرك والكفر على الأنبياء لما جاز أن يثق أحدنا بما يؤديه النبي عليه الصلاة والسلام عن الله تعالى عز وجل لأن من جاز عليه الكفر جاز عليه الكذب ومن جاز عليه الكذب لايؤخذ باخباره فصح بهذا ان الاضمار في قوله تعالي (جعلاله شركاء) انما يعنى به النسل وانما ذكر ذلك على سبيل التثنية لأنهم كانوا ذكراً وأنثي فلما كانوا صنفين جاز أن يجعل تعالي الاخبار عنهما كالاخبار عن الأثنين اذ كانا صنفين .. وقد دل على صحة تأويلنا هذا قوله تعالى في آخر الآية (تعالى الله عما يشركون) فبين عز وجل ان الذين جعلوا لله شركاءهم جماعة فلهذا جعل إضمارهم إضمار الجماعة فقال تعالى يشركون مضي كلام أبي على .. وقد قيل في قوله تعالى (فلما آتاهما صالحا) مضافا الى الوجه المتقدم الذي هو انه أراد بالصلاح الاستواء في الخلقة والاعتدال في الاعضاء وجه آخر وهو انه لوأراد الصلاح في الدين لكان الكلام أيضاً مستقيما لأن الصالح فى الدين قد يجوز أن يكفر بعد صلاحه فيكون في حالٍ صالحا وفي أخري مشركا وهذا لايتنافى .. وقد استشهد فى جواز الانتقال من خطاب الي غيره ومن كناية عن مذكور الى مذكور سواه ليصح ماقلناه من الانتقال من الكناية عن آدم عليه السلام وحواء عليها السلام الى ولدهما بقوله تعالى (إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً لتؤمنوا بالله ورسوله) فالصرف عن مخاطبة الرسول الى مخاطبة المرسل اليهم ثم قال (وتعزروه وتوقروه) يعنى الرسول عليه الصلاة والسلام ثم قال (وتسبحوه) وهو يعنى مرسل الرسول فالكلام واحد متصل بعضه ببعض والخطاب منتقل من واحد الى غيره وبقول الهذلى

يالَهْفَ نَفْسِي كانَ جِدَّةُ خالِدٍ ... وَبَياضُ وَجْهِكَ لِلتُّرابِ الأَعْفَرِ

ولم يقل وبياض وجهه .. وقال كثير

أَسِيئِي بِنا أَوْأَحْسِنِي لاَمَلُومَةً ... لَدَينا ولاَ مَقْلِيَّةً إِنْ تَقَلَّتِ (١)

(١) قوله ـ أسيء بنا أو أحسنى ـ أورده صاحب الكشاف عند قوله تعالى (أنفقوا طوعا أو كرهاً لن يتقبل منكم) على تساوى الانفاقين في عدم القبول كما

فخاطب ثم ترك الخطاب •• وقال آخر

فِدىً لكَ يافتىً وجَميعُ أهْلي ۞ وَما لِي إنَّهُ منهُ أتانِي

ساوى كثير بين الاحسان والاساءة في عدم اللوم والنكتة فى مثل ذلك اظهار لنفي تفاوت الحال بتفاوت فعل المخاطب كأنه يأمرها بذلك لتحقيق أنه على العهد ومقلية بمعنى مبغضة من القلى وهو البغض •• والبيت من قصيدته المشهورة •• روي أن عبد الملك سأله عن أعجب خبرله مع عزة فقال ياأمير المؤمنين حججت سنة وحج زوج عزة معها ولم يعلم أحدنا بصاحبه فلما كنا ببعض الطريق أمرها زوجها بابتياع سمن تصلح به طعاما لرفقته فجعلت تدور الخيام خيمة خيمة حتي دخلت الىّ وهي لاتعلم أنها خيمتي وكنت أبرى سهماً فلما رأيتها جعلت أبري لحمي وأنظر اليها حتى بريت ذراعى وأنا لاأعلم به والدم يجرى فلما علمت ذلك دخلت اليّ فامسكت يدىّ وجعلت تمسح الدم بثوبها وكان عندى نحى سمن فحلفت لتأخذه فأخذته وجاء زوجها فلما رأي الدم سألها عن خبره فكاتمته حتي حلف عليها لتصدقنه فصدقته فضربها وحلف عليها لتشتمني فى وجهي فوقفت على وقالت لى وهى تبكى يابن الزانية ومطلع القصيدة

خليلى هذا ربع عزة فاعقلا ۞ قلوصيكما ثم ابكيا حيث حلت

ومسا ترابا كان قد مس جلدها ۞ وبيتاً وظلا حيث باتت وظلت

ولا تيأسا أن يمحو الله عنكما ۞ ذنوبا اذا صليتما حيث صلت

وما كنت أدري قبل عزة ماالبكي ۞ ولا موجعات القلب حتى تولت

وقد حلفت جهداً بما نحرت له ۞ قريش غداة المأزمين وصلت

أناديك ماحج الحجيج وكبرت ۞ بغيفا غزالٍ رفقة وأهلت

وكانت لقطع العهد بيني وبينها ۞ كناذرة نذراً فأوفت وحلت

فقلت لها ياعز كل مصيبة ۞ اذا وطنت يوما لها النفس ذلت

ولم يلق انسان من الحب ميعة ۞ تعم ولا عمياء الا تجلت *

كأني أنادي صخرة حين أعرضت ۞ من الصم لو تمشي بها العصم زلت

ولم يقل منك أتاني .. ووجدت أبا مسلم محمد بن بحر يحمل هذه الآية على أن الخطاب في جميعها غير متعلق بحواء وآدم عليهما السلام ويجعل الهاء في تغشاها والكناية في دعوا

صفوحا فما تلقاك الا بخيلة — فمن مل منها ذلك الوصل ملت
أباحت حمى لم يرعه الناس قبلها — وحلت تلاعا لم تكن قبل حلت
فليت قلوصي عند عزة قيدت — بحبل ضعيف غر منها فضلت
وغودر في الحي المقيمين رحلها — وكان لها باغ سواي فبلت
وكنت كذي رجلين رجل صحيحة — ورجل رمى فيها الزمان فشلت
وكنت كذات الظالع لما تحاملت — على ظلعها بعد العثار استقلت
أريد الثواء عندها وأظنها — اذا ما أطلنا عندها المكث ملت
فما أنصفت أما النساء فبغضت — الينا وأما بالنوال فضلت *
يكلفها الغيران شتمي وما بها — هواني ولكن للمليك استذلت
هنيئاً مريئاً غير داء مخامر — لعزة من أعراضنا ما استحلت
ووالله ما قاربت الا تباعدت — بصرم ولا أكثرت الا أقلت
فان تكن العتبي فاهلا ومرحباً — وحقت لها العتبي لدينا وقلت
وان تكن الاخرى فان وراءنا — مناوح لو تسرى بها العيس كلت
خليلى ان الحاجبية طلحت — قلوصيكما وناقتي قد أكلت
فلا يبعدن وصل لعزة أصبحت — بعاقبة أسبابه قد تولت *
أسيء بنا أو أحسني لا ملومة — لدينا ولا مقلية ان تقلت *
ولكن أنيلي واذكري من مودة — لنا خلة كانت لديك فضلت
واني وان صدت لمثن وصادق — عليها بما كانت الينا أزلت
فما أنا بالداعي لعزة بالجوى — ولا شامت ان نعل عزة زلت
فلا يحسب الواشون ان صبابتي — بعزة كانت غمرة فتجلت
فاصبحت قد أبللت من دنف بها — كما أدنفت هيماء ثم استبلت
ووالله ثم الله ما حل قبلها — ولا بعدها من خلة حيث حلت

الله ربهما وآتاهما صالحا راجعتين الى من أشرك ولم يتعلق بآدم وحواء عليهما السلام من الخطاب الا قوله (خلقكم من نفس واحدة) لأن الاشارة في قوله (خلقكم من نفس واحدة) الى الخلق عامة •• وكذلك قوله تعالى(وجعل منها زوجها) •• ثم خص منها بعضهم كاقال تعالى (هو الذي يسيّركم في البرّ والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة) فخاطب الجماعة بالتسيير في البر والبحر ثم خص راكب البحر بقوله تعالى (وجرين بهم بريح طيبة) كذلك هذه الآية أخبرت عن جملة أمر البشر فانهم مخلوقون من نفس واحدة وزوجها آدم وحواء عليهما السلام •• ثم دعى الذكر اي الذى سأل الله تعالى ماسأل فلما أعطاه اياه ادعى الشركاء في عطيته •• وقال جائز أن يكون عنى بقوله هو الذي خلقكم من نفس واحدة المشركين خصوصاً اذ كان كل بني آدم مخلوقاً من نفس واحدة •• ويجوز أن يكون المعنى في قوله تعالى (خلقكم من نفس واحدة) خلق كل واحدٍ منكم من نفس واحدة وهذا يجيء كثيراً في القرآن وفي كلام العرب قال الله تعالى (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة) والمعنى فاجلدوا كل واحدٍ ثمانين جلدة وقال (ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا اليها) فلكل نفس زوج وهومنها أي من جنسها فلما تغشي كل نفس زوجها حملت حملاً خفيفاً وهو ماء الفحل فمرت به أي مارت والمور التردّد والمراد تردّد هذا الماء في رحم هذه الحامل فلما أثقلت

وما مرّ من يوم عليّ كيومها ... وان عظمت أيام أخرى وجلت
فاضحت بأعلى شاهق من فؤاده ... فلا القلب يسلاها ولا العين ملت
فياعجباً للقلب كيف اعترافه ... وللنفس لما وطنت كيف ذلت
واني وتهيامي بعزة بعدما ... تخليت عما بيننا وتخلت *
لكا لمرتجى ظل الغمامة كلما ... تبوأ منها للمقيل اضمحلت
كأني واياها سحابة ممحل ... رجاها فلما جاوزته استهلت
فان سأل الواشون فيا هجرتها ... فقل نفس حر سليت فتسلت

أي ثقل حملها أي بصير ذلك الماء لحماً ودماً وعظماً دعوا الله أي الرجل والمرأة لما استبان حمل المرأة فقالا لئن آتيتنا صالحاً لنكونن من الشاكرين فلما آتاهما أي اعطاهما ماسألا من الولد الصالح نسبا ذلك الى شركاء معه فتعالى الله عما يشركون •• وقال قوم معنى جعلا له شركاء أي طلبا من الله أمثالاً للولد الصالح فشركا بين الطلبتين وتكون الهاء في قوله تعالى له راجعة الى الصالح لا الي الله تعالي ويجري مجرى قول القائل طلبت مني درهماً فلما أعطيتك أشركته بآخر أي طلبت آخر مضافا اليه وعلى هذا الوجه لا يمتنع أن يكون قوله تعالى جعلا والخطاب كله متوجهاً الى آدم وحواء عليهما السلام



مجلس آخر ٧٣

[تأويل آية] •• ان سأل سائل عن قوله تعالي (قال أتعبدون ماتنحتون والله خلقكم وماتعملون) •• فقال أليس ظاهر هذا القول يقتضى انه خالق لاعمال العباد لان ما ههنا بمعنى الذى فكأنه قال خلقكم وخلق أعمالكم •• الجواب قلنا قد حمل أهل الحق هذه الآية على ان المراد بقوله تعالى وما تعملون أي وما تعملون فيه من الحجارة والخشب وغيرهما مما كانوا يتخذونه أصناماً ويعبدونها •• قالوا وغير منكران يريد بقوله تعالي وما تعملون ذلك كما انه قد أراد ماذكرناه بقوله تعالى وتعبدون ماتنحتون لانه لم يرد تعالي انكم تعبدون نحتكم الذي هو فعلكم بل أراد ماتعملون فيه النحت وكما قال تعالى في عصى موسى عليه السلام تلقف مايأفكون وتلقف ماصنعوا وانما أراد تعالي ان العصى تلقف الحبال التي أظهروا سحرهم فيها وهي التي حلتها صنعتهم وافكهم فقال تعالي ماصنعوا ومايأفكون وأراد تعالى ماصنعوا فيه ومايأفكون فيه ومثله قوله تعالى (يعملون له مايشاء من محاريب) وانما أراد المعمول فيه دون العمل وهذا في الاستعمال أيضاً سائغ شائع لانهم يقولون هذا الباب عمل النجار وفي الخلخال هذا عمل الصائغ وان كانت الاجسام التي أشير اليها ليست أعمالا لهم وانما عملوا فيها فحسن اجراء هذه العبارة •• فان قيل كل الذى ذكرتموه وان استعمل فعلي وجه المجاز والاتساع لان العمل في الحقيقة لا يجرى الاعلى فعل الفاعل

دون مايعمل فيه وان استعير في بعض المواضع .. قلنا ليس نسلم لكم ان الاستعمال الذى ذكرناه على سبيل المجاز بل نقول هو المفهوم الذى لا يستفاد سواه لان القائل اذا قال هذا الثوب عمل فلان لم يفهم منه الا انه عمل فيه وما رأينا أحداً قط يقول في الثوب بدلا من قوله هذا من عمل فلان هذا مما حله عمل فلان فالاول أولى بأن يكون حقيقة وليس ينكر أن يكون الاصل في الحقيقة ماذكروه ثم انتقل ذلك بعرف الاستعمال الى ماذكرناه وصار أخصّ به ومما لا يستفاد من الكلام سواه كما انتقلت ألفاظ كثيرة على هذا الحدّ والاعتبار في المفهوم من الالفاظ الا بما يستقر عليه استعمالها دون ما كانت عليه في الاصل فوجب أن يكون المفهوم .. والظاهر من الآية ماذكرناه على أنا لوسلمنا ان ذلك مجاز لوجب المصير اليه من وجوه .. منها مايشهد به ظاهر الآية ويقتضيه ولا يسوغ سواه .. ومنها ماتقتضيه الأدلة القاطعة الخارجة عن الآية .. فمن ذلك انه تعالى أخرج الكلام مخرج التهجين لهم والتوبيخ لافعالهم والازراء على مذاهبهم .. فقال (أتعبدون ماتنحتون والله خلقكم وما تعملون) ومتي لم يكن قوله تعالي (وما تعملون) المراد به مايعملون فيه ليصير تقدير الكلام أتعبدون الاصنام التي تنحتونها والله خلقكم وخلق هذه الاصنام التى تفعلون بها التخطيط والتصوير لم يكن للكلام معنى ولا مدخل في باب التوبيخ ويصير على مايذكره المخالف كأنه قال أتعبدون ماتنحتون والله خلقكم وخلق عبادتكم فأيّ وجه للتقريع وهذا الي أن يكون عذراً أقرب من يكون لوماً وتوبيخاً اذا خلق عبادتهم للأصنام فأىّ وجه للومهم عليها وتقريعهم بها على أن قوله تعالي (خلقكم وما تعملون) بعد قوله تعالي (أتعبدون ماتنحتون) انما خرج مخرج التعليل للمنع من عبادة غيره فلا أن يكون متعلقاً بما تقدم من قوله (أتعبدون ماتنحتون) ومؤثراً في المنع من عبادة غيره فلو أفاد غير قوله ماتعملون نفس العمل الذى هو النحت دون المعمول فيه لكان له فائدة في الكلام لأن القوم لم يكونوا يعبدون النحت وانما كانوا يعبدون محل النحت ولأنه كان لاحظ في الكلام للمنع من عبادة الاصنام فكذلك لو حمل قوله تعالى ماتعملون من أعمال أخر ليست نحتهم ولاهي ماعملوا فيه لكان أظهر في باب اللغو والعبث والبعد عن التعلق بما تقدم فلم يبق الا أنه أراد تعالى به خلقكم

وما تعملون فيه النحت فكيف تعبدون مخلوقا مثلكم •• فان قيل لهم زعمتم انه لو كان الامر على ماذكرناه لم يكن للقول الثاني حظ في باب المنع من عبادة الاصنام وماتنكرون أن يكون لما ذكرناه وجه في المنع من ذلك وان كان ماذكرتموه أيضاً لو أريد لكان وجهاً وهو ان من خلقنا وخلق الافعال فينا لايكون الا الاله القديم الذي يحق له العبادة وغير القديم تعالى كما يستحيل أن يخلقنا يستحيل أن يخلق فينا الافعال على الوجه الذي يخلقها القديم عليه تعالى فصار لما ذكرناه تأثير •• قلنا معلوم ان الثاني اذا كان كالتعليل للاول والمؤثر في المنع من العبادة فلأن يتضمن انكم مخلوقون وما تعبدونه أولى من أن ينصرف الى ماذكرتموه مما لايقتضى أكثر من خلقهم دون خلق ماعبدوه فانه لاشئ أدل على المنع من عبادة الاصنام من كونها مخلوقة كما ان عابدها مخلوق ويشهد لما ذكرناه أيضاً قوله تعالى في موضع آخر (أيشركون مالايخلق شيئاً وهم يخلقون ولا يستطيعون لهم نصراً ولا أنفسهم ينصرون) فاحتج تعالى عليهم في المنع من عبادة الآلهة دونه بانها مخلوقة لاتخلق شيئاً ولا تدفع عن أنفسها ضرراً ولاعنهم وهذا واضح على أنه لو ساوى ما ذكروه ما ذكرناه في التعلق بالأول لم يسغ حمله على ماادعوه لأن فيه عذراً لهم في الفعل الذي عنفوا وقرعوا من أجله وقبيح أن يوبخهم بما يعذرهم ويذمهم مما يبرئهم على ماتقدم على أنا لانسلم ان من يفعل أفعال العباد ويخلقها يستحق العبادة لأن من جملة أفعالهم القبائح ومن فعل القبائح لا يكون إلهاً ولا تحق له العبادة تخرج ما ذكروه من أن يكون مؤثراً بانفراده في العبادة على أن إضافة العمل اليهم لقوله تعالى يبطل تأويلهم هذه الآية لأنه لو كان تعالى خالقاً لها لم يكن عملا لهم لأن العمل انما يكون لمن يحدثه ويوجده فكيف يكون عملا لهم والله خالقهم وهذه مناقضة فثبت بهذا ان الظاهر شاهد لنا أيضاً على ان قوله تعالى (وما تعملون) يقتضي الاستقبال وكل فعل لم يوجد فهو معدوم ومحال أن يقول تعالى اني خالق للمعدوم •• فان قالوا اللفظ وان كان للاستقبال فالمراد به الماضى كأنه تعالى قال والله خلقكم وما عملتم •• قلنا هذا عدول منكم عن الظاهر الذي ادعيتم انكم متمسكون به وليس أنتم بأن تعدلوا عنه بأولى منا بل نحن أحق لأنا نعدل عنه بدلالة وأنتم تعدلون بغير حجة •• فان قيل فأنتم

أيضاً تعدلون عن هذا الظاهر بعينه على تأويلكم وتحملون لفظ الاستقبال على لفظ الماضي •• قلنا لانحتاج نحن في تأويلنا الى ذلك لأنا اذا حملنا قوله تعالى (وما تعملون) على الاصنام المعمول فيها •• ومعلوم ان الأصنام موجودة قبل عملهم فيها فجاز أن يقول تعالى إني خلقتها ولا يجوز أن يقول اني خلقت ماسيقع من العمل في المستقبل على أنه تعالى لو أراد بذلك أعمالهم لاماعملوا فيه على ماادعوه لم يكن في الظاهر حجة على ما يريدون لأن الخلق هو التقدير والتدبير وليس يمتنع في اللغة أن يكون الخالق خالقاً لفعل غيره اذا قدره ودبره ألا ترى أنهم يقولون خلقت الأديم وان لم يكن الأديم فعلا لمن يقول ذلك فيه ويكون معنى خلقه لأفعال العباد انه مقدر لها ومعرّف لنا مقاديرها ومراتبها ومابه نستحق عليها من الجزاء وليس يمتنع أن يقال انه خالق للأعمال على هذا المعنى اذا ارتفع الابهام وفهم المراد فهذا كله تقتضيه الآية ولو لم يكن في الآية شيء كما ذكرناه مما يوجب العدول عن حمل قوله تعالى (وما تعملون) على خلق نفس الاعمال لوجب أن نعدل بها عن ذلك ونحملها على ماذكرناه بالادلة العقلية الدالة على أنه تعالى لايجوز أن يكون خالقاً لأعمالنا وان تصرفنا محدث منا ولا فاعل له سوانا وكل هذا واضح والحمد لله تعالى والمنة •• [قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه واني لأستحسن لبعض نساء بني أسدٍ قولها

أَلمْ تَرَنا غَبَنَّا ماؤُنا ... زَمانًا فظلْنا نَكُدُّ البِئارَا
فَلمَّا عَدَا المَاءُ أَوْطانَهُ ... وَجَفَّ الثِّمادُ فَصارَتْ حِرارَا
وَضجَّتْ إلي رَبِّها في السَّماءِ ... رُؤُسُ العُصاةِ تُناجِي السِّرَارَا
وَفَتَّحَتِ الأَرْضُ أفْوَاهَهـا ... عَجِيجَ الجِمَالِ وَرُدْنَ الجِفارَا
لَبِسنا لَدَى عَطَنٍ لَيْلَةً ... على اليأْسِ أَثْيابَنا وَالخِمارَا
وقُلْنا أَعِيرُوا النَّدَى حَقَّهُ ... وسِيرُوا الحِفاظَ وَمُوتُوا حِرَارَا

فإنَّ النَّدى لعسي مرّةً ... يَرُدّ الي أهلِهِ ما استعارا
فبتنا نُوطّن أحشاءنا ... أضاء لنا عارضٌ فاستطارا
فاقبلَ يزحفُ زحفَ الكسير ... سياقَ الرعاء البطاء العشارا
تُغنّي وتضحكُ حافاتُهُ ... خلالَ النعام وتبكي مرارا
كأنّا تُضيّ لنا حرّةٌ ... تشُدُّ إزارًا وتلقي إزارا
فلمّا خشينا بأنْ لاَ نجيّ ... وأنْ لاَ يكون فرارٌ فرارا
أشارَ اليه امرؤٌ فوقهُ ... هلمَّ فأمَّ الى ما أشارا

وأنشد أبو هفان لولادة المرمية

لولاَ اتّقاء الله قُمتُ بمفخرٍ ... لاَ يبلغُ الثقلانِ فيهِ مقامي
بأبوّةٍ في الجاهلية سادةٍ ... بذُّوا العلاَ أمراء في الإسلامِ
جادُوا فسادُوا ما نعينَ أذاهمُ ... لنداهمُ فضلٌ على الأقوامِ
قد أنجبوا في السؤددَين وانجبوا ... بنجابةِ الأخوالِ والأعمامِ
قومٌ اذا سكتوا تكلَّمَ مجدُهمُ ... عنهمْ فاخرسَ دونَ كلّ كلامِ

وقالت امرأة من بني سعد بن بكر

أيا أخويّ الملزميَّ ملامةً ... أعندكما باللهِ من مثلِ ما بيا
سألتُكما باللهِ الاَّ جعلتُما ... مكانَ الأذى واللّومِ أن تاويا ليا
أيا أمتا حبُّ الهلاليّ قاتلي ... شطونُ النوي يحتلُّ عرضا يمانيا
أشمُّ كغصنِ البانِ جعدٌ مرجّلٌ ... شغفتُ بهِ لو كانَ شيئًا مُدانيا
فإن لم أوسّد ساعدي بعد هجعةٍ ... غلامًا هلاليًا فشلّت بنانيا

ثكلتُ أبي إن كنتُ ذُقتُ كريقِهِ سُلافاً ولا ماءَ الغمامةِ غاديا
ألمَّ كثيراً لمَّةً ثمَّ شمّرتْ به خَلَّةٌ يطلُبْنَ برقاً يمانيا

ولصاحبة الهلالية أيضاً

وإنّي لأهوى القصدَ ثمّ يردُّني عن القصدِ ميلاتُ الهوى فأميلُ
فما وجدُ مسجونٍ بصنعاءَ موثَقٍ بساقيهِ من حبسِ الأميرِ كبولُ
وما ليلُ مولىً مسلَمٍ بجريرةٍ لهُ بعدَ ما نامَ العيونُ عويلُ
بأكثرَ منّي لوعةً يومَ راعَني فِراقُ حبيبٍ ما إليهِ سبيلُ

ولعمرة بنت [1] العجلان أخت عمرو ذى الكلب بن عجلان الكاهلى ترثى أخاها عمرا وقد كان فى بعض غزواته نائما فوثب اليه نمران فأكلاه فوجدت قبيلة فهم سلاحه فادعت قتله هى

سألتُ بعمرٍو أخي صحبَهُ فأفظعَني حينَ ردّوا السؤالا [2]
وقالوا أُتيحَ لهُ نائماً أعزُّ السباعِ عليهِ أحالا [3]

---

[١] قوله ـ ولعمرة بنت العجلان الخ .. قلت نسبها غيره لاخته جنوب .. وقوله فوثب اليه نمران فاكلاه .. قال صاحب زهر الآداب قال عمر بن شبة كان عمرو هذا يغزو فهما فيصيب منهم فوضعوا له رصداً على الماء فأخذوه فقتلوه ثم مروا باخته جنوب فقالوا طلبنا أخاك فقالت لئن طلبتموه لتجدنه منيعاً ولئن وصفتموه لتجدنه مريعاً ولئن دعوتموه لتجدنه سريعاً والله لئن سلبتموه لاتجدون ثنيته دامية ولا حجزته حامية ولرب ثدى منكم قد افترشه ونهب قد احتوشه وضب قد احترشه .. ثم قالت هذه الابيات انتهى

[٢] قولها ـ سألت بعمرو ـ الباء بمعنى عن وأخي عطف بيان ـ وصحبه ـ مفعول سألت وهو مضاف الى ضمير عمرو وصحب جمع صاحب ـ وأفظعني ـ هدني قبحه وشدته .. يقال أفظع الامر افظاعا وفظع فظاعة اذا جاوز الحد في القبح

[٣] قولها ـ أتيح له الخ ـ أتيح مجهول أتاح الله له بالمثناة والحاء المهملة بمعنى

اُبِيح لهُ نَمِرَا أجبُلٍ فنالاَ لعَمْرُكَ مِنهُ منالاَ (١)
فأُقسِمتُ ياعَمْرُو لو نَبَّهاكَ إذًا نبَّها مِنكَ أمرًا عُضالاَ (٢)
إذًا نبَّها ليثَ عِرّيسةٍ مُفيتًا مُفيدًا نُفُوسًا ومالاَ (٣)
هِزَبْرًا فَرُوسًا لأعدائِهِ هَصُورًا إذا لقِيَ القِرْنَ صالاَ (٤)
هُما معْ تَصَرُّفِ رَيْبِ المَنُونِ مِنَ الأَرْضِ رُكناً ثَبِيتاً أمالاَ (٥)

قضى وقدر والهاء في له لعمرو ــ ونائما حال منها ــ وأمر السباع ــ نائب فاعل أبيح وهو من العرارة بالعين والراء المهملتين وهو سوء الخلق ــ وأحال ــ بالحاء المهملة .. قال السكري أى ركب عليه فقتله وأكله

[١] قولها ــ أبيح له نمرا أجبل ــ أي قدر له ونمرا مثني نمر مضاف الى أجبل جمع جبل وتصحفت هذه الكلمة على العيني فقال قولها نمرا جيئل ــ أى نمران من جيئل أى سبعان من جيئل والنمر السبع والجيئل بفتح الجيم وسكون الياء وفتح الهمزة وهو الضبع هذا كلامه وهو تحريف قطعاً

[٢] قولها ــ فاقسمت ياعمرو الخ ــ هذا التفات من الغيبة الى الحضور وضمير المثنى في نبهاك للنمرين .. وروى ــ داء عضالا ــ أي شديداً أعيا الاطباء

[٣] قولها ــ ليث عريسة ــ قال الجوهري العريس والعريسة مأوى الأسد ــ والمفيد ــ معناه معطي الفائدة كذا ورد بالمعنيين ــ ومفيت ــ بالفاء .. قال السكرى أى مهلك النفوس والمال وتصحفت هذه الكلمة على العيني فرواها بالقاف .. وقال مقيتاً أي مقتدرا كالذى يعطي كل رجل قوته .. ويقال المقيت الحافظ للشئ والشاهد له والنفوس يرجع الى المقيت والمال يرجع الى المفيد هذا كلامه

[٤] وقولها ــ هزبرا فروساً الخ ــ الهزبر الاسد الضخم الشديد ــ والفروس ــ الكثير الافتراس للصيد ــ وهصورا ــ من الهصر وهو الجذب والأخذ بقوة ــ والقرن ــ بالكسر كفؤك فى الشجاعة أو عام ــ وصال على قرنه سطا

(٥) قولها ــ هما مع تصرف ريب المنون الخ ــ ريب المنون حوادث الدهر .. قال

هَمَّا يومَ حُمَّ لهُ يومُهُ وَقالَ أخوفَهمْ بَطلاً وَقالاَ (١)
وَقالوا قتلناهُ في غارةٍ بآيةِ ما إنْ وَرِثنا النِّبالاَ (٢)
فَهَلاَّ وَمِنْ قبلِ رَيبِ المَنونِ فقدْ كانَ رَجلاً وكُنتمْ رِجالاَ
وَقدْ علمتْ فَهمُ يومَ اللِّقاء بأنَّهمْ لكَ كانُوا نِفالا
كأنَّهمُ لمْ يحُسُّوا بهِ فيُخلُوا النِّساءَ لهُ وَالحجالا (٣)
ولمْ ينْزِلوا بِمحُولِ السِّنينَ بهِ فيكونُوا عليهِ عِيالاَ
وقدْ علِمَ الضيفُ وَالمُجتدُونَ إذَا اغبرَّ أُفقٌ وَهبَّتْ شَمالا (٤)

السكري نبيت ثابت ٠٠ وروي غيره بدله شديداً

[١] قولها ــ همـا يوم حم له يومه ــ الخ ٠٠ قال السكري هما تعني النفرين ــ وحم ــ قضى وقدر ــ وقال ــ بالفاء أي أخطأ رجل فائل الرأي وفيل أي ضعيف الرأي ــ وفهم ــ قبيلة ولهذا منعــه الصرف كذا قال عبــد القادر ٠٠ والبيت لا يخفى أنه مكسور وهو ساقط من العيني

[٢] قولها ــ وقالوا قتلناه ــ روى نحن بدل قالوا ٠٠ قال السكرى تهزأ بهم ــ والآية ــ العلامة ــ والنبال ــ السهام ــ ورجلى ــ قال السكرى هو الرجل يقال رجل ورجل أي بسكون الجيم وضمها ٠٠ وروى غيره فذًا بدل رجلا ــ والفذ ــ بالفاء والذال المعجمة هو الفرد ــ والنفال ــ الغنائم جمع نفل بفتحتين وهي الغنيمة

[٣] وقولها ــ كأنهم لم يحسوا به ــ الخ من حسست بالخبر من باب تعب أي علمته وشعرت به ــ ويخلوا ــ من أخليته أي جعلته خالياً ــ والحجال ــ جمع حجلة بالتحريك وهو بيت يزين بالثياب والاسرة والستور

[٤] قولها ــ وقد علم الضيف والمجتدون ــ الخ المجتدون ــ هم الطالبون الجدا وهي العطية ٠٠ وروي المرملون بدل قولها المجتدون ــ والمرملون ــ من أرمل القوم اذا نفد زادهم وفاعل هبت ضمير الريح وان لم يجر لها ذكر لفهمها من قولها اذا اغبر أفق فان

وخلَّتْ عن أولادِها المُرضِعاتُ ‏ ‏ ‏ ‏ ولَمْ تَرَ عينٌ لمُزْنٍ بِلالا [١]

بأنَّكَ كنتَ الرَّبيعَ المُغيثَ ‏ ‏ ‏ ‏ لمَنْ يَعْتَرِيكَ وكنتَ الثِّمالا [٢]

اغبراره انما يكون في الشتاء لكثرة الامطار واختلاف الرياح ـ والشمال ـ بالفتح ويكسر ريح تهب من ناحية القطب وهو حال وانما خصت هذا الوقت بالذكر لأنه وقت تقل فيه الأرزاق وتنقطع السبل ويثقل فيه الضيف فالجود فيه غاية لاتدرك

[١] قولها ـ وخلت عن أولادها المرضعات الخ ‥ قال أبو حنيفة انما خلت أولادها من الاعواز لم يجدن قوتا واغبرار الأفق من الجدب وأراد هبت الريح شمالا وهي تضمر وان لم تذكر لكثرة ماتذكر انتهي ـ والمزن ـ السحاب ـ والبلال ـ بالكسر البلل

[٢] قولها ـ بأنك كنت الربيع ـ الخ الربيع هنا ربيع الزمان ‥ قال ابن قتيبة في باب مايضعه الناس غير موضعه وهو أول كتابه أدب الكاتب ومن ذلك الربيع يذهب الناس الي أنه الفصل الذي يتبع الشتاء ويأتي فيه الورد والنوّر ولا يعرفون الربيع غيره والعرب تختلف فى ذلك فنهم من يجعل الربيع الفصل الذي تدرك فيه الثمار وهو الخريف وفصل الشتاء بعده ثم فصل الصيف بعد الشتاء وهو الوقت الذي تدعوه العامة الربيع ثم فصل القيظ الذي بعده وهو الذى تدعوه العامة الصيف ومن العرب من يسمى الفصل الذى تدرك فيه الثمار وهو الخريف الربيع الاول ‥ ويسمى الفصل الذي يتلو الشتاء ويأتى فيه الكمأة والنور الربيع الثانى وكلهم مجمعون على أن الخريف هو الربيع اه ‥ قال شارحه ابن السيد مذهب العامة في الربيع هو مذهب المتقدمين لأنهم كانوا يجعلون حلول الشمس برأس الحمل أول الزمان وشبابه وأما العرب فأنهم جعلوا حلول الشمس برأس الميزان أول فصول السنة الاربعة وسموه الربيع ‥ وأما حلول الشمس برأس الحمل فكان منهم من يجعله ربيعاً ثانياً فيكون فى السنة على مذهبهم ربيعان وكان منهم من لايجعله ربيعاً ثانيا فيكون فى السنة على مذهبهم ربيع واحد وأما الربيعان من الشهور فلا خلاف بينهم انهما اثنان ربيع الاول وربيع الآخر انتهى ـ والغيث ـ المطر والكلأ ينبت بماء السماء والمراد به هنا لوصفه بالربيع وهو الخصيب بفتح

وَخرقٍ تجاوزتَ مجهولهُ بوَجناءَ حرفٍ تشكّى الكلالا [١]
فكنتَ النهارَ بهِ شمسَهُ وكنتَ دُجي الليلِ فيهِ الهلالا
وخيلٍ سمتْ لكَ فرسانُها فولَّوا ولم يستقلُّوا قبالا
وكلُّ قبيلٍ وإنْ لم تكُنْ أردتهمُ منكَ باتُوا وجالا [٢]

الميم وضمها فى القاموس مرع الوادى مثلثة الراء مراعة أكلأ كأمرع ــ والثمال ــ بكسر المثلثة ٠٠ قال الدينوري هو الذخر وقال غيره هو الغياث ــ والمغيث ــ من الاغاثة ــ ومن يعتريك ــ أي من يقصدك ٠٠ وروى

بانك ربيع وغيث مرئ وأنك هناك تكون الثمالا

والبيت يستشهد به النحويون فى باب أن المخففة من الثقيلة وهو من الضرورة لأن اسم ان المخففة شرطه أن يكون ضميراً محذوفا ٠٠ قال ابن هشام وربما ثبت وأنشد البيت وهو مختص بالضرورة علي الأصح وشرط خبرها أن يكون جملة ولا يجوز افراده الا اذا ذكر الاسم فيجوز الامران وقد اجتمعا فى البيت ٠٠ وقال فى التصريح ان البيت ضرورة من وجهين عند ابن الحاجب كونه غير ضمير الشأن وكونه مذكوراً وعند ابن مالك من وجه واحد وهو كونه مذكوراً اه ٠٠ قلت وروى عن ابن مالك أنه قال اذا أمكن جعل الضمير المحذوف ضمير حاضر أو غائب غير الشأن فهو أولي ٠٠ وعن ابي حيان أنه قال لايلزم أن يكون ضمير الشأن كما زعم بعض أصحابنا بل اذا أمكن تقديره بغيره قدر

[١] قولها ــ وخرق ــ الواو فيه واورب وهو بفتح الخاء المعجمة الفلاة الواسعة تخرق فيها الرياح وهومجرور رب المضمرة أو الواو المعوضة منها ــ ومجهوله ــ الذى لا يسلك ــ والوجناء ــ بالجيم الناقة الشديدة ــ والحرف ــ الضامرة الصلبة ــ وتشكى ــ مضارع أصله تتشكى بتاءين ــ والكلال ــ الاعياء

[٢] قولها ــ وكل قبيل وان لم تكن الخ ٠٠ روى كم بدل كل والقبيل هنا جمع قبيلة ــ والوجال ــ جمع وجل بفتح فكسر وهو الخائف من الوجل بفتحتين وهو الخوف

مجلس آخر ٧٤

[تأويل آية] .. ان سأل سائل عن قوله تعالى (ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم) (١) .. فقال أوليس ظاهر

[١] قوله ـ تعالى (ولا ينفعكم نصحي ان أردت أن أنصح لكم) الآية .. في هذه الآية خلاف فمن النحويين من جعل الشرط الثانى معترضاً بين الشرط الاول وجوابه المقدر ومنهم من قال ليست من هذا الباب .. قالوا وحجتنا على ذلك انا نقدر جواب الشرط الاول تالياً له مدلولا عليه بما تقدم عليه وجواب الثانى كذلك مدلولا عليه بالشرط الاول وجوابه المتقدمين عليه فيكون التقدير ان أردت أن أنصح لكم فلا ينفعكم نصحى ان كانَ الله يريد أنْ يغويكم فإن أردت أن أنصح لكم فلا ينفعكم نصحى .. واعلم ان الشرط اذا دخل على شرط فتارة يكون بعطف وتارة يكون بغيره فاذا كان بعطف فاطلق ابن مالك ان الجواب لأولها لسبقه وفصل غيره فقال ان كان العطف بالواو فالجواب لهما لأن الواو للجمع نحو إن تأتني وان تحسن الىّ أحسن اليك وان كان العطف بأو فالجواب لأحدهما لأن أو لاحد الشيئين نحو ان جاء زيد أو إن جاءت هند فاكرمه أو فاكرمها وان كان العطف بالفاء فالجواب للثاني والثاني وجوابه جواب للأول وان كان بغير عطف فالجواب لأولها والشرط الثاني مقيد للأول كتقييده بحال واقعة موقعه كقوله

ان تستغيثوا بنا ان تذعروا تجدوا ... منا معا قلَ عزٍ زانها كرم

فتجدوا جواب ان تستغيثوا وان تذعروا بالبناء للمفعول مقيد للأول على معنى ان تستغيثوا بنا مذعورين تجدوا .. ومن فروع المسئلة وهي اعتراض شرط فى شرط مااذا قال لامرأته ان أكلت إن شربت فأنت طالق فلا تطلق على الاصح الا اذا شربت ثم أكلت لأن التقدير عليه ان شربت فان أكلت فأنت طالق فالثاني أول والاول ثان وعلى مقابله لا تطلق الا اذا أكلت ثم شربت لان التقدير عليه ان أكلت فان شربت فأنت طالق فالاول أول والثانى ثان .. واعلم ان تصحيح الاول هو على مذهب

هذه الآية يقتضي ان نصح النبي صلى الله عليه وسلم لاينفع الكفار الذين أراد الله تعالى بهم الكفر والغواية وهذا بخلاف مذهبكم ٠٠ قلنا ليس في ظاهر الآية مايقتضيه خلاف مذهبنا لأنه تعالى انه لم يقل انه فعل الغواية وأرادها وانما أخبر أن نصح النبي عليه الصلاة والسلام لاينفع ان كان الله يريد غوايتهم ووقوع الارادة لذلك أو جواز وقوعها لادلالة عليه في الظاهر على أن الغواية ههنا الخيبة وحرمان الثواب ويشهد بصحة ماذكرناه في هذه اللفظة قول الشاعر

فَمَنْ يَلْقَ خيراً يَحْمَدِ النَّاسُ أمْرَهُ ... وَمن يَغْوَ لاَ يَعْدَمْ علي الغيِّ لاَئِماً[1]

الشافعية والحنفية ووجهه ابن الحاجب بانه لايصح أن يكون الجواب للشرطين معاً والا توارد معمولان على معمول واحد ولا لغيرهما والا لزم ذكر مالادخل له فى ربط الجزاء وترك ماله دخل ولا للثانى لأنه يلزم حينئذ أن يكون الثاني وجوابه جوابا للأول فتجب الفاء ولا فاء وحذفها شاذ أو ضرورة فتعين أن يكون جوابا للأول والأول وجوابه دليل جواب الثاني ٠٠ قال الدماميني ومذهب مالك الطلاق سواء أتت بالشرطين مرتبين كما هما فى اللفظ أو عكست الترتيب ٠٠ قال وبعض أصحابنا يوجه ذلك بأنه على حذف واو العطف كما في قول الشاعر

كيف أصبحت كيف أمسيت مما ... يغرس الود فى فؤاد اللبيب

٠٠ ثم قال ولا أدرى وجه اشتراط أهل المذهبين يعنى مذهبي الشافعية والمالكية فى وقوع الطلاق فعلها لمجموع الأمرين مع أنه يمكن أن يكون جواب الأول محذوفا لدلالة جواب الثاني ولا محذور فى حذف الجواب بل هو أسهل من تقديرهم لما فيه من الحذف والفصل بين الشرط الاول وجوابه بالشرط الثانى

(١) البيت ـ من قصيدة للمرقش الاصغر واسمه ربيعة بن سفيان والمرقش الاكبر عمه وهو عم طرفة بن العبد وهذه القصيدة يقولها في قصة جرت له مع معشوقته فاطمة بنت المنذر ووليدتها بنت العجلان ومطلعها

ألا ياسلمي لاصبر لى عنك فاطما ... ولا أبداً ما دام وصلك دائما

فكأنه تعالى قال ان كان الله يريد أن يعاقبكم بسوء أعمالكم وكفركم ويحرمكم ثوابه فليس ينفعكم نصحي مادمتم مقيمين على ماأنتم عليه الا أن تطيعوا وتتوبوا وقد سمى الله تعالى العقاب غياً .. فقال تعالى (فسوف يلقون غياً) وما قبل هذه الآية يشهد

رمتك ابنة البكري عن فرع ضالة ... وهن بنا خوص يخلن نعائما
تراءت لنا يوم الرحيل بوارد ... وعذب الثنايا لم يكن متراكما
سقاه حبيّ المزن من متهلل ... من الشمس روّاه ربابا سواجما
أرتك بذات الضال منها معاصما ... وخداً أسيلا كالوذيلة ناعما
صحا قلبه عنها على أن ذكرة ... إذا خطرت دارت به الارض قائما
تبصر خليلي هل ترى من ظعائن ... خرجن سراعا واقتعدن المقائما
تحملن من جو الوريعة بعدما ... تعالى النهار واجتزعن الصرائما
تحلين ياقوتا وشذراً وصيغة ... وجزعا ظفاريا ودراً توائما
سلكن القرى والجزع تحدى جمالهم ... ووركن قوّا واجتزعن المخارما
ألا حبذا وجهاً ترينا بياضه ... ومنسدلات كالمثاني فواحما
واني لاستحيي فطيمة جائعاً ... خميصاً وأستحيي فطيمة طاعما
واني لأستحييك والخرق بيننا ... مخافة أن تلقى أخالي صارما
واني وان كلّت قلوصي لراجم ... بها وبنفسي يافطيم المراجما
ألا ياسلمى بالكوكب الطلق فاطما ... وان لم يكن صرف النوى متلائما
ألا ياأسلمي ثم اسلمي إن حاجتي ... اليك فردي من نوالك فاطما
أفاطم لوأن النساء ببلدة ... وأنت باخرى لاتبعتك هائما
متى مايشأذو الود يصرم خليله ... ويعبد عليه لامحالة ظالما
وآلي جنابٌ حلفة فأطعته ... فنفسك ول اللوم ان كنت لائما
فمن ياق خيراً يحمد الناس أمره ... ومن يغو لايعدم على الغي لائما
ألم تر أن المرء يجذم كفه ... ويجشم من لوم الصديق المجاشما
أمن حلم أصبحت تنكت واجماً ... وقد تعتري الاحلام من كان نائما

مما ذكرناه وان القوم استعجلوا عقاب الله تعالى (فقالوا يانوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا) الى قوله (ولا ينفعكم نصحي) فاخبر ان نصحه لاينفع من يريد الله تعالى أن ينزل به العذاب ولا يغني عنه شيئاً .. وقال جعفر بن حرب ان الآية تتعلق بانه كان في قوم نوح عليه السلام طائفة تقول بالجبر فنبههم الله تعالى بهذا القول على فساد مذهبهم وقال لهم على طريق الانكار والتعجب من قولهم ان كان القول كما تقولون من أن الله يفعل فيكم الكفر والفساد فما ينفعكم نصحي فلا تطلبوا مني نصحاً وأنتم على ذلك لاتنتفعون به وهذا جيد .. وروى عن الحسن البصري في هذه الآية وجه صالح وهو أنه قال المعنى فيها ان الله يريد أن يعذبكم فليس ينفعكم نصحي عند نزول العذاب بكم وان قبلتموه وآمنتم به لأنّ من حكم الله تعالى أن لايقبل الايمان عند نزول العذاب وهذا كله واضح في زوال الشبهة بالآية .. [قال الشريف المرتضى] رضي الله عنه ومن مستحسن ماقيل في صفة المصلوب قول أبي تمام في قصيدة يمدح بها المعتصم ويذكر قتل الافشين وحرقه وصلبه

مازَالَ سِرُّ الكُفرِ بينَ ضلُوعِهِ ... حتَّي اصطَلَى سِرَّ الزِّنادِ الوَارِي
نارًا يُساوِرُ جِسمَهُ مِنْ حَرِّها ... لَهَبٌ كما عَصفَرْتَ شِقَّ إزارِ
طارَتْ لها شُعَلٌ يُهَدِّمُ لفحُها ... أرْكانَهُ هَدْمًا بغَيرِ غُبارِ
فَصلْنَ مِنْهُ كلَّ مَجْمَعِ مَفْصِلٍ ... وَفعَلْنَ فاقِرَةً بكلِّ فِقارِ
مَشبُوبَةً رُفِعَتْ لأَعظَمِ مُشْرِكٍ ... ما كانَ يَرْفَعُ ضَوءَها لِلسَّارِي
صلَّى لها حَيًّا وكانَ وَقُودَها ... مَيْتًا وَيَدْخلُها معَ الكُفَّارِ
وكَذَاكَ أهلُ النَّارِ في الدُّنيا هُمُ ... يَوْمَ القيامَةِ جُلُّ أهلِ النَّارِ
يامَشْهَدًا صَدَرَتْ بِفَرْحَتِهِ إلي ... أمْصارِها القُصْوَي بَنُو الأَمْصارِ
رَمَقُوا أعالِي جِذْعِهِ فَكأَنَّما ... رَمَقُوا الهِلاَلَ عَشيَّةَ الإِفطارِ

وَاسْتَنْشَقُوا مِنْـهُ قَتارًا نَشْرُهُ ... مِنْ عَنْبَرٍ دَفِرٍ وَمِسْكٍ دَارِي
وَتَحَدَّثوا عَنْ هلْـكِهِ كَحَدِيثِ مَنْ ... بِالبَدْوِ عَنْ مُتَتَابِعِ الأَمْطارِ
قَدْ كَانَ بَوَّأَهُ الخَلِيفَةُ جَانِبًا ... مِنْ قَلْبِـهِ حَرَمًا عَلَى الأَقْدَارِ
فَسَقَاهُ مَاءَ الخَفْضِ غَيْرَ مُصَرَّدٍ ... وَأَنَامَهُ فِي الأَمْنِ غَـيْرَ غِرَارِ
وَلَقَدْ شَفَى الأَحْشَاءَ مِنْ بُرَحَائِهَا ... أَنْ صَـارَ بَابَكُ جَارَ مَازَيَارِ
ثَانِيهِ فِي كَبِدِ السَّماءِ وَلَمْ يَكُنْ ... كَاثْنَيْنِ ثَانٍ إِذْ هُمَا فِي الغَارِ [1]
فَـكَأَنَّمَا انْتَبَذَا لِـكَيْمَا يَطْوِيَا ... عَنْ بَاطِسٍ خَبَرًا مِنَ الأَخْبَارِ
سُودُ اللِّبَاسِ كَأَنَّمَا نَسَجَتْ لَهُمْ ... أَيْدِي السَّمُومِ مَدَارِعًا مِنْ قَارِ
بَكَرُوا وَأَسْرَوْا فِي مُتُونِ ضَوَامِرٍ ... قِيدَتْ لَهُمْ مِنْ مَرْبَطِ النَّجَّارِ
لَا يَبْرَحُونَ وَمَنْ رَآهُمْ خَالَهُمْ ... أَبَدًا عَلَى سَفَرٍ مِنَ الأَسْـفَارِ
كَادُوا النُّبُوَّةَ وَالهُدَى فَتَقَطَّعَتْ ... أَعْنَـاقُهُمْ فِي ذَلِكَ المِضْمَارِ

(١) قوله ــ ولم يكن كاثنين ثان الخ •• قد غلّط بعض الفضلاء أبا تمام في هذا التركيب قال لأنه انما يقال ثاني اثنين وثالث ثلاثة ورابع أربعة ولا يقال اثنين ثان ولا ثلاثة ثالث ولا أربعة رابع •• وأجاب بعضهم بأن في الكلام تقديماً وتأخيراً وتقليباً للتركيب وتغييراً وهو ان التقدير ولم يكن كاثنين إذ هما في الغار ثان والمراد انه لم يكن كهذه القضية قضية أخري •• وقال بعضهم إن ثانيه خبر ثان لصار ولكن جعل من قبيل اعط القوس باريها في ترك النصب اذ هو خبر لمبتدأ محذوف ولم يكن بمعنى لم يصر لقرينة سياق ان صار وثان اسمه وتنوينه عوض عن الضمير المضاف اليه وكاثنين خبره وفيه مضاف محذوف والمآل ولم يصر ثانيه كثاني اثنين إذهما في الغار لأنهما تجاورا في العلو لا في الغور والغرض ان يصف مصلوبه بالارتفاع لكن في الصلب وهو من التهكم المليح

وله يذكر صلب بابك

لمَّا قضى رَمَضانُ منهُ قَضاءهُ ... شالَتْ بهِ الأيَّامُ في شوَّالِ

مازالَ مغلولَ العزيمةِ سادِرًا ... حتَّي غدَا في القيدِ والأغلالِ

مُستَبسِلاً للموتِ طوقًا مِن دَمٍ ... لمَّا استبانَ فظاظةَ الخلخالِ

أهدَى لِمتنِ الجذعِ متنَيهِ كذَا ... مَنْ عافَ متنَ الأسمَرِ العسَّالِ

لا كَعبَ أسفَلُ موضعًا من كعبِهِ ... معَ أنَّهُ مِن كلِّ كعبٍ عالِ

سامٍ كأنَّ العزَّ يجذِبُ ضبعَهُ ... وسُموُّهُ مِن ذِلَّةٍ وسفالِ

متفرِّغٌ أبدًا وليسَ بفارِغٍ ... مَنْ لا سبيلَ لهُ الي الأشغالِ

[قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه ٠٠ ومن عجيب الأمور ان أبا العباس أحمد ابن عبد الله بن عمار ينشد هذه الأبيات المفرطة في الحسن فى جملة مقابح أبي تمام وما خرجه بزعمه من سقطه وغلطه ويقول فى عقبها ولم نسمع في شعر وصف فيه مصلوب بأغثّ من هذا الوصف وأين كان عن مثل ابراهيم بن المهدي يصف صلب بابك في قصيدة يمدح بها المعتصم

مازالَ يَعنُفُ بالنُّعمى فنفَّرَها ... عِندَ الغُموطِ وَوافتهُ الأرَاصيدُ

حتَّى على حيثُ لا ينحطُّ مجتمعًا ... كما علا أبدًا ماأورقَ العودُ

يابقعةً ضُربَتْ فيها علاوتُهُ ... وَعُنقُهُ وذوتْ أغصانُهُ الميدُ

بُورِكتِ أرضًا وأوطانًا مباركةً ... ماعنكِ في الأرضِ للتقديسِ تعميدُ

لو تقدرُ الأرضُ حجَّتكِ البلادُ فلا ... يبقى على الأرضِ إلاَّ حجَّ جلمودُ

لم يبكِ إبليسُ إلاَّ حينَ أبصرَهُ ... في زيِّهِ وهوَ فوقَ الفيلِ مصفودُ

كناقةِ النَّحرِ تزهى تحتَ زينتِها ... وحدُّ شفرتِها للنَّحرِ محدودُ

ما كانَ أَحسنَ قولَ النَّاسِ يومئذٍ　　أَيومُ بابكَ هذا أَمْ هُوَ العيدُ
صَيِّرتَ جثّتهُ جيدًا لباسقةٍ　　جرداءَ والرأسُ منهُ مالهُ جيدُ
فاضَ يلعبُ هُوجُ العاصفاتِ به　　على الطريقِ صليبًا طرْفهُ عودُ
كأنَّهُ شلوُ كبشٍ والهويُّ لهُ　　تنُّورُ شاويةٍ والجذعُ سفُّودُ

•• وكان لاينبغي أن يطعن على ابيات أبي تمام من يستجيد هذه الأبيات ويفرط في تقريظها وليت من جهل شيئاً عدل عن الخوض فيه والكلام عليه فكان ذلك أستر عليه وأولى به وأبيات أبي تمام في نهاية القوة وجودة المعاني والالفاظ وسلامة السبك واطراد النسج •• وأبيات ابن المهدي مضطربة الالفاظ مختلفة النسج متفاوتة الكلام وما فيها شئ يجوز أن يوضع اليد عليه الا قوله

حتَّي علاَ حيثُ لاَ ينحطُّ مجتمعًا　　كما علاَ أبدًا ماأورقَ العودُ

وبعد البيت الاخير وأن كان بارد الالفاظ فقد أحسن مسلم بن الوليد فى قوله

مازالَ يعنفُ بالنُّعمي ويغمطُها　　حتَّى أستقلَّ بهِ عودٌ على عودِ
نصبتَهُ حيثُ ترتابُ الظنُّونُ بهِ　　ويحسدُ الطيرَ فيهِ أضبعُ البيدِ

وللبحتري فى هذا المعنى من قصيدة يمدح بها أبا سعيد أولها

لاَ دمنةٌ بلوَى خبتٍ ولاَ طللُ　　يردُّ قولاَ على ذي لوعةٍ يسلُ
إنْ عزَّ دمعُكَ في آيِ الرُّسومِ فلمْ　　يصبُ عليها فعندي أدمعٌ بللُ
هلْ أنتَ يوماً مُعيرِي نظرةً فترَى　　في رملِ يبرينَ عيرًا سيرُها رملُ
حثُّوا النوَي بحُداةٍ مالَها وطنٌ　　غيرَ النوَى وجمالٌ مالَها عقلُ

يقول فيها

أمسى يردُّ حريقَ الشمسِ جانبُهُ　　عن بابكٍ وهيَ في الباقينَ تشتعلُ

بجملة البُرد من أقصى الثغور إلى ... أدنى العراق سراعا بثها عجل
بسرّ من راء منكوساً تجاذبه ... أيدي الشمال فضولاً كلها فضل
تفاوتوا بين مرفوعٍ ومنخفضٍ ... على مراتب ما قالوا وما فعلوا
ردّ الهجير لحاهم بعد شعلتها ... سوداً فعادوا شباباً بعدما اكتهلوا
سما له حابل الآساد في لمه ... من المنايا فأمسى وهو محتبل
حالي الذراعين والساقين لو صدقت ... له المنى لتمنى أنها عطل
من تحت مطبق أرض الشام في نفر ... أسرى يودون ودّاً أنهم قتلوا
غابوا عن الأرض أنأى غيبة وهم ... فيها فلا فصل إلا الكتب والرسل

وله فى هذا المعنى

مازلت تقرع باب بابك بالقنى ... وتزوره في غارة شعواء
حتى أخذت بنصل سيفك عنوة ... منه الذى أعيى على الأمراء
أخليت منه البذّ وهي قراره ... ونصبته علماً بسامراء
لم يبق فيه خوف بأسك مطمعاً ... للطير في عود ولا إبداء
فتراه مطرداً على أعواده ... مثل اطراد كواكب الجوزاء
مستشرفاً للشمس منتصباً لها ... في أخريات الجذع كالحرباء

مجلس آخر ٧٥

[تأويل آية]٠٠ ان سأل سائل عن قوله تعالى (شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن) الآية٠٠ فقال كيف أخبر تعالى بأنه أنزل فيه القرآن وقد أنزله فى غيره من الشهور على ما جاءت به الرواية ٠٠ والظاهر يقتضى أنه أنزل الجميع فيه ٠٠ وما المعنى فى قوله (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) وهل أراد الاقامة والحضور الذين هما ضد الغيبة أو أراد المشاهدة والادراك ٠٠ الجواب أما قوله تعالى (أنزل فيه القرآن) فقد قال قوم المراد به أنه تعالى أنزل القرآن جملة واحدة الى السماء الدنيا في شهر رمضان ثم فرق انزاله على نبيه عليه الصلاة والسلام بحسب ما تدعو الحاجة اليه ٠٠ وقال آخرون المراد بقوله تعالى (أنزل فيه القرآن) انه أنزل في فرضه وايجاب صومه على الخلق القرآن فيكون فيه بمعنى فى فرضه كما يقول القائل أنزل الله في الزكاة كذا وكذا يريد فى فرضها وأنزل الله فى الخمر كذا وكذا يريد فى تحريمها ٠٠ وهذا الجواب انما هرب متكلفه من شيء وظن أنه قد اعتصم بجوابه عنه وهو بعد ثابت على ما كان عليه لأن قوله تعالى القرآن اذا كان يقتضى ظاهره انزال جميع القرآن فيجب على هذا الجواب أن يكون قد أنزل فى فرض الصيام جميع القرآن ونحن نعلم أن قليلا من القرآن يخص ايجاب الصوم لشهر رمضان وان أكثره خال من ذلك٠٠ فان قيل المراد بذلك انه أنزل فى فرضه شيئاً من القرآن وبعضا منه ٠٠ قيل فهلا اقتصر على هذا وحمل الكلام على أنه تعالى أنزل شيء من القرآن في شهر رمضان ولم يحتج الى أن يجعل لفظة في بمعنى في فرضه وإيجاب صومه ٠٠ والجواب الصحيح أن قوله تعالى القرآن فى هذا الموضع لا يفيد العموم والاستغراق وانما يفيد الجنس من غير معنى الاستغراق فكأنه قال تعالى (شهر رمضان الذى أنزل فيه) هذا الجنس من الكلام فأى شيء نزل منه في الشهر فقد طابق الظاهر وليس لأحد أن يقول ان الالف واللام ههنا لا يكونان الا للعموم والاستغراق لانا لو سلمنا ان الالف واللام صيغة العموم والصورة المعينة لاستغراق الجنس لم يجب أن يكون ههنا بهذه الصنة لأن هذه اللفظة قد تستعمل فى مواضع كثيرة

من الكلام ولا يراد بها أكثر من الاشارة الي الجنس والطبقة من غير استغراق وعموم حتي يكون حمل كلام المتكلم بها على خصوص أو عموم كالمناقض لغرضه والمنافي لمراده ألا ترى أن القائل اذا قال فلان يأكل اللحم ويشرب الخمر وضرب الامير اليوم اللصوص وخاطب الجند لم يفهم من كلامه الا محض الجنس والطبقة من غير خصوص ولا عموم حتى لو قيل له فلان يأكل جميع اللحم ويشرب جميع الخمر أو بعضها لكان جوابه انى لم أرد عموماً ولا خصوصاً وانما أريد انه يأكل هذا الجنس من الطعام ويشرب هذا الجنس من الشراب فمن فهم من كلامى العموم والخصوص فهو بعيد من فهم مرادي .. وأرى كثيراً من الناس يغلطون في هذا الموضع فيظنون ان الاشارة الي الجنس من غير ارادة العموم والاستغراق ليست مفهومة حتي يحملوا قول من قال أردت الجنس فى كل موضع وهذا بعيد ممن يظنه لأنه كما ان العموم والخصوص مفهومان في بعض بهذه الالفاظ فكذلك الاشارة الي الجنس والطبقة من غير ارادة عموم ولا خصوص مفهومة مميزة وقد ذكرنا أمثلة ذلك .. فأما قوله تعالى (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) فاكثر المفسرين حملوه على أن المراد ممن شهد منكم الشهر من كان مقيما فى بلد غير مسافر وأبو على حمله على ان المراد به فمن أدرك الشهر وشاهده وبلغ اليه وهو متكامل الشروط فليصمه ذهب في معنى شهد الى معنى الادراك والمشاهدة .. وقد طعن قوم على تأويل أبي على وقالوا ليس يحتمل الكلام الا الوجه الاول وليس الأمر على ماظنوه لأن الكلام يحتمل الوجهين معاً فان كان للقول الاول ترجيح ومزية على الثاني من حيث يحتاج فى الثاني من الاضمار الي أكثر مما يحتاج اليه في الاول لأن قول الاول لا يحتاج الى اضمار الاقامة وارتفاع السفر لأن قوله تعالي شهد يقتضى الاقامة وانما يحتاج الى اضمار باقي الشروط من الامكان والبلوغ وغير ذلك .. وفي القول الثاني يحتاج مع كل ماأضمرناه في القول الاول الي اضمار الاقامة ويكون التقدير فمن شهد الشهر وهو مقيم مطيق بالغ الى سائر الشروط فمن هذا الوجه كان الاول أقوى وليس لاحد أن يقول ان شهد بنفسه من غير محذوف لايدل على إقامة وذلك ان الظاهر من قولهم فى اللغة فلان شاهد اذا أطلق ولم يضف أفاد الاقامة في البلد وهو عندهم ضد الغائب

وللمسافر وان كانوا ربما أضافوا فقالوا فلان شاهد لكذا وشهد فلان كذا ولا يريدون هذا المعنى ففي إطلاق شهد دلالة على الاقامة من غير تقدير محذوف وهـذه جملة كافية بحمد الله ٠٠[قال الشريف المرتضى] رضي الله عنه وجدت أبا العباس بن عمار يعيب على أبي تمام في قوله

لمَّا استَحَرَّ الوَداعُ المَحضُ وانصَرَمَت ... أَواخِرُ الصَبرِ وَلّي كاظِماً وَجِما
رَأَيتَ أَحسَنَ مَرئِيٍّ وأَقبَحَهُ ... مُستَجمِعَينِ لي التَوديعَ وَالعَنَما [1]

قال أبو العباس وهذا قد ذم مثله على شاعر متقـدم وهو ان جمع بين كلتين إحداهما لا تناسب الاخرى وهو قول الكميت

وَقَدْ رَأَيْنَا بِهـا حُورًا مُنَعَّمَةً ... رُودًا تَـكَامَلَ فيها الدَّلُّ وَالشَّنَبُ

[١] الابيات من قصيدة له يمدح بها اسحاق بن ابراهيم المصعبي ومطلعها

أصغى الى البين مغتراً فلاجرما ... إن النوى أسأرت فى عقله لمما
أصمى سرهـم أيام فرقتهم ... هل كنت تعرف سراً يورث الصمما
نأوا فظلت لوشك البين مقلته ... تندي نجيعاً ويندي جسمه سقما
أظله البيـن حتى انه رجـل ... لومات من شغله بالبين ماعلما
أمّا وقد كتمتهن الخدور ضحي ... فابعد الله دمعاً بعدها اكتتما

لما استحر الوداع البيتين ٠٠ ومنها

لم يطغ قوم وان كانوا ذوى رحم ... إلا رأى السيف أدنى منهم رحما
مشت قلوب أناس في صدورهم ... لمـا رأوك تمشي نحوهـم قدما
أمطرتهم عزمات لو رميت بهـا ... يوم الكريهة ركن الدهر لانهدما
اذا هم نكصوا كانت لهم عقلا ... وانهم جمحوا كانت لهم لجمـا
حتى انتهكت بحد السيف أنفسهم ... جزاء ماانتهكوا من قبلك الحرما
زالت جبال شروري من كتائبهم ... خوفا وما زلت اقداما ولا قدما
لما محضت الاماني التي احتلبوا ... عادت همو[illegible]

.. فقيل له أخطأت وباعدت بقولك ـ الدل والشنب ـ ألا قلت كقول ذي الرمة

بَيضاءُ في شَفَتَيْها حُوَّةٌ لَعسٌ　　وَفي اللِّثاتِ وَفي أنيابِها شَنَبُ [١]

قال فقال الطائى

* مُسْتَجْمِعِينَ لِيَ التَّوْدِيعَ وَالْعَنَما *

فجعل المنظر القبيح للتوديع والتوديع لايستقبح وانما يستقبح عاقبته وهى الفراق وجعل المنظر الحسن أصابعه عند الاشارة وشبهه بالعنم ولم يذكر الانامل المختضبة قال وانما سمع قول المجنون

وَيُبْدِي الحَصَى منها اذَا قَذَفَتْ به　　منَ البُرْدِ أطْرَافَ البَنانِ المُخَضَّبِ [٢]

---

[١] قوله ـ بيضاء يروي لمياء فى شفتيها الخ ـ ولمياء فعلاء من اللمى وهو سمرة في باطن الشفة وهو مستحسن يقال امرأة لمياء وظل المى كثيفه أسود .. وقوله ـ حوة ـ بضم الحاء المهملة وتشديد الواو وهي أيضاً حمرة فى الشفتين تضرب الى السواد .. وقوله ـ لعس ـ بفتح اللام والعين المهملة وفى آخره سين مهملة وهو أيضاً سمرة فى باطن الشفة يقال امرأة لعساء .. وقوله ـ وفى اللثات ـ بكسر اللام وتخفيف الثاء المثلثة جمع لثة وهى معروفة .. وقوله ـ شنب ـ بفتح الشين المعجمة والنون .. قال الاصمعي الشنب برد وعذوبة في الاسنان ويقال هو تحديد الاسنان ودقتها والبيت يستشهد به النحويون على أن لعساً بدل غلط من حوة وهو حجة على المبرد حيث يدعي أنه لا يوجد في كلام العرب بدل الغالط لافى النظم ولا في النثر وانما يقع فى لفظ الغلاط .. وأجاب بعضهم عن هذا بأن قوله لعس مصدر وصفت به الحوة تقديره حوة لعساء كما يقال حكم عدل وقول فصل أى عادل وفاصل ويقال ان فى البيت تقديماً وتأخيراً التقدير لمياء في شفتيها حوة وفى اللثات لعس وفي أنيابها شنب .. والبيت من قصيدته المشهورة التى أولها

ما بال عينك منها الماء ينسكب　　كأنه من كلى مفرية سرب

وقد استنشده هشام بن عبد الملك فانشده اياها فأمر بحجبه لأنه كان بعينه رمص

[٢] قوله ـ ويبدى الحصي منها الخ .. وقبله

قال وهذا الاصل استعاره الناس من بعد .. قال الشاعر

النَّشْرُ مِسكٌ وَالوجُوهُ دَنا نِيرُ وَأطرَافُ الأَكُفِّ عَنَمْ (١)

ولم أر ليلى غير موقف ساعة بخيف منىً ترمي جمار المحصب

وبعده .. ألا ان ما ترمين يا أم مالك صدىً أينما تذهب به الريح يذهب

[١] قوله ــ النشر مسك الخ .. البيت من قصيدة للمرقش الاكبر وتقدمت منها أبيات .. ومنها

* يهلك والد ويخلف مو لود وكل ذى أب ينيم

والوالدات يستفدن غنى ثم على المقدار من تعقم

ماذنبنا فى أن غزا ملك من آل جفنة حازم مرغم

مقابل بين العواتك والا علات لا انكس ولا توأم

حارب واستهوى قراضبة ليس لهم مما يحاز نعم *

بيض مصاليت وجوههم ليست مياه بحارهم بعسم

فانقض مثل الصقر يقدمه جيش كفلان الشريف لهم

إن يغضبوا يغضب لذاك كما ينسل من خرشائه الأرقم

فنحن أخوالك عمرك والخا ل له معاظم وحرم *

لسنا كأقوام مطاعمهم كسب الخنا ونهكة المحرم

إن يخصبوا يعيوا بخصبهم أو يجدبوا فهم به ألأم

عام ترى الطير دواخل في بيوتهم معهم ترتم *

ويخرج الدخان من خلل الستـ ـر كلون الكودن الاصحم

حتى إذا ما الارض زينها النبـ ـت وجن روضها وأكم

ذاقوا ندامة فلو أكلوا الحنـ ـظل لم يوجد له عاقم

لكننا قوم أهاب بنا في قومنا عفافة وكرم

أموالنا نقى النفوس بها من كل مايدنى اليه الذم

قال وأغرب أبو نواس فى قوله

تبكي فتذري الدرّ من طرفها   وتلطم الورد بعنّاب

قال فلم يحسن هذا العلج أن يستعير شيئاً من محاسن القائلين ٠٠ [قال الشريف المرتضي] رضى الله عنه وهذا غلط من ابن عمار وسفه على أبي تمام لأن الكميت جمع بين شيئين متباعدين وهما الدّل وهو الشكل والحلاوة وحسن الهيئة والشلب وهو برد الاسنان فيطاق عليه بذلك بعض العيب وأبو تمام جمع بين شيئين غير متفرقين لان التوديع انما أشار به الي ما أشارت اليه بأصبعها من وداعه عند الفراق وشبه مع ذلك أصابعها بالعنم والعنم نبتٌ أغصانه غضة دقاق شبه الاصابع ٠٠ وقيل ان العنم واحدته عنمة وهي العصابة الصغيرة البيضاء وهي أشبه شئ بالاصابع البيضاء الغضة وهذا حكاه صاحب كتاب العين ٠٠ وقيل إن العنم نبت له نور أحمر تشبه به الاصابع المخضوبة فوجه حسن قوله التوديع والعنم ان التوديع كان بالاصابع التى تشبه العنم فجمع بينهما بذلك ولا حاجة بها الى ذكر الانامل المخضبة على ما ظن أبو العباس بل ذكر المشبه به أحسن وأفصح من أن يقول التوديع والانامل التى تشبه العنم ٠٠ فأما قوله ان التوديع لا يستقبح وانما يستقبح عاقبته فخطأ ومطالبة الشاعر بما لا يطالب بمثله الشعراء لان التوديع اذا كان منذراً بالفراق وبعد الدار وغيبة المحبوب لامحالة انه مكروه مستقبح ٠٠ وقوله مستقبح عاقبته صحيح إلا أن مايعقبه ويثمره لما كان عند حضوره متيقناً مذكوراً عاد الاكراه والاستقباح اليه ونحن نعلم ان الناس يتكرهون ويستقبحون تناول الاشياء الملذة من الاغذية وغيرها اذا علموا مافي عواقبها من المكروه فان من قدم اليه طعام مسموم وأعلم بذلك يتكرهه ويستقبح تناوله لما يتوقعه من سوء عاقبته وان كان ملذاً في الحال ولم تزل الشعراء تذكر كراهتها للوداع وهربها منه لما يتصور فيه من ألم الفرقة وغصص الوحشة وهذا

لايبعد الله التلبب والغا   رات إذ قال الخميس نعم

والعدو بين المجلسين إذا   ولى العشى وقد تنادى العم

يأتي الشباب الاقورين ولا   تغبط أخاك أن يقال حكم

معروف مشهور .. وقد قال فيه أبو تمام

آلِفَةَ النحيبِ كم افتراقٍ أَظَلَّ فكانَ داعيةَ اجتماعِ
وليستْ فرحةُ الأوباتِ إلاَّ لِموقوفٍ على ترحِ الوداعِ

فجعل للوداع ترحا يقابل فرح الاياب وهذا صحيح .. فأما قول جرير

أتنسي إذ تُوَدِّعُنا سُلَيْمي بفرعِ بشامةٍ سُقِيَ البشامُ[1]

وانه دعا للبشام وهو شجر بالسقى لانها ودعته عنده فسر بتوديعها .. وقول الشاعر

مَنْ يَكنْ يَكرهُ الوداعَ فانّي أشتهيهِ لموضعِ التسليمِ
إنَّ فيهِ إعتناقةً لوداعٍ وانتظارَ اعتناقةٍ لقدومِ

فمن شأن الشعراء أن يتصرفوا في المعاني بحسب أغراضهم وقصودهم اذا رأى أحدهم

[١] قوله ـ أتنسي الخ .. هو من قصيدة طويلة يذم فيها تغلب ويهجو الاخطل .. وأولها قوله

متى كان الخيام بذى طلوح سقيت الغيث أيتها الخيام
ومنها بنفسى من تجنبه عزيز علىَّ ومن زيارته لمام
ومن أمسى وأصبح لا أراه ويطرقنى إذا هجع النيام
ومنها عوي الشعراء بعضهم لبعض علىَّ فقد أصابهم انتقام
كأنهم الثعالب حين تلقى هزبراً في العرين له انتحام
إذا أقلعت صاعقة عليهم رأوا أخرى تحرق فاستهاموا
فمصطلم المسامع أو خصيٌّ وآخر عظم هامته حطام
إذا شاؤوا مددت لهم حضاراً وتقريباً تخالطه عذام
ومنها قضى لى أن أصلى خندفى وعضب في عواقبه السمام
إذا ما خندف زخرت وقيس فإن جبال عزى لا ترام
هم حدبوا على ومكنوني بأفيح لا يزال به المقام

مدح شيء قصد الى أحسن أوصافه فذكرها وأشار بها حتى كأنه لاوصف له الا ذلك الوصف الحسن فاذا أراد ذمه قصد الى أقبح أحواله فذكرها حتي كأنه لاشيء فيه غير ذلك وكل مصيب بحسب قصده ولهذا ترى أحدهم يقصد الى مدح الشيب فيذكر مافيه من وقار وخشوع وان العمر منه أطول وما أشبه ذلك ويقصد الى ذمه فيصف مافيه من الادناء الى الاجل وانه أخل الالوان وأبغضها الى النساء وما أشبه ذلك وهذه سبيلهم في كل شيء وصفوه ولمدحهم موضعه ولذمهم موضعه فمن ذم الوداع لما فيه من الانذار بالفراق وبعد الدار قد ذهب مذهباً صحيحاً كما إن من مدحه لما فيه من القرب من المحبوب والسرور بالنظر اليه وان كان يسيراً قد ذهب أيضاً مذهباً صحيحاً ‥ ومن غلط ابن عمار القبيح قوله بعد أن أنشد شعر المجنون وهذا هو الاصل ثم استعاره الناس من بعد ‥ فقال الشاعر

النَّشْرُ مِسكٌ وَالوجُوهُ دَنا نِيرُ وَأَطرَافُ الأَكُفِّ عَنَمْ

وهذا الشعر للمرقش الا كبر وهو والمرقش الاصغر كانا جميعاً على عهد ربيعة وشهدا حرب بكر بن وائل فكيف يكون قول المرقش الا كبر بعد قول المجنون لولا الغفلة



مجلس اخر ٧٦

[تأويل آية]‥ إن سأل سائل عن قوله تعالى (وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان) الآية ‥ فقال كيف يكون ذلك والفرقان هو القرآن ولم يؤت موسى القرآن وانما اختص به محمد عليه الصلاة والسلام ‥ الجواب قلنا قد ذكر في ذلك وجوه ‥ أولها أن يكون الفرقان بمعنى الكتاب المتقدم ذكره وهو التوراة ولا يكون إسما ههنا للقرآن المنزل على محمد صلي الله عليه وسلم ويحسن نسقه على الكتاب لمخالفته لفظه كما قال تعالي : الكتاب والحكمة) وان كانت الحكمة مما يتضمنها الكتاب وكتب الله تعالى كلها فرقان تفرق بين الحق والباطل والحلال والحرام ‥ ويستشهد على هذا

الوجه بقول طرفة

فَما لِي أَرَانِي وَابْنَ عَمِّيَ مالِكاً ... مَتَى أَدْنُ مِنْهُ يَنْأَ عَنِّي وَيَبْعُدِ

فنسق يبعد على ينأ وهو بعينه وحسن ذلك اختلاف اللفظين •• وقال عدي بن زيد

وَقَدَّمَتِ الأَدِيمَ لِرَاهِشَيْهِ ... وَأَلْفَا قَوْلَها كَذِباً وَمَيْنَا

والمين الكذب •• وثانيها أن يراد بالفرقان الفرق بين الحلال والحرام والفرق بين موسي عليه السلام واصحابه المؤمنين وبين فرعون وأصحابه الكافرين لأن الله تعالي قد فرق بينهم في أمور كثيرة منها أنه نجى هؤلاء وغرق أولئك •• وثالثها أن يكون الكتاب عبارة عن التوراة والانجيل والفرقان انفراق البحر الذي أوتيه موسى عليه السلام •• ورابعها أن يكون الفرقان القرآن المنزل على نبينا عليه الصلاة والسلام ويكون المعنى في ذلك وآتينا موسي التوراة والتصديق والايمان بالفرقان الذى هو القرآن لأن موسى عليه السلام كان مؤمناً بمحمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به ومبشراً ببعثته وساغ حذف التوراة والايمان والتصديق وما جرى مجراه وإقامة الفرقان مقامه كما ساغ في قوله تعالي (واسأل القرية) وهو يريد أهل القرية •• وخامسها أن يكون المراد الفرقان ويكون تقدير الكلام (واذ آتينا موسى الكتاب) الذى هو التوراة وآتينا محمد صلى الله عليه وسلم الفرقان فحذف مايقتضيه الكلام كما حذف الشاعر في قوله

تَرَاهُ كَأَنَّ اللهَ يَجْدَعُ أَنْفَهُ ... وَعَيْنَيْهِ إِنْ مَوْلاَهُ كانَ لَهُ وَفْرُ[1]

---

[١] قوله ــ تراه كأنّ الله يجدع أنفه الخ ــ يجدع أنفه ــ أي يقطعه ــ والمولى ــ هنا المراد به الجار أو الصاحب ــ وكان ــ يروي بدله وثاب بالمثلثة أي رجع من بعد ذهابه ــ والوفر ــ بفتح الواو وسكون الفاء وفي آخره راء مهملة وهو المال الكثير •• ويروى دثر وهو بالمعنى الاول وهذا في ذم شخص حاسد يحسد جاره اذا رجع من سفره بمال كثير فيصير من شدة حسده كأنّ الله يجدع أنفه ويقلع عينيه •• والبيت يستشهد به النحاة على حذف العامل المعطوف وابقاء معموله إذ التقدير ويفقأ عينيه كما في قوله تعالى (والذين تبوّؤا الدار والايمان من قبلهم) أي واعتقدوا الايمان والبيت للزبرقان بن بدر

أراد ويفقأ عيايه لأن الجدع لايكون بالعين وا كتفي بجدع عن يفقأ ٠٠ وقال الشاعر

تَسمَعُ لِلأَحشاءِ مِنهُ لَغَطا ... وَلِليَدَينِ حَشأَةً وَبَدَدا

أي وترى لليدين لان الحشأة والبدد لا يسمعان وانما يريان ٠٠ وقال الآخر

عَلَفتُها تِبناً وَماءً بارِدًا ... حَتّى شَتَت هَمّالَةً عَيناها(١)

أراد وسقيتها ماء باردا فدل علفت على سقيت ٠٠ وقال الآخر

يَاليتَ بَعلَكِ قَد غَدَا ... مُتَقَلِّدًا سَيفًا وَرُمحا

أراد حاملا رمحاً ٠٠ [قال الشريف المرتضي] رضي الله عنه وجدت أبا بكر بن الانباري يقول إن الاستشهاد بهذه الابيات لايجوز على هذا الوجه لأن الابيات اكتفى فيها بذكر فعل عن ذكر فعل غيره والآية اكتفى فيها باسم دون إسم ٠٠ والأمر وان كان على ماقاله

رضى الله عنه ونسبه الجاحظ لخالد بن الصليقان وقبله

ومولى كمولى الزبرقان دمينه ... كما دملت ساق يهاض بها كسر

إذا ماأحالت والجبائر فوقها ... مضى الحول لابرء مبين ولا جبر

البيت ٠٠ وبعده ترى الشر قد أفنى دوائر وجهه ... كضب الكدى أفنى براثنه الحفر

[١] قوله — علفتها تبناً الخ ٠٠ هذا الرجز يستشهد به النحاة في باب المفعول معه ويقولون ان الماء معطوف على التبن فلا يصح أن الواو في قوله وماء للمعية والمصاحبة لانعدام معنى المصاحبة ولايشارك قوله وماء فيا قبله فتعين أن ينصب بفعل مضمر يدل عليه سياق الكلام وهو أن يقال التقدير علفتها تبناً وسقيتها ماء ٠٠ وقال ابن عصفور انهم ذهبوا إلى أن الاسم الذي بعد الواو معطوف على الاسم الذي قبلها ويكون العامل في الاسم الذي قبل الواو قد ضمن في ذلك معنى يتسلط على الاسمين فيضمن علفتها معنى أطعمتها لأنه إذا علفها فقد أطعمها فكأنه قال أطعمتها تبناً وماء ويقال أطعمته ماء ٠٠ قال الله تعالى (ومن لم يطعمه فانه مني) ٠٠ ويروى

لما حططت الرحل عنها واردا ... علفتها تبناً وماء باردا

ورواية الأصل أشهر ولا يعرف قائله ونسبه بعضهم لذي الرمة ولبس في ديوانه

فى الاسم والفعل فان موضع الاستشهاد صحيح لأن الاكتفاء فى الابيات بفعل عن فعل انما حسن من حيث دل الكلام على المحذوف والمضمر فاقتضاه فحذف تعويلا على أن المراد مفهوم غير ملتبس ولا مشتبه وهذا المعنى قائم في الآية وان كان المحذوف إسما لأن اللبس قد زال و الشبهة قد أمنت في المراد بهذا الحذف فحسن لأن الفرقان إذا كان إسما للقرآن وكان من المعلوم ان القرآن انما أنزل على نبينا عليه الصلاة والسلام دون موسى عليه السلام استغنى عن أن يقال وآتينا محمداً صلى الله عليه وسلم القرآن كما استغنى الشاعر أن يقول ويقفاً عيليه وترى لليدين حشأة وبدوا وما شاكل ذلك .. الا أنه يمكن أن يقال فيما استشهد به في جميع الأبيات ممـا لا يمكن أن يقال مثله في الآية وهو أن يقال انه محذوف ولا تقدير لفعل مضمر بل الكلام فى كل بيت منها محمول على المعنى ومعطوف عليه لأنه لما قال ــ تراه كأنّ الله يجدع أنفه ــ وكان معنى الجدع هو الافساد للعضو والتشويه به عطف على المعنى فقال وعيليه فكأنه قال كأن الله يجدع أنفه أى يفسده ويشوهه ثم قال وعيليه وكذلك لما كان السامع لغط الاحشاء عالما به عطف على المعنى فقال ولليدين حشأة وبدوا أي انه يعلم هذا وذاك معاً وكذلك لما كان فى قوله علفت معنى غذيت عطف عليه الماء لأنه مما يغتذى به وكذلك لما كان المتقلد للسيف حاملا له [1] جاز

[١] قوله ــ لما كان المتقلد للسيف حاملا له الخ .. عبارة بعض العلماء لأن التقلد نوع من الحمل قال ولأجل هذا الذى ذكرناه من حكم العطف بالواو قلنـا فى قوله تعالى (وامسحوا برؤسكم وأرجلكم الى الكعبين) في قراءة من خفض الارجل إذ الارجل تغسل والرؤس تمسح ولم يوجب عطفها على الرؤس أن تكون ممسوحة كمسح الرؤس لأن العرب تستعمل المسح على معنيين أحدهما النضح والآخر الغسل حتى روى أبو زيد تمسحت للصلاة أي توضأت .. وقال الراجز * أشليت عنزي ومسحت قعبي * أراد انه غسله ليحلب فيه فلما كان المسح نوعين أرجعنا لكل عضو مايليق به إذ كانت واو العطف كما قلنا إنما توجب الاشتراك في نوع الفعل وجنسه لافى كميته ولا فى كيفيته فالنضح والمسح جمعهما جنس الطهارة كما جمع تقلد السيف وحمل الرمح جنس التأهب للحرب والتسلح

أن يعطف عليه الرمح المحمول وهذا أولى في الطعن على الاستشهاد بهذه الأبيات مما ذكره ابن الانباري .. [قال الشريف المرتضى] رضي الله عنه أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد الكاتب قال أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى المنجم قال اخبرنا أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري عن الهيثم بن عدي قال لما دخل خالد بن صفوان الاهيمي على هشام بن عبد الملك وذلك بعد عزله خالد بن عبد الله القسري قال فالفيته جالساً على كرسي في بركة ماؤها الى الكعبين فدعالي بكرسي فجلست عليه فقال يا خالد رب خالد جلس مجلسك كان الوط بقلبي وأحب الي فقلت ياأمير المؤمنين ان حلمك لايضيق عنه فلو صفحت عن جرمه فقال ياخالد ان خالداً أدل فأمل وأوجف فأحجف ولم يدع لراجع مرجعاً ولا لعودة موضعاً ثم قال ألا اخبرك عنه يا بن صفوان قلت نعم قال انه مابدأني بسؤال حاجة مذ قدم العراق حتى أكون أناالذي أبدأه بها قال خالد فذاك أحرى أن ترجع اليه .. فقال متمثلا

إذاانصرفت نفسي عن الشيء لم تكد ... اليه بوجه آخر الدهر تقبل

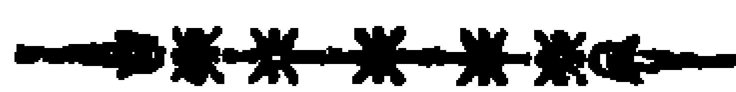
ثم قال حاجتك يا بن صفوان قلت تزيدني في عطائي عشرة دنانير فاطرق ثم قال ولم وفيم ألعبادة أحدثتها فنعينك عليها أم لبلاء حسن أبليته عند أمير المؤمنين أم لماذا يابن صفوان إذاً يكثر السؤال ولا يحتمل ذلك بيت المال قال فقلت ياأمير المؤمنين وفقك الله وسددك أنت والله كما قال أخو خزاعة

اذا المال لم يوجب عليك عطاءه ... قرابة قربى أو صديق توافقه

منعت وبعض المنع حزم وقوة ... ولم يفتلتك المال إلا حقائقه

فلما قدم خالد البصرة قيل له ماالذي حملك على تزيين الامساك له قال أحببت أن يمنع غيري كما منعني فيكثر من يلومه .. [قال الشريف المرتضى] رضي الله عنه وكان خالد مشهوراً بالبلاغة وحسن العبارة .. وبالاسناد المتقدم عن المدائني قال قال حفص ابن معاوية بن عمرو بن العلاء قلت لخالد يا أبا صفوان اني لاكره أن تموت وأنت من أيسر أهل البصرة فلا يبكيك الا الاماء قال فابغني امرأة قلت صفها لي أطلبها لك قال بكراً

كثيب أوثياً كبكر لاضرعا صغيرة ولا مسنة كبيرة لم تقرأ فتجبن ولم تفن فتخبن قد نشأت فى نعمة وأدركتها خصاصة فأدّ بها الغنى وأذلها الفقر حسبي من جمالها أن تكون فخمة من بعيد مليحة من قريب وحسبي من حسنها أن تكون واسطة قومها ترضى منى بالسنة ان عشت أكرمتها وان مت ورثتها لاترفع رأسها الى السماء نظراً ولا تضعه الى الى الارض سقوطا فقلت يا أبا صفوان ان الناس فى طلب هذه مذ زمان طويل فما يقدرون عليها •• وكان يقول ان المرأة لو خفّ محملها وقلت مؤنتها ماترك اللئام فيها للكرام بيتة ليلة ولكن ثقل محملها وعظمت مؤنتها فاجتباها الكرام وحاد عنها اللئام •• وكان خالد من أشح الناس وأبخلهم كان إذا أخذ جائزة أو غيرها قال للدرهم أما والله لطالما أغرت فى البلاد وأنجدت والله لأطيلن ضجعتك ولأديمن صرعتك •• قال وسأله رجل من بني تميم فأعطاه دانقاً فقال ياسبحان الله أتعطي مثلي دانقاً فقال له لو أعطاك كل رجل من بني تميم مثل ماأعطيتك لرحت بمالعظيم •• وسأله رجل فأعطاه درهماً فاستقله فقال ياأحمق أما علمت ان الدرهم عشر العشرة والعشرة عشر المائة والمائة عشر الالف والالف عشر دية المسلم •• وكان يقول والله ماتطيب نفسى بانفاق درهم الا درهماً قرعت به باب الجنة أودرهماً اشتريت به موزاً •• وقال لأن يكون لى ابن يحب الخمر أحب الي من أن يكون لى ابن يحب اللحم لأنه متى طلب اللحم وجده والخمر يفقده أحيانا •• وكان يقول من كان ماله كفافا فليس بغنى ولا فقير لأن النائبة اذا نزلت به أجحفت بكفافه ومن كان ماله دون الكفاف فهو فقير ومن كان ماله فوق الكفاف فهو غنى •• وكان يقول لأن يكون لاحدكم جار يخاف ان ينقب عليه بيته خير من ان يكون له جارٌ من التجار لايشاء أن يعطيه مالا ويكتب به عليه صكا الا فعل



مجلس آخر ٧٧

[تأويل آية] •• إن سأل سائل عن قوله تعالى (انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لايكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) •• فقال كيف يخبر تعالى أنهم لايكذبون

نبيه عليه الصلاة والسلام ومعلوم منهم إظهار التكذيب والعدول عن الاستجابة والتصديق وكيف ينفى عنهم التكذيب ثم يقول انهم بآيات الله يجحدون وهل الجحد بآيات الله الا تكذيب نبيه عليه الصلاة والسلام •• الجواب قلنا قد ذكر في هذه الآية وجوه •• أولها أن يكون انما نفى تكذيبهم بقلوبهم تديناً واعتقاداً وان كانوا مظهرين بافواههم التكذيب لأنا نعلم انه كان فى المخالفين له عليه الصلاة والسلام من يعلم صدقه ولا ينكر بقلبه حقه وهو مع ذلك معاند فيظهر بخلاف مايبطن •• وقال تعالى ﴿ وان فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون ﴾ •• ومما يشهد لهذه الوجوه من طريق الرواية ماروا‌ه سلام بن مسكين عن أبي يزيد المدنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقى أبا جهل فصافحه أبو جهل فقيل له يا أبا الحكم أتصافح هذا الصابئ فقال والله انى لا علم أنه نبي ولكن متى كنا تبعاً لبنى عبد مناف فانزل الله الآية •• وفى خبر آخر ان الاخنس بن شريق خلا بأبي جهل فقال له يا أبا الحكم أخبرني عن محمد صلى الله عليه وسلم أصادق هو أم كاذب فانه ليس ههنا من قريش أحد غيري وغيرك يسمع كلامنا فقال له أبو جهل ويحك والله ان محمداً لصادق وما كذب محمد قط ولكن إذا ذهب بنو قصى باللوى والحجابة والسقاية والندوة والنبوّة ماذا يكون لسائر قريش •• وعلى الوجه الاول يكون معنى فانهم لايكذبونك أي لايفعلون ذلك بحجة ولا يتمكنون من إبطال ماجئت به ببرهان وانما يقتصرون على الدعوي الباطلة وهذا فى الاستعمال معروف لأن القائل يقول فلان لا يستطيع أن يكذبني ولا يدفع قولى وانما يريد أنه لايتمكن من إقامة دليل على كذبه ومن حجة على دفع قوله وان كان يتمكن من التكذيب بلسانه وقلبه فيصير مايقع من التكذيب من غير حجة ولا برهان غير معتد به •• وروى عن أمير المؤمنين علىّ عليه السلام أنه قرأ هذه الآية بالتخفيف فانهم لايكذبونك على أن المراد بها انهم لا يأتون بحق هو أحق من حقك •• وقال محمد بن كعب القرظى معناها لايبطلون مافي يدك وكل ذلك يقوي هذا الوجه وسنبين ان معنى هذه اللفظة مشددة ترجع الى معناها مخففة •• والوجه الثانى أن يكون معنى الآية انهم لا يصدقونك ولا يلفونك متقولا كما يقولون قاتلته فما أجبنته أى لم أجده جبانا

وحادثته فما أكذبته أي لم ألفه كاذبا •• وقال الاعشى

أَثْوي وقَصَّرَ ليلَهُ لِيزَوَّدَا فمَضى وأَخلَفَ مِنْ قُتَيلةَ مَوْعِدَا

أى صادف منها خلف المواعيد •• ومثله قولهم أصممت القوم إذا صادفتهم صماً وأخليت الموضع اذا صادفته خالياً •• وقال الشاعر

أَبيتُ معَ الحُدَّاثِ لَيلي فلم أُبِنْ فأخلَيتُ فاستَجمَعتُ عِندَ خلائيا

أي أصبت مكانا خالياً •• ومثله لحميان بن أبي قحافة

ليسنَّ أنياباً لهُ لَوَاحِجا أَوسَعْنَ مِنْ أَشْدَاقِهِ المَضارِجا

يعنى ـ بأوسعن ـ أصبن منابت واسعة فنبتن فيها •• وقال عمرو بن براقة

تحالفَ أقوامٌ عليَّ ليُسْنِمُوا وَجَرُّوا عليَّ الحَرْبَ إِذْ أَنا سانِمُ[١]

---

[١] قوله ـ اذ أنا سانم ـ الرواية المشهورة سالم بدل سانم •• والبيت من قصيدة يقولها عمرو بن براق أو براقة المذكور وكان أغار عليه رجل من مراد فأخذ خيله وابله فذهب بها فاتي عمرو سلمى وكانت بنت سيدهم وعن رأيها كانوا يصدرون فاخبرها ان حريما المرادى أغار على ابله وخيله فقالت والخفوِّ والوميض والشفق كالأحريض والقلة والحضيض إن حريماً لمنيع الحيز سيد مزيز ذو معقل حريز غير أني أرى الجمة ستظفر منه بعثرة بطيئة الجبرة فاغر ولا تنكع فاغار عمرو واستاق كل شيء له فاتى حريم بعد ذلك يطلب إلي عمرو أن يرد عليه بعض ما أخذ منه فامتنع ورجع حريم انتهي •• وروي من غير هذا الوجه ان الذى أغار عليه حريم الهمداني وان عمراً أتى امرأة كان يتحدث اليها يقال لها سلمي فاخبرها بالقصة وانه يريد الغارة عليه فقالت له ويحك لا تعرض لتلفات حريم فاني أخافه عليك فخالفها وأغار عليه وهذا القول الاخير أصوب ومطلع القصيدة

تقول سليمى لا تعرَّض لتلفة وليلك عن ليل الصعاليك نائم

وكيف ينام الليل من جلُّ ماله حسام كلون الملح أبيض صارم

غموض اذا عض الكريهة لم يدع لها طمعاً طوع اليمين ملازم

يقال ـ أسمن ـ بنو فلان اذا رعت ابلهم فصادفوا فيها سمناً •• وقال أبو النجم * يقلن للرائد أعشبت أنزل أى أصبت مكانا معشباً •• وقال ذو الرمة

تُرِيكَ بَياضَ لَبَّتِها وَوَجْهًا كَقَرْنِ الشَّمْسِ أَفْتَقَ ثُمَّ زَالاَ[١]

ألم تعلمى أن الصعاليك نومهم قليل اذا نام الخلى المسالم

إذا الليل أدجى وا كفهر ظلامه وصاح من الافراط بوم جواثم

ومال بأصحاب الكرى غالباته فاني على أمر الغواية حازم

كذبتم وبيت الله لاتأخذونها مراغمة مادام للسيف قائم

تحالف أقوام على ليسلموا وجروا علىّ الحرب اذ أنا سالم

أفا اليوم أدعى للهوادة بعدما أجيل على الحى المذاكى الصلادم

فان حريماً إذ رجا أن أردها ويذهب مالى يابنة القيل حالم

متى تجمع القلب الذكى وصارما وأنفاً حمياً تجتنبك المظالم

متى تطلب المال الممنع بالقنا تمش ماجداً أو تخترمك المخارم

وكنت اذا قوم غزوني غزوتهم فهل أنا في ذايال همدان ظالم

فلا صلح حتى تقدع الخيل بالقنا وتضرب بالبيض الرقاق الجماجم

ولا أمن حتى تغشم الحرب جهرة عبيدة يوما والحروب غواشم

أمستبطئ عمرو بن نعمان غارتى وما يشبه اليقظان من هو نائم

إذا جر مولانا علينا جريرة صبرنا لها إنا كرام دعائم

* وننصر مولانا ونعلم أنه كما الناس مجروم عليه وجارم

[١] ـ أفتق قرن الشمس ـ أصاب فتقاً من السحاب فبدامنه •• والبيت من قصيدة يمدح بها بلال بن أبي بردة ويعاتبه

أصاب خصاصة فبدا كليلا كلا وانغل سائره انغلالا

ومنها

بني لك أهل بيتك يابن قيس وأنت تزيدهم شرفا جلالا

أي وجد فتقاً من السحاب وليس لاحد أن يجعل هذا الوجه مختصاً بالقراءة بالتخفيف دون التشديد لأن في الوجهين معاً يمكن هـذا الجواب لأن أفعلت وفعلت يجوزان في هذا الموضع وأفعلت هو الاصل ثم شددتا كيداً وإفاده لمعنى التكرار وهذا مثل أكرمت وكرمت وأعظمت وعظّمت وأوصيت ووصّيت وأبلغت وبلّغت وهو كثير .. وقال الله تعالى (فمهـل الكافرين أمهلهم رويدا) إلا أن التخفيف أشبه بهذا الوجه لأن استعمال هذه اللفظة مخففة في هذا المعنى أكثر .. والوجه الثالث ماحكى الكسائى من قوله ان المراد انهم لاينسبونك الى الكذب فيما أتيت به لأنه كان أميناً صادقا لم يجربوا عليـه كذبا وانما كانوا يدفعون ماأتي به ويدّعون انه في نفسه كذب وفي الناس من يقوي هذا الوجه وان القوم كانوا يكذبون ما أتي به وان كانوا يصدقونه في نفسه بقوله تعالى (ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) وقوله تعالي (وكذب به قومك وهو الحق) ولم يقل وكذبك قومك وكان الكسائي يقرأ فانهم لايكذبونك بالتخفيف ونافع من بين سائر السبعة والباقون بالتشديد ويزعم ان بين أكذبه وكذبه فرقا وان معنى أكذب الرجل أنه جاء بكذب ومعنى كذبته انه كذاب في حديثه وهذا غلط وليس بين فعلت وأفعلت في هذه الكلمة فرق من طريق المعنى أكثر مما ذكرناه من أن التشديد يقتضي التكرار والتأكيد ومع هذا لايجوز أن يصدقوه في نفسه ويكذبوا بما أتى به لأن من المعلوم أنه عليه الصلاة والسلام كان يستشهد بصحة ماأتى به وصدقه وانه الدين القيم والحق الذى لايجوز العدول عنه وكيف يجوز أن يكون صادقاً في خبره

مكارم ليس يحصيهن مدح ... ولا كذبا أقول ولا انتحالا
أبو موسى فحسبك نعم جداً ... وشيخ الركب خالك نعم خالا
كأن الناس حين تمر حتى ... عواتق لم تكن تدع الحجالا
قياما ينظرون إلى بلال ... رفاق الحج أبصرت الهلالا
فقد رفع الاله بكل أفق ... لضوئك يابلال سناً طوالا
كضوء الشمس ليس بمختفيه ... وأعطيت المهابة والجمالا
ومنها
سمعت الناس ينتجعون غيثاً ... فقلت لصيدح انتجعي بلالا

وان كان الذي أتى به فاسداً بل إن كان صادقا فالذي أتى به حق صحيح وان كان الذي أتي به فاسداً فلا بد من أن يكون في شيء من ذلك وهو تأويل من لا يحقق المعاني .. والوجه الرابع أن يكون المعنى في قوله تعالى فانهم لايكذبونك أن تكذيبك راجع اليّ وعائد عليّ ولست المختص به لأنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن كذبه فهو في الحقيقة مكذب لله تعالى وراد عليه وهذا كما يقول أحدنا لرسوله امض في كذا فمن كذبك فقد كذبني ومن دفعك فقد دفعني وذلك من الله على سبيل التسلية لنبيه عليه الصلاة والسلام والتعظيم والتغليظ لتكذيبه .. والوجه الخامس أن يريد فانهم لايكذبونك في الأمر الذي يوافق فيه تكذيبهم وان كذبوك في غيره .. ويمكن في الآية وجه سادس وهو أن يريد تعالى ان جميعهم لايكذبونك وان كذبك بعضهم فهم الظالمون الذين ذكروا في آخر الآية بأنهم يجحدون بآيات الله وانما سلى نبيه عليه الصلاة والسلام بهذا القول وعزاه فلا ينكر أن يكون عليه الصلاة والسلام لما استوحش من تكذيبهم له وتلقيهم إياه بالرد عليه وظن أنه لا متبع له عليه الصلاة والسلام منهم ولا ناصر لديه فيهم أخبره الله تعالى بان البعض وان كذبك فان فيهم من يصدقك ويتبعك وينتفع بارشادك وهدايتك وكل هذا واضح والمنة لله .. [قال الشريف المرتضى] رضي الله عنه من جيد الشعر قول مطرود بن كعب الخزاعي

يا أيها الرَّجُلُ المُحَوِّلُ رَحْلَهُ ... ألاَّ نَزَلْتَ بآلِ عَبْدِ مَنافِ[1]

هَبِلَتْكَ أُمُّكَ لَوْ نَزَلْتَ عَلَيْهِمُ ... ضَمِنُوكَ مِنْ جُوعٍ وَمِنْ إقْرافِ

[١] قوله ـ يا أيها الرجل الخ .. روي عن المطلب بن أبي وداعة عن جده قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر رضي الله تعالى عنه عند باب بني شيبة فمر رجل وهو يقول

يا أيها الرجل المحول رحله ... ألا نزلت بآل عبد الدار

هبلتك أمك لو نزلت برحلهم ... منعوك من عدم ومن إقتار

.. قال فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ابي بكر فقال هكذا قال الشاعر قال لا والذي بعثك بالحق لكنه قال

ـ الآخذُونَ العَهْدَ مِنْ آفاقِها وَالرَّاحِلونَ لِرحلَةِ الإِيلاَفِ
وَالمُطْعِمونَ إذَا الرِّياحُ تَناوَحَتْ وَرِجالُ مَكَّةَ مُسْنِتُونَ عِجافُ
وَالمُفْضِلونَ إِذَا المُحُولُ تَرادَفَتْ وَالقائلونَ هَلُمَّ للأَضيافِ
وَالخالِطُونَ غَنِيَّهُمْ بِفَقِيرِهِمْ حَتَّى يَكُونَ فَقِيرُهُمْ كالكافي
كانَت قُرَيْشٌ بَيْضَةً فَتَفَلَّقَتْ فالمُحُّ خالِصةً لِعَبْدِ مَنافِ[1]

.. أما قوله ـ والراحلون لرحلة الإيلاف ـ فكان هاشم صاحب إيلاف قريش الرحلتين وأول من سنهما فألف الرحلتين[2] في الشتاء الى اليمن والحبشة والعراق وفي الصيف الي الشام .. وفي ذلك يقول ابن الزبعرى

يا أيها الرجل المحول رحله ألاّ نزلت بآل عبد مناف

الخ كما في الاصل .. قال فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هكذا سمعت الرواة ينشدونه

[١] وقوله ـ فالمح خالصة لعبد مناف ـ المح والمحة صفرة البيض .. قال ابن سيدة انما يريدون فص البيضة لأن المح جوهر والصفرة عرض ولا يعبرون بالعرض عن الجوهر اللهم الا أن تكون العرب سمت مح البيضة صفرة قال وهذا مالا أعرفه وان كانت العامة قد أولعت بذلك وقوله ـ خالصة ـ روي أيضاً خالصها وخالصه ولا إشكال في الروايتين الأخيرتين .. قال ابن بري من قال خالصة بالتاء فهو في الاصل مصدر كالعافية

[٢] قوله ـ فألف الرحلتين ـ الخ كان هاشم وعبد شمس والطلب ونوفل إخوة وأكبرهم عبد شمس وأصغرهم المطلب والثلاثة السابقون لأب وأم ونوفل أخوهم لأبيهم وهم أول من أخذ لقريش العصم فانتشروا من الحرم أخذ لهم هاشم حبلا من ملوك الشام الروم وغسان وأخذ لهم عبد شمس حبلا من النجاشي الاكبر فاختلفوا بذلك السبب الى أرض الحبشة وأخذ لهم نوفل حبلا من الاكاسرة فاختلفوا بذلك السبب الى اليمن فجبر الله بهم قريشاً فسموا المجبرين واختلف في قائل هذه الابيات فقيل هي لمطرود بن كعب الخزاعي وقيل لابن الزبعرى وهذا أصح ولم نر من فرقها

عمرُ العلا هشمَ الثريدَ لقومهِ ورجالُ مكّةَ مسنتونَ عجافُ
وهوَ لذي سنّ الرّحيلَ لقومهِ رحلَ الشتاء ورحلةَ الأصيافِ

.. فأما قوله — مسنتون — فهم الذين أصابتهم السنة المجدبة الشديدة .. وقوله — والخالطون غنيهم بفقيرهم — من أحسن الكلام وأخصره انما أراد انهم يفضلون على الفقير حتى يعود غنياً ذا ثروة . . ولأحمد بن يوسف أبيات على هذا الوزن يمزح بها مع ولد سعيد بن مسلم الباهلي وكان لهم صديقاً

أبناء سعدٍ إنّكمْ من معشرٍ لا يعرفونَ كرامةَ الأضيافِ
قومٌ لباهلةَ بنِ يعصرَ إنهمُ نُسبوا حسبتَهمُ لعبدِ منافِ
قرنوا الغداءَ إلى العشاء وقرّبوا زاداً لعمرُ أبيكَ ليسَ بكافي
وكأنّني لمّا حططتُ إليهمُ رحلي نزلتُ بأبرقِ العزافِ

غير السيد المرتضى وسبب قول ابن الزبعرى لها فيما قيل ان الناس أصبحوا يوما بمكة وعلى باب الندوة مكتوب

ألهى قصيا عن المجد الاساطير ورشوة مثل ما ترشى السفاسير
وأكلها اللحم بحتاً لا خليط به وقولها رحلت عير أتت عير

فانكر الناس ذلك وقالوا ما قالها الا ابن الزبعرى وأجمع على ذلك رأيهم فشوا الى بني سهم وكان مما تنكر قريش وتعتب عليه أن يهجو بعضها بعضاً فقالوا لبنى سهم ادفعوه الينا نحكم فيه بحكمنا قالوا وما الحكم فيه قالوا قطع لسانه قالوا فشأنكم واعلموا والله انه لا يهجونا رجل منكم الا فعلنا به مثل ذلك والزبير بن عبد المطلب يومئذ غائب نحو اليمن فانحت بنو قصي بذنبهم فقالوا لا نأمن الزبير اذا بلغه ما قال ابن الزبعري أن يقول شيئاً فيؤتي اليه مثل ما نأتي الى هذا وكانوا أهل تناصف فاجمعوا على تخليته فخلوه وقيل إنهم أسلموه اليهم فضربوه وحلقوا شعره وربطوه الى صخرة بالحجون فاستغاث قومه فلم يغيثوه فجعل يمدح قصياً ويسترضيهم فاطلقه بنو عبد مناف منهم وأكرموه فمدحهم بهذا الشعر

بَينَا كَذَلِكَ إِذْ أَتَى كُبَراؤُهُمْ يَلْحَوْنَ فِي التَّبْذِيرِ وَالإِسْرَافِ

أراد قرنوا الغداء الى العشاء من بخلهم واختصارهم في المطعم •• ويقال ان هذا الشعر حفظ وصار من أكثر ما يسبون به ويذب به قومهم ولرب مزح جر جداً وعثرة الشعر لا تستقال والشعر يسير بحسب جودته •• ولقد أحسن دعبل بن علي في قوله

نَعَوْنِي وَلَمَّا يَنْعَنِي غَيْرُ شَامِتٍ وَغَيْرُ عَدُوٍّ قَدْ أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهْ

يَقُولُونَ إِنْ ذَاقَ الرَّدَى مَاتَ شِعْرُهُ وَهَيْهَاتَ عُمْرُ الشِّعْرِ طَالَتْ طَوَائِلُهْ

سَأَقْضِي بِبَيْتٍ يَحْمَدُ النَّاسُ أَمْرَهُ وَيَكْثُرُ مِنْ أَهْلِ الرِّوَايَةِ حَامِلُهْ

يَمُوتُ رَدِيُّ الشِّعْرِ مِنْ قَبْلِ رَبِّهِ وَجَيِّدُهُ يَبْقَى وَإِنْ مَاتَ قَائِلُهْ

•• ولآخر في هذا المعنى (١)

(١) قوله ــ ولآخر في هذا المعنى •• الأبيات من قصيدة لدعبل أيضاً ومطلعها

إذا غزونا فغزانا بأنقرة وأهل سلمي بسيف البحر من جرت

هيهات هيهات بين المنزلين لقد أنضيت شوقي وقد طوّلت ماندقي

أحببت أهلي ولم أظلم بحبهم قالوا تعصبت جهلا قول ذي بهت

لهم لساني بتقريظي وممتدحي نعم وقلبي وما تحويه مقدرتي

دعني أصل رحمي إن كنت قاطعها لابد للرحم الدنيا من الصلة

فاحفظ عشيرتك الأدنين إن لهم حقاً يفرق بين الزوج والمرت

قومي بنو حمير والأزد إخوتهم وآل كندة والاحياء من علت

ثبت الحلوم فان سلت حفائظهم سلوا السيوف فأردوا كل ذي عنت

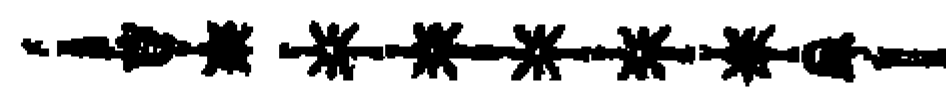
نفسي تنافسني في كل مكرمة إلى المعالي ولو خالفتها أبت

وكم زحمت طريق الموت معترضاً بالسيف ضيقاً فأداني إلى السعة

قال العواذل أودي المال قلت لهم ما بين أجر وفخر لي ومحمدة

أفسدت مالك قلت المال يفسدني اذا بخلت به والجود مصلحتي

لاتَعرِضَنَّ بِمَزحٍ لامرِيءٍ فَطِنٍ ... ماراضَهُ قَلبُهُ أَجراهُ في الشَفَةِ
فَرُبَّ قافِيَةٍ بِالمَزحِ جارِيَةٍ ... مَشؤُومَةٍ لَم يُرِد إِنماؤُها نَمَتِ
إِنّي إِذا قُلتُ بَيتاً ماتَ قائِلُهُ ... وَمَن يُقالُ لَهُ وَالبَيتُ لَم يَمُتِ



مجلس آخر

[تأويل آية أخرى] .. إن سأل سائل عن قوله تعالى (ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين) الآية .. وعن قوله تعالى (ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب) الآية .. فقال كيف يقع من أهل الآخرة نفي الشرك عن أنفسهم والقسم بالله تعالى عليه وهم كاذبون في ذلك مع أنهم عندكم في تلك الحال لايقع منهم شيء من القبيح لمعرفتهم بالله تعالى ضرورة ولأنهم ملجؤن هناك الى ترك جميع القبائح وكيف قال من بعد (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون) فشهد عليهم بالكذب ثم علقه بما لا يصح فيه معنى الكذب وهو التمني لأنهم تمنوا ولم يخبروا .. الجواب قلنا أول ما نقوله انه ليس في ظاهر الآية مايقتضي ان قولهم ما كنا مشركين انما وقع في الآخرة دون الدنيا وإذا لم يكن ذلك في الظاهر جاز أن يكون الاخبار يتناول حال الدنيا وسقطت المسئلة وليس لأحد أن يتعلق في وقوع ذلك في الآخرة بقوله تعالى قبل الآية (ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون) وانه عقب ذلك بقوله تعالى (ثم لم تكن فتنتهم) فيجب أن يكون الجميع مختصاً بحال الآخرة لأنه لايمتنع أن يكون الآية تتناول مايجري في الآخرة ثم

لاتعرضن بمزح لامرئ طبن ... ماراضه قلبه أجراه في الشفة
فرب قافية بالمزح قائلة ... مشؤمة لم يرد إنماؤها نمت
رد السلي مستها بعد قطعته ... كرت قافية من بعدما مضت
إني اذا قلت بيتاً مات قائله ... ومن يقال له والبيت لم يمت

تتلوها آية تتناول ما يجري في الدنيا لأن مطابقة كل آية لما قبلها في مثل هذا غير واجبة .. وقوله تعالى (ثم لم تكن فتنتهم) لا تدل أيضاً على أن ذلك يكون واقعاً بعد ما خبر تعالى عنه في الآية الاولى فكأنه تعالى قال على هذا الوجه انا نحشرهم في الآخرة ونقول أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون ثم ما كان فتنتهم وسبب ضلالهم في الدنيا الا قولهم والله ربنا ما كنا مشركين) .. وقد قيل في الآية على تسليم ان هذا القول يقع منهم في الآخرة ان المراد به انا ما كنا عند نفوسنا وفي اعتقادنا مشركين بل كنا نعتقد أنا على الحق والهدي .. وقوله تعالى من بعد (أنظر كيف كذبوا على أنفسهم) لم يرد هذا الخبر الذي وقع منهم في الآخرة بل انهم كذبوا على أنفسهم في دار الدنيا باخبارهم انهم مصيبون محقون غير مشركين وليس في الظاهر الا أنهم كذبوا على أنفسهم من غير تخصيص بوقت فلم يحمل على آخرة دون دنيا ولو كان للآية ظاهر يقتضي وقوع ذلك في الآخرة لحملناه على الدنيا بدلالة ان أهل الآخرة لا يجوز أن يكذبوا لانهم ملجؤن الى ترك القبيح .. فأما قوله تعالى حاكياً عنهم (ياليتنا نرد) .. وقوله تعالى (فانهم لكاذبون) فمن الناس من حمل الكلام كله على وجه التمني فصرف قوله تعالى وانهم لكاذبون الى غير الامر الذي تمنوه لأن التمني لا يصح فيه معنى الصدق والكذب لانهما انما يدخلان في الأخبار المحضة لأن قول القائل ليت الله رزقني كذا وليت فلانا أعطاني مالا أفعل به كذا وكذا لا يكون كذبا ولا صدقا وقع ما تمناه أو لم يقع فيجوز على هذا أن يكون قوله تعالى (وانهم لكاذبون) مصروفا الى حال الدنيا كأنه تعالى قال وهم كاذبون فيما يخبرون به عن أنفسهم في الدنيا من الاضافة واعتقاد الحق أو يريد انهم كاذبون ان خبروا عن أنفسهم أنهم متى ردوا آمنوا ولم يكذبوا وان كان ما كان مما حكى عنهم من التمني ليس بخبر وقد يجوز أن يحمل قوله تعالى (وانهم لكاذبون) على غير الكذب الحقيقي بل يكون المراد والمعنى انهم تمنوا مالا سبيل اليه فكذب أملهم وتمنيهم وهذا مشهور في الكلام لانهم يقولون لمن تمنى مالا يدرك كذب أملك وأكدى رجاؤك وما جرى مجري ذلك .. وقال الشاعر

كَذَبْتُمْ وَبَيْتِ اللهِ لاَ تَأْخُذُونَهَا ... مُرَاغَمَةً مَادَامَ لِلسَّيْفِ قَائِمُ

•• وقال آخر

كَذَبتُم وَبَيتِ اللهِ لاتَنكِحُونَها ... بَني شابَ قَرناها تُصَرُّ وَتُحلَبُ

ولم يرد الكذب فى الاقوال بل فى التمني والأمل •• وليس لأحد أن يقول كيف يجوز من أهل الآخرة مع أن معارفهم ضرورية وانهم عارفون ان الرجوع لاسبيل اليه أن يتمنوه وذلك انه غير ممتنع أن يتمنى المتمني مايعلم انه لايحصل ولا يقع ولهذا يتعلق التمني بما لايكون وبما قد كان واقوة اختصاص التمني بما يعلم أنه لايكون غلط قوم فجعلوا إرادة ماعلم المريد أنه لايكون تمنياً فهذا الذي ذكرناه وجه في تأويل الآية••وفي الناس من جعل بعض الكلام تمنياً وبعضه إخباراً وعلق تكذيبهم بالخبر دون ليتنا فكان تقدير الآية ياليتنا نرد وهذا هو التمني ثم قال من بعده فانا لانكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين فاخبروا بما علم الله تعالى انهم فيه كاذبون وان لم يعلموا من أنفسهم مثل ذلك فلهذا كذبهم تعالى وكل هذا واضح بحمد الله •• أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني أحمد بن عبد الله وعبد الله بن يحيي العسكريان قالا حدثنا الحسن بن عليل العنبرى قال حدثنا أبو بكر محمد بن عبد الله العبدى قال حدثنا أبو مسعر رجل منا من بنى غنم بن عبد القيس قال : د منصور بن سلمة النمرى على البرامكة وهو شيخ كبير وكان مروان بن أبي حفصة صديقاً لي على انى كنت أبغضه وأمقته في الله فشكا الي وقال دخل علينا اليوم رجل أظنه شامياً وقد قدمته البرامكة فى الذكر عند الرشيد فأذن له الرشيد فدخل فسلم وأجاد فأذن له الرشيد فجلس قال فاوجست منه خوفاً فقلت يانفس أنا حجازى نجدى شافهت العرب وشافهتني وهذا شامي افتراه أشعر مني قال فجعلت أرقو نفسي الى أن استنشده هارون فاذا هو والله أفصح الناس فدخلنى له حسد فأنشده قصيدة تمنيت أنها لى وان علىّ غرماً فقلت له ماهي قال أحفظ منها أبياتاً وهي

أَمِيرَ المُؤمِنِينَ إليكَ خُضنا ... غِمارَ المَوتِ مِن بَلَدٍ شَطِيرِ
بِخُوصٍ كالأَهِلَّةِ خافِقاتٍ ... حُمِلنَ على السُّرَى وَعَلى الهَجِيرِ
حَمَلنَ إليكَ آمالاً عِظاماً ... وَمِثلَ الصُّبحِ وَالبَدرِ المُنِيرِ

وَقَدْ وَقَفَ الْمَدِيحُ بِمُنْتَهَاهُ ... وَغَايَتِهِ وَصَارَ الي الْمَصِيرِ
إِلى مَنْ لاَ يُشِيرُ إِلي سِوَاهُ ... إِذَا ذُكِرَ النَّدَي كَفُّ الْمُشِيرِ

قال مروان فوددت انه قد أخذ جائزتي وسكت وعجبت من تخلصه الى تلك القوافى ثم ذكر ولد أمير المؤمنين علىّ عليه السلام فأحسن التخلص ٠٠ ورأيت هارون يعجب بذلك فقال

يَدُلُّكَ فِي رِقَابِ بَنِي عَلِيٍّ ... وَمَنٌّ لَيسَ بِالْمَنِّ الْيَسِيرِ
فَإِنْ شَكَرُوا فَقَدْ أَنْعَمْتَ فِيهِمْ ... وَإِلاَّ فَالنَّدَامَةُ لِلْكَفُورِ (١)
مَنَنْتَ علي ابنِ عبدِ اللهِ يحْيى ... وَكَانَ مِنَ الحُتُوفِ على شَفِيرِ
وَقَدْ سَخِطَتْ لِسَخْطَتِكَ الْمَنَايا ... عليهِ فَهْيَ خاتِمَةُ النُّشُورِ
وَلَوْ كافأْتَ مَا اجْتَرَحَتْ يداهُ ... دَلَفْتَ لَهُ بِقَاصِمَةِ الظُّهُورِ
ولكِنْ جَلَّ حِلْمُكَ فَاجْتَبَاهُ ... عَلي الْهَفَوَاتِ عَفْوٌ مِنْ قَدِيرِ
فَعَادَ كَأَنَّهُ لَمْ يَجْنِ ذَنْباً ... وَقَدْ كَانَ اجْتَنَي حَسَكَ الصُّدُورِ
وَإِنَّكَ حِينَ تُبْلِغُهُ أَذَاهُ ... وَإِنْ ظَلَمُوا لَمُحْتَرِقُ الضَّمِيرِ

وإن الرشيد قال لما سمع هذا البيت هذا والله معنى كان فى نفسى وأدخله بيت المال وحكمه فيه ٠٠ عدنا إلى الخبر قال مروان وكان هارون يتبسم ويكاد يضحك للطف ما سمع ثم أومأ الىّ أن أنشد فانشدته قصيدتي التي أقول فيها

---

[١] وزيد فيها

وإن قالوا بنو بنت لحق ... وردوا ما يناسب للذكور
وما لبنى بنات من تراث ... مع الأعمام في ورق الزبور

ومنها

بني حسن ورهط بنى حسين ... عليكم بالسداد من الامور
فقد ذقتم قراع بني أبيكم ... غداة الروع بالبيض الذكور

خلّوا الطريقَ لمعشرٍ عاداتهمْ حطمُ المناكبِ كلَّ يومِ زِحامِ [١]

حتى أتيت على آخرها فوالله ماعاج ذاك الرجل يعني النميري بشعري ولا حفل به .. ثم أنشده منصور يومئذ

إنَّ لهارونَ إمام الهدى كنزين من أجرٍ ومن برِّ

يريشُ ماتبري الليالي ولا تريشُ أيديهنَّ ما يبري

كأنما البدرُ على رحلهِ ترميكَ منهُ مقلتا صقرِ

وأنشده أيضاً

ولمنْ أضاعَ لقدْ عهدتكَ حافظاً لوصيةِ العبّاسِ بالأخوالِ

.. قال مروان وأخلق به أن يغلبني وأن يعلو علي عنده فاني مارأيت أحسن من تخلصه الى ذكر الطالبين .. وأخبرنا المرزباني قال حدثنا أبو عبد الله الحكيمي قال حدثني يموت بن المزرع قال حدثني أبو عثمان الجاحظ قال كان منصور النميري ينافق الرشيد ويذكر هارون في شعره ويريه أنه من وجوه شيعته وباطنه ومراده بذلك علي بن أبي طالب عليه السلام لقول النبي عليه الصلاة والسلام أنت مني بمنزلة هارون من موسى إذ وشى به عنده بعض أعدائه وهو العتابي فقال يا أمير المؤمنين هو الله الذي يقول

متى يشفيكَ دمعُكَ من هُمولِ ويبردُ ما بقلبكَ من غليلِ

وأنشد أيضاً

شاءٍ منَ النّاسِ راتعٌ هاملٌ يُعلّلونَ النفوسَ بالباطلِ

ومنصور يصرح في هذه القصيدة بالمعجائب فوجه الرشيد برجل من فزارة وأمره أن يضرب عنق منصور حيث تقع عينه عليه فقدم الرجل رأس عين من بعد موت منصور بأيام قلائل .. قال المرزباني ويصدق قول الجاحظ ان النميري كان يذكر هارون في

[١] .. وبعده

وارضوا بما قسم الاله لكم به ودعوا وراثة كل أصيد حام

أنّى يكون وليس ذاك بكائن لبني البنات وراثة الأعمام

شعره وهو يعني به أمير المؤمنين علياً عليه السلام ما أنشدناه محمد بن الحسن بن دريد النمري

آلُ الرَّسُولِ خِيَارُ النَّاسِ كُلِّهِم ... وَخَيْرُ آلِ رَسُولِ اللهِ هارُونُ
رَضِيتُ حُكْمَكَ لا أَبْغِي بِهِ بَدَلاً ... لأَنَّ حُكْمَكَ بِالتَّوْفِيقِ مَقْرُونُ

٠٠ وروي أنَّ أبا عتيمة الشيعي لما أوقع بأهل ديار ربيعة أوفدت ربيعة وفداً الى الرشيد فيهم منصور النمرى فلما صاروا بباب الرشيد أمرهم باختيار من يدخل عليه منهم فاختاروا عدداً بعد عدد إلى أن اختاروا رجلين أحدهما النمرى ليدخلا ويسألا حوائجهما وكان النمري مؤدبا لم يسمع منه شعر قط قبل ذلك ولا عرف به فلما مثل هو وصاحبه بين يدي الرشيد قال لهما قولا ما تريدان فانشد النمرى

ما تَنْقَضِي حَسْرَةٌ مِنِّي وَلاَ جَزَعُ

قال له الرشيد قل حاجتك وعد عن هذا ٠٠ فقال

اذَا ذَكَرْتُ شَباباً لَيْسَ يُرْتَجَعُ

وأنشد القصيدة حتى أتي الى قوله

رَكْبٌ مِنَ النَّمِرِ عاذُوا بِابْنِ عَمِّهِمُ ... مِنْ هاشِمٍ إِذْ أَلَجَّ الأَزْلَمُ الجَذَعُ
مَتُّوا اليْكَ بِقُرْبَى أَنْتَ تَعرِفُها ... لَهُمْ بِها في سَنَامِ المَجْدِ مُطَّلَعُ
إِنَّ المَكارِمَ وَالمَعْرُوفَ أَوْدِيَةٌ ... أَحلَّكَ اللهُ مِنْها حَيْثُ تُنْتَجَعُ
إِذَا رَفَعْتَ أمرأً فَاللهُ رَافِعُهُ ... وَمَنْ وَضَعْتَ مِنَ الأَقْوَامِ مُتَّضِعُ
نَفْسي فِدَاؤُكَ وَالأَبْطَالُ مُعْلِمَةٌ ... يَوْمَ الوَغي وَالمَنَايَا بَيْنَهُمْ قُرَعُ

حتى أتى الى آخرها فقال له ويحك ما حاجتك فقال يا أمير المؤمنين أخربت الديار وأخذت الأموال وهتك الحرم فقال اكتبوا له بكل ما يريد وأمر له بثلاثين ألف درهم واحتبسه عنده وشخص أصحابه بالكتب ولم يزل عنده يقول الشعر فيه حتى استأذنه في الانصراف فأذن له ثم اتصل بالرشيد قوله

شاهٌ مِنَ النَّاسِ رَاتِعٌ هامِلٌ ... يُعلِّلُونَ النُّفُوسَ بالباطِلِ
تُقتلُ ذُرِّيَّةُ النَّبِيِّ وَتَرْجُونَ خُلُودَ الجِنانِ لِلقاتِلِ
ماالشَّكُّ عِندِي في كُفرِ قاتِلِهِ ... لَكِنَّنِي قَدْ أَشُكُّ في الخاذِلِ

فامتعض الرشيد وأنفذ من يقتله فوجده في بعض الروايات ميتاً وفى أخرى عليلا لما به فسئل الرسول أن لا يأثم به وأن ينتظر موته ففعل ولم يبرح حتى توفي فعاد بخبر موته ٠٠ وللنميري

لوْ كُنتُ أَخشَي مَعادِي حَقَّ خَشْيَتِهِ ... لَمْ تَسْمُ عَيْنِي الى الدُّنيا وَلَمْ تَنَمِ
لَكِنَّنِي عَنْ طِلابِ الدِّينِ مُحْتَبِلٌ ... وَالعِلْمُ مِثْلُ الغِنى وَالجَهْلُ كالعَدَمِ
يُحاوِلونَ دُخُولِي في سَوادِهِمُ ... لَقَدْ أَطافُوا بِصَدْعٍ غَيْرِ مُلْتَئِمِ
ما يَغْلِبُونَ النَّصارَى وَاليَهُودَ عَلَي ... حُبِّ القُلُوبِ وَلاَ العُبَّادِ لِلصَّنَمِ

مجلس آخر ٧٩

[تأويل آية] ٠٠ إن سأل سائل عن قوله تعالى (واذا الموؤدة سُئِلَتْ بأيِ ذنبٍ قتلت) ٠٠ فقال كيف يصح ان يسئل من لا ذنب له ولا عقل فأى فائدة فى سؤالها عن ذلك وما وجه الحكمة فيه وما الموؤدة ومن أي شيء اشتقاق هذه اللفظة ٠٠ الجواب قلنا أما معنى سئلت ففيه وجهان ٠٠ أحدهما انَ يكون المراد ان قاتلها طولب بالحجة فى قتلها وسئل عن قتله لها بأى ذنب كان على سبيل التوبيخ والتعنيف واقامة الحجة فالقتلة ههنا هم المسئولون على الحقيقة لا المقتولة وانما المقتولة مسئول عنها ويجرى هذا مجرى قولهم سألت حقى أى طالبت به ومثله قوله تعالى (وأوفوا بالعهد إنَّ العهد كان مسؤلا) أى مطالباً به مسئولا عنه ٠٠ والوجه الآخر ان يكون السؤال توجه اليها على الحقيقة علي سبيل التوبيخ له والتقريع له والتنبيه له على انه لا حجة له في قتلها ويجرى هذا مجري قوله تعالى لعيسى عليه السلام (ءأنت قلت للناس اتخذوني وأمى إلهين من دون

الله) على طريق التوبيخ لقومه واقامة الحجة عليهم •• فان قيل على هذا الوجه كيف يخاطب ويسأل من لا عقل له ولافهم •• فالجواب أن في الناس من زعم ان الغرض بهذا القول اذا كان تبكيت الفاعل وتهجينه وادخال الغم عليه فى ذلك الوقت على سبيل العقاب لم يمتنع ان يقع وان لم يكن من الموؤدة فهم له لأن الخطاب وان علق عليها وتوجه اليها فالغرض فى الحقيقة به غيرها قالوا وهذا يجري مجري من ضرب ظالم طفلا من ولده فأقبل على ولده يقول له ضربت ماذنبك وبأى شئ استحل هذا منك فغرضه تبكيت الظالم لا خطاب الطفل والأولى ان يقال فى هذا ان الاطفال وان كانوا من جهة العقول لا يجب في وصولهم الى الاغراض المستحقة ان يكونوا كاملى العقول كما يجب مثل ذلك فى الوصول الى الثواب فان كان الخبر متظاهراً والأمة متفقة على أنهم فى الآخرة وعند دخولهم الجنان يكونون على أكمل الهيئات وأفضل الاحوال وان عقولهم تكون كاملة فعلى هذا يحسن توجه الخطاب الى الموؤدة لأنها تكون في تلك الحال ممن تفهم الخطاب وتعقله وان كان الغرض منه التبكيت للقاتل واقامة الحجة عليه •• وقد روى عن أمير المؤمنين عليه السلام وابن عباس ويحيي بن يعمر ومجاهد ومسلم بن صبيح وأبي الضحي ومهوان وأبي صالح وجابر بن يزيد انهم قرؤا سئلت بفتح السين والهمزة واسكان التاء بأي ذنب قتلت • وروى باسكان اللام وضم التاء الثانيـة على أن المـوؤدة موصوفة بالسؤال والقول بأى ذنب قتلت •• وروى القطيعي عن مسلم والاعمش عن حفص عن عاصم قتلت بكسر التاء الثانية وفي سئلت مثل قراءة الجمهور بضم السين •• وروى عن أبي جعفر المـدنى قتلت بالتشديد واسكان التاء الثانيـة •• وروي عن بعضهم واذا الموؤدة سئلت بفتح الميم والواو فأما من قرأ سـئلت بفتح السين فيمكن فيه الوجهان اللذان ذكرناهما من ان الله تعالى أكملها في تلك الحال وأقدرها على النطق •• والوجه الثالث أن يكون معنى سئلت أي سألها وطولب بحقها وانتصف لها من ظالمها فكأنها هي السائلة تجوزاً واتساعا ومن قرأ بفتح السين وضم التاء الثانية من قُتِلْتُ فعـلى أنها هي المخاطبة بذلك ويجوز فى هذا الوجه أيضاً قتلت باسكان التاء الاخيرة كقراءة الجماعة لانه اختاره عنها كما يقال سئل زيدٌ بأيّ ذنب ضرب وبأىّ ذنب ضربت وقال يقوّى هذه

القراءة في سئلت ماروي عن النبي صـلى الله عليه وسـلم من قوله يجيء المقتول يوم القيامة وأوداجه تشخب دماً اللون لون الدم والريح ريح المسك متعلقاً بقاتله يقول يارب سل هذا فيم قتلني فاما القراءة المأثورة عن حفص عن عاصم فى ضم التاء الاخـيرة من قتلت وبضم السين سـئلت فمعناها (وإذا الموؤدة سئلت) ماينبغي فقالت (بأيّ ذنب قتلت) فاضمر ماسئلت عنه وأضمر قولها وقد تضمر العرب مثل هـذا لدلالة الخطاب عليه وارتفاع الاشكال عنه مثل قوله تعالى (وإذ يرفع إبراهيم القواعـد من البيت وإسـمعيل ربنا تقبل منا) أى ويقولان ربنا ولنظائره في القرآن كثيرة جداً ٠٠ فاما قراءة من قرأ بالتشديد فالمراد به تكرار الفعل بالموؤدة ههنا وان كان لفظها لفظ واحد فالمراد به الجنس واردة التكرار جائزة ٠٠ فاما من قرأ الموؤدة بفتح الميم والواو فعلى أن المراد الرحم والقرابة وانه يسـأل عن سبب قطعها وتضييعها ٠٠ قال الله تعالى (فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض) الآية ٠٠ فأما الموؤدة فهي المقتولة صـغيرة وكانت العرب في الجاهلية تئد البنات بأن يدفنوهن أحياء وهو قوله تعالى (أيمسكه على هونٍ أم يدسه في التراب) ٠٠ وقوله تعالى (قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم) ويقال انهم كانوا يفعلون ذلك لأمرين ٠٠ أحدهما انهم كانوا يقولون ان الاناث بنات الله فالحقوا البنات بالله فهو أحق بها منا والامر الآخر انهم كانوا يقتلونهن خشية الاملاق قال الله تعالى (ولا تقتلوا أولادكم من إملاق) الآية ٠٠ [قال الشريف المرتضى] رضي الله عنـه وجدت أبا عليّ الجبائي وغيره يقول انما قيل لها موؤدة لأنها ثقلت بالتراب الذي طرح عليها حتي ماتت وفى هذا بعض النظر لأنهم يقولون من الموؤدة وأديئد وأداً والفاعـل وائد والفاعلة وائدة ومن الثقل يقولون آدني الشيء يؤدني اذا أثقلني أوداً ٠٠ وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن العزل فقال ذاك الوأد الخفي وقد روي عن جماعة من الصحابة كراهية ذلك فقال قوم في الخبر الذي ذكرناه انه ملسوخ بمـاروي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قيل له ان اليهود يقولون فى العزل هو الموؤدة الصـغرى فقال عليه الصلاة والسلام كذبت اليهود لو أراد الله أن يخلقه لم يستطع أن يصرفه وقد يجوز أن يكون قوله عليه الصلاة والسلام ذاك الوأد الخفي على طريق التأكيد للترغيب

في طلب النسل وكراهية العزل لا على انه محظور محرم •• وصعصعة بن ناجية بن عقال جد الفرزدق بن غالب وكان ممن فدى الموؤدات في الجاهلية ونهى عن قتلهن وقيل انه أحيا ألف موؤدة وقيل دون ذلك •• وقد افتخر الفرزدق بهذا في قوله

وَمِنَّا الذي مَنَعَ الوائداتِ ... وَأَحيا الوَئيدَ فَلَم تُوءَدِ

وفي قوله

وَمِنّا الذي أحيا الوَئيدَ وَغالِبٌ ... وَعَمْرٌو وَمِنّا حاجِبٌ وَالأَقارِعُ

•• وفي ذلك يقول أيضاً

أنا ابنُ عِقالٍ وَابنُ لَيلى وَغالِبٍ ... وَفَكّاكُ أَغلالَ الأسيرِ المُكَفَّرِ

ــليلى ــ أم غالب ــ وعقال ــ هو محمد بن سفيان بن مجاشع ــ وفكاك الأغلال ــ ناجية بن عقال ــ والمكفر ــ هو الذي كفر وكبل بالحديد

وَكانَ لَنا شَيخانِ ذُو القَبرِ مِنهُما ... وَشَيخٌ أَجارَ النّاسَ مِن كُلِّ مَقبَرِ

ــذو القبر ــ غالب وكان يستجار بقبره والذي أجار الناس من القبر وأحيى الوئيدة صعصعة

عَلى حِينَ لا تُحيي البَناتُ وَإِذ هُمُ ... عُكُوفٌ عَلى الأَصنامِ حَولَ المُدَوَّرِ

أَنا ابنُ الَّذي رَدَّ المَنِيَّةَ فَضلُهُ ... وَما حَسَبٌ دافَعتُ عَنهُ بِمَعوِرِ

أَبي أَحَدُ الغَيثَينِ صَعصَعَةُ الَّذي ... مَتى تُخلِفِ الجَوزاءُ وَالنَّجمُ يُمطِرِ

أَجارَ بَناتِ الوائِدينَ وَمَن يُجِرْ ... عَلى القَبرِ يُعلَمْ أَنَّهُ غَيرُ مُخفَرِ

وَفارِقِ لَيلٍ مِن نِساءٍ أَتَت بِهِ ... يُعالِجُ رِيحاً لَيلُها غَيرُ مُقمِرِ

ــ فارق ــ يعني امرأة ما خضا شبهها بالفارق من الابل وهي الناقة التي يضربها المخاض فتفارق الابل وتمضي على وجهها حتى تضع

فَقالَتْ أَجِرْ لي ما وَلَدتُ فَإِنَّني ... أَتَيتُكَ مِن هَزلِ الحَمُولَةِ مُقتِرِ

رَأى الأَرضَ مِنها راحَةً فَرَمى بِها ... إِلى خُدَدٍ مِنها وَفي شَرِّ مَحفَرِ

فقالَ لها نامي فأنتِ بذمّتي ... لبِنتِكَ جارٌ منْ أبيها القتوّرِ

ـ القتور ـ السيئ الخلق •• قال وأخبرنا المرزباني قال أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا محمد بن زكريا الغلابي عن العباس بن بكار الضبي عن أبي بكر الهذلي •• قال الصولي وحدثني القاسم بن إسماعيل عن أبي عثمان المازني عن أبي عبيدة بطرف منه قال وفد صعصعة بن ناجية جد الفرزدق على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد بني تميم وكان صعصعة منع الوأد في الجاهلية فلم يدع تميما تئد وهو يقدر على ذلك فجاء الاسلام وقد فدا في بعض الروايات أربعمائة موؤدة وفي أخرى ثلاثمائة فقال النبي صلى الله عليه وسلم بأبي أنت وأمي أوصني فقال أوصيك بأمك وأبيك وأختك وأخيك وأدانيك أدانيك فقال زدني فقال عليه الصلاة والسلام إحفظ ما بين لحييك ورجليك ثم قال عليه الصلاة والسلام ماشيء بلغني عنك فعلته فقال يارسول الله رأيت الناس يموجون على غير وجه ولم أدر أين الصواب غير أني علمت انهم ليسوا عليه فرأيتهم يئدون بناتهم فعرفت أن ربهم عز وجل لم يأمرهم بذلك فلم أتركهم يئدون ففديت ما قدرت عليه •• وفي رواية أخرى إن صعصعة لما وفد على النبي صلى الله عليه وسلم فسمع قوله تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شرًّا يره) قال حسبي ما أبالي أن لا أسمع من القرآن غير هذا •• ويقال انه اجتمع جرير والفرزدق يوماً عند سليمان بن عبد الملك فافتخرا فقال الفرزدق أنا ابن محيي الموتى فقال له سليمان أنت ابن محيي الموتى فقال إن جدي أحيا الموؤدة وقد قال الله تعالى (ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً) وقد أحيى جدي اثنتين وتسعين موؤدة فتبسم سليمان وقال انك مع شعرك لفقيه

[تأويل خبر] •• إن سأل سائل عن معنى الخبر الذي يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه نهي أن يصلي الرجل وهو زناء •• الجواب قلنا الزناء هو الحاقن الذي قد ضاق ذرعا ببوله يقال أزنأ الرجل ببوله فهو يزنيه إزناء •• قال الاخطل

فإذَا دُفِعتَ إلي زِناءٍ قعرُها ... غبراءَ مُظلمةٍ منَ الأحفارِ [1]

---

[١] البيت من قصيدة يمدح بها عبد الله بن معاوية بن أبي سفيان وكان عبد الله هذا محمقاً

يعني ضيق القبر •• ويقال لا تأت فلاناً فان منزله زناء فيجوز أن يكون ضيقاً ويجوز أن يكون عسر المرتقي وكلاهما يؤل الى المعنى ويقال موضع زناء اذا كان ضيقاً صعباً •• ومن

وأول القصيدة

صدع الخليط فشاقني أجواري ونأوك بعد تقارب ومزار
وكأنما أنا شارب جادت له بصرى بصافية الأديم عقار
صرف تواترت الاعاجم جنبها وحماه حائط عوسج بجدار
من مسبل درجت اليه عيونه وسقاه عازب جدول مرار
حتى إذا ما أنضجته شمسه وأنا فليس عصاره كعصار
وتقصدت من غير هش عوده بال وليس بحصرم أبكار
وتجردت بعد الهجير وضرحت صهباء تبدأ شربها بقتار
وجداً برملة يوم شرق أهلها للغور أو لشقائق المذكار
وكأن ظعن الحي حائش قرية داني الجناية مونع الأثمار
واذا تكشفت الخدور بدالنا بقر كوانس في ظلال مغار
واذا أطلعن من الخدور لحاجة سدوا الخصاص بأوجه أحرار
ولقد حلفت برب موسى جاهداً والبيت ذي الحرمات والاستار
وبكل مهتبل عليه مسوحه دون السماء مسبح جار
لاحبرن لابن الخليفة مدحة ولاقذفن بها الى الامصار
قرم تمهل في أمية لم يكن فيها بذى أبن ولا خوار
نبتت قناتك منهم في أسرة بيض الوجوه مصالت أخيار
جهراء للمعروف حين تراهم حلماء غير تنابل أشرار
قوم اذا بسط الاله ربيعهم دارت رحاه بمسبل درار
واذا أريد بهم عقوبة فاجر مطرت صواعقهم عليه بنار
قوم هم نالوا التمام وأزحفت عنه مذارع آخرين قصار
وأبوك صاحب يوماً ذرح اذ أبى الحكمان غير تهايب وضرار

ذلك قول أبي زبيد يصف أسداً

أَبَنَّ عِرِسيةً عِنَّابُها أشِبٌ ... وَدُونَ غايَتِهِ مُسْتَورِدٌ شَرِعُ
شاسِي الهُبُوطِ زَنَاءُ الحامِيَيْنِ مَتَى ... تَنْشَعْ بَوادِرُهُ يُحْدِثْ لها فَزَعُ [1]

لمـا تبعثت الضغائن بينهم ... أفضى وسار بجحفل جرار
وأهلّ اذ غنظ العدوّ بفيلق ... تحت الاشاء عريضة الآثار
حتي رأوه بجنب مسكن معلماً ... والخيـل جاذية على الاقتار
ومنها تسمو العيون الى عزيز بابه ... معطي المهـابة نافـع ضرار
وترى عليه إذ العيون شزرنه ... سيما الحليم وهيبـة الجبار
ولقد أناجي النفس لمـا شفها ... خوف الجنان ورهبة الاقتار
بأبى سـليمان الذي لولا يد ... منه علقت بظهر أحدب عار
واذا دفعت الى زناه يابهـا ... غـبراء مظلمة من الاجفار
لولا فواضـله غـداة لقيته ... بالجد شاب مسايحي وعذارى
من معشر حنقين لولا أنتم ... يابن الخليفة ما شددت إزارى
والشافعون مغيبون وجوههم ... ورزمو المقالة ناكسو الابصار

[١] البيتان من قصيدته التي أولها

من مبلغ قومنا النائين اذ شحطوا ... أن الفؤاد اليهـم شيّق ولع
حمـال أثقال أهـل الود آونة ... أعطيهم الجهـد منى بلَه ما أسع

يروي أن سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه قال له يوما يا أخا تبع المسيح أسمعنا بعض قولك فقد أنبئت انك تجيد وكان أبو زبيد الطائى هذا نصرانياً فأنشده القصيدة ووصف الاسـد فقال عثمان رضى الله عنـه تالله تفتؤ تذكر الاسد ماحييت والله اني لأحسبك جبانا هرابا قال كلا ياأمير المؤمنين ولكنى رأيت منه منظراً وشهدت منه مشهدا لايبرح ذكره يتجدد ويتردد فى قلبي ومعذور أنا غير ملوم فقال له عثمان رضي الله عنه وانى كان ذلك قال خرجت في صيابة أشراف من أبناء قبائل العرب ذوى هيئة وشارة حسنة ترمى

يعني ـ يزناه الحاميين ـ انه ضيق جانبي الوادي ٠٠ وقوله ـ متى تنشع بوادره ـ أي يضيق بجماعة ممن يرده وانما يحدث لهافزع من الأسد ـ والشاس ـ الغليظ يقال مكان شاسٌ اذا كان غليظاً ومن ذلك قولهم زنأ فلان فى الجبل اذا كابد الصعود فيه وهو يزنأ فى الجبل ٠٠ وروى ابن دريد ان قيس بن عاصم المنقري أخذ صبياً له يرقصه وأم ذلك الصبيّ منفوسة وهى

بنا المهاري باكساثها ونحن نريد الحارث ن أبي شمر الغسانى ملك الشام فاخروّط بنا السير في حمارّة القيظ حتى إذا عصبت الافواه وذبلت الشفاه وشالت المياه وأذكت الجوزاء المعزاء وذاب الصيخد وصرّ الجندب وأضاف العصفور الضب فى وكره وجاوره فى جحره قال قائل أيها الركب غوروا بنا في دوح هذا الوادى واذا واد قد بدي لنا كثير الدغل دائم الغلل أشجاره مغنه وأطياره مرنه فحططنا رحالنا باصول دوحات كنهبلات فاصبنا من فضلات الزاد وأتبعناها الماء البارد فانا لنصف حر يومنا ومماطلته اذ صر أقصي الخيل أذنيه وفحص الارض بيديه فوالله مالبث أن جال ثم حمحم فبال ثم فعل فعله الفرس الذي يليه واحداً فواحداً فتضعضعت الخيل وتكعكعت الابل وتقهقهرت البغال فمن نافر بشكاله وناهض بعقاله فعلمنا أنا قد أتينا وانه السبع ففزع كل واحد منا إلى سيفه فاستله من جربّانه ثم وقفنا زردقا أرسالا وأقبل أبو الحارث من أجمته يتظالع فى مشيته كأنه مجنوب أو فى هجار لصدره نحيط ولبلاعمه غطيط ولطرفه وميض ولأرساغه نقيض كأنما يخبط هشيما أو يطأصريعاً وإذا هامة كالمجن وخد كالمسن وعينان سجروان كأنهما سراجان يتقدان وقصرة ربلة ولهزمة رهلة وكتد مغبط وزور مفرط وساعد مجدول وعضد مفتول وكف شثنة البراثن إلى مخالب كالمحاجن فضرب بيديه فارهج وكشر فافرج عن أنياب كالمعاول مصقولة غير مفلولة وفم أشدق كالغار الأخرق ثم تمطي فأسرع بيديه وحفز وركيه برجليه حتى صار ظله مثليه ثم اقعي فاقشعر ثم مثل فا كفهرّ ثم تجهم فازبأر فلاوذو بيته في السماء مااتقيناه الابأخ لنا من فزاره كان ضخم الجزاره فوقصه ثم نفضه نفضة فقضقض متنيه فجعل يلغ في دمه فذمرت أصحابى فبعد لأى مااستقدموا فهجهجنا به فكر مقشعراً بزبره كأن به

بنت زيد الفوارس بن ضرار الضبي فجعل قيس يقول له

أَشْبِهْ أَبا أُمِّكَ أَوْ أَشْبِهْ عملْ ... وَلاَ تَـكُونَنَّ كَهِلُّوفٍ وَكَلْ

تريد عملي [1] ــ الوكل ــ الجبـان ــ والهلوف ــ الهرم المسن وهو أيضاً الكبير اللحية وانما أراد به ههنا الاول

* وَأَرْقَ إلى الخَيْرَاتِ زَنْأً في الجَبَلْ *

فاخذته أمه وجعلت ترقصه .. وتقول

أَشْبِهْ أَخِي أَوْ أَشْبِهَنْ أَبا كَا ... أَمَّا أَبِي فَلَنْ تَنالَ ذَا كَا

* تَقْصُرُ عَنْ مَنَالِهِ يَدَا كَا *

شما حولياً فاختاج رجلا أعجر ذا حوايا فنفضه نفضة تزايلت منها مفاصله ثم همهم فقرقر ثم زفر فبربر ثم زأر فجرجر ثم لحظ فوالله لخلت البرق يتطاير من تحت جفونه عن شماله ويمينه فارعشت الأيدى واصطكت الارجل وأملت الاضلاع وارتجت الاسماع وشخصت العيون وتحققت الظنون وانخزلت المتون فقال له عثمان رضى الله عنه أسكت قطع الله لسانك فقد أرعبت قلوب المسلمين

[١] قوله ــ يريد عملي .. قال في اللسان وعمل اسم رجل وأنشد الرجز .. وفي نوادر أبي زيد وزعموا أن قيس بن عاصم أخذ ابنه حكيما وأمه منفوسة بنت زيد الفوارس الضبي فرقصه وقال

أشبه أبا أمك أو أشبه عمل ... ولا تكونن كهلوف وكَلْ

يبيت في مقعده قد انجدلْ ... وارق إلى الخيرات زنأ في الجبلْ

أبو حاتم وأبو عثمان ــ عمل ــ وهو اسم رجل فاخذته منفوسة منه .. ثم قالت

أشبه أخي أو أشبهن أبا كا ... أما أبي فلن تنال ذاكا

* تقصر أن تناله يداكا *

ويروي تقصر عن تناله كذا أنشده أبو زيد

مجلس آخر ٨٠

[تأويل آية].. إن سأل سائل عن قوله تعالى (وهديناه النجدين) الى آخر السورة .. فقال ما تأويل هذه الآية وما معنى ما تضمنته .. الجواب قلنا أما ابتداء الآية فتذكير بنعم الله تعالى عليهم وما أزاح به عللهم في تكاليفهم وما تفضل به عليهم من الآلات التي يتوصلون بها الى منافعهم ويدفعون بها المضار عنهم لأن الحاجة الى أكثر المنافع الدينية والدنيوية ماسة فالحاجة الى العينين للرؤية واللسان للنطق والشفتين لحبس الطعام والشراب وامساكهما في الفم والنطق أيضاً .. فاما النجد في لغة العرب فهو الموضع المرتفع من الارض والغور الهابط منها وانما سمى الموضع المرتفع من أرض العرب نجداً لارتفاعه .. واختلف أهل التأويل في المراد بالنجدين فذهب قوم الى أن المراد بهما طريقا الخير والشر وهذا الوجه روى عن على بن أبى طالب عليه السلام وابن مسعود والحسن وجماعة من المفسرين..وروى أنه قيل لأمير المؤمنين علىّ عليه السلام ان أناساً يقولون في قوله (وهديناه النجدين) انهما الثديان فقال عليه السلام لا إنهما الخير والشر .. وروى عن الحسن أنه قال بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أيها الناس انهما نجدان نجد الخير ونجد الشر فما جعل نجد الشر أحب اليكم من نجد الخير .. وروي عن قوم آخرين أن المراد بالنجدين ثديا الام .. فان قيل كيف يكون طريق الشر مرتفعاً كطريق الخير ومعلوم أنه لاشرف ولا رفعة في الشر ..قلنا يجوز أن يكون انما سماه نجداً لظهوره وبروزه لمن كلف اجتنابه ومعلوم ان الطريقتين جميعاً باديان ظاهران ويجوز أيضاً أن يكون سمى طريق الشر نجداً من حيث يحصل في اجتناب سلوكه والعدول عنه الشرف والرفعة كما يحصل مثل ذلك في سلوك طريق الخير لأن الثواب الحاصل في اجتناب طريق الشر كالثواب في سلوك طريق الخير .. وقال قوم انما أراد بالنجدين انا بصرناه وعرفناه ماله وعليه وهديناه الى طريق استحقاق الثواب وثنى النجدين على طريق عادة العرب في تثنية الأمرين اذا اتفقا في بعض الوجوه وأجرى لفظة أحدهما على الآخر كما قيل في الشمس والقمر القمران .. قال الفرزدق

* لَنَا قَمَرَاها وَالنُّجُومُ الطَّوَالِعُ [١]

ولذلك نظائر كثيرة .. فأما قوله تعالى (فلا اقتحم العقبة) ففيه وجهان .. أحدهما أن يكون فلا بمعنى الجحد وبمنزلة لم أى فلم يقتحم العقبة وأكثر مايستعمل هذا الوجه بتكرير لفظ لا كما قال سبحانه (فلا صدق ولا صلى) أي لم يصدق ولم يصل .. وكما قال الحطيئة

وَإِنْ كَانَتِ النَّعْمَاءُ فِيهِمْ جَزَوْا بِهَا   وَإِنْ أَنْعَمُوا لاَ كَدَّرُوهَا وَلاَ كَدُّوا [٢]

[١] صدره .. أخذنا بآفاق السماء عليكم

[٢] البيت من قصيدة يمدح بها آل شماس بن لأي ومطلعها

ألا طرقتنا بعد ماهجعت هند   وقد سرن خمساً واتلأب بنا نجد
ألا حبذا هند وأرض بها هند   وهند أتى من دونها النأى والبعد
وهند أتى من دونها ذو غوارب   يقمص بالبوصي معرورف ورد
وان التى نكبتها عن معاشر   على غضاب أن صددت كما صدوا
أتت آل شماس بن لأى وانما   أتاهم بها الاحلام والحسب العِدّ
فان الشقى من تُعادي صدورهم   وذو الجد من لانوا اليه ومن ودوا
يسوسون أحلاما بعيداً أناتها   وان غضبوا جاء الحفيظة والجد
أقلوا عليهم لا أبا لأبيكم   من اللوم أو سدوا المكان الذي سدوا
أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنا   وان عاهدوا أوفوا وان عقدوا شدوا
فان كانت النعمى عليهم جزوا بها   وان أنعموا لا كدروها ولا كدوا
وان قال مولاهم على جل حادث   من الدهر ردوا فضل أحلامكم رَدوا
وان غاب عن لأى بغيض كفتهم   نواشئ لم تطرز شواربهم بعد
وكيف ولم أعلمهم خذلوكم   على معظم وإن أديمكمُ قدوا
مطاعين فى الهيجا مكاشيف للدجي   بنى لهم آباؤهم وبنى الجد
فمن مبلغ أبناء سعد فقد سعي   الى السورة العليا لهم حازم جلد

وقل مايستعمل هذا المعنى من غير تكرير لفظ لأنهم يقولون لاجئتني ولا زرتني يريدون ماجئتني وان قالوا لاجئتني صلح الا أن في هذه الآية ماينوب مناب التكرار ويغني عنه وهو قوله تعالى (ثم كان من الذين آمنوا) فكأنه قال فلا اقتحم العقبة ولا آمن فمعنى التكرار حاصل •• والوجه الآخر أن يكون لاجارية مجرى الدعاء كقولك لانجا ولاسلم ونحو ذلك •• وقال قوم فلا اقتحم العقبة أي فهلاّ اقتحم العقبة أو أفلا اقتحم العقبة قالوا ويدل على ذلك قوله تعالى (ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر) ولو كان أراد النفي لم يتصل الكلام وهذا الوجه ضعيف جداً لأن قوله تعالى فلا خال من لفظ الاستفهام وقبح حذف حرف الاستفهام في مثل هذا الموضع •• وقد عيب على عمر بن أبي ربيعة قوله

ثُمَّ قَالُوا تُحِبُّهَا قلتُ بَهْرًا ... عَدَدَ الرَّمْلِ وَالحَصَى وَالتُّرَابِ[1]

وأي مجد أقوام أضيع فخرهم ... على مجدهم لما رأى انه الجهد
وتعذلني أبناء سعد عليهم ... وماقلت الا بالذي علمت سعد

[١] قوله — ثم قالوا تحبها — الخ •• البيت يستشهد به النحويون على حذف همز الاستفهام والاصل أتحبها وقوله — بهراً — أى عجباً وجزم به ابن مالك في شرح التسهيل وأورد البيت شاهداً على نصبه بعامل لازم الاضمار •• وقيل التقدير أحبها حباً بهرني بهراً أي غلبني غلبة وأورد الزبير بن بكار البيت بلفظ قلت ضعفي عدد الرمل الخ •• وقال ابن الاعرابي في نوادره البهور المكروب وأنشد البيت وقيل معناه جهراً لا أكاتم من قولهم القمر الباهر أى الظاهر ضوؤه وقيل معناه تباً كأنه قال تباً لهم لما أنكروا عليه حبها لان قوله تحبها على الانكار •• والبيت من قصيدة له يقولها فى معشوقته الثريا بنت عبد الله بن الحارث لما صرمته ومطلعها

قال لى صاحبي ليعلم مابى ... أتحب القتول أخت الرباب
قلت وجدي بها كوجدك بالعذ ... ب اذا مامنعت برد الشراب
أزهقت أم نوفل إذ دعتها ... مهجتى ما لقاتلى من متاب
حين قالت لها أجيبي فقالت ... من دعاني قالت أبو الخطاب

فاما الترجيح بان الكلام لو اريد به النفي لم يتصل وقد ثبت أنه متصل مع ان المراد به النفي لأن قوله تعالى (ثم كان من الذين آمنوا) معطوف على قوله فلا اقتحم العقبة ثم كان من الذين آمنوا فالمعنى أنه ما اقتحم العقبة ولا آمن على ما بيناه ٠٠ فاما المراد بالعقبة فاختلف فيه فقال قوم هي عقبة ملساء في جهنم واقتحامها فك رقبة ٠٠ وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أمامكم عقبة كؤود لايجوزها المثقلون وأنا أريد أن أخفف لتلك العقبة ٠٠ وروى عن ابن عباس أنه قال هي عقبة كؤود في جهنم وروي أيضاً أنه قال العقبة هي النار نفسها فعلى الوجه الاول يكون التفسير للعقبة بقوله فك رقبة على معنى ما يؤدي الى اقتحام هذه العقبة ويكون سبباً لجوازها والنجاة منها لأن فك رقبة وما أتى بعد ذلك ليس هو النار نفسها ولا موضعها ٠٠ وقال آخرون بل العقبة ماورد مفسراً لها من فك الرقبة والاطعام في يوم المسغبة وانما سمى ذلك عقبة لصعوبته على النفوس ومشقته عليها وليس يليق بهذا الوجه الجواب الذى ذكرناه في معني قوله (فلا اقتحم العقبة) وانه على وجه الدعاء لأن الدعاء لايحسن الا بالمستحق له ولا يجوز أن تدعي على أحد بان لايقع منه ما كلف وقوعه وفك الرقبة والاطعام المذكور من الطاعات فكيف يدعى علي أحد بأن لايقع منه فهذا الوجه يطابق أن يكون العقبة هي النار نفسها أو عقبة فيها ٠٠ وقد اختلف الناس في قوله فك رقبة فقرأ علي عليه السلام ومجاهد وأهل مكة والحسن وأبو رجاء العطاردي وأبو عمرو بن العلاء والكسائى فك رقبة بفتح الكاف ونصب الرقبة وقرأوا وأطعم على الفعل دون الاسم وقرأ أهل المدينة وأهل الشام وعاصم وحمزة ويحيى بن وثاب ويعقوب الحضرمي فك بضم الكاف وخفض رقبة واطعام على المصدر وتنوين الميم وضمها ٠٠ فمن قرأ على الاسم ذهب الى أن جواب الاسم

فاجابت عنه الدعاء كما لبى رجال يرجون حسن الثواب
أبرزوها مثل المهاة تهادي بين خمس كواعب أتراب
فتبدت حتى اذا جن قلبي حال دوني ولائد بالثياب
وهي مكنونة تحير منها في أديم الخدين ماء الشباب
ومنها سلبتني مجاجة المسك عقلي فسلوها ماذا أحل اغتصابي

بالاسم أكثر في الكلام وأحسن من جوابه بالفعل ألا ترى ان المعنى ماادراك مااقتحام العقبة هو فك رقبة واطعام ذلك أحسن من أن يقال هو فك رقبة أوأطعم ومال الفراء الى القراءة بلفظ الفعل ورجحها بقوله تعالى (ثم كان من الذين آمنوا) لانه فصل فالاولى أن يتبع فعلا وليس يمتنع أن نفس اقتحام العقبة وان كان إسما فهو فعل يدل على الاسم مثل قول القائل ماأدراك مازيد يقول مفسراً يصنع الخير ويفعل المعروف وما أشبه ذلك فيأتي بالافعال — والسغب — الجوع وانما أراد أنه يطعم في يوم ذي مجاعة لأن الاطعام فيه أفضل وأكرم .. فاما — مقربة — فمعناه يتيماذا قربي من قرابة النسب والرحم وهذا حض على تقديم ذى النسب والقربى المحتاجين على الاجانب فى الافضال — والمسكين — الفقير الشديد الفقر — والمتربة — مفعلة من التراب أي هو لاصق بالارض من ضره وحاجته ويجرى مجرى قولهم فى الفقير مدقع وهو مأخوذ من الدقع وهو الار ض التى لاشئ فيها .وقال قوم ذا متربة أى ذا عيال والمرحمة مفعلة من الرحمة وقيل انه من الرحم وقد يمكن في مقربة أن يكون غير مأخوذ من القرابة والقربى بل من القرب الذى هو من الخاصرة فكأن المعنى أنه يطعم من خاصرته لصقت من شدة الجوع والضر وهذا أعم فى المعنى من الاول وأشبه بقوله تعالى (ذا متربة) لان كل ذلك مبالغة فى وصفه بالضر وليس من المبالغة في الوصف بالضر أن يكون قريب النسب والله أعلم بمراده .. [قال الشريف المرتضي] رضى الله عنه ومن طريف المدح ومليحه قول الشاعر

وَكأَنَّهُ مِنْ وَفْدِهِ عِنْدَ القِرَا ... لوْلاَ مقَامُ المادِحِ المُتَكَلِّمِ
وَكأَنَّهُ أَخَذَ النَّدَا بِثيَابِهِ ... لوْلاَ مقالَتُهُ أطِبْ لِلمُؤْدَمِ

ويقارب ذلك قول محمد بن خارجة في المعنى

سَهْلُ الفِناءِ إذَا حَلَلتَ ببِابِهِ ... طَلْقُ اليَدَيْنِ مُؤَدَّبُ الخُدَّامِ
وَإِذَا رَأَيْتَ صَدِيقَهُ وَشَقِيقَهُ ... لَمْ تَدْرِ أَيُّهُماأَخُو الأَرْحامِ (١)

---

[١] وقبلهما نعم الفتى فجعت به اخوانه ... يوم البقيع حوادث الايام
والابيات نسبها أبو تمام في مختار شعر القبائل لمحمد بن بشير الخارجي

ومثله لأبي الهذي

نَزَلْتُ علي آلِ المُهَلَّبِ شاتِيًا غَرِيبًا عَنِ الأَوْطانِ في زَمنٍ مَحْلِ
فَمازَالَ بي إِكْرامهم وافتقادُهُمْ وَإِنعامهم حتي حَسبتهم أهلي

ولأثالة بن القراعي يمدح عقبة بن سنان الحارثي

أَلَمْ تَرَني شَكَرْتُ أَبا سَعيدٍ بِنُعْماهُ وَقَدْ كَفَرَ المَوالي
وَلَمْ أَكْفُرْ سَحابَتَهُ اللَّواتي مَطَرْنَ عليَّ واهِيَةَ العَزالي
فَمَنْ يَكُ كافِراً نُعْماهُ يَوْماً فَإِنِّي شاكِرٌ أُخْرَى اللَّيالي
فَتًى لم تَطْلَعِ الشِّعْرَى بأُفْقٍ وَلَمْ تَعْرِضْ لِيُمْنٍ أَوْ شِمالِ
علي نِدٍّ لهُ إِنْ عُدَّ مَجْدٌ وَمَكْرُمَةٌ وَإِتْلافٌ لِمالِ
وَأَصْبَرَ في الحَوادِثِ إِنْ أَلَمَّتْ وَأَسْعَى لِلْمَحامِدِ وَالمَعالي
فَتًى عَمَّ البَرِيَّةَ بالعَطايا فَقَدْ صارُوا لهُ أَدْنَى العِيالِ

.. فأما قول جرير

لَمْ أَقْضِ مِنْ صُحْبَةِ زَيْدٍ أَرَبي فَتًى إِذا أَغْضَبْتَهُ لَمْ يَغْضَبِ
مُوَكَّلُ العَيْنِ بِحِفْظِ الغُيَّبِ أَقْصي الفَرِيقَيْنِ لهُ كالأَقْرَبِ

فانه لم يرد إن الضعيف السبب في المودة كالقوى السبب وانما أراد أنه يرعى من غيب الرفيق البعيد الغائب حقه مايرعاه من حق الشاهد الحاضر وانه يستوى عنده لكرمه وحسن حفاظه من بعدت داره وقربت منازله وهذا بخلاف ماعليه أكثر الناس من مراعاة الحاضر القريب واهمال حق البعيد .. هذا آخر مجلس أملاه الشريف المرتضى علم الهدي ذو المجدين أبو القاسم على بن الحسين الموسوى رضي الله عنه ثم تشاغل بأمور ا

﴿ تم الكتاب والحمد لله أولا وآخراً ﴾

فهرس الجزء الرابع من أمالى السيد المرتضى

صحيفه

صحيفه

صحيفه

صحيفه

(المجلس السابع والسبعون)

(المجلس الثامن والسبعون)

(المجلس التاسع والسبعون)

(المجلس الثمانون)

(تم الفهرس)